المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز

[redacted]

تأليف

الحافظ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني
٥٨٩ هـ - ٦٦١ هـ

دراسة وتحقيق

محمد بن صالح البراك

لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه"

إشراف

فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان

١٤١١ هـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى خص بعض عباده بفهم كتابه ، وجعل جزاءهم جزيل ثوابه وصد من شاء عنه بعدله وحكمته ، فلم يفهموه ولم يتدبروه فلازمهم الشقا وصاحبهم الردى ((ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)) .

وأشهد ألا إله إلا الله الواحد القهار ، المتفرد بالعظمة والكمال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأنام ، المخصوص من ربه بالإكرام صلى الله عليه وعلى صحبه وجميع الآل ومن تبعهم بإحسان في كل حين وآن .

أما بعد :

فإني لما عزمت على مواصلة الدراسة في مرحلة الدكتوراه كان لزاما على مثلي أن يبحث عن موضوع يتقدم به لأهل هذا الاختصاص والشأن فوقع نظرى ، ومال قلبي إلى هذا الكتاب ، فأعجبني بعض ما فيه ، ورأيته جديرا بالدراسة والتحقيق ، والنظر والتدقيق فتقدمت الى قسم الدراسات العليا بطلب الموافقة على تحقيق المجلد الثاني منه ، لعلى أحظى بالموافقة ، فتم ما أردت ، ووقع ما قصدت ، فاستعنت بالله تعالى على العمل به وشرعت في جمع نسخه .

وقد قسمت العمل فيه الى قسمين :

أ) دراسة .

ب) تحقيق .

أولا : الدراسة

وتتكون من : مقدمة ، وبابين

المقدمة : وفيها مبحثان :

المبحث الأول : أهمية علم التفسير .

المبحث الثاني : نبذة عن التفسير عند الحنابلة .

الباب الأول

وفيه فصلان :

الفصل الأول : حياة المؤلف الشخصية .

وتشتمل على ما يأتي :

١) اسمه ونسبه .

٢) كنيته ولقبة ونسبته .

٣) مولده ونشأته .

٤) أسرته .

الفصل الثاني : حياته العلمية :

وتشتمل على ما يأتي :

١) بداية طلبه العلم .

٢) رحلاته في طلب العلم .

٣) شيوخه

٤) مكانته العلمية .

٥) تلاميذه .

٦) مؤلفاته .

٧) عقيدته .

٨) مذهبه .

٩) وفاته .

١٠) ثناء العلماء عليه .

الباب الثانـــي

﴿ التعريف بالكتاب المحقق ﴾

ويشتمل على ما يأتي :

١) توثيق نسبة الكتـاب .

٢) عنـــوان الكتـــاب .

٣) منهج المؤلف في الكتاب .

٤) مصادر المؤلـف فيـــــه .

٥) قيمة الكتاب العلميـــــة .

٦) نســـــخ الكتـــــاب .

٧) وصف النسخة ومكان وجودها .

٨) ذكر الســـــماعـــات .

٩) عملـــى في التحقيـــق .

= = = = = = = = = = = = =

المقـــدمة

أهمية علم التفسير

القرآن كلام الله تعالى المنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل - عليه السلام - ((وانه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)) (١) .

وتفسيره : تبيين ألفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومغازيه ، وحكمه وأحكامه .

اذاً فهو أشرف العلوم وأفضلها على الاطلاق لأنه يبحث في أشرف معلوم ، وهو كلام الباري عز وجل ، وفيه أخبار السابقين ، وأنباء اللاحقين ، وأحكام الخلق أجمعين .

ولهذا حث الله تعالى ، على فهمه وتدبره فقال : ((كتب أنزلناه اليك مبرك ليدبروا ءايته وليتذكر أولوا الألبب)) (٢) .

وقال : ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)) (٣) .

وقال : ((أفلا يتدبرون القرآن)) (٤) ونحوها .

ومن لازم التدبر والتذكر البحث في تفسيره والاطلاع على أسراره ، وكفى بهذا دليلا على أهميته وفضيلته .

---

(١) الشعراء : (٩٢ - ٩٥) .

(٢) ص (٢٩) .

(٣) القمر : (١٧) .

(٤) النساء (٨٢) ، ومحمد (٢٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] وقال : " تعلموا القرآن وعلموه الناس "[2] .

وتعلم القرآن وتعليمه ، يشمل تعليم حروفه بتلاوته ، وتعليم معانيه بتفسيره والعمل به .

وقال علي ، رضى الله عنه ، - وقد سئل : هل عندكم شيء من الوحي ؟ " والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه ، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة " الحديث .[3]

وقوله : " إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن " يدل على أن الله تعالى قد يطلع بعض عباده على أشياء من معاني كتابه .

وكان السلف الصالح يتعلمون القرآن علما وعملا .

قال ابن مسعود : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن .[4]

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن ، بابٌ خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٦ / ٢٣٦) .

(٢) أخرجه الدارقطني (٤ / ٨١) ، والحاكم (٤ / ٣٣٣) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وله علة . اهـ ووافقه الذهبي . وانظر مجمع الزوائد (٤ / ٢٢٣) .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الجهاد ، باب فكاك الأسير (٤ / ٨٤) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١ / ٨٠) بسند صحيح .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخالفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا[1].

وأبو عبد الرحمن السلمي من كبار التابعين ، أخذ القراءة عن كبار القراء من الصحابة ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما - رضي الله تعالى عنهم - .

فهذا الترغيب والحث على تدبر القرآن وتعلمه وتعليمه يدل على فضيلته ، وأهمية الكشف عن معانيه .

ومما يدل على أهميته ووجوب تعظيمه ما جاء من الوعيد والتهديد على من قال على الله بغير علم فمن ذلك قوله تعالى : ((ولا تقفوا ما ليس لك به علم))[2] وقوله : ((قل انما حرم ربي الفواحش)) الى قوله : " وأن تقولوا على الله مالا تعلمون "[3]

ومن فسر القرآن بغير علم فقد قفا ما ليس له به علم ، لأن المفسر شاهد على الله تعالى بأنه أراد بكلامه كذا وكذا فإن كان بعلم فهو الذي أمر الله تعالى

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٨٠) .

(٢) الاسراء (٣٦) .

(٣) الأعراف (٣٣) .

ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ به فيما تقدم ، وان كان بغير علم فهو الذى نهى عنه هنا .

وكذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " .(١)

وقال : " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " .(٢)

والمراد بالرأى : الذى لا يستند الى حكم شرعي .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : " أى أرض تقلني ، وأى سماء تظلني اذا قلت في القرآن مالا أعلم " .(٣)

---

(١) أخرجه الترمذى في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذى يفسر القرآن برأيه (٥/١٩٩) وقال : هذا حديث حسن . اهـ
وابن جرير في التفسير (١/٧٧) .
وأخرجه أحمد في المسند (٣/٣٤١) رقم (٢٠٦٩) ، ولفظه : " من قال في القرآن بغير علم . . . " كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ومداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي . وضعف أحمد شاكر اسناده .

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب التفسير (٥/٢٠٠) عن جندب بن عبد الله وقال : قد تكلم أهل العلم في سهيل بن أبي حزم . اهـ
وأخرجه ابن جرير في التفسير (١/٧٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير (١/٧٨) .

فكل هذا يدل على أهميته والعناية به ولهذا عنى به المسلمون من لدن السلف الصالح الى عصرنا هذا ، فألفوا فيه المؤلفات ، من المختصرات ، والمطـــولات واشترط العلماء فيمن يتصدى لتفسير كلام الله تعالى أن يكون ملما بعلوم القرآن وعلوم السنة ، وعلوم لغة العرب ، فإن أحسن ما يفسر به القرآن القرآن ثم السنة ثم أقوال الصحابة ، ثم لغة العرب .

قال ابن كثير : فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فانه قد بسط في موضع آخر ، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن ، وموضحة له . . . . وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة . اهـ .[1]

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣) .

التفسير عند الحنابلة

لقد صنف الحنابلة كغيرهم في تفسير القرآن العظيم ، وأولوه اهتماما وأول من عرف عنه التصنيف فيه هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل - رحمه الله - فقد ثبت أنه ألف تفسيرا بلغ مائة وعشرين ألف حديث .

وقد أنكر الحافظ الذهبي هذا التفسير فقال : فتفسيره المذكور شيء لا وجود له ، ولو وجد لاجتهد الفضلاء في تحصيله ، ولاشتهر[1] . اهـ

قلت : وهذا غير مسلم ، فلا يلزم من عدم وجوده ، عدم ثبوت نسبته للامام وأما تنافس الفضلاء في تحصيله ، فأمر لا يعلم ، فربما حرصوا على تحصيله ، فلم يتفق لهم ذلك .

وقد ذكره ابن النديم في الفهرست[2] ، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة[3] .

وشيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل[4] في معرض ذكر تفاسير السلف ، فقال : وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم . اهـ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٣٢٨) .
(٢) الفهرست ص : (٣٢٠) .
(٣) الطبقات : (١/٨) .
(٤) الدرء : (٢/٢٢) .

والعلمي في المنهج الأحمد[١] ضمن مصنفاته رحمه الله تعالى كما ذكره ابن مفلح في المقصد الأرشد[٢] ، وحكاه عن ابن المنادي .

وقد تكلم أتباع الامام أحمد - رحمه الله - في التفسير ، وصنفوا فيه المصنفات ، لكن أكثر تفاسيرهم لم يصل الينا خبره ، وما عرف منها انما هو كقطرة في بحر ، وقد جمع بعض الأساتذة في ذلك مؤلفا لطيفا[٣] ضمنه بعض تفاسيرهم المطبوع منها والمخطوط ، والمفقود ، وأنا سوف أقتصر في هذه العجالة على ذكر الموجود منها فقط ، وأنبه على المطبوع منها .

قال الشيخ ابن بدران : وأما ما اتصل بنا خبره من كتب التفسير لأصحابنا ، فزاد المسير في علم التفسير[٤] " وهو في أربعة أجزاء للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ، المعروف بابن الجوزي ، البغدادي ، المتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وقد كنت اطلعت على المجلد الأخير منه .

ومنها تفسير[٥] أبي البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي ، ثم البغدادي ، الفقيه ، المقرئ ، المفسر ، النحوي ، الضرير ، المتوفي

---

(١) المنهج الأحمد (١/٦٧) .

(٢) المقصد الأرشد (١/٦٧) .

(٣) واسمه : آثار الحنابلة في علوم القرآن ، لفضيلة الدكتور/ سعود الفنيسان .

(٤) وهو مشهور متداول ، وطبع عدة طبعات آخرها بتحقيق زهير الشاويش طبع المكتب الاسلامي ببيروت سنة (١٤٠٤هـ) .

(٥) واسمه : " مشكاة البيان في تفسير القرآن " ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/٤٩٩) ، ولا أعلم له وجوداً .

سنة ست عشرة وستمائة ، وتفسيره هذا غير تفسيره الذى هو اعراب القـــرآن ، وهو مطبوع ، مشهور .[1]

الى أن قال :

ومنها تفسير العلامة عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن الشـــــيخ زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن بن الشيخ محمد العمرى العلمي ، المتوفي سنة[2] . وقد رأيته في مجلد[3] ، يفسر تفسيرا متوسطا ، ويذكر القراءات ، واذا جاءت مسألة فرعية ذكر أقوال الأئمة الأربعة بها ، وفيه فوائد لطيفة .

وأجل هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الامام عبد الرزاق بن رزق الله بـــن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعنى[4] . اهـ

قلت : هو التفسير الذى نحن بصدد تحقيقه ، وسيأتي التعريف به وبمؤلفـــه ان شاء الله تعالى .

---

(١) وقد طبع باسم " إملاء ما من به الرحمن " وطبع الطبعة الأخيرة باسم " التبيان في اعراب القرآن " بتحقيق على محمد البجاوى ، ورجـــح المحقق هذا العنوان ووسم به الكتاب ، وهو مشهور عند العلماء باسم ((إعراب القرآن)) .

(٢) يقول المحقق : هنا بياض بالأصل . ووفاة العليمي سنة ٩٢٨هـ .

(٣) له نسختان احداهما في مكتبة شهيد على في السليمانية باسطنبول برقم (١٤٣) ، ويقع في (٣٧٨) ق والنسخة الثانية في مكتبـــة شستربتي برقم (٣١٦٠) ويقوم نخبة من طلبة العلم في جامعـــة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بتحقيقه .

(٤) المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل ص (٤٧٦) .

ومن التفاسير الموجودة لأصحابنا الحنابلة منتهى العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم للفقيه نور الدين عبد الرحمن بن عمر الحنبلي الضرير، المتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة.(١)

ومنها تفسير ابن عادل وهو عمر بن علي بن عادل الحنبلي، أبو حفص الدمشقي، سراج الدين، المتوفى سنة نيف وثمانين وثمانمائة(٢)، وقد سمى تفسيره هذا: ((اللباب في علوم الكتاب))(٣).

وهو تفسير ضخم، يسرد على المسألة كل ما وقع له من الخلاف، ويطيل في بسط الخلافات الفقهية، فربما ذكر في المسألة عشرين قولا.

ومنها: تفسير الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد بن بدران الدوماني المتوفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف.

---

(١) الموجود منه المجلد الثاني، ويبتدئ من النساء وينتهي بالأنعام ويقع في نحو مائتي ورقة، وله نسخة وحيدة محفوظة في دار ندوة العلماء بالهند برقم (١٤٦١) وقد حققت سورتي النساء والمائدة في مرحلة الماجستير.

(٢) انظر الأعلام (٥/٥٨)، ومعجم المؤلفين (٧/٣٠٠).

(٣) له عدة نسخ منهما نسخة في خزانة سراي، نسخة سلطانية في (٧٠٠٠) ورقة، برقم (٨٣)، وفي شستربتي، والظاهرية، والزيتونة، ودار الكتب مجلدات متفرقة، وفي مكتبة مدرسة بشير أغا بالمدينة نسخة قريبة من الكمال.
وله نسخة في معهد المخطوطات بالقاهرة.

فقد ذكر في كتابه المدخل أنه شرع في تأليف كتاب في التفسير فقال : وأرجو الله تعالى أن يوفقني لاتمام التفسير الذى أشتغل الآن به وسميته ((جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار))[1] .

ومنها تفسير الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى ، التميمي النجدى المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف وتفسيره هذا اسمه ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) وهو كتاب مشهور ومتداول بأيدى الناس ومطبوع عدة طبعات .

ومنها : ((توفيق الرحمن في دروس القرآن)) للشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك ، المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف ، ويقع في أربع مجلدات، وهو مطبوع ومشهور عند الناس .

ويتضح من هذا العرض الموجز أن ليس للحنابلة كتاب في التفسير مطبوع معتمد يفى بالغرض المنشود ، الى هذه اللحظة .

وأن أقدم هذه التفاسير : زاد المسير لابن الجوزى ، ومعلوم أنه حنبلي في الفروع ، أشعرى في الأصول ، ثم إن كتابه لا يعدو أن يكون موسوعة تفسيرية ، جمع فيه أقوال أئمة التفسير ، مجردة من التحقيق والترجيح .

---

(١) المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل ص : (٤٧٧) .
وقد ذكر زهير الشاويش في مقدمة زاد المسير أنه طبعه . ولم أقف عليه .

﴿ التفسير المنسوب لشيخ الاسلام ﴾
ابن تيميـــــة

لقد شغل أذهان الباحثين كتاب التفسير الذى أدعى أنه لشيخ الأسلام ابن تيمية ، ولقد حرصت على تمحيص هذه الدعوى فوقفت في قائمة نـــــوادر المخطوطات في المانيا على كتاب اسمه ((حدائق ذات بهجة)) تأليـــــف عبد السلام بن محمد القزويني بخط ابن تيمية ، فظن بعض من نظر في هـــذه القائمة أن هذا التفسير للشيخ فنسبه اليه غلطا ، وهو كما ترى تأليف عبد السلام ابن محمد القزويني المعتزلي ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، ويقع فـــي خمسمائة مجلد ، وقد حشر فيه أقوال المعتزلة ، وآراءهم الكلامية .

وأما كون الناسخ ابن تيمية ، فلم يبين من هو ، فآل تيمية كثير ، ولا يلزم من الاطلاق أن يكون شيخ الاسلام تقي الدين ، ولا أظنه يشغل وقته بنسخ هذا الكتاب.

لكن السؤال الذى يخطر بالبال ، هل لشيخ الاسلام كتاب مستقل في التفســـير؟ فالجواب : أن العلامة ابن القيم قد عدّ مصنفات شيخه في كتاب سرد فيه أسماءها ولم يذكر منها التفسير ، ومعلوم أن ابن القيم من أكثر الناس ملازمة للشيخ ، ولو كان له كتاب في التفسير لم يخف عليه ، ولو علمه لذكره في جملة مصنفاته ، ولتداولـــه الناس وعرفوه .

لكن ذكر ابن عبد الهادى في مصنفات الشيخ أن تفسيره يربوا على ثلاثين مجلدا[1].

وكذلك ابن القيم فقد ذكر في النونية أن تفسير الشيخ لا يقل عن عشر مجلدات كبار: قال : هذا وليس يقصر التفسير عن . . عشر كبار ليس ذا نقصـــــــان[2]

---

(١) العقود الدرية ص : (٢١) .

(٢) النونية ص : (١٦٠) .

فالظاهر من هذا أن مراد هما أن كلامه على الآيات التي فسرها لو جمع لجاء هذا المقدار ، والله أعلم .

أما الكتاب الذى طبع قريبا باسم ((التفسير الكبير)) لشيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيق الدكتور / عبد الرحمن عميرة ، فهذا فيه عدة مناقشات ، وهى :

١) تسمية الكتاب بالتفسير الكبير من صنيع المحقق .

٢) نسبته لشيخ الاسلام تُوهم أنه ألفه وسماها بهذا الاسم .

٣) أن الكتاب ليس من تأليف شيخ الاسلام ، وان كانت المادة العلمية التي فيه له ، وانما هو من جمع ابن عروة المشرقي ، وهو على بن عروة المشرقي ، المعروف بابن زكون ، المتوفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة[1] رتب مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ، وسماه ((الكواكب الدرارى في ترتيب مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ، ثم شرحه في مائة وعشرين مجلدا .

قال ابن حميد النجدى في السحب الوابلة : قلت : قد رأيت في رحلتي سنة ١٢٨١ هـ في مدرسة شيخ الاسلام الشيخ أبى عمر منها الكثير الطيب ، منها شرحه المذكور للمسند في مائة وعشرين مجلدا ، مكتوب عليه وقف شيخنا المؤلف في مدرسة شيخ الاسلام أبى عمر رحمهما الله تعالى . آمين . اهـ[2]

---

(١) انظر : المقصد الأرشد (٢/٢٣٧) .

(٢) السحب الوابلة ص (٢٩٤ - ٢٩٥) .

قلت : ولدى جامعة أم القرى من هذا الكتاب ثمانون مجلدا .

وطريقته فيه : أنه اذا مرت مسألة وفيها لابن القيم أو شيخه ابن تيمية كلام أو كتاب ذكره برمته ، وقد جمع كثيرا من الآيات التى تكلم عليها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهى التى أخذها الدكتور عميرة وحققها ونسبها لشيخ الاسلام. فلو أنه قال في العنوان : تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية جمع ابن عروة لكان أحسن وأجود .

وقد ذكر ابن القيم في أسماء مؤلفات الشيخ بعض الآيات التى تكلم عليها ، كما جمع الشيخ ابن قاسم ضمن مجموع الفتاوى بعض الآيات التى وقف على تفسيرها .

وقد أفردها الدكتور محمد السيد الجليند في أربعة أجزاء وسماها ((دقائق التفسير)) لابن تيمية .

والى كتابة هذه الأسطر لا أعلم لشيخ الاسلام ابن تيمية كتابا في التفسير كما جمع الشيخ عبد الصمد شرف الدين بعض الآيات التى تكلم عليها الشيخ في مجلد .

** **

**

القسم الأول
الدراسة

(١) ترجمة المؤلف الشخصية

إسمه ونسبه :

عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء هذا هو الصحيح في اسمه أنه عبد الرازق ، بتقدم الألف على الزاى وعامة من ترجم له أخر الألف بعد الزاى فجعله عبد الرزاق . وهذا خطأ لعدة أمور :

---

(١) مصادر ترجمته :

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار ، ت ٦٥٤ هـ ، (٤/ق ٣١/ب - ٣٨/أ) تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ت ٦٨٠هـ ، ص : (١٥٣) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي ت ٦٩٥هـ ، ص : (٢٥) معجم الدمياطي ت ٧٠٥هـ ، (ق ١٣/أ - ١٤/ب) ، تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ت : ٧٢٣هـ ، (٤/١٩٢) وذيل مرآة الزمان لليونيني ، ت : ٧٢٦هـ (١/٥٤٥) و (٢/٢١٩) مختصر طبقات المحدثين لابن عبد الهادى ت ٧٤٤هـ (٤/٢٣٩) ، تاريخ الاسلام للذهبي ت ٧٤٨ هـ (٥/ق ١٤٣) ، تذكرة الحفاظ له (٣/١٤٥٢) العبر له أيضا (٣/٣٠٢) ، البداية والنهاية لابن كثير ت ٧٧٤هـ (١٣/٢٤١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ت ٧٩٥هـ (٢/٢٧٤) ، طبقات القراء لابن الجزرى ت ٨٣٣هـ (١/٣٨٤) التبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين ت ٨٤٢هـ (ق ١٤٨/أ) ، السلوك للمقريزى ت ٨٤٥هـ (١/٥٠٢) ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ت ٨٧٤هـ (٧/٢١١) ، المقصد الأرشد لابن مفلح ت : ٨٨٤هـ (٢/١٣٢) ، طبقات المفسرين للسيوطي ت ٩١١هـ ص : (٥٥) ، طبقات الحفاظ

= = = = =

الأمر الأول : جاء في السماع المثبت بآخر هذه النسخة ما نصه :

سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز تأليف الشيخ الامام... عبد الرازق بن رزق الله . اهـ (١)

الأمر الثاني : جاء في غلاف مختصر الفرق بين الفرق له ما نصه :

مختصر كتاب الفرق بين الفرق ،تأليف عبد القاهر .... البغدادى إختصار عبد الرازق بن رزق الله . اهـ

الأمر الثالث : قال في نسخه لكتاب الحرز والمنعة في شأن أمر المهدى والمتعة للحافظ أبى منصور البغدادى ما نصه :

نقله - يعنى الجزء - والذى قبله في مجلسين آخرهما يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وستمائة عبد الرازق بن رزق الله . اهـ (٢)

الأمر الرابع : ذكر في نسخه لكتاب درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم لابن الجوزى ما نصه :

وكتبه عبد الرازق بن رزق الله الرسعني . اهـ (٣)

(=) له ص (٥٠٨) ، المنهج الأحمد للعليمي ت ٩٢٨هـ ، (٢/ ٢٦١) طبقات المفسرين للداودى ت ٩٤٥هـ ، (١/ ٣٠٠) ، شذرات الذهب لابن العماد ،ت : ١٠٨٩هـ (٥/ ٣٠٥) ،الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٢) ، معجم المؤلفين (٥/ ٢١٧) ، ومستدركه ص(٣٧٣) .

(١) رموز الكنوز (٢/ ٢٠٠/أ) .

(٢) الحرز والمنعة (٢/ق ١٧/ب) .

(٣) درء اللوم (٢/ق ١٢/ب) .

الأمر الخامس : ترجمه تلامذته ومعاصروه بهذا الاسم فقد ترجمه ابن الشعار في عقود الجمان[١] ، والدمياطي في معجمه[٢] بـ" عبد الرازق " فصوابه اسمه عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء ، هكذا ذكرت عامة المصادر نسبته .

الا أن ابن الجزري[٣] أسقط جده أبا بكر وما بعده ، واسقط ابن العماد[٤] جده خلف وما بعده . وأسقط جده أبا الهيجاء كل من ابن اليونيني[٥] ، وابن عبد الهادي[٦] والذهبي[٧] ، وابن كثير[٨] ، وابن ناصر الدين[٩] ، وابن تغرى بردى[١٠] ، والسيوطي[١١] . وشذا ابن كثير[١٢] فقال : عبد الرزاق بن عبد الله . وكلاهما وهم .

---

(١) عقود الجمان (٤/ق ١٣١/ب) .
(٢) معجم الدمياطي (ق ١٣/أ) .
(٣) طبقات القراء (١/ ٣٨٤) .
(٤) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥) .
(٥) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤٥) .
(٦) مختصر طبقات المحدثين (٤/ ٢٣٩) .
(٧) تاريخ الاسلام (٥/ق ١٤٣) ، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٤٥٢) ، العبر (٣/ ٣٠٢) .
(٨) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١) .
(٩) التبيان (ق ١٤٨/أ) .
(١٠) النجوم الزاهرة (٧/ ٢١١) .
(١١) طبقات المفسرين حي : (٥٥) .
(١٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١) .

كنيته ولقبه ونسبته :

لقد اتفقت عامة المصادر على أنه يكنى بأبي محمد ، ولم يشذ منهـا سوى ابن العماد في الشذرات فلم يذكر كنيته ، كما اتفقوا على أنه يلقـب بعز الدين ، وأغفل هذا اللقب ابن الشعار[١] ، وابن الصابوني[٢] ، وابن ناصر الدين[٣] وابن الجزري[٤] .

أما نسبته فيقال له الرسعني ، والجزري ، والموصلي .

أما الرسعني فهو بها أكثر شهرة من غيرها ، وهي بفتح الراء والعين المهملة ، وسكون السين المهملة .

نسبه الى رأس عين الخابور ، مدينة بالجزيرة الفراتية .

قال السمعاني : هذه النسبة الى بلدة من ديار بكر ، يقال لهـا رأس عين ، وماء دجله منها يخرج ، والنسبة اليها رسعني[٥] . اهـ

وقال في معجم البلدان : وهي مدينة كبيرة ، مشهورة ، من مدن الجزيرة ، بين حران ونصيبين ، ودنيسر . . . . وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافيـة ، تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور . . . والمشهور في النسبة اليهـا الرسعني ، وقد نسب اليها الرأسي[٦] . اهـ

---

(١) عقود الجمان (٤/ق ١٣١/ب) .
(٢) تكملة إكمال الإكمال ص : (١٥٣) .
(٣) التبيان في بديعة البيان (ق ١٤٨/أ) .
(٤) طبقات القراء (١/ ٣٨٤) .
(٥) الأنساب (٦/ ١٢٢) .
(٦) معجم البلدان (٣٠/ ١٤) ، وقد نسبه الأبرقوهي في معجمه بالرأسي .

وأما الجزرى : فنسبته الى جزيرة الفرات التى تقع فيها رأس عين ، وقد ترجمه بهذه النسبة : ابن عبد الهادى[١] ، والذهبي[٢] ، وابن ناصر الدين[٣] ، والسيوطي[٤] .

وأما الموصلى : فنسبة الى الموصل ، البلد المشهور في العراق ،لأن المؤلف تولى التدريس بدار الحديث المهاجرية بها ،كما سيأتي ، وقد تفرد بهذه النسبة صديقه على بن عيسى الإربلى ،بهاء الدين ،في كتابه كشف الغمة فقال : ونقبت من أحاديث نقلها صديقنا عز الدين عبد الرازق بن رزق الله ابن أبي بكر ،المحدث الحنبلي ،الرسعنى الأصل ، الموصلي المنشأ . اهـ

---

(١) مختصر طبقات المحدثين (٤/٢٣٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٤٥٢) .

(٣) التبيان البديعة لبيان ق (١٤٨/أ) .

(٤) طبقات الحفاظ ص : (٥٠٩) .

مولده ونشأته :

لم تختلف المصادر التي ترجمت للمصنف أنه ولد برأس عين سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وأغفل هذا ابن كثير في البداية والنهاية ، وابن ناصر الدين في التبيان ، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ، وابن مفلح في المقصد الأرشد ، وابن الجزرى في طبقات القراء .

وقد حدد ابن الشعار يوم ولادته فقال : وكانت ولادته - فيما قرأتها بخط يده - يوم الأحد ، بين الظهر والعصر ، الثالث والعشرين من رجب ، سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، برأس عين[1] .اهـ

وكذا في ذيل مرآة الزمان لليونيني[2] .

الا أن ابن الصابوني قال : وسألته عن مولده فقال : في يوم الأحد ، لثمان بقين من رجب ، سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين[3] . اهـ

فعلى هذا يكون مولده في الثاني والعشرين من رجب ، وتقدم النقل عن ابن الشعار أنه ولد في الثالث والعشرين ، فيحتمل أن يكون المؤلف متردداً بين هذين اليومين ، فتارة يرجح الثالث ، وتارة يرجح الثاني ، إلا أن ما نقله ابن الشعار من خطه هو المعتمد ، سيما وقد وافقه عليه اليونيني .

ولم تتعرض المصادر لنشأة المؤلف ، فلم تذكر من قام بتنشأته وهل قام والداه بها أولا ؟ .

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٤/ق ١٣١/ب) .
(٢) ذيل مرآة الزمان (٢/٢١٩) .
(٣) تكملة إكمال الإكمال ص : (١٥٥) .

الا أن الثابت قطعا أنه نشأ في رأس عين ، وتعلم بها مبادىء القراءة والكتابة وحفظ بها القرآن الكريم على الشيخ مبارك بن اسماعيل الحراني ، وقرأ على الشيخ أبي المجد ، محمد بن الحسين بن أحمد القزويني ببلده .

أسرته :

لقد أغفلت كتب التراجم - التي وقفت عليها - الحديث عن أسرته ، إلا أن المؤكد أنه تزوج امرأة من بيت علم في بلده رأس عين وهي ابنت الشيخ أبي الخطاب بن هلال الرسعني ، كما صرح بذلك في كتابه التفسير فقال : وسمعت الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني جد أولادي لامهم يقول ...اهـ[1]

وقد ولد له ثلاثة أولاد ، ذكران وأنثى وهم :

الأول : محمد ، وهو أكبر أولاده وبه يكنى . توفي سنة تسع وثمانين وستمائة غرقا في نهر الأردن ، وسيأتي الحديث عنه - ان شاء الله - في ذكر تلاميذ المؤلف .

والثاني من أولاده : ابراهيم ، ويكني أبا اسحاق ، وكان حنفي المذهب ، يعرف بابن المحدث . سمع بالموصل من والده الامام عز الدين ، وتفقه عليه ، وكان فقيها فاضلا ، عالما .

ذكره البرزالي في معجم شيوخه ، وقال : كتبت عنه ، وفاق أبناء جنسه معرفة وذكاء .

---

(١) رموز الكنوز (٣/ق ١٩٠ / ب) .

وكان نبيها ، نبيلا ، فاضلا ، عالما ، متنسكا ، ورعا ، حسن الأخلاق . وله منظوم ومنثور .

وشرح القُدُورِي ، وكتب الانشاء بديوان الموصل .

أنشدني من شعره كثيرا في كل فن .

مولده في جمادى الأولى سنة إثنتين وأربعين وستمائة بالموصل ، وتوفي في شهر رمضان ، سنة خمس وتسعين وستمائة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون[1] . اهـ

وقد ذكره والده ببيت من الشعر فقال :

تقول عرسي وبي أضعاف ماوَجَدت . يوم الفراق ودمع العين منحدرُ

أتترك إبنك إبراهيم منفردا . طفلا وتُؤتِمه حيا وتصطبرُ[2]

الثالث من أولاده هي أمة الرحمن بنت عبد الرازق ، فاضلة عالمة ، توفيت سنة خمس وتسعين وستمائة ، ذكرها البرزالي في ذيل الروضتين ( ) فقال: وفي بكرة الأربعاء عاشر شعبان توفيت الشيخة الصالحة ، أمة الرحمن ، ست الفقهاء ، بنت الشيخ الامام العلامة ، عز الدين أبي محمد ، عبد الرازق بن رزق الله .

هذا ما أمكن الوقوف عليه من الحديث عن أسرته .

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١/٢٠٦) .

(٢) معجم الدمياطي ق (١٣/ب) .

الفصل الثاني

﴿ حياته العلمية ﴾

بداية طلبه العلم :

إبتدأ المؤلف طلب العلم بحفظ كتاب الله تعالى كما هي سنة العلماء المعتقدين ، وكان قد حفظه على الشيخ مبارك بن اسماعيل الحراني[1] ، وبعد حفظه لكتاب الله تعالى رغب في التزود من العلم والأخذ عن علماء بلده فسمع من أبي المجد القزويني ثم تشوقت نفسه للرحلة ومفارقة بلده للأخذ عن علماء الامصار ، فطاف الأقطار ، وخاض غمار البحار ، حتى صار من ذوي الوجاهه والأقدار .

رحلاتـــه :

رحل المؤلف سبع رحلات عامتها في طلب العلم وسماع الحديث من أفواه الشيوخ ، وإليك تفصيلها :

الرحلة الأولى : إلى بغداد ، وكانت سنة ست وستمائة ، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة ، وسمع فيها من عبد العزيز بن مَنِيْنا ، والداهري ، وعُمر بن كرم وغيرهم[2] .

وقرأ فيها القرآن بالروايات العشرة ، على أبي البقاء العكبري[3] .

---

(١) ستأتي ترجمته في الكلام على شيوخه .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤) ، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٥٢) ، وانظر ص (ق ١٥٢/ب) من هذا الكتاب .

(٣) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٤/ق ١٣١/ب) .

الرحلة الثانية : وكانت الى فلسطين ، فزار بيت المقدس ، سنة سبع وستمائة وسمع فيها من الشيخ عبد الله بن محمد الدربندى ، الصوفي بمسجد الخليل عليه السلام . ولم أجد أحدا ذكرها لكن المؤلف صرح بأنه سمع من الشيخ عبد الله بن محمد الدربندى في مسجد الخليل .(١)

الرحلة الثالثة : الى دمشق سنة تسع وستمائة ، وسمع فيها من أبي القاسم السلمي وابن الحرستاني ، والخضر بن كامل ، وأبى الفتوح بن الجلاجلي(٢) ، والموفق بن قدامة ، وتفقه عليه ، وحفظ كتابه المقنع ، وقرأ عليه كثيرا من كتبه الفقهية .(٣)

وسمع من أبى اليمن الكندى تاريخ بغداد كله ، قاله الذهبي(٤) ، وتعقبه الدمياطي فقال : وسمع من الكندى تاريخ بغداد عن القزاز عن الخطيب خلا الجزء السادس والثلاثين .... وخلا قول أبى حنيفة في الإيمان ، فإن الكندى أجاز له .(٥) اهـ

وقال الذهبي : قرأت بخط سيف الدين ابن المجد ذكر عبد الرازق الرسعني ، قال : حفظ المقنع ، وسمع بدمشق سنة خمس ، وسنة ست وسبع من الكندى .(٦) اهـ

---

(١) انظر ص : (٦٧٦) من هذا الكتاب .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٤) ، وتذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٥٢) وانظر ص (٤٥٤) من هذا الكتاب .

(٣) عقود الجمان (٤/ق ١٣٢/أ) .

(٤) تاريخ الاسلام (٥/ق ١٤٣) .

(٥) معجم الدمياطي (ق / ١٤/أ) .

(٦) تاريخ الاسلام (٥/ق ١٤٣) .

فيحتمل أنه زار دمشق مراراً ، وإلا فقد ثبت أنه سمع ببغداد سنة ست ، ويحتمل أن هذا وهمٌ .

الرحلة الرابعة : وكانت الى حلب ، والظاهر أنه مر على حلب بعد منصرفه من دمشق إلا أن كلام ابن الصابوني يوحي بأنه زار حلب أولاً فقال : دخل بغداد وتفقه بها .... وسمع بحلب .... وبد مشق ثم سافر عنها وأقام بالموصل[1]. اهـ وفي هذه الرحلة سمع من الشريف أبي هاشم ، عبد المطلب[2] بن الفضل الهاشمي .

الرحلة الخامسة : إلى الموصل في شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ونزل بدار الحديث المهاجرية ، بباب سكة أبي نجيح ، التي أنشأها أبو القاسم ، علي بن مهاجر بن علي الموصلي[3] ، وعين مدرسا بها ، فصار يسمع بها أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويفيد الناس .[4]

---

(١) تكملة إكمال الإكمال ص : (١٥٥) .

(٢) لا يجوز التسمي بعبد المطلب .

(٣) معين الدين ، التكريتي ، ثم الموصلي الوزير بسنجار ، كان من أولاد الأكابر والوزراء ، وبيتهم معروف بالفضل والحشمة ، والنبل ، وكان من أهل الخير والصلاح ، والسماح ، وبنى بالموصل ، في سكة أبي نجيح دار الحديث ، ووقف عليها الوقوف الحسنة ، والكتب النفيسة .

تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي ، رقم (١٤٧٩) من الجزء الخامس .

(٤) عقود الجمان (٤/ق ١٣٢/أ) .

الرحلة السادسة : إلى دمشق ، فقد قدم دمشق رسولا فقرأ عليه ابن الصابوني جـــزءً .

أبو الحسن الصابوني قال : ثم قدم دمشق رسولا فاجتمعت به ، وقرأت عليه جزءً من حديثه ، وهـــو روايته عن ابن مَيْنا ، وسمعت منه أناشيد من نظمه ، وكان معي جماعة من طلبة الحديث . اهـ[1]

وهذه الرحلة بعد ماذاع صيته ، واتسعت شهرته ، ولهذا بعث رسولا إلى دمشق ولم أجد أحدا ذكر من أرسله ، والظاهر أنه بدر الدين لؤلؤ[2] ، صاحب الموصـــل فقد كانت له حرمة وافرة عنده ، وبينهما اتصال وثيق .

الرحلة السابعة : وكانت إلى مصر ، ولم أجد أحدا صرح فيها ، الا أن ترجمـــة ابن تغرى بردى له في النجوم الزاهرة ، تدل على أنه دخلها ، لكن متى كان هذا ؟ لم أجد من ذكره ، لكن الظاهر أنه كان قبل أن يستقر بالموصل ، ومما يدل على أنه دخل مصر ما حكاه الحافظ ابن رجب ، قال : قال الحافـــظ أبو محمد عبد الكريم الحلبي في تاريخ مصر له : نقلت من خط الحافظ اليغموري - يعني يوسف بن أحمد بن محمود الدمشقي - أنشدنا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري ، أنشدني ابن دقيق العيد بقوص ، أنشدني عز الدين عبد الرازق الرسعني لنفسه :

---

(١) تكملة إكمال الإكمال ص : (١٥٥) .

(٢) السلطان بدر الدين أبو الفضائل ، لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي ، الملقب بالملك الرحيم ، كان بطلا شجاعا حازما مدبرا سائسا ، ذا همة عالية ، توفي سنة سبع وخمسين وستمائة . سير اعلام النبلاء (٢٣/٣٥٦) .

وكنت أظن في مصر بحـــارا . إذا ماجئتهـــا أجـــد الورودا

فما ألفيتها إلا ســـــرابا . فحينئـــذ تيممـــت الصعيـــدا[1]

فالظاهر من هذه الأبيات أنه دخل مصر ، وأيضا فإن ابن دقيق العيد رواها عنه ، وهو في قوص من صعيد مصر ، كما صرحت به القصة المتقدمة ، ومع هـــذا فلم يترجمه الأُدفوي في الطالع السعيد .

فهذه هي البلاد التي طاف فيها المؤلف مما وقفت عليه ، وإلا فقد دخل بلداناً أُخر ، قال ابن رجب : وسمع بحلب . . . . وببلدان أخر[2] اهـ

ويلاحظ من هذا أنه لم يدخل مكة ولا المدينة ، ولم أقف على شيء من هذا وهذه الرحلات المتعددة تدل على كثرة سماعه ، ووفرت علمه ومعرفته .

شيوخه :

لقد أخذ العلم عن جماعة كثيرة من فضلاء عصره في علوم مختلفة وفنـــون متعددة ، وإليك بيانهم بالتفصيل :

١) الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام ، موفق الدين ، أبو محمد ، عبد الله ابن أحمد بن قدامة المقدسي ، الجَمَّاعيلي ، ثم الدمشقي ، الحنبلـــي صاحب المغني ، توفي سنة عشرين وستمائة .[3]

وقد أخذ عنه الفقه ، وقرأ عليه كثيرا من كتبه ، وسمع منه مسند الشافعي وغيره ، وتفقه به وأثنى عليه في كتابه ، ولما توفي رثاه بمرثية بلغـــــت

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦) ، وطبقات المفسريـــــن للداودي (١ / ٣٠١) .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ١٦٥) .

ثمان وعشرين بيتا ، ومطلعها .

ألآ ما لوجه المكرمات مُلفَّعُ . . ومالِعيون الدين تدمى وتدمع

ومالِمعاني الفقه أقوت فاصبحت . . معطلة أركانها تتضعضع

ومنها :

وما للورى سكرى ولم يشربوا طلا . . ومالغيوم الهم لا تتقشع

وياقومُ ماللشمس أظلم ضوؤها . . ومالجبين البدر أيضا مرقع

ومنها :

فلو طالت الأعمار بالفضل لم يكن . . لِموتٍ على مثل الموفق مطمع

ولو أنه بالمشرفية يُتَّقَى . . حمته سيوف دونه تتقعقع

ونهايتها :

وبعد فلا زالت سحائب رحمة . . من الله في لحد الموفق تهمع[1]

وقد روى عنه في عدة مواضع من هذا الكتاب .[2]

٢) الشيخ الإمام العَلاَّمة النحوى ، البارع ، محب الدين ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى ، ثم البغدادى ، الأَزَجِي الضرير ، الفرضي ، الحنبلي ، صاحب التصانيف ، توفى سنة ست عشرة وستمائة .[3]

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٤/ق ١٣٤ - ١٣٥/أ) .

(٢) ص : (٤٣٣) ، (١٠٦) ، (١٤٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/٩٢) .

وقد أخذ المؤلف عنه كثيرا من القراءات ، وتلي عليه بالعشر[1] ، وتعلم منه العربية ، والأدب ، وقد روى عنه كثيرا من القراءات في كتابه التفسير[2] .

٣) الشيخ الإمام العَلَّامة المفتي ، شيخ القراءات ، وشيخ العربية ، ومسند الشام ، تاج الدين ، أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي ، ثم الدمشقي ، الحنبلي ، ثم الحنفي ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة[3] .

وقد روى عنه المصنف في كتابه التفسير بعض الأحاديث[4] .

٤) الشيخ الإمام العالم المفتي ، المُعَمَّر ، الصالح ، مُسنِد الشام ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، جمال الدين ، أبو القاسم ، عبد الصمد بن محمد ، الأنصاري ، الدمشقي ، الشافعي ، ابن الحَرَسْتاني ، حدث بصحيح مسلم ، ودلائل النبوة ، للبيهقي ، وأشياء ، توفي سنة أربع عشرة وستمائة[5] .

سمع منه المؤلف صحيح مسلم ، وروى عنه في تفسيره[6] .

---

(١) عقود الجمان (٤/ق ١٣١) .
(٢) انظر على سبيل المثال ص : (٣٨٠) و (٤٨٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٤) .
(٤) انظر مثلا ص : (٢٣٦) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨٠) .
(٦) انظر ص (٥٠٣) و (٦٨٠) .

٥) عبد العزيز بن معالى بن غنيمة ،أبو محمد بن مَنِيَنا البغدادى ، الاشناني ،الشيخ الصالح ،الخَيِّر ،مُسْنِد العراق ،توفى سنة اثنتى عشرة وستمائة .(١)

٦) الشيخ المُسْند ،الأُمى ،أبو الفضل ،عبد السلام بن الامام عبد الله ابن أحمد الداهرى ،البغدادى ،الخفاف ، الخراز ، كان أُميا لا يكتب ، سمع صحيح البخارى ومسند عبد بن حميد ،والدارمي وغيرها ،توفى سنة ثمان وعشرين وستمائة .(٢)

٧) الشيخ الإمام العَلاَّمة ، المُحَدِّث ،الأَديب النسابه ،عزُ الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم ،الجزرى الشيباني الأثيرى المعروف بابن الأثير ،صاحب الكامل في التاريخ ،وأُسد الغابة توفى سنة ثلاثين وستمائة .(٣)

روى عنه المصنف في كتابه رموز الكنوز .(٤)

٨) ابن الجلاجلى ،التاجر الرئيس المقرئ ، كمال الدين ،أبو الفتح محمد بن على بن المبارك البغدادى ،توفى في بيت المقدس سنة إثنتى عشرة وستمائة .(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٠٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠٢ / ٣٥٣) .
(٤) انظر ص : (٦١٩) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٥٢) .

٩) الشيخ العالم المسند ،أبو العباس ، الخَضِر بن كامل بن سالم ابن سبيع ،الدمشقي ، السَّرَوجي ،الدَّلاَّل المُعَبِّر ،توفي سنة ثمان وستمائة ، وهو في عشر التسعين .(١)

١٠) عمر بن كَرَم بن على ، الشيخ المسند الأمين ،أبو حفص الدِيْنَوري ، ثم البغدادى ، الحمامي ،روى الكثير وتفرد ، وكان شيخا مباركا صحيح السماع ،والإجازه ،تفرد بأجزاء عن أبى الوقت ، توفى سنة تسع وعشرين وستمائة .(٢)

١١) الشيخ الإمام العلامة ، كبير الحنفية ،إفتخار الدين ،أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل ،الهاشمي ،البَلْخي ،ثم الحلبي ، الحنفي توفى سنة ست عشرة وستمائة .(٣)

١٢) القاضي الإمام الفاضل ،المحدث الصالح ،الجَوَّال ، مجد الدين أبو المجد بن الحسين بن بهرام ،القزويني ، الصوفي ، توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة .(٤)

روى عنه المصنف في كتابه في مواضع منه .(٥)

١٣) الشيخ الأمير ،المسند ،الدَيِّن ،أبو القاسم ،شمس الدين ،أحمد ابن عبد الله ،السلمي ، البغدادى ، الصيدلاني ، العطار ،المتوفي سنة خمس عشرة وستمائة .(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١) .
(٢) المصدر السابق (٢٢/ ٣٢٥) .
(٣) المصدر السابق (٢٢/ ٩٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٩) .
(٥) انظر مثلا ص : (٢١٢) ، و (٥٣٩) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨٤) .

١٤) الشيخ المُعَمَّر ، المُسْند ، أبو الحسن ، علي بن أبي بكر ، بن رُوزَبَه . البغدادي ، القَلانسي ، العطار ، الصوفي ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[١] ، حدث المؤلف عنه بصحيح البخاري ، هو والذي قبله مقرونا بما يزيد على خمسة عشر موضعا[٢] .

١٥) نصر بن عبد الرزّاق بن عبد القادر ، الجيلي ، ثم البغدادي ، الأَزَجي قاضي القضاة ، عماد الدين ، أبو صالح الحنبلي ، المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[٣] .

روى عنه المؤلف ، وأثنى عليه ، ووصفه بأنه قاضي القضاة شرقا ، وغربا[٤] .

١٦) حنبل بن عبد الله بن الفرج بن شعبان ، أبو علي ، ويقال له أبو عبد الله ، المُكَبِّر بجامع المهدي ، الرَصافي ، قال أبو شامة : كان فقيرا جدا . اهـ

أسمع المسند مرتين ، بدمشق ، واجتمع له جماعة لم تجتمع في مجلس سماع قبله بدمشق ، توفي في حدود سنة أربع وستمائة[٥] .

حدث المصنف عنه بالمسند كما في تفسيره هذا[٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٨٧) .
(٢) انظر على سبيل المثال ص (٢٢١) و (٢٥٥) ، و (٥٤٨)
(٣) سير أعلام النبلاء : (٢٢/٣٩٦) .
(٤) انظر ص (٥٩٧) من هذا الكتاب .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٣١) وستأتي ترجمته بأوسع من هذا ص : (٦٩) .
(٦) انظر على سبيل المثال ص (١٥٦) .

١٧) الشيخ الجليل ، الصالح ، المُسند ،أبو بكر ، محمد بن سعيد ابن الموفق ،الخازن ، النيسابورى ثم البغدادى الصوفي ،أحد رواة مسند الشافعي ،توفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .[1]

وقد روى المؤلف عنه مسند الشافعي ، وقرنه بالموفق بن قدامة.[2]

١٨) الشيخ الزاهد محمد بن داود بن عثمان الدربندى ،أبو عبد الله الصوفي . لم أعثر له على ترجمة إلا أن يكون شمس الدين أبا عبد الله محمد بن داود البعلى الحنبلي ،المتوفى سنة تسع وسبعين وستمائة.[3]

فقد روى المصنف عنه عن السلفي بمسجد الخليل بفلسطين.[4]

١٩) الشيخ الامام المقرئ ، المُعَمَّر ،مسند خراسان ، رضى الدين ، أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي ثم النيسابورى ،سمع صحيح مسلم، وصحيح البخارى ،وغيرها ،وتوفى سنة سبع عشرة وستمائة .[5]

وروى المؤلف من صحيح مسلم عنه في تفسيره .[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٤) .

(٢) انظر ص : (٤٣٣) و (٦٠٦) و (٣٤١) .

(٣) شذرات الذهب (٥/ ٣٦٤) .

(٤) انظر ص (٦٧٦) من هذا الكتاب .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠٤) .

(٦) انظر ص (٦٨٠) مثلا .

٢٠) عثمان بن مقبل بن قاسم الياسرى ، ثم البغدادى ، الواعظ ، أبو عمرو جمال الدين ، الحنبلي ، من أهل الياسرية ، قرية من قرى بغداد على نهر عيسى ، صنف كتابا في طبقات الفقهاء ، وتوفى سنة ست عشرة وستمائة .(١)

أخذ عنه المصنف في القراءات ، وروى عنه مقرونا بأبى البقاء العكبرى .(٢)

٢١) الشيخ مبارك بن اسماعيل الحراني ، قرأ عليه القرآن في صباه ، ذكره ابن الشعار في عقود الجمان(٣) . ولم أعثر له على ترجمة .

هذا ما استطعت الوقوف عليه من شيوخه ، ولم أذكر إلا من نص أهل العلم على أنه سمع منه أو أخذ عنه ، أو صرح بالرواية عنه في كتابه ، فلم أذكر من عاصره وخالطه مثل ابن الشعار(٤) ، والإربلي(٥) أو من صحبه مثل العماد الحنبلي(٦) .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٢) .

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر : (ق ٩٩/أ) ، و (ق ١٣٣/ ب)

(٣) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (٤/ق ١٣١) .

(٤) كمال الدين ، أبو البركات ، المبارك بن أبى بكر ، بن حمدان ، الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان ، توفى سنة أربع وخمسين وستمائة شذرات الذهب (٥/٢٦٦) .

(٥) على بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي ، بهاء الدين الكردى ، منشئ مترسل ، من الشعراء ، توفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة .
الأعلام : (٤/٣١٨) .

(٦) ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي ، ثم الدمشقي الفقيه الزاهد ، العابد ، الشيخ عماد الدين ، أبو إسحاق ، أخو الحافظ عبد الغني ، توفى سنة أربع عشرة وستمائة . المقصد الأرشد (١/٢٢٧) .

مكانته العلمية :

لقد حظى المصنف بمكانة علمية عند طلبة العلم ، بل حتى عند الملوك والوزراء ، فقد كانت له حرمة وافرة عند صاحب الموصل ، بدر الدين ، لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي[١] ، كما كانت له حرمة أيضا عند صاحب سنجار[٢] ، وعند الملك السعيد صاحب ماردين[٣] .

ومما يدل على مكانته العلمية أنه رُتِّب بدار الحديث المهاجرية بالموصل ، كما تقدم ، كما أن كثرة شيوخه ، وسعة رحلاته يدلان على مكانته العالية ، وكثرة من ترجمه ووصفه بالإمامة والعلم ، ومصنفاته في شتى الفنون ، ومن أخذ عنه من المبرزين كل هذه الأمور مجتمعة ومنفردة تدل على أن مؤلفنا حاز على قدر عال من إعجاب علماء عصره ، ومن تأخر عنه كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

---

(١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤٥) ، وطبقات علماء الحديث (٤/ ٢٤٠) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٤) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤٥) .

تلاميذه :

لقد أخذ العلم عن المصنف جماعة ، منهم من سمعه وشافهه ، ومنهم من روى عنه بالإجازة .

١) ابنه شمس الدين محمد بن عبد الرازق ، أبو عبد الله ، وأبو الفضائل ، الفقيه الشاعر ، الأديب ، المعدل ، توفي سنة تسع وثمانين وستمائة ، غريقا بنهر الشريعة[١] من الغور[٢] .

٢) ابنه ابراهيم بن عبد الرازق ، أبو اسحاق ، الحنفي ، يعرف بابن المحدث تقدمت ترجمته في الحديث عن أسرة المؤلف ص : (٢٣) .

٣) الإمام المحدث الحافظ ، مفيد الطلبة ، جمال الدين ، أبو حامد محمد بن علي بن محمود ، الصابوني ، كان صحيح النقل ، مليح الخط توفي سنة ثمانين وستمائة .[٣]

٤) الشيخ الإمام العَلَّامة الحافظ الحجة ، الفقيه النسابه ، شيخ المُحَدثين شرف الدين ، أبو محمد ، عبد المؤمن بن خلف ، الدمياطي ، الشافعي صاحب التصانيف ، توفي سنة خمس وسبعمائة .[٤]

روى عن المؤلف وترجمه في معجمه .[٥]

---

(١) هو المعروف الآن بنهر الأردن ، تقويم البلدان ص : (٣٩) .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢٤) ، والمقصد الأرشد (٢ / ٤٥٦) .
(٣) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٦٤) ، وطبقات المحدثين (٤ / ٢٤٩) .
(٤) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٧٧) .
(٥) معجم الدمياطي ق (١٣ / أ) .

٥) الإمام الفقيه ، المجتهد المُحَدث ،الحافظ ،العلامة ،شيخ الإسلام تقي الدين ،محمد بن على ،القشيرى ،أبو الفتح المنفلوطي الصعيدى صاحب التصانيف ،المعروف بابن دقيق العيد ،توفى سنة اثنتين وسبعمائة[1] . وقد صرح بأنه أخذ عن المؤلف ،ولعل هذا في رحلته للصعيد .

قال ابن رجب عن ابن دقيق العيد : أنشدني عز الدين ،عبد الرازق الرسعني لنفسه .

وذكر البيتين المتقدم ذكرهما في رحلته الى مصر : وكنت أظن في مصر بحارا[2] .

٦) الشيخ الإمام ،مجد الدين ،على بن وهب بن مطيع ،القشيرى المالكي والد ابن دقيق العيد ، توفى سنة سبع وستين وستمائة .[3]

عده ابن رجب من تلاميذ المصنف .

٧) الشيخ ، سراج الدين ، موسى بن على بن وهب ،أخو ابن دقيق العيد تقدمت ترجمة والده[4] . عده ابن رجب ممن أخذ عن المصنف ،هو وأبوه وأخوه .

---

(١) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٨١) والطالع السعيد ص (٥٦٧) .
(٢) ذيل طبقات الحنابله لابن رجب (٢/ ٢٧٦) .
(٣) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٦) ، والطالع السعيد ص : (٤٢٤) .
(٤) الطالع السعيد ص (٦٦٥) .

٨) الشيخ معين الدين ،جابر بن محمد بن قاسم ،القيسي ، الـــوادى آشي ، توفى سنة أربع وتسعين وستمائة . ترجمه إبنه في برنامجـــه وعد المؤلف من شيوخه.(١)

٩) الشيخ المُسند ،أبو المعالى ،أحمد بن اسحاق بن محمد الأَبَرْقُوهى ، ـ بفتح الهمزة والموحدة وسكون الراء وضم القاف ـ نسبة الى أَبَرْقُـوه بلدة بأصبهان ، كان محدثا ، ومقرئا صالحا ،توفى سنة احـــدى وسبعمائة .(٢)

حدث عن المصنف إجازة ،وترجمه في معجمه ، وقال : يغلب علـى الظن أني سمعت من هذا الشيخ برأس عين ،وقد أجازني جميـــع مروياتـــه .(٣)

١٠) زينب بنت الكمال ،أحمد بن عبد الرحيم ، المقدسية ،المعروفـــة ببنت الكمال ، تفردت بقدر و قربعيـــر من الأجزاء ، بالإجازة ،وكانت دينة وخَيِّرة ،روت الكثير ،وتزاحم عليها الطلبة ،وقرأوا عليها الكتب الكبار توفيت سنة أربعين وسبعمائة(٤) . أجازها المصنف . قالـــه ابن رجب .(٥)

---

(١) برنامج ابن جابر الوادى آشي ص : (٥٩) .
(٢) شذرات الذهب (٦/ ٤) .
(٣) معجم الأبرقوهى ، الجزء التاسع ،غير مرقم الصفحات .
(٤) الدرر الكامنه (٢/ ٢٠٩) .
(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥) .

١١) كمال الدين ،أبو البركات ،المبارك بن أبي بكر ،بن حمدان ،الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ،توفي سنة أربع وخمسين وستمائة.(١)

أجاز له المؤلف كمال نص عليه في العقود قال : أجازني رواياته ومصنفاته ومقولاته . اهـ(٢)

١٢) الشيخ المسند الرحلة ،أبو الحسن علي بن محمد بن ممدود البندنيجي البغدادي ،الصوفي ،سمع صحيح مسلم ،وجامع الترمذي ،وأجاز له جماعات ،توفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة.(٣)

وممن أجاز له المؤلف ،قاله ابن رجب.(٤)

هذا آخر ما توصلت اليه من تلامذة المؤلف ، وقد أجاز إجازة عامة كما ذكر ذلك ابن الفوطي.(٥)

---

(١) شذرات الذهب (٥/٢٦٦) .
(٢) عقود الجمان (٤/ق ١٣٢/أ) .
(٣) الدرر الكامنة (٣/١٩٤) ، وشذرات الذهب (٦/١١٣ - ١١٤)
(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٥) .
(٥) تلخيص مجمع الآداب (١/١٩٤) .

مؤلفاتـــه :

قال صفي الدين عبد المؤمن : إن للمؤلف تصانيف غير تفسيره المشهور، في التفسير والفقه ، والعروض . اهـ من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب . وهذه معلومات مفصلة عما عثرت عليه منها ، سواء أكان مطبوعا أم مخطوطـــــا أم مفقودا :

١) مختصر الفرق بين الفرق ، إختصر به كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ذكره الزركلي في الأعلام[1] ، وكحالة في معجم المؤلفين[2] وله نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم (٢٠٩٤٦) ويقع في (٥٦) ورقة ، ومسطرتها ستة عشر سطرا ، بخط المؤلف .

وقد نشره : فيلب حتى ، وطبعته مطبعة الهلال ، بالقاهرة سنة ١٩٢٤م ، الطبعة الأولى ، ثم طبعته مطبعة التقوى ، بالقاهرة سنة ١٩٤٠م ويقع في إحدى ومائتي صفحة ، ولم يتم المؤلف إختصاره ، بل أغفل الباب الخامس ، في أوصاف الفرقة الناجية . وقال في مقدمته : أما بعد حمدا لله تعالى ، والصلاة على رسوله محمد وآله ، فهذا مختصر من كتاب الفرق بين الفرق ، تأليف أبي منصور ، عبد القاهر ابن طاهر البغدادي - رحمه الله تعالى - نظمت فيه مضمونه ، وجمعت فيه نكته وعيونه ، وأتيت به على ترتيبه ، وتبويبه ، وبالغت في اختصاره

---

(١) الأعلام (٣/٢٩٢) .
(٢) معجم المؤلفين (٥/٢١٨) .

وتهذيبه ، والله المسؤل أن يعصمنا من الزلل ، وأن يوفقنا لما يرضيه في القول والعمل . اهـ

٢) درة القارىء ،في الفرق بين الضاد والظاء .

ذكرها ابن الجزرى في غاية النهاية في طبقات القراء[1] ، وسماها : الظائية النونية ، وذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون[2] ، والزركلي في الأعلام[3] ، وكحالة في معجم المؤلفين[4] ، ولها نسخ كثيرة منها :

- نسخة في الظاهرية ضمن مجموع رقم (٣٨٤٧) .
- ولها نسخة أخرى في الظاهرية أيضا برقم (٦٣٩٣) مجموع
- ولها نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع ، ومصورتها في جامعة الملك سعود بالرياض برقم (٢٨٢٧ م / ٢)
- ولها نسخة في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم (١٢) .
- ولها نسخة في الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط ، برقم (٧٢٤٢ / ١) مجموع وتقع في ٢٦ ق ، ٢٣ س ؟ !!!

ولها نسخ في مكتبات الحرمين ، ولا يخلو فهرس منها ، وهي قصيدة جيدة تقع في إثنين وثلاثين بيتا ، من البسيط.

---

(١) طبقات القراء (١ / ٣٨٤) .
(٢) كشف الظنون (١ / ٧٤٣) .
(٣) الأعلام (٣ / ٢٩٢) .
(٤) معجم المؤلفين (٥ / ٢١٨) .

قال في كشف الظنون : وهي أنفع ما صنف في الفرق بين الضاد والظاء[1] وأولها :

حفظت لفظا عظيم الوعظ يوقظ من . . ظما لظى وشواظ الحظر والوسن

من يكظم الغيظ يظفر بالظِلال ومن . . يظعن عن الظلم يظلل راكد[2] السفن

وآخرها :

سميتها درة القارى ونِسْبَتُها . . بحر البسيط فزنها واختبر تبن

ثم الصلاة على المختار من مضر . . ما غردت صادحات الطير في الغُصُن

قال حاجي خليفة : وشرحها بعضهم ، وسماه " كاشف محاسن الغرة لطالب منافع الدرة " .

أوله : الحمد لله الذى لا نحصى ثناء عليه[3] الخ اهـ

قلت لعل النسخة التى في الخزانة بالرباط نسخة الشرح ، فانها كبيرة تبلغ ستا وعشرين ورقة كما تقدم ، ونسخ القصيدة لا تتجاوز ورقتين ، والله أعلم

٣) مطالع أنوار التنزيل ومفتاح أسرار التأويل .

ذكره حاجي خليفة ، وقال عنه : تفسير كبير حسن إنتقاه السيوطي[4] ، وكتب في آخره إجازة سماع في مجالس آخرها ثاني القعدة سنة ٩٥٦هـ بدار الحديث المهاجرية بالموصل[5] اهـ ، وذكره كحاله في معجم المؤلفين[6] .

---

(١) كشف الظنون (١ / ٧٤٣) .

(٢) في نسخة : راكب السفن .

(٣) كشف الظنون (١ / ٧٤٣) .

(٤) انظر : دليل مخطوطات السيوطي ص : (٤٣) .

(٥) كشف الظنون (٢ / ١٧١٥) .

(٦) معجم المؤلفين (٥ / ٢١٨) .

قال ابن رجب : وكان لما قدم بغداد أنعم عليه المستنصر ، وصنف هذا التفسير ببلده وأرسله إليه ، وهو في ثمان مجلدات ، وقف المدرسة البشيرية ببغداد.[1]

فالظاهر أن هذا الوصف لمطالع أنوار التنزيل ،لا لرموز الكنوز فإنه لا يبلغ هذا القدر .

وقد جاء ذكره في فهرس الدولة ببرلين (٣ / ٣٢٣).

٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ، وهو كتابنا هذا وسيأتي التعريف به في موضعه - إن شاء الله تعالى - .

٥) القمر المنير في علم التفسير انفرد بذكره ابن الشعار في عقود الجمان[2] ، والدمياطي[3] ، ويظهر من عنوانه أنه في علوم القرآن .

٧) المنزع الصافي من الحسين في مصرع الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين . وهذا الكتاب قد ذكره بعض من ترجم للمصنف بعنوان " مصرع الحسين " وانفرد بذكر عنوانه كاملا ابن الشعار في عقود الجمان[2] .

وقد ذكره الذهبي[4] ، وابن رجب[5] ، والداودي[6] ، وابن العماد[7] ،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٥) .
(٢) عقود الجمان (٤ / ق ١٣٢ / أ) .
(٣) تلخيص معجم الآداب (١ / ١٩٣) .
(٤) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٥٢) .
(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٥) .
(٦) طبقات المفسرين (١ / ٣٠٠) .
(٧) شذرات الذهب (٥ / ٣٠٥) .

والزركلي[1] ، وعمر كحالة[2] . وقد ألزمه بتصنيفه صاحب الموصل ، فذكر فيه ما صح دون غيره .

٨) المنتصر في شرح المختصر ، في الفقه ، شرح به مختصر الخرقي انفرد بذكره ابن الشعار في عقود الجمان[3] .

٩) أسنى المواهب في أحاديث المذاهب ، انفرد بذكره ابن الشعار أيضا[3] .

١٠) عقود العروض . وهذا الكتاب يحتمل أن يكون في العروض ، الذى هو موازين الشعر ، ويحتمل أن يكون في الفقه ، وأنه في الكلام على عقود عروض التجارة ، ويشهد للأول ما ذكره صفي الدين عبد المؤمن . وقد انفرد بذكره أيضا ابن الشعار[3] .

وله أشعار سيأتي الحديث عنها في موضعها .

وزعم محقق كتاب المقصد الأرشد أنه وقف على قصيدة في ذم الدنيا ومدح السنة وأهلها وذم البدعة وأربابها ، مشروحة شرحا مفيدا ، وأنها هي وشرحها للمؤلف ، ولم أر من ذكر ذلك والله أعلم .

---

(١) الأعلام (٣ / ٢٩٢) .

(٢) معجم المؤلفين (٥ / ٢١٨) .

(٣) عقود الجمان (٤ / ق ١٣٢ / أ) .

عقيدتـــه :

قال الحافظ ابن رجب : وكان متمسكا بالسنة والآثار ، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم[1] . اهـ

قلت : وهو كذلك فإن المصنف صحيح العقيدة حسن الطريقة .

فقد سار في عقيدته على منهج السلف الصالح واقتفى آثارهم ، كما هو مذهب إمامه أحمد بن حنبل - رحمه الله - فهو يقر بتوحيد الألوهية : الذى هو إفراد الله بالعبادة ، ولم أجد في كتابه هذا ما يناقض هذا الأصل ، إلا أنه ساق حكاية العتبى[2] ، في سورة النساء عند قوله تعالى : ((ولو أنهم اذ ظلمـــوا أنفسهم جاؤك))[3] الآيـــة .

ولم يعقب عليها ، وهذا أمر قد سبقه اليه من قبله ، واقتدى به من أتى بعـــده .

كما أن منهجه في الصفات هو منهج سلف صالحي الأمة ، الذى هو : إثبـــات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله - صلى الله عليه وسلم - إثباتا بلا تشـــــبيه وتنزيها بلا تعطيل .

ولهذا فقد رد على بعض طوائف الضلال في مواضع متفرقة من كتابه ، وفـــــي مناسبات مختلفة .

فمثلا عند قوله تعالى : ((وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطن الرجيـــم)) آل عمران (٣٦) قال : ولقد عجبت من جرأة المعطلين على هذه الشريعـــة ،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٥) .

(٢) ص : (٥٤٦) .

(٣) النساء : (٦٤) .

وتسميتهم المتمسكين بها أهل حشو ، فتراهم يبادرون إلى تكذيب الأخبار النبوية المنقولة على ألسنة العلماء الثقات الأثبات بناء على خيالات فاسدة يتوهمونها ، لكن شؤم البدعة سلبهم وصف التوفيق فحال بينهم وبين التصديق والتحقيق ، وعميت عليهم مسالك الهدى ، فتورطوا في مهالك الردى[1] .

وقال عند قوله : ((واتقوا النار التي أعدت للكافرين)) آل عمران (١٣١) وفي الآية رد على الجهمية في قولهم : إن النار لم تخلق بعد[2] . اهـ

وعند قوله تعالى : ((ثم صرفكم عنهم)) آل عمران (١٥٢) .

قال : وفي قوله : ((صرفكم)) إبطال لمذهب القدرية ، حيث أضاف الصرف إلى نفسه وجعله من فعله[3] . اهـ

وقال عند قوله تعالى : ((ومن يقتل مؤمنا متعمدا)) الآية (٩٣) من سورة النساء : وتحجرت المعتزلة واسعا فقالت : لا يغفر الله لمن لم يتب من الكبائر[4] . اهـ

وقال عند قوله : ((ولأضلنهم ولأمنينهم)) الآية - ١١٩ - من سورة النساء ، ولقد عجبت من كشف صاحب الكشاف قناع الحياء ، ورفضه الأحاديث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء ، وتحريفه كلام الله عن مواضعه ، حتى إنه قال في

---

(١) ص : (١١٣ ، ١١٤) .

(٢) ص : (٦٠) .

(٣) ص : (٣٠٣) .

(٤) ص : (٥٩٢) .

قوله تعالى : ((ولأمنينهم)) يعنى الأماني الباطلة ، فعد منها الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ، فرد أحاديث الشفاعة ، وقد رواها أئمة الاسلام وحفاظ الحديث والأحكام[1]. اهـ

وهكذا كان يتتبع الزمخشرى فيكشف مذهبه ويبين للناس نحلته ، في مواضع متعددة من هذا الكتاب ، وفيما نقلت أمثلة عليه .

وقد صرح بهذا الحافظ ابن رجب ، فقال : وله في تفسيره مناقشات مع الزمخشرى وغيره ، في العربية وغيرها[2]. اهـ

وكذلك مذهبه في الصحابة ، فهو يحب الصحابة والقرابة ويترضى عنهم ، إلا أنه قد التزم ذكر عبارة ((عليه السلام)) عند ذكر على - رضى الله عنه - أو أحد من آل البيت ، وهذا العمل فيما يظهر لي - والله أعلم - أنه ليس من صنيعه ، وإنما هو من الناسخ ، ولهذا فقد أبدلتها بكلمة " رضى الله عنه " . على أننا نقول : إنه لا مانع من السلام أو الصلاة على أحد من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم ، فلو قال إنسان : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة عليهم السلام ، لم يكن أمرا ممنوعا ، لأن كل مسلم يقول في التشهد من صلاته : " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " .

إلا أن اتباع اصطلاح السلف الصالح ومنهاجهم في تخصيص هذه العبارة بالنبي ، والصحابة بالترضى ، والتابعين ومن بعدهم بالترحم ، إتباع هذا هو الأولى والأقوم .

---

(١) ص : (٦٣٣)

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٥) .

وإنما المحذور هو تخصيص أحد من الأمة بها دون غيره ،لأن هذا أصبح علامة وسمة للرافضة - قبحهم الله - فوجود هذه العبارة في هذا الكتاب وغيره من كتب السلف لا تدل على تشيع مؤلفه ، والله أعلم .

** **

**

مذهبه في الفروع :

لا أكاد أشك أن المؤلف حنبلي المذهب ، وعلى هذا عدة براهين :

أ) أن الذين صنفوا في طبقات الحنابلة ، كابن رجب ، وابن مفلح ، والعليمي ، قد ذكروه فيها .

ب) أن عامة من ترجم له لم يذكر في مذهبه غير هذا ، الا شيئا وقع عند القرشي وتبعه الغزى في الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، وسبب هذا الوهم ، هو أن ابن المصنف ابراهيم المتقدم كان حنفيا ، فاستلزم عندهم أن يكون أبوه كذلك ، وليس هو كما توهم ، بل هو حنبلي قطعا .

ج) قد كتب شرحا على مختصر الخرقي - كما تقدم - وهو في فقه الحنابلة .

د) مر في طيات هذا التفسير الكثير من العبارات الدالة على حنبليته مثل قوله : وهو مذهب إمامنا أحمد ، وهو مذهب أصحابنا ، قال به أبو بكر عبد العزيز ، والقاضي أبو يعلى من أصحابنا ، وفيه عن إمامنا أحمد روايتان ، وما أشبهها من العبارات المصرحة بمذهبه .

وانظر على سبيل المثال ص : (٢٣٦) و (٤٠١) و (٤١٩) و (٤٦٨)

وفاتـــــه :

لقد تضاربت أقوال المترجمين في وفاته ، فعامة المترجمين قالوا : توفى سنة إحدى وستين وستمائة ، ولا سيما تلميذه الدمياطي وكذلك الذهبي وابن رجب واليونيني ، وابن كثير ، وابن مفلح ، والسيوطي وغيرهم .

وقال ابن الفوطي في معجمه : توفي سنة ستين وستمائة ، وتبعه ابن مفلـــح في المقصد ، وهذا من التقصير ، فلو رجع الى طبقات ابن رجب لوجد الصواب.

وقال الإربلي في كشف الغمة - وهو صديقه - : قتل سنة أخذ التتار الموصـــل وهي سنة ستين وستمائة ؟ !! وهذا أمر غريب ، لم يتابعه أحد عليه ، أعني القتل .

ثم اختلفوا ، في أي شهر توفي ، فقال ابن الفوطي : في ذي الحجة . وتبعه كما قلت ابن مفلح في المقصد .

وقال اليونيني في ذيل المرآة ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن العماد : توفـــي ثاني عشر ربيع الآخر ، ليلة الجمعة .

وقال الدمياطي : توفي في ثامن عشر ربيع الآخر ليلة الجمعة ، عند العشاء الآخر ، وحكى ابن رجب الأقوال الثلاثة ، أعني قول ابن الفوطي ، والذهبي ، والدمياطي .

ونقل الداودي عن الذهبي أنه توفي ثاني عشر ربيع الأول ، وهو خلاف ما ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام ، فالظاهر أنه سهو ، وأن الصواب : ربيع الآخـــر فتلخص من هذا أن الأظهر أنه توفي سنة إحدى وستين وستمائة في ثامن عشر ربيع الآخر ليلة الجمعة بعد العشاء الآخر ، حيث ترجمه بهذا تلميذه الدمياطي وان كان أكثر المترجمين على أنه في ثاني عشر ربيع الآخر . والله تعالى أعلـــم.

وكانت وفاته بسنجار[1] ، ودفن في ظاهرهـــــا ، شـــرقي البلد ، في مقبرة المشايخ .

---

(١) سنجار بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، ثم جيم ، وآخره راء ، مدينة مشـــهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهي في لحـــــف جبل ، وهي مدينة طيبة ، في وسطها نهر جار . اهـ
من معجم البلدان (٣/٢٦٢) .

ثناء العلماء عليه :

لقد حظي المصنف بثناء عطر من معاصريه ، ومن أتى بعدهم ، ووصفوه بالحفظ والإمامة .

فقال عنه ابن الشعار - وهو صديقه ، وأقدم من ترجم له - : فقيه ، محدث شاعر فاضل ، ذو قريحة في المنظوم والمنثور[1] . اهـ

وقال اليونيني : وكان فاضلا عالما أديبا شاعرا ، جميل الأوصاف ، رئيسا من صدور تلك البلاد ، وأعيان أهلها[2] . اهـ

وقال الذهبي : وكان إماما محدثا فقيها ، أديبا شاعرا ، ديّنا صالحا وافر الحرمة[3] . اهـ

ومثله قال السيوطي[4] .

وترجمه في تذكرة الحفاظ فقال : الإمام المحدث الرحال ، الحافظ المفسر ، عالم الجزيرة . . . . وكان إماما متقنا ذا فنون وأدب[5] . اهـ

ونحوه قال السيوطي في الطبقات[6] .

---

(١) عقود الجمان (٤/ق ١٣٢/أ) .
(٢) ذيل مرآة الزمان (١/ ٢١٩) .
(٣) تاريخ الاسلام (٥/ق ١٤٣) .
(٤) طبقات المفسرين ص : (٥٦) .
(٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٤٥٢) .
(٦) طبقات الحفاظ (ص : ٥٠٩) .

وقال في العبر : وكان شيخ الجزيرة في زمانه علما وفضلا وجلالة[١] اهـ

وقال ابن كثير : المحدث المفسر ، سمع الكثير ، وحدث وكان من الفضلاء والأدباء[٢] اهـ

وقال ابن رجب : الفقيه المحدث المفسر . . . وكان فاضلا في فنون من العلم والأدب ، ذا فصاحة وحسن عبارة[٣] . اهـ

ونقل الداودي في طبقات المفسرين[٤] نص الترجمة من ابن رجب .

وقال ابن الجزري : الإمام العلامة ، المحدث المفسر ، المقرئ ، شيخ ديار بكر والجزيرة[٥] . اهـ

وقال ابن تغري بردي : كان إماما فاضلا شاعرا محدثا[٦] . اهـ

وقال ابن العماد بعد أن نقل كلام الذهبي في العبر : وتفنن في العلوم العقلية والنقلية . اهـ[٧]

فقد أجمعت المصادر التي ترجمت له أنه إمام فقيه محدث مفسر شاعر ، وانفرد ابن الجزري فقال : إنه مقرئ .

---

(١) العبر (٣/٣٠٢) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/٢٤١) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٤، ٢٧٥) .

(٤) طبقات المفسرين (١/٣٠٠) .

(٥) طبقات القراء (١/٣٨٤) .

(٦) النجوم الزاهرة (٧/٢١١) .

(٧) شذرات الذهب (٥/٣٠٥) .

أما كونه فقيها ، فهذا لا مرية فيه فقد حاز فيه قصب السبق ، ويشهد لـــه ما جاء في هذا التفسير من المسائل الفقهية التى تكلم عليها عند آيات الأحكام.

كما أنه قد صنف شرحا على مختصر الخرقي ، وقد لزم الموفق ابن قدامة فقـــرأ عليه كتبه الفقهية ، وحفظ كتابه المقنع كما تقدم .

وأما وصفه بالمحدث فهذا قد كان سمة له عند العام والخاص ، حتى كان ابنـــه إبراهيم الحنفي يعرف بابن المحدث كما تقدم .

وبرع في الحديث سماعا ورواية حتى اودع الكثير من مروياته بأسانيده في هـــذا التفسير ، ثم إنه قد صنف كتابا في الحديث اسمه : أسنى المواهب في أحاديث المذاهب - كما تقدم - ويظهر أنه تتبع الأحاديث التى يُستَدل بها في المسائل الفقهية وتكلم عليها نظير التحقيق لابن الجوزى . والله أعلم .

وأما وصفه بأنه مفسر فهذا الكتاب الذى بين أيدينا أكبر دليل وشاهد علـــى صدق هذه المقالة .

وأما ما ذكره ابن الجزرى من أنه مقرئ فهذا حق وقد ذكر جملة كبيرة من القراءات المتواترة والشاذة ، وصرح بالأخذ عن بعض أئمة القراءات كالعكبرى ، كما أنـــه قد نظم القصيدة النونية في الفرق بين الضاد والظاء كما تقدم في ذكر مؤلفاته .

أما كونه شاعرا فقد ترجمه صديقه ابن الشعار في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " وذكر أنه صنف كتابا في العروض ، الذى هو موازين الشـــعر ، كما ذكر هو وغيره جملة من أشعاره ، وقد تقدم في ترجمة شيخه الموفق ابن قدامة نقل مقتطفات من مرثيته فيه .

فمن جملة هذه الأشعار عدة أبيات قالها عند فراقه ابنه محمدا واخوانه :

قف بالديار إذا مررت مسلما . . وابك الأحبة حسرة وتندما

واستخبر الأطلال أين ترحلوا ؟ . . فعسى تُخَبَّر عنهمُ ولَعَلَّما

إلى أن قال :

أمحمدٌ لا حمد للدنيا متى لم ألتزم . . ك مقبلا منك الغما

وقال أيضا :

وما الدهر الا ما الممات الذُّه . . وما خير هذا الدهر الا عقاربه

وما هو الا حيَّة لان مسها . . وسُمَّت بأنواع العذاب مضاربه (١)

ومن ذلك قوله :

يا من يرينا كل وقت وجهه . . بشرا ويبدي كفه معروفا

أصبحت في الدنيا سَرِيًّا بعد ما . . أمسيت فيها بالتقى معروفا (٢)

ومن ذلك قوله :

انما هذه الحياة متاع . . فليجزها بالزهد من فيه عقل

نظر العارف اللبيب . . من الفكر فيها فلم يزنه عقل (٣)

وأخطأ اليونيني فنسب البيتين الآتيين له ، وإنما هما لابنه شمس الدين محمد وتبعه ابن تغرى بردي ، وهما قوله

ولو أن إنسان يبلغ لوعتي . . وشوقي وأشجاني الى ذلك الرشا

---

(١) عقود الجمان (٤/ق ١٣٣ / ب ، ق ١٣٥/ب) .

(٢) معجم الدمياطي ق : (١٣/ب) ، وذيل مرآة الجنان (٢/ ٢١٩) .

(٣) عقود الجمان (٤/ق ١٣٣/ب) .

لا أسكنته عيني ولم أرضها لـــه . ولولا لهيب القلـــب أسكنته الحشـــا

ومما يؤيد قول ابن الشعار : أنه ذو قريحة في المنظوم والمنثور قال : كتبت الي ولدى محمد حين كان يشتغل بدمشق من جملة رسالة أقول فيها : الإنسان عورة تكشفها وتشينها الخصال الذميمة ، وتسترها وتزينها الخصال الكريمـــة ، ولكل من هذين أصل يُرْجع إليه ، وجنس يترتب نوعه عليه وهما : الجهل فطهـــر نفسك من صبغة دمه ، ونتن فرثه ، والعلمُ فزين نفسك بطارف كسبه ، وتالد إرثه.(١)

---

(١) معجم الدمياطي ق : (١٣/ب) .

الباب الثاني

﴿ التعريف بالكتاب المحقق ﴾

١) توثيق نسبة الكتاب :

لا أكاد أشك أن هذا الكتاب للعلامة عبد الرازق الرسعني ، وعلى هذا عدة أدلة :

١) جاء في السماع المثبت بآخر هذه النسخة ما نصه : سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز ، تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل عز الدين عبد الرازق . . . الرسعني .

٢) أكثر الذين ترجموه ذكروا هذا الكتاب من جملة مصنفاته .

٣) نقل عنه العلامة عبد الرحمن بن عمر الحنبلي ، المتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة ، في موضعين من تفسيره منتهى العلوم (ق ٧٢/أ) و (ق ١٦٤/ب)

عنوان الكتاب :

حيث إن الورقة التي يكون عليها العنوان ساقطة ، فقد جاءت النسخة بغير عنوان ، إلا أن أكثر من ترجمه قد ذكر أن عنوان كتابه ((رموز الكنوز)) .

كابن الفوطي[1] ، وابن رجب[2] ، والداودي[3]

---

(١) تلخيص معجم الآداب (١ / ١٩٣) .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٧٥) .
(٣) طبقات المفسرين (١ / ٣٠٠) .

وابن العماد[1] ، وحاجي خليفة[2] .

أيضا جاء في السماع المثبت في آخر النسخة تسمية الكتاب بـ ((رموز الكنوز))

وزاد صاحب كشف الظنون في العنوان عبارة : " في تفسير الكتاب العزيز "

وقد جاءت هذه العبارة في الكتاب من لفظ المؤلف فقال : لما انتهيت مرة

في تدريس تفسير الكتاب العزيز الى هذه الآية أورد على رجل فاضل اشكالا[3] .

فيكون عنوان الكتاب : ((رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز)) ولم أجد من

ذكره هكذا سوى صاحب كشف الظنون .

---

(١) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٥) .

(٢) كشف الظنون (١/ ٩١٤) .

(٣) ص : (٢٩٣) من هذا الكتاب .

منهج المؤلف في الكتاب :

حيث إن مقدمة المؤلف التي صدر بها كتابه ، والتي يمكن أن يكون أبان فيها عن المنهج الذي سار عليه لم تكن بأيدينا ، ولم يتيسر الوقوف عليها ، فإن من الصعب والعسر جدا معرفة المنهج الذي رسمه ، إلا أنه مع هذا يمكن التعرف عليه من خلال النظر في الكتاب ودراسته دراسة وافية .

وقد قسمت بدراسة المجلد المطلوب تحقيقه فتحصل لي أن منهجه يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١) يفتتح الكلام على السورة بالتسمية ، وهذا كما في سورة النساء .

٢) يذكر اسم السورة التي يريد تفسيرها .

٣) يقدم بين يدي السورة الكلام على عدد آياتها .

٤) يتكلم على مكيتها ومدنيتها ، فان كان فيها أية أو آيات تستثنى منها ذكره ، ثم يرجح الصواب مدعوما بالأدلة ، كما صنع في أول سورة النساء .

٥) يكتب رأس الآية التي يريد تفسيرها ، وربما كتب الآية كاملة .

٦) ان كانت الآية نزلت على سبب أو أسباب ذكر سبب نزولها إلا أنه غالبا مايقدم الراجح .

انظر على سبيل المثال ص : (٩٣) و (١٠٧) و (٢٠٥) ، و (٢٢٨) و (٢٥٥) و (٣٥٦) .

٧) يتوسع في نقل القراءات المتواترة والشاذة ، مع ذكر حججها ، فإن كانت سبعية ذكر من قرأ بها .

انظر ص : (١١٧) و (٢٤٧) و (٣٢٦) و (٤١٣) و (٥١١) و (٦٣١) .

٨) يعنى برواية الأحاديث النبوية المتعلقة بمعنى الآية ، فإذا وجد للآية تفسيرا نبويا لم يتجاوزه .

انظر مثلا ص : (٢٥٤) و (٣٣٦) و (٤٣٣) و (٥٠٣) و (٦١٩)

٩) يروى الأحاديث الصحيحة أو الحسنة ، وربما استشهد بالأحاديث الضعيفة ،إلا أنه لا ينبه على ضعفها فيما أعلم .

وانظر ص (٢٥٤) و (٣٣٦) و (٤٣٣) و (٦١٩) .

١٠) يكثر من نقل المذاهب الفقهية عند آيات الأحكام ، ولا سيما عن الأئمة الأربعة ، لكنه يتركها مرسلة دون ترجيح ،إلا في القليل النادر ، وربما نص على شذوذ أحدهم .

انظر ص : (٤٠٢) و (٤٨٧) و (٥٨٥) و (٦١٠) .

١١) يعتني بروايات الامام أحمد - رحمه الله - فان كان له في المسألة أكثر من رواية ذكرها ، وربما ذكر الصحيح من الروايات أو الروايتين وقد ينص على المذهب ،أو تصحيح المذهب .

انظر مثلا ص : (٤٥٣) و (٦٠٨) و (٥١٣) و (٤٥٤) ، و (٤٦٩) و (٥١٢) .

١٢ يتكلم على نسخ الآية أو إحكامها .

فإن كان في الآية نسخ صحيح أثبته ، وإلا بين بطلانه . انظر على سبيل المثال ص(٥٤٤) و (٥٦٦) و (٥٨٩) و (٤١٠) و (٤٦٤)

١٣) يكثر من نقل أقوال المفسرين من السلف ، من غير أن يرجح قولا على آخر إلا في القليل ، وذلك بالنص عليه تارة أو بتقديمه وتصدير الآية به أخرى .

انظر ص : (١٣٨) و (٢٨٢) و (٤٤٠) و (٥٢٩) و (٦٦٧)

١٤) يتكلم على المباحث اللغوية عند موضعها من الآية ، وذلك بالنقل عن ثقات علماء اللغة المعتمدين ، وربما أغرق في النقل عنهم على معاني الألفاظ . انظر مثلا ص : (٩٠) و (٣٠٧) و (٣٨٥) و (٢٠٤) و (٢٨٠) و (٥٧٤) .

١٥) يُطْنب في نقل الوجوه الإعرابية تارة ، ويوجز أخرى .

انظر على سبيل المثال ص : (٣٩٧) و (٥٧٨) و (٤٢٣) و (٣١٤) و (٢٢٤)

١٦) يكثر من النقل عن الزمخشري النكات البلاغية ، وإيراداته على الآية لكنه لا يوافقه على كل ما يقول ، بل يبطل ويضعف مالا يتناسب مع ظاهر الآية .

انظر مثلا ص (٢٠٨) و (١١١) و (٤٥٦) و (٥٠٨) و (٥٩٢)

١٧) يستشهد بالشعر الجاهلي أو ماكان منه في صدر الاسلام .

انظر ص : (١١٦) و (١٦٣) و (٤٥٠) و (٦٦٩) و (١٢٧)

١٨) يعرض مذاهب المبتدعة ـ أحيانا ـ مبينا فسادها .

انظر على سبيل المثال ص : (٢٦٠) و (٥٩٢) و (٣٦٣) .

١٩) يبالغ في نقل الحكايات الاسرائيلية من غير التنبيه على بطلانهـــا .

انظر ص : (١١٥) و (١٨٨) و (١٤٠)

٢٠) يروى بعض الأحاديث بإسناده الى النبي - صلى الله عليه وســـلم -

انظر مثلا ص : (٢٢٤) و (٣٣٦) و (٤٣٣) و (٥٠٣) و (٦١٩)

٢١) يذكر على المسألة الكبيرة عدة فصول للتسهيل على القارئ .

انظر على سبيل المثال ص : (١٦٦) و (٢٩٣) و (٤٢٢) و (٤٣٣)

٢٢) يحاول الجمع والتأليف بين ما ظاهره التعارض من آيات القرآن .

انظر مثلا ص : (٤١٥) و (٥٦٣) و (٤٧٩) و (٥٨٩) .

٢٣) اذا كان تفسير الآية قد تقدم فانه يحيل عليه .

انظر ص : (١١٧) و (١٦٥) و (٣٣٨) و (٣٦٦) .

٢٤) لا يفسر الآية كلها - أحيانا - إما لوضوحها ، أو لتكررها ، كخواتيـــم الآيـــات .

انظر على سبيل المثال في سورة آل عمران آية (٨٥) و (٩٠)

و (١٣٦) و (١٤٥) .

وفي سورة النساء آية (٦١) و (٩٩) و (١٣٢) و (١٧٣)

هذا ما أمكنني التعرف عليه من منهج المؤلف بعد الدراسة الوافيـــة للكتاب .

ولربما وجد الناظر فيه سوى ما ذكرته ، لأنني إنما ذكرت أبرز النقـــاط التي أكثر المؤلف منها ، وإلا فهناك مسائل تعرض لها على ســـبيل الاستطراد لم أعرج عليها ، ولا عددتها من منهجه لندرتها .

مصـــادر المؤلـف

لما كان هذا الفن الذى خاض غماره مؤلفنا هو تفسير كلام الله تعالى الذى اشتمل على علوم الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى :

((وأنزلنـــا اليـــك الكتـــاب تبيانـــا لكـــل شـــىء)) (١)

وجعل الله تعالى السعادة والفلاح معلق باتباعه ، والشقاوة والخســـران معلق بالاعراض عنه ، قال تعالى : ((ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشـــة ضنكا)) (٢) .

لهذا فان المفسر يحتاج من العلوم مالا يحتاجه غيره كعلوم القرآن ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، واللغة ، والنحو ، والأدب ، والسير والتواريـــخ .

ومن هنا فإن المؤلف قد اتصف بجل هذه الصفات ، وأودع مادتها في كتابـه هذا ، فجاءت مصادره التى استقى منها هذه المادة متنوعه .

ويمكن تصنيف هذه المصادر على النحو التالي :

١) مصادره في التفسير

وهذه تنقسم إلى قسمين :

أ) مصادر أصليه

ب) مصادر فرعيـه

أولا : المصادر الأصلية :

وهى التى اعتمد عليها وأكثر من النقل عنها ، وتنحصر في أربعة كتب هـــى :

---

(١) النحـل (٨٩) .

(٢) طـــه (١٢٣)

١) الكشاف للزمخشري : وقد نقل عنه المؤلف في هذا الجزء ما يقرب من أحد عشر موضعا ، ولكنه كما قلنا سابقا إنه إنما ينقل ما يتعلق بالبلاغة ونحوها .

انظر على سبيل المثال : ص (٢٠٨) و (٤٥٦) و (٥٩٢) .

٢) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي :

وقد أكثر المؤلف عنه ، إلا أنه كثيرا ما ينقل عنه من غير تصريح باسمه أو اسم كتابه .

انظر مثلا ص : (١٤٥) و (٥١٠) و (٥٤٦) (١٢٣)

٣) تفسير الثعلبي ، المسمى بالكشف والبيان :

وهذا الكتاب كما هو معلوم ، يعنى بجمع الآثار ، والأخبار الاسرائيلية الى جانب ما فيه من العلوم الأخرى ، وقد نقل المصنف منه عامة الآثار ، من غير تصريح ، إلا أنه بالمقارنة يتبين للناظر أنه قد أخذ ها عنه ، لا سيما الغرائب التى لا توجد الا عنده من المتقدمين .

انظر مثلا ص : (١٢٣) و (٦١٧) و (٦٧٤)

٤) تفسير مقاتل بن سليمان :

وقد نقل المصنف عنه في عدة مواضع من هذا الكتاب .

انظر - على سبيل المثال - ص : (٢٧٢) و (١٦٤) و (٤٨١) و (٣٩٠)

ثانيا : المصادر الفرعية :

وهذه المصادر نقل عنها الحرف والحرفين ، أو أشار اليها في معرض

كلامه ، مثل الواحدى فقد نقل عنه في مواضع من (٨٨) و (٤٧٩) و (٥٥٥)

ومثل ابن جرير فقد نقل عنه أيضا في ص (٣٧٤) و (٤٤٩) و (٤٦٨) ومثل الماوردى في تفسيره النكت والعيون نقل عنه في عدة مواضع ص :

(٣٣٠) و ( ) و ( )

وأشار الى التقشير في التفسير ، والانصاف في الجمع بين الكشف والكشـــاف لابن الأثير ،ص (٦٨١) .

٢) مصادره في القراءات :

وهذه تنقسم الى متواترة ، وشاذة .

أولا : المتواترة :

وهذا النوع من القراءات قد استوفاه أتم الاستيفاء ، فلم يترك حرفـــا فيه قراءة الا ذكرها ، لكنه لم يصرح بشيء من كتب القراءات الا أنه يظهـــر - والله أعلم - أنه قد اعتمد فيها على كتابين هما :

الحجة للقراء السبعة للفارسي .

والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي .

فقد نقل عن أبي على الفارسي في عدة مواضع ، وبالمقارنة اتضح أنه نقلها من الحجة ، كذلك مكي فقد قارنت المواضع التي نقلها عنه بكتابه الكشف فجاءت مطابقة تماما حرفا بحرف ، مما يدل دلالة واضحة أنه وقف على هذين الكتابين .

وانظر ص : (٣٨٧) و (٤٧٩) و (٢٦١) و (١٣٠) و (٦٧٢)

ثانيا : القراءات الشاذة :

وقد نقل منها أشياء كثيرة ، فأتى بمالا طائل تحته ، ومع هذا فلم أستطـــع اكتشاف المصادر التي نقل منها هذه القراءات ، الا أن تكون من الكشاف .

٣) مصادره في الحديث :

لقد أكثر المؤلف من رواية الأحاديث النبوية ، فأورد في هذا المجلد مايربو على مائتي حديث معتمدا على كتب السنة المعتبرة كالصحيحين والسنن ، ومسند الامام أحمد ، ومسند الطيالسي ، وموطأ مالك .

هذه المصادر الحديثية قد صرح بالنقل عنها ، وهناك كتب لم يذكرهـــا أو ذكرها نادرا ، وانظر ص : (٣٣٤) و (٤٥٢) و (٥٠٦) و (٢٥٥) و (٤٩٢) و (٤٤٠) .

٤) مصادره في الفقـــه :

قد نقل كثيرا من المسائل الفقهية في مواطنها ، لكنه لم يصرح بأى كتاب ، الا أنه صرح بالنقل عن القاضي أبي يعلى ، فيحتمل أن يكون مـــن كتابه أحكام القرآن .

لكن بالمقارنة بكتب المذاهب اتضح أنه يأخذ من المعتمد لديهم لا سيمـا وأن له كتابا في الفقه ، ولهذا فقد جاءت جميع المواضع التي نقل عنهـــا مطابقة تماما للكتب التي نقل منها ، كما سيمر بك في هذا الكتاب .

وانظر ص : (٥١٢) و (٤١٩) و (٦١٢) و (٦١٠)

ه) مصادره في اللغة والأدب ونحوها :

لقد أكثر المؤلف من النقل عن أئمة اللغة ، ولا سيما الزجاج ، فلا تكاد تخلو آية الا وفيها كلام له،كما نقل عن الفراء وسيبويه والخليل وابن قتيبة وأبى حاتم السجستاني ، وقطرب ، وثعلب ، ونحوهم .

وانظر على سبيل المثال ص : (١٧٤) و (١٠٠) و (٢٠٤) و (٣٠٧)

كما أنه يستشهد بالأبيات الشعرية ،على المسائل اللغوية ، فقد ذكر في هذا المجلد فقط ما يزيد على مائة بيت من الشعر .

** **

**

﴿ قيمة الكتاب العلمية ﴾

من هذا العرض الموجز لمنهج المؤلف ومصادره تتبين قيمته حيث أودع فيه هذه العلوم المختلفة ، ولهذا اثنى عليه جماعة ممن ترجم له .

فقال عنه الذهبي في تاريخ الاسلام : صنف تفسيرا حسنا يروى فيه باسناده[١] . اهـ

وقال في العبر : وصنف تفسيرا جيدا[٢] . اهـ

وقال عنه ابن رجب : وصنف تفسيرا حسنا ، في أربع مجلدات ضخمة . سماه ((رموز الكنوز)) وفيه فوائد حسنة ، ويروى فيه الأحاديث باسناده[٣] . اهـ

ونصه في طبقات المفسرين للداودي[٤] ، ونحوه في المقصد الأرشد[٥] .

ولهذه القيمة والمكانة ، كان متداولا عند الناس ، فقد كان عبد الصمد بن ابراهيم الحصرى الحنبلي[٦] يمليه على الناس ، وقد قام باختصاره .

ومما يدل على قيمته السماع المثبت بآخر النسخة ، فقد سمعه جماعة من العلماء وتنافسوا في تحصيله ، كما سيأتي .

---

(١) تاريخ الاسلام (٥/ق ١٤٣) .

(٢) العبر (٣/٣٠٢) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٥) .

(٤) طبقات المفسرين (١/٣٠٠) .

(٥) المقصد الأرشد (٢/١٣٥) .

(٦) عبد الصمد بن ابراهيم بن خليل البغدادى ، جمال الدين ، أبو أحمد المعروف بابن الحصرى ، الحنبلي ، اختصر تفسير الرسعنى بعد أن ألقاه دروسا من لفظه بمسجد يانس ببغداد ، وتوفى سنة خمس وستين وسبعمائة . الدرر الكامنه (٢/٤٧٦) ، وشذرات الذهب (٦/٢٠٤)

نسخ الكتاب وأماكن وجودها :

مما يدل على قيمة هذا الكتاب تعدد نسخه ، فقد تعددت نسخه ، والذى عثرت عليه ثلاث نسخ هى :

النسخة الأولى :

والموجود منها الجزء الثاني ، ويبدأ من آل عمران الى نهاية سورة النساء ، وهى محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ، وسيأتي الحديث عنها .

النسخة الثانية :

الموجود منها ثلاثة أجزاء هى الثاني والثالث والرابع .

الجزء الثاني : محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٢٨ — تفسير ١٣٣) ويبدأ من قوله تعالى ((ويوم نحشرهم جميعا)) الآية (١٢٨) من سورة الأنعام ، وينتهى بنهاية سورة الاسراء .

وعدد أوراقه (٢٣٤ر٥) ، ومسطرته (٢٧) سطرا .

وأهمل اسم الناسخ في آخره . وقد سقط من التوبة خمس وثلاثون آية .

الجزء الثالث : ويحمل رقم (٦٣٦ - تفسير ٥١٠) .

ويبدأ من أول الكهف ، وينتهى بنهاية سورة فاطر .

وعدد أوراقه (٢٠٧ر٥) ومسطرته (٢٧) سطرا .

وقد سقط منه آخر الكهف وأول مريم ، وآخر طه وأول الأنبياء ، وقد كتب في آخره : آخر الجزء الثالث ، ويتلوه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع من أول سورة يس الى آخر القرآن .

ولم يقيد الناسخ اسمه ، كما هو المعتاد .

الجزء الرابع :

يبدأ من سورة يس ، وينتهي بنهاية القرآن العظيم ، ويحمل رقم (٥٨٣٣) ، وعدد أوراقه (٢٦٦) ومسطرته (٢٧) سطرا .

وهو من ممتلكات الشيخ ابن بدران ، كما هو واضح من تصحيح اسم المؤلف في الغلاف ، وكتب في آخره :

وافق الفراغ منه رابع عشر شعبان المكرم سنة أربع وستين وسبعمائة . . . وكتبه أفقر عباد الله اليه محمد بن يحيى المقدسي الحنبلي عفا الله تعالى عنه .

فتبين من هنا أنه هو ناسخ الجزءين السابقين ، اذ الخط واحد .

النسخة الثالثة :

الموجود منها جزءان هما : الثالث ، والرابع .

الجزء الثالث : محفوظ في مكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية برقم (١٢٨٢) .

ويبدأ من أول سورة الكهف ، وينتهي بنهاية سورة العنكبوت وعدد أوراقه (٢٥٨) ، ومسطرته (٢١) سطرا .

وقد سقط من آخره عدة أسطر ، ولعل منها اسم الناسخ .

لكن اسم الناسخ وتاريخ النسخ جاء مصرحا به في الجزء الرابع .

الجزء الرابع : محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٣٧ - تفسير ٥١١) ويبدأ من أول سورة الحجرات الى نهاية القرآن.

وعدد أوراقه (٢٧١) ومسطرته (٢١) سطرا .

وقد سقط من أوله ورقة العنوان ، والكلام على أول سورة الحجـــــــرات.

وآخره : وكان الفراغ منه على يد الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بـــن سليمان الشيرجي الحنبلي البغدادى .... في ثاني عشر رجب الحرام من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

فهذا هو ناسخ الجزءين جميعا.

فمن هذا العرض السريع لنسخ الكتاب يتبين عدة أمور :

١) سقط من أول الكتاب المقدمة والفاتحة والبقرة وصدر آل عمـــــران .

٢) سقط منه سورة المائدة كلها ، ومائة وسبع وعشرون آية من الأنعـــام ، وأوائل وأواخر بعض السور ، كما تقدم بيانه في مواضعه .

٣) النصف الأخير من الكتاب له نسختان ، لا سيما من الكهف الى الحجرات

وقد انتشرت مصورات هذه الأجزاء في عامة الجامعات الاســـلامية .

وصف النسخة ومكان وجودها :

النسخة المعتمدة في التحقيق نسخة فريدة - فيما أعلم - محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم (٦٢٢) ، ولها مصورة في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة برقم (١١٥) فيلم وعدد أوراقها (١٩٩) ورقة ومسطرتها (١٥) سطرا ، وكلماتها تتراوح ما بين (١٠ - ١٢) كلمة وهي الجزء الثاني من الكتاب ، وقد سقط من أولها صفحة العنوان وثلاث عشرة آية من آل عمران ، وأولها قوله : نظرنا الى الكفار فرأيناهم يضعفون علينا . وآخرها نهاية سورة النساء وهي بخط نسخي جيد ، ومشكول ، وعليها تعليقات مأخوذة من الكشاف وتفسير البغوى ، وحواشي البيضاوى ، ولم يقيد المعلق اسمه عليها ، وهي بخط أبى نصر بن عثمان الموصلي سنة أربع وثلاثين وستمائة ، في شهر ربيع الأول ، فقد كتبت في زمن المؤلف ، ونظر فيها وصححها . ثم قوبلت بأصله ، وقد قرأها مرتين في مجالس محمد بن أحمد بن معمّر القرىء ، المرة الأولى في واحد وعشرين مجلسا ، والمرة الثانية في ثلاث وأربعين مجلسا .

وبآخرها سماع لجماعة من العلماء .

** **

**

ذكر السماعات :

هذه السماعات لها أهمية علمية كبيرة ، فهي تبين اهتمام أهل العلم بقراءة هذا الكتاب ، أو مطالعته ، أو سماعه على الشيوخ المعتمدين ، ولها أيضا أهمية في بعض المعلومات التي تحويها ، بالنسبة لقراء النسخة ، وسامعيها ، وكاتبيها ، وفي بيان أعمارهم ، ومن شاركهم في القراءة والسماع وفي تحديد عصر اشتغالهم بالعلم ، وتحديد وفيات بعضهم .

وإليك نص السماع المثبت بآخر هذا الأصل :

سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز ، تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل ، عز الدين عبد الرازق بن رزق الله بن أبي الهيجاء الرسعني - رضى الله عنه - من لفظ شيخنا الشيخ الامام العالم الحافظ الصدر تقي الدين ، أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي[1] - رحمه الله تعالى - وذلك بحق روايته له عن الشيخ الامام العالم ، مجد الدين أبي أحمد ، عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ[2] اجازة ،

---

(١) محمود بن علي الدقوقي ، ثم البغدادي ، أبو الثناء ، تقي الدين المحدث الحافظ الواعظ ، كان يقرأ الحديث في دار الحديث التي كانت تعرف بمسجد يانس ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .
ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٢١) ، وشذرات الذهب (٦ / ١٠٦)

(٢) عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش ، أبو أحمد ، وأبو الخير ، البغدادي ، المقرئ المحدث النحوي ، اللغوي ، الخطيب الواعظ الزاهد ، خطيب بغداد وشيخها ، توفي سنة ست وسبعين وستمائة .
ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٩٠) ، وشذرات الذهب (٥ / ٣٥٣)

بروايته له ، اجازة عن المؤلف - رحمه الله تعالى - الشيخ الصالح ، نور الدين أبو عبد الله ، محمد بن محمود بن حامد المقرئ[1] ، والشيخ زين الدين ، علي ابن حسين بن محمد المؤذن[2] ، والشيخ أبو بكر بن علي بن ناصر الجراعي[3] . وكاتب الأسماء يوسف بن محمد بن مسعود العبادي السرمري[4] ، في آخرين بأفوات مختلفه ، وصح ذلك وثبت في يوم الجمعة ، سابع ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعمائة بمسجد يانس بالريحانين ، شرقي بغداد ، والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم .

---

(١) الشيخ نور الدين محمد بن محمود ، الامام الفقيه ، الحنبلي المقرئ البغدادي ، ولي الحديث بمسجد يانس ، وتوفي سنة ست وستين وسبعمائة . شذرات الذهب (٦/ ٢٠٧) .

(٢) لم أعثر على ترجمة له .

(٣) لم أعثر على ترجمة له .

(٤) جمال الدين أبو المظفر ، يوسف بن محمد بن مسعود ، العبادي ثم العقيلي ، السرمري ، الحنبلي ، الشيخ العالم ، المفنن الحافظ توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة . شذرات الذهب (٦/ ٢٤٩) .

عملي في التحقيق :

يتلخص المنهج الذى سرت عليه في تحقيق هذه الرسالة في النقاط التالية :

١) نسخت الكتاب بدقة وأمانة مراعيا فيه قواعد الاملاء الحديثه .

٢) كتبت الآيات القرآنية على قراءة حفص ، وان خالفت القراءة التى في الأصل ، الا لسبب يتعلق بتفسيرها . انظر ص ١٣٠ س ٢

٣) كتبت الآيات بخط المصحف ما أمكنني .

٤) رقمت الآيات القرآنية التى فسرها المؤلف في السورتين ، بكتابة رقم الآية عند نهايتها في صلب الكتاب .

٥) رقمت الآيات القرآنية التى استشهد بها المؤلف ، بذكر رقم الآية واسم السورة .

٦) عزوت الأحاديث النبوية الى كتب السنة ، بذكر الكتاب والباب، أو الجزء والصفحة ، أو هما معا ، فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو اليهما أو الى أحدهما ، والا استقصيته وطلبته من مظانه قدر الطاقة والامكان .

٧) عزوت الآثار التفسيرية الى المعتمد من كتب التفاسير ، وقد مت منها ما كان يروى بالاسناد كابن جرير ، وابن أبى حاتم ونحوهما .

٨) عزوت القراءات الى الكتب المعتمدة في هذا الفن .

٩) عزوت الأبيات الشعرية ، فان كان للشاعر ديوان مطبوع اكتفيت بالعزو اليه غالبا ، والا عزوتها الى كتب اللغة والأدب ونحوها .

١٠) رقمت الأبيات بأرقام تسلسليـــة .

١١) عرفت بالأعلام المبهمة ، فان كان من الصحابة ،أو مشاهير التابعين ، أو الأئمة لم اتعرض له ، والا ذكرت ترجمته باختصار .

١٢) أرجعت الأقوال الفقهية الى المعتمد من كتب المذاهب .

١٣) وثقت النقول الواردة في الرسالة بردها الى مؤلفات أصحابهـــا ،ان أمكن ، والا فبواسطة الكتب التى تروى عنها .

١٤) شرحت الألفاظ الغريبة ، مستعينا بصحيح معاجم اللغة .

١٥) عرفت بالأماكن ، والبلدان بالرجوع الى المعاجم الجغرافية المعتمدة .

١٦) علقت على المواضع التى تحتاج الى تعليق .

١٧) قومت الأخطاء اللغوية بالزيادة ،أو الاصلاح ، وأشرت اليه في الحاشية .

١٨) ختمت الكتاب بفهارس فنية خدمة للكتاب وتسهيلا على القارئ وهى على النحو التالي :

أ) فهرس الآيـــــات .

ب) فهرس الأحاديـــث .

ج) فهرس الأعـــــلام .

د) فهرس الأبيات الشعرية .

هـ) فهرس الأماكن والبلدان .

و) فهرس الموضـــوعات .

ز) فهرس المراجـــــع .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم موصلا لمرضاته ، وأن يرزقنا العمل بكتابه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتمسك بهما قولا وفعلا واعتقادا ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

. . . ********** . . .

نظرنا الى الكفار فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم
يزيدون علينا رجلا واحدا ورُوي عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي ترانا هم سبعين قال ارانا هم مئة فاسرنا منهم رجلا
فقلنا كم كنتم قال الفا قوله رأي العين اي في رأي العين وقال
الواحدي يجوز ان يكون مصدرا لقوله رأيته رأيا ورؤية ويجوز
ان يكون ظرفا للمكان كما تقول تروبهم امامكم والله يؤيد
بنصره من يشاء ان في ذلك اشارة الى انصراف الى رؤيتهم مثليهم
لعبرة لدلالة موصلة الى العلم او لآية يعبر منها من منزلة الجهل الى
منزلة العلم لاولي الابصار اي لاولي العقول بعالي الفلان يصر هذا
اي علم ومعرفة قوله تعالى زين للناس سيق الكلام عليه
في البقرة والشهوات جمع شهوة وهي ميل الطبع وتوقان النفس
والمراد بها المشتهيات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والقناطير جمع قنطار قال ابن دريد لحسب انه فارسي
معرب وقد روي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الف
ومائة اوقية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

الصفحة الأولى من المخطوط

وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط

فذلكم الرباط اخرجه مسلم والله اعلم

سورة النساء

وفي مائة وخمس وسبعون اية في المدني وست في الكوفي

فصل اختلفت الرواية عن ابن عباس هل هي مكية او مدنية والصحيح انها مدنية الا قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فانها نزلت بمكة حين اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزع مفاتيح الكعبة من عثمن بن طلحة الحجبي فيسلمها الى العباس وغير بعيد ان تكون مشتملة على اياب نزلت بمكة لان معظمها نزل على اسباب دل الفقهاء والعقل على ان ذلك كان بالمدينة فما اذكر لها وجه قول الحسن ومجاهد والجمهور الروايتين عن ابن عباس انها مكية اشراه ينبغي احد ان يحرم الخمر كان بالمدينة وان قصة طعمة بن ابيرق سارق الدرع وقد نزل فيه ايات كثيرة في هذه السورة كانت بالمدينة وان قصة الزبير مع الانصاري حين قضى فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم ارسل الجار فقال

بلغ محمد احمد قراءة مسجد الروي بمجلسنا عاشرا

وبلغ محمد احمد قراءة مسجد الروي المجلس الثاني والعشرين مرة ثانية

تستغرق ميراثها ان لم يكن لها ولد ولا ولد ابن وان لم يكن لها احد من ذكر
او والد فان كان لها بنت او بنت ابن فله ما بقي بعد فرض البنت او بنت الابن
فان كانتا اثنين فما فوق لهما بحكم الخبر وتثنيته والقول في جمع
وان كانوا كالقول في تثنية وان كانتا قوله تبين الله لكم
ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا او ان لا تضلوا فاضمر لا او لئلا
تضلوا والله بكل شيء عليم فهو يعلم مقادير الانصباء وما فرض
للأقرباء ٥ اخبرنا الشيخان ابو القاسم السلمي قراءة عليه وانا
اسمع ببدمشق سنة ست وستمائة وابو الحسن الصوفي يقرأ علي عليه
براس عين قالا اخبرنا ابو الوقت اخبرنا ابو الحسن الداودي اخبرنا ابن
حمويه اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسمعيل حدثنا سليمان بن حرب
حدثنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت البراء يقول اخر سورة نزلت
براءة واخر اية نزلت يستفتونك ٥ واخرجه ايضا مسلم عن بندار
عن غندر عن شعبة ٥ اخر المجلد الثاني يتلوه الجزء الثالث سورة المائدة
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الاكرمين

بلغ
محمد احمد فراج
بمسجد الرفاعي
المجلس
الحادي
والعشرين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

صفحة السماع

قال لي جعفر محمد عن أبيه عن علي بن حسين أن رجلاً
سأل علياً عليه السلام وهو في الرحبة عن
المتعة فسكت عنه حتى أذن المؤذن بالصلاة في المنبر
فقال إن قوماً غلبتهم شهواتهم فاستمتعوا
بعد أن حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وإني
لا أوتى بمتاع متعة تركت الا جلدته وما بقيت لي رجمته
عبد الرحمن العمري قال أخبرني المفضل أبو الفضل بن
ناصر قال أبو القاسم بن البسري عن عبد الله بن بطة قال
حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن المفضل القاضي قال حدثني محمد بن أحمد بن الحسن الرنجاني
الصرفي قال سألت جعفر محمد الصائغ عن المتعة
فقال هذا هو الزنا بعينه هذا الذي تشترط في المتعة
ونجزيه عن الله تعالى ورسوله والخلفاء الراشدين
والصحابة المرضيين وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومن تبعهم من السلف منهم مالك بن أنس

وسفيان الثوري وأبو عبد الله الشافعي وأبو عبد الله
أحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء الكوفة والبصرة
وواسط وجميع أهل العراق والشام منهم الأوزاعي
وسعيد بن عبد العزيز وسليمان التيمي وعلماء أهل
مصر أن المتعة رفع حكمها حلالها وبقي حكم
تحريمها والنهي عنها فمن أحلها وأباحها خالف
كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء
المسلمين والمسلمات إلى زماننا هذا والله تعالى
أعلم والله تعالى يوفقنا لما يحب ويرضى
ونعوذ به من الضلال بعد الهدى ومن العمى
بعد البصيرة بمحمد وآله الطاهرين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله
وسلم والله قبله ومحله أجمعين

ما من حي العمل سنة سبع وأربعين وستمائة

الورقة الأخيرة من كتاب الحرز والمنعة بخط المؤلف
وبيد وفيها اسمه عبد الرازق

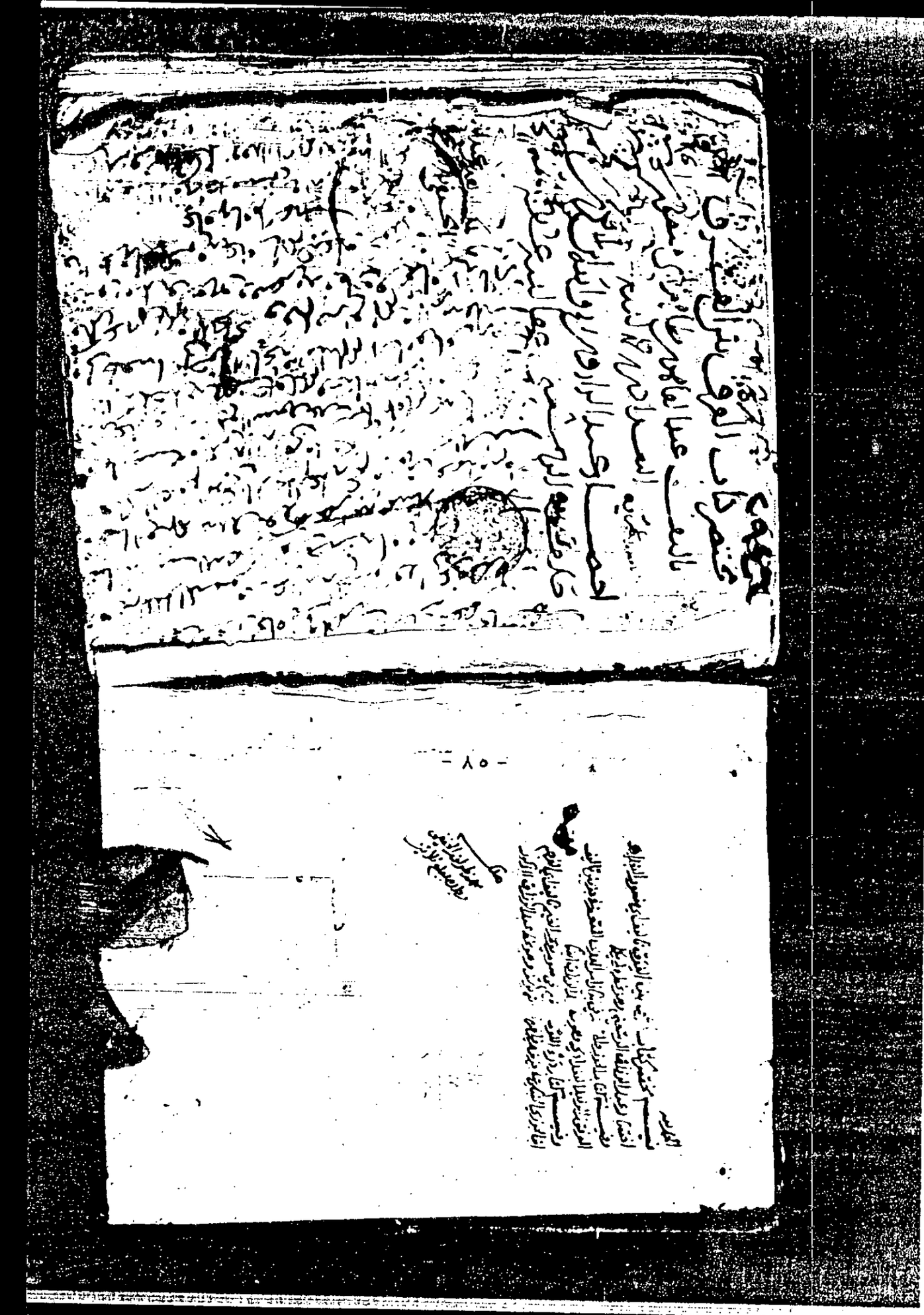

مختصر الفرق بين الفرق بخطه

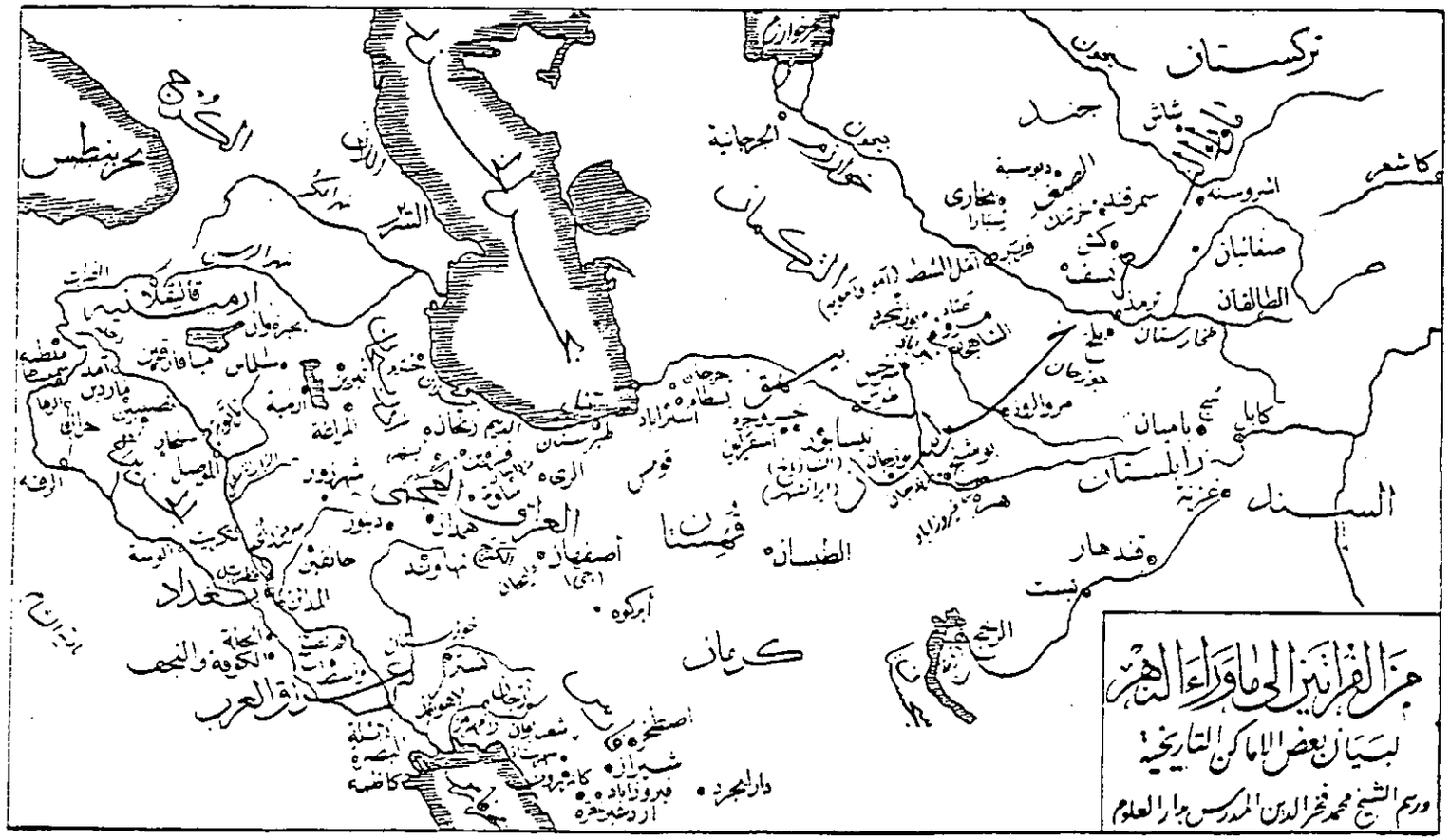
خوارزم
بحر الخزر
بحيرة أرال
ترکستان
جند
الصغد
بخارى
سمرقند
الشروسنه
كاشغر
صغانيان
الطالقان
الديلم
طبرستان
الرى
قومس
الطبسين
قهستان
الهند
غزنة
قندهار
زابلستان
كابل
بامیان
الرخج
كرمان
العراق العجمى
العراق العربى
بغداد
الكوفة والبصرة
همذان
أصفهان
الأهواز
فارس
شيراز
دار البحر
مكران
مزالقرانين الى ماوراء النهر
لبيان بعض الاماكن التاريخية
ورسم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم

بحر الروم
بلاد الروم
ارمينية
بادية الشام
الجزيرة
العراق
الفاطمية
دومة الجندل
تبوك
تيماء
خيبر
المدينة المنورة
مكة المكرمة
جدة
ينبع
عذاب
اسوان
اسيوط
المنيا
الجيزة
القاهرة
الاسكندرية
دمياط
دمشق
حمص
حماة
الرقة
الموصل
بغداد
الكوفة
كربلاء
من النيل الى الفرات
وارض الحجرين
ايضاح بعض المواضع التاريخية
وضع الشيخ محمد قدري المدرس بالجامع

القسم الثاني

التحقيق

قوله : ((يرونهم مثليهم)) قال ابن مسعود [1] : نظرنا الى الكفار فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا [2] وروى عنه أنه قال : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة فأسرنا منهم رجلا ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا [3].

قوله ﴿ رأى العين ﴾ أى في رأى العين ، وقال الواحدى [4] : يجوز أن يكون مصدرا ، تقول : رأيته رأيا ورؤية ، ويجوز أن يكون ظرفا للمكان ، كما تقول : ترونهم أمامكم . ﴿ والله يؤيد ﴾ أى يقوى ﴿ بنصره من يشاء إن في ذلك ﴾ إشارة إلى النصر ، أو إلى رؤيتهم مثليهم . ﴿ لعبرة ﴾ لدلالة موصلة إلى العلم ، أو لآية يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ﴿ لأولى الأبصار ـ ١٣ ﴾ أى لأولى العقول . يقال : لفلان بصر بهذا ، أى علم ومعرفة .

قوله تعالى : ﴿ زين للناس ﴾ سبق الكلام عليه في البقرة .

---

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل .

(٢) تفسير ابن جرير (٦ / ٢٣٤) ، وابن أبى حاتم (٢ / ١٠٠) وفيهما : المشركين بدل الكفار .

(٣) تفسير ابن جرير (١٣ / ٥٧٢) ، وابن ابى شيبة ، وأبو الشيخ وابن مردويه قاله في الدر المنثور (٤ / ٧٤) وانظر زاد المسير : (١ / ٣٥٨) .

(٤) على بن أحمد الواحدى ، أبو الحسن النيسابورى ، إمام في التفسير وصاحب التفاسير الثلاثة : الوجيز والوسيط ، والبسيط ، توفى سنة ثمان وستين وأربعمائة .
طبقات المفسرين للداودى (١ / ٣٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٨ / ٣٣٩)

والشهوات : جمع شهوة ، وهى : ميل الطبع وتوقان النفس ، والمراد بها المشتهيات ﴿ من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾ والقناطير : جمع قنطار . قال ابن دريد [1] : أحسب أنه فارسي معرب . [2] وقد روى عن أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ألفٌ ومائتا أوقية [3] وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (١/ب) أنه إثنا عشرة ألف أوقية [4] . وروى الحسن البصرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ألفٌ ومائتا دينار [5] . وفيه أقاويل متعددة عن الصحابة والتابعين [6] .

والذى يظهر - في نظرى - أن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنهم في ذلك ليس على سبيل التحديد لزنة القنطار ، وانما هو على سبيل التظير للمال الكثير ، صيانة لروايات الثقات ، ولأقوال العلماء الأثبات عن التناقض والتهافت . والذى يؤيد ما ذكرته ، ويوضح ما اخترته قول أبى عبيدة : هو مِلءُ مَسْكِ [7] ثور ذهباً [8] ، ومعلوم أن هذا غير محدود . وحكى أبو عبيدة عن بعض

---

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، أبو بكر البصرى ، شيخ الأدب وصاحب التصانيف ، توفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .
سير اعلام النبلاء (١٥/ ٩٦) ، ومعجم الأدباء (١٨/ ١٢٧) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٢٣) .

(٢) جمهرة اللغة (٣/ ٣٤٠)

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٤٥) ، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٥١) : وهذا حديث منكر أيضا . اهـ

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٦٣) ، وابن ماجه في السنن ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين (٢/ ١٢٠٧) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٤٤) موقوفا على أبى هريرة .

(٥) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٤٥) .

(٦) انظر تفسير ابن جرير (٦/ ٢٤٤-٢٤٨) وابن أبى حاتم (٢/ ١٠٧-١٢٠)

(٧) المسك بالفتح الجلد . قاله الجوهرى في الصحاح ، مادة مسك (٤/ ١٦٠٨)

(٨) مجاز القرآن (١/ ٨٩) .

العرب أن القنطار وزن لا يُحدّ[1] . وقال الربيع بن أنس : هو المال الكثير بعضه على بعض .[2]

قال الفراء :"والمقنطرة" المضعفة ، كأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة[3] .

وقال ابن قتيبة : " المقنطرة : المكملة ، كما تقول : بَدْرةٌ مُبَدَّرة وألف مُؤَلَّفة[4] . وسمى النقدان ذهبا وفضة للذّهاب والانفضاض .

" والخيل " جمع واحدة فرس من غير لفظه كالنساء[5] سمي به لاختياله ."والمسومة" الراعية ، قال ابن قتيبة : " يقال سامت الخيل ، فهي سائمة : إذا رعت وأسمتها فهي سامة ، وسوّمتها فهي مسومة : إذا رعيتها[6] . وقيل : المسوّمة المعلمة بالشيات[7] والألوان (٢/أ) رويا عن ابن عباس[8] ، والثاني قول قتادة[9]

---

(١) مجاز القرآن (١/٨٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/٢٤٩) .

(٣) معاني القرآن (١/١٩٥) .

(٤) تفسير غريب القرآن ص (١٠٢) ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري : (٩/٤٠٤) .

(٥) النساء جمع لا واحد له من لفظه ، مفرده إمرأة .

(٦) تفسير غريب القرآن : ص (١٠٢) .

(٧) الشيات جمع شية ، قال الله تعالى ((مسلمة لا شية فيها)) البقرة آية (٧١) .
قال أبو اسحاق الزجاج : الوشي في اللغة : خلط لون بلون . اهـ معاني القرآن (١/١٥٢) .

(٨) تفسير ابن جرير (٦/٢٥٢ ، ٢٥٤) ، وابن أبي حاتم (٢/١٢٢) وانظر الدر المنثور (٢/١٦٢) .

(٩) تفسير ابن جرير (٦/٢٥٤) ، وابن ابي حاتم (٢/١٢٦) .

واختيار الزجاج[1] ، وقال عكرمة ومجاهد[2] : المسومة : الحسان " والأنعام " الابل والبقر والغنم الواحد نعم ، والنعم جمع لا واحد له من لفظه ." والحرث " الزرع ، و " المآب - ١٤" : المرجع .

قوله : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ يعني بخير من الشهوات المذكورة في الآية " للذين اتقوا عند ربهم جنات " اللام في " للذين" يتعلق " بخير " وارتفع " جنات " على معنى : هو جنات . ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا[3] . وفيه دلالة على ما هو خير ﴿ ورضوان من الله ﴾ قرأ جمهور القراء بكسر الراء وهي لغة قريش ، وقرأ أبو بكر عن عاصم " ورضوان " بضم الراء حيث جاء[4] ، وهي لغة تميم وقيس .

قال الزجاج[5] : " تقول رضيت الشيء أرضاه ، رضا ، ومرضاة ، ورضوانا ، ورضوانا

﴿ والله بصير بالعباد - ١٥ ﴾ فيعلم المتقين وغيرهم .

﴿ الذين يقولون - ١٦ ﴾ في موضع نصب على المدح ، أو في موضع جر بدل من

---

(١) معاني القرآن (١ / ٣٨٤) ، ولكنه مع هذا قد استحسن القول الأول .

(٢) تفسير ابن جرير (٦ / ٢٥٢ - ٢٥٣) ، وابن ابي حاتم (٢ / ١٢٥) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٦٣) نسبته الى عبد بن حميد .

(٣) فتكون " للذين " خبر مقدم ، " وجنات " مبتدأ مؤخر ، وهذا أجود . وانظر التبيان للعكبري (١ / ٢٤٥) ، والدر المصون للسمين (٣ / ٦٥)

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٣ / ٢١) ، ولابن زنجلة ي (١٥٧) والكشف لمكي (١ / ٣٣٧) ، والنشر لابن الجزري (٢ / ٢٣٨) .

(٥) معاني القرآن (١ / ٣٨٥) .

الذين ،أو في موضع رفع على معنى " هم الذين يقولون " ﴿ الصابرين ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿ والصادقين ﴾ في الأقوال والأفعال ، ﴿ والقانتين ﴾ يعني المطيعين ﴿ والمنفقين ﴾ من الحلال في الطاعة ، ﴿ والمستغفرين بالأسحار - ١٧ ﴾ جمع سَحَر ، وهو الوقت الذى قبيل طلوع الفجر (٢/ب) . قال الحسن : " مدّوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا ".[١] وكان ابن عمر يحيى الليل فإذا جاء وقت السحر قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح[٢] . وذهب جماعة : منهم مجاهد[٣] ، وقتادة[٤] الى أن المراد بالمستغفرين المصلون . وقال ابن كيسان : يعني صلاة الصبح في جماعة[٥] . وتوسط الواو بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل صفة . قوله : ﴿ شهد الله ﴾ نزلت في مخاصمة نصارى نجران[٦] . وقال ابن السائب[٧] : نزلت في حبرين من أحبار الشام ، قدما على النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما أبصرا المدينة ، قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذى يخرج في آخر الزمان ،فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا : أنت محمد ؟ قال : " نعم " قالا : وأحمد ؟ قال : " نعم " قالا : نسألك عن شهادة ، فإن أخبرتنا بها آمنا بك ؟ فقال : " سلاني "

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٢٠/ب) ، والبغوى (١/ ٢٨٥) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٦٦) ، وابن أبى حاتم (٢/ ١٤٥) وابن المنذر قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٤) ، وقد ذكره المؤلف بمعناه .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ٢٠/ب) ، والبغوى (١/ ٢٨٥) .

(٤) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٦٥) ، وابن ابى حاتم (٢/ ١٤٤) .

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ق ٢٠/ب) .

(٦) تفسير البغوى (١/ ٢٨٥) .

(٧) هو محمد بن السائب الكلبي المفسر المشهور .

فقالا : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ؟ فنزلت هذه الآية فأسلما[1].

وقال سعيد بن جبير : " كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، وكان لكل حيّ من العرب صنم أو صنمان ، فلما نزلت هذه الآية خرت الأصنام سجدا"[2].

قال الزجاج[3] ، وابن كيسان[4] وغيرهما في قوله (٣/أ) : ﴿ شهد الله ﴾ أي : بين وأظهر بعجائب صنعته ، وبدائع قدرته أنه لا إله إلا هو "والملائكة" بالإقرار ﴿ وأولوا العلم ﴾ بما صح لهم من البراهين اللامعة ، والدلائل القاطعة[5] ﴿ قائما بالقسط ﴾ أي : بالعدل . و ﴿ قائما ﴾ حال مؤكدة إما من فاعل " شهد " أو من " هو " في " لا إله إلا هو - ١٨ " أو نصب على المدح[6] . وقال الفراء : هو نصب على القطع[7] ، كان أصله القائم ، وكذلك في حرف عبد الله[8] فلما قطعت الألف واللام نصب ، كقوله " وله الدين واصبا"[9]

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص (٩٢) وتفسير الثعلبي (٣/ق ٢٢/ب) والبغوي (١/ ٢٨٥) ، وزاد المسير (١/ ٣٦١) ، وهذا من مراسيل الكلبي ، وهو كذاب ، فلا يعتد به .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٧) : أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر . اهـ وانظر زاد المسير (١/ ٣٦٢) وتفسير القرطبي (٤/ ٤٠ ، ٤٢) .

(٣) معاني القرآن (١/ ٣٨٥) .

(٤) زاد المسير (١/ ٣٦٢) .

(٥) قال ابن القيم : قد فسرت شهادة أولى العلم بالاقرار ، وفسرت بالتبيين والإظهار ، والصحيح أنها تتضمن الأمرين . اهـ . التفسير القيم ص (١٩٩) .

(٦) انظر الدر المصون (٣/ ٧٥) .

(٧) معاني القرآن (١/ ٢٠٠) .

(٨) أي في قراءة عبد الله بن مسعود كما في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٠) والكشاف (١/ ١٧٩) ، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٤٧) .

(٩) النحل (٥٢) .

أو هو صفة للمنفى ، تقديره : لا إله قائما بالقسط إلا هو ، فإنهم توسعوا في الفصل بين الصفة والموصوف . قال جعفر الصادق رحمه الله : " إنما كرر " لا إله إلا هو " لأن الأولى وصف وتوحيد ، والثانية رسم وتعليم[1] ، أي قولوا : لا إله إلا هو " وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال " قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به ، فقال : ياموسى لا إله إلا الله . قال : يارب كل عبادك يقولها ، إنما أريد شيئا تخصنيه ، قال : ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن ، والأرضين السبع وعامرهن وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله"[2] ووجه قراءة ابن مسعود (٣/ب) القائم بالقسط أنه بدل من " هو " ، أو خبر مبتدأ محذوف .

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٢٤/ب) ، وزاد المسير (١/ ٣٦٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٨/ ٣٥) ، والطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٤٨٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .
وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٨) وقال : غريب من حديث عمرو لم يروه عنه الا ابن وهب . اهـ
والبيهقي في الاسماء والصفات ص (١٢٨) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٤) كلهم من طريق ابن وهب عن عمرو عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواية دراج عن أبي الهيثم فيها كلام .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢) : رواه أبو يعلى ورجاله وثّقوا ، وفيهم ضعف .

قوله ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ كلام مستأنف . وقرأ الكسائي : " أن الدين" بفتح الهمزة[1] على البدل من " أنه " التقدير : شهد الله أن الدين عنده الإسلام . والمعنى : أن الدين المرضي عند الله الإسلام لا اليهودية ، ولا النصرانية .

قوله عز وجل : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتب ﴾[2] وهم اليهود والنصارى ، والذى اختلفوا فيه دين الاسلام ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ وهو البيان الواضح على صحة نبوته بما عرفوه من صفته . وقيل الذى اختلف اليهود فيه التوراة ، والنصارى عيسى ﴿ من بعد ما جاءهم العلم بما في التوراة من نعت عيسى بأنه عبد الله ورسوله ﴿ بغيا ﴾ مفعول له أى اختلفوا لأجل البغى ، لا لقصد الحق . وقد فسرنا في البقرة[3] معنى ﴿ سريع الحساب -١٩ ﴾ .

قوله : ﴿ فإن حاجوك ﴾ أى : إن خاصمك اليهود ، والنصارى بعد ظهور معجزاتك ، ووضوح بيناتك ، فقد عاندوا ، فقل معرضا عن مخاصمتهم ﴿ أسلمت وجهى ﴾ أى : نفسي وجملتي ، أو أخلصت عملي لله أو قصدت بعبادتي إليه ﴿ ومن اتبعني ﴾ عطف على الضمير في ﴿ أسلمت ﴾ أو يكون

---

(١) الحجة لأبي على (٣/٢٢) ، وابن زنجلة ى : (١٥٧) ، والكشف (١/٣٣٨) ، والنشر (٢/٢٣٨) .

(٢) كتب مقابلها من الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا ثانيا ، مرة ثانية .

(٣) البقرة (٢٠٢) . محمد ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ سريع الحساب

التقدير : مع (٤/أ) من اتبعني ، فيكون مفعولا معه ﴿ وقل للذين أوتوا الكتٰب ﴾ وهم اليهود ، والنصارى ﴿ والأُمّيّن ﴾ وهم مشركوا العرب ﴿ أأسلمتم ؟ ﴾ قال الزجاج : إستفهام بمعنى الأمر ، تقديره أسلموا[1] ومثله "فهل أنتم منتهون " .[2] أو يكون التقدير أأسلمتم أم أنتم على كفركم ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ - ٢٠ ﴾ أى : ليس عليك إلا أن تبلغ الرسالة ، فيكون منسوخا بآية السيف ، وهذا مذهب جمهور المفسرين[3] . وذهب بعضهم الى أنه محكم[4] ، وأن المراد منه تسكين نفس النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين امتنعوا من الإسلام ، وكان حريصا على إيمانهم ، ويحتمل عندى أن يقال في تقرير إحكامها ، وأنها غير منسوخة : ليس إليك يا محمد ، ولا عليك إلا البلاغ ، وأما الهداية ، واستقرار الإيمان في القلوب ، فهذا لا يدخل في وسعك .[5]

قوله ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ﴾ روى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من

---

(١) معاني القرآن (١ / ٣٩٠) ، وقد حكاه عن بعض النحويين .

(٢) المائدة : (٩١) .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص : (٦٠) ، ولأبى عبد الله بن حزم ص : (٣٠) ، ولابن الجوزى ص : (٢٣٧) .

(٤) زاد المسير (١ / ٣٦٥) ، وتفسير القرطبي (٤ / ٤٦) .

(٥) وهذا هو الصواب كقوله : " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء " البقرة (٢٧٢) وقوله : " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " القصص (٥٦) .

عباد بني اسرائيل ، فأمروا من قتلوهم بالمعروف ، ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعا من آخر النهار (٤/ب) فهم الذين ذكرهم الله في كتابه ، وأنزل الآية فيهم " .[1]

وإنما دخلت الفاء في خبر " إنّ " في قوله : " فبشرهم " لتضمن اسمها معنى الجزاء ، لأن " إنّ " لا تغير معنى الابتداء كأن معنى " إن الذين يكفرون " من يكفر فبشرهم ، ولو كان مكان " إنّ " ليت ، ولعل ، لم يجز دخول الفاء[2] . وما بعده سبق تفسيره . إلى قوله : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ الآية ـ ٢٣ ﴾ السبب في نزولها ما روى عكرمة ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس في جماعة من اليهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال نعيم بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال " على ملة إبراهيم " فقالا : إن إبراهيم كان يهوديا فقال لهم رسول الله : (فهلموا الى التوراة ، فهي بيننا وبينكم " ، فأبيا عليه ، فأنزل الله هذه الآية .[3] وروى عن ابن عباس أنها نزلت في قصة اليهود بين الذين زنيا وحكم عليهما رسول الله بالرجم ، فقالوا :

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٢٨٥ - ٢٨٦) ، وابن ابى حاتم (٢/ ١٦١) ، والثعلبي (٣/ق ٢٦/ب) ، والبغوى (١/ ٢٨٨) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص (٢٥) : أخرجه البزار ، والطبراني ، وابن أبى حاتم ، والثعلبي ، والبغوى من حديثه ، وفيه أبو الحسن ، مولى بني أسد وهو مجهول ـ اهـ

(٢) انظر : اعراب القرآن للنحاس (١/ ٣١٧) ، والتبيان للعكبرى (١/ ٢٤٩) والدر المصون (٣/ ٩٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٨٨) ، وابن أبى حاتم (٢/ ١٦٦) ، وأسباب النزول للواحدى ص : (٩٣) ، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٥) . = = =

جِرْت علينا يا محمد ، ليس عليهما الرجم ، فقال : " بيني وبينكم التوراة " فجاء بها ابن صوريا ، فقرأها فلما بلغ آية الرجم وضع كفه عليها فقال ابن سلام قد جاوزها ، ثم قام فرفع كفه عنها ، فإذا هي تلوح ، فأمر بهما رسول الله فرجما ، فغضب اليهود فأنزل الله هذه الآية[1] وبّخهم الله (٥/أ) سبحانه وتعالى ، وعجّب رسوله والمؤمنين من توليهم وإعراضهم مع كونهم أهل كتاب وكان ينبغي لهم إذا دعوا اليه أن يبادروا . والنصيب الحظ . والكتاب الذي دعوا إليه : التوراة ، على قول الأكثرين ، ومقتضى سبب النزول .

وقال الحسن[2] وقتادة[3] : هو القرآن . والمعنى ﴿ ثم يتولى فريق منهم ﴾ وهم علماؤهم ﴿ وهم معرضون ﴾ يريد الأتباع وقيل ﴿ ثم يتولى فريق منهم ﴾

(=) وبيت المدراس : هو بيت عبادة اليهود ، سمي بذلك لأنهم يتدارسون فيه كتبهم . والثعلبي (٣/ق ٢٧/ب) ، والبغوى (١/ ٢٨٩) وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، تفرد عن ابن اسحاق ، وهو مجهول .

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٢٧/ب) والبغوى (١/ ٢٨٩) ، وزاد المسير (١/ ٣٦٦) ، .
وقصة رجم الزانيين من اليهود ثابتة في الصحيحين من غير ذكر سبب النزول ، فقد أخرجه البخارى في كتاب الحدود ، باب أحكام أهل الذمة (٨/ ٢١٤) ، ومسلم ، كتاب الحدود (٣/ ١٣٢٦) كلاهما من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) النكت والعيون (١/ ٣١٥) ، وزاد المسير (١/ ٣٦٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٩٠) ، وابن أبي حاتم (٢/ ١٦٧) والثعلبي (٣/ق ٢٧/أ) .

بأبدانهم ، ﴿ وهم معرضون ﴾ بقلوبهم ،أو هو توكيد . ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى التولي والإعراض ﴿ بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما ﴾ وقد سبق تفسيرها في البقرة[1] ﴿ وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون - ٢٤ ﴾ أي : يكذبون في قولهم : ﴿ لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ﴾، وقولهم " نحن أبناء الله وأحباؤه "[2]

﴿ فكيف إذا جمعناهم ﴾ أي كيف يكون حالهم ،أو كيف يصنعون إذا جمعناهم ،وهو استفهام يتضمن الاستعظام لهول ما أعد لهم من العذاب ﴿ اذا جمعناهم ليوم - ٢٥ ﴾ أي : لجزاء يوم ،أو لحساب يوم . وقيل : اللام بمعنى في .

قوله تعالى : ﴿ قل اللهم مٰلك الملك ﴾ السبب في نزولها ما روى عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ،قالا : لما فتح رسول الله مكة وعد أمته فارس والروم ،فقال اليهود والمنافقون : هيهات هيهات فنزلت هذه الآية[3] (٥/ب) وقال السدى : قالت اليهود : لا نطيع رجلا رام نقل

---

(١) عند قوله تعالى " وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة " البقرة ٨٠ .

(٢) المائدة (١٨) .

(٣) أسباب النزول للواحدى ص : (٩٣) ، والثعلبي (٣/ق٢٩/أ) والبغوى (١/ ٢٩٠) .
قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص : (٢٥) ذكره الواحدى في أسبابه عن ابن عباس وأنس بن مالك رضى الله عنهم ولم أجد له إسنادا . اهـ .

النبوة من بني إسرائيل فنزلت[١] . وكسرت اللام من " قل " لالتقاء الساكنين " اللهم " بمعنى : يا ألله ، والضمة التي في الهاء : ضمة المنادى المفرد ، والميم المشددة عوض من " يا " ، فلذلك لا يجتمعان . وقوله " يا اللهم " شاذ وهذا قول الخليل ، وسيبويه[٢] . وقال الفراء : " المعنى : يا الله أمَّ بخير[٣] ، فألقيت الهمزة ، وطرحت حركتها على ما قبلها " . ويلزم على قول الفراء جواز دخول " يا " عليها ، وليس بمختار في الكلام[٤] ﴿ ملك الملك ﴾ أي : بيده زمامه ﴿ تؤتي الملك من تشاء ﴾ محمداً ، وأمته ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ فارس والروم[٥] ، وكذلك ﴿ تعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ وقيل : تعز من تشاء بالطاعة ، وتذل من تشاء بالمعصية ، وقيل : تعز من تشاء بالقناعة ، وتذل من تشاء بالحرص ﴿ بيدك الخير ﴾ قال ابن عباس النصر والغنيمة[٦] . وقيل : المعنى : بيدك الخير والشر ، فاكتفى بذكر

---

(١) قاله أبو سليمان الدمشقي ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٦٨)

(٢) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٩٦) .

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٠٣) .

(٤) بل عده ابن مالك من الشاذ ، كما قال في الخلاصة بي : (٥٠) .
والأكثر اللهم بالتعويض . . وشذ يا اللهم في قريض

(٥) هذا التخصيص لا موجب له ، بل إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، و " مَن " في " من تشاء " من صيغ العموم .

(٦) زاد المسير (١/ ٣٦٩) .

المرغوب فيه . " إنك على كل شيء " من ذلك وغيره ﴿ قدير - ٢٦ ﴾ ﴿ تولج الليل في النهار ﴾ . قال ابن عباس : ما ينقص من أحدهما يزيد في الآخر[١] . قال السدى : حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات[٢] ، وكذلك النهار يزيد والليل ينقص . " وتخرج الحى من الميت - ٢٧ " قرأ نافع وأهل الكوفة الا أبا بكر (٦/أ) " الميت " بالتشديد ، وخففه الباقون[٣] ، وتفرد نافع بالتشديد في ثلاثة مواضع " أو من كان ميتا[٤] " والأرض الميتة[٥] ولحم أخيه ميتا[٦] [٧] وكلهم شدد ما لم يمت ، نحو " انك ميت[٨] وخفف ما هو نعت لما فيه هاء التأنيث ، نحو " بلدة ميتا[٩] والقراءتان[١٠] لغتان فاشيتان ، قال الشاعر :

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/٣٠٢) ، وعبد بن حميد قاله السيوطي في الدر (٢/١٧٣) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/٣٠٢) ، وابن أبى حاتم (٢/١٧٦) .

(٣) الحجة لابى على (٣/٢٥) ، ولابن زنجلة ص : (١٥٩) ، والكشف (١/٣٣٩) .

(٤) الأنعام (٢٢) ،

(٥) يس (٣٣) ،

(٦) الحجرات : (١٢) .

(٧) الحجة لأبى على (٣/٢٥ - ٢٦) ، والكشف : (١/٣٣٩) .

(٨) الزمر (٣٠) .

(٩) الزخرف (١١) .

(١٠) الكشف (١/٣٣٩) .

١ – ليس من مات فاستراح بميت . . إنما الميت ميت الأحياء[1]

فجمع بين اللغتين ، والأصل التشديد والتخفيف فرع عليه ، لثقل التشديد والكسر على الياء . وأصله عند البصريين " ميوت " على فيعل ، ثم قلبت الواو ياء ، وأدغمت فيها الياء التي قبلها ، والمحذوف في قراءة من خفف هو الواو التي قلبت ياء ، وهي عين الفعل ، كما قالوا هائر وهارٍ ، وسائر وسارٍ فغيّروا العين ، وحذفوها بعد القلب[2] ، والمعنى : يخرج الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، وكذلك يخرج الفرخ من البيضة ، والبيضة من الطائر . وقيل : يخرج الحي ، وهو المؤمن ، من الميت وهو الكافر ، ويخرج الميت من الحي ، وهو الكافر من المؤمن ، والقولان عن ابن عباس[3] . والأول قول الجمهور[4] ، والثاني قول الحسن[5] . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه ، فرأى عند ها امرأة حسنة الهيئة (٦/ب) فقال : " من هذه ؟ قالت : إحدى خالاتك . فقال :

---

(١) البيت لعدي بن الرعلاء الغساني ، كما في الحجة لابي علي (٣/٢٧) ، واللسان (٢/٩١) . مادة " موت " والأصمعيات ص : (١٥٢) .

(٢) الحجة لابي علي (٣/٢٦) ، والكشف : (١/٣٣٩) .

(٣) زاد المسير (١/٣٧٠) .

(٤) تفسير ابن جرير (٦/٣٠٤ - ٣٠٦) ، وابن أبي حاتم (٢/١٧٩-١٨٥) .

(٥) تفسير ابن جرير (٦/٣٠٦) وابن أبي حاتم : (٢/١٨٣) .

" أي خالاتي ؟ " قالت : خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث . فقال رسول الله : " سبحان الذي يخرج الحي من الميت إو كانت امرأة صالحة وكان أبوها مات كافرا[1] " . وقال الزجاج : " المعنى : يخرج النبات الغض من الحب اليابس ، والحب اليابس من النبات الحي النامي[2] "ومابعده مفسر في البقرة .

قوله : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ﴾ نزلت في عبادة بن الصامت ، وكان قال يوم الأحزاب : يارسول الله معي خمسمائة من اليهود من حلفائي أريد أن استظهر بهم على العدو[3] . وقيل : نزلت ناهية لجماعة من الأنصار

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٦ / ٣٠٨) ، وابن أبي حاتم (٢ / ١٧٩) ، والثعلبي (٣/ق ٣٣/ب) وابن سعد في الطبقات (٨ / ١٨١) ، كلهم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، مرسلا . وأخرجه ابن ابي حاتم (٢ / ١٧٧) عن الزهري عن عبيد الله أن خالدة بنت الأسود .

وابن الأثير في أسد الغابة (٧ / ٧٧) عن عبيد الله عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها ، وفيه جُبارة بن المُغَلِّس ، ضعيف . ورواه ابن نجيب في جزئه موصولا ، وفيه جبارة ، وأخرجه المستغفري عن عبيد الله مرسلا ، والواقدي عن أبي سلمة عن عائشة موصولا . الاصابة (٤ / ٢٨٠) .

وانظر الدر المنثور (٢ / ١٧٤) .

(٢) لم أجده في معاني القرآن ، وانظره في زاد المسير (١ / ٣٧٠) وتفسير البغوي (١ / ٢٩١) .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص : (٩٧) ، والثعلبي (٣/ق ٣٤/أ) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ، وجويبر ضعيف .

على مباطنة اليهود وموالاتهم وملاطفتهم ، فإنهم كانوا يفعلون ذلك لما كان بينهم من الحلف والرضاع[1] . والقولان عن ابن عباس . وقال المقاتلان ابن سليمان ، وابن حيّان : " نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لأهل مكة[2] " . قال الزجاج : " معنى قوله : " من دون المؤمنين " أي : لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن ، أي : لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين . وهذا كلام جرى على المثل في المكان تقول : زيد دونك ، ولست تريد المكان ، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع (٧/أ) في المكان ، والخسة كالاستفال[3] .

ثم توعدهم ، فقال : " ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء " أي (فالله بريء منه)[4] قوله : " الا أن تتقوا منهم تقاة " يقال : تَقَيْتُه تُقَاةً وتُقًى وتَقِيَّةً والمعنى : الا أن تخشوا منهم أمرا ، تحتاجون معه الى التَّقِيَّة ، فتصانعوهم بألسنتكم ، وتفارقوهم بقلوبكم وأعمالكم ، والتَّقِيَّة رخصة لا عزيمة ، نص عليه إمامنا رحمة الله عليه قولا ، ودان[5] به فعلا في فتنة الاعتزال[6] ، وذلك حين دعي الى

---

(١) تفسير ابن جرير (٦ / ٣١٣) عن علي عن ابن عباس بسند حسن . وانظر زاد المسير (١ / ٣٧١) .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ١٦٥) ، والثعلبي (٣/ق ٣٤/أ) والبغوي (١ / ٢٩١) .

(٣) معاني القرآن (١ / ٣٩٦) .

(٤) في الأصل : هو بريء من الله . والتصويب من زاد المسير (١ / ٣٧١)

(٥) أي : دان بعدم الأخذ بالرخصة .

(٦) مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ص : (٣٨٥) ، ومحنة الامام أحمد للمقدسي ، والجوهر المحصل للسعدي ص : (٦٢) .

القول بخلق القرآن ، وقيل له تلك الأيام : إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا ، إذا أجاب العالم تقيّة ، والجاهل بجهله ، فمتى يظهر الحق[1] ؟ . فلله دره ما كان أصبره على تلك الشدة ، وأشبهه بأبي بكر الصديق أيام الردّة . وقال شيخ الاسلام الانصاري[2] ، رحمة الله عليه : عرضت على السيف أربع مرار ، وما قيل لي أُترك مذهبك ، إنما قيل لي : أسكت عن مخالفيك ، فلم أفعل[3] . ثم هدد هم وتوعّدهم بقوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي : عذاب نفسه ﴿ والى الله المصير - ٢٨ ﴾ .

قوله : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم ﴾ الصدر محل القلب، ويعبّر به عنه ، والمعنى : إن تخفوا ما في صدوركم ، من موالاة الكفار ، ومعاداتهم

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٩٦) .

(٢) عبد الله بن محمد الانصاري ، أبو اسماعيل الهروي ، الفقيه ، المفسر الحافظ ، الصوفي ، الواعظ ، إمام الحنابلة في عصره كان شديدا على المبتدعة ، متمسكا بالسنة ، توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بهراة .
المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٤٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٥٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩) .

وغير ذلك ﴿ يعلمه الله ﴾ المعنى : ويجازيكم (٧/ب) عليه ، ثم أكد ذلك بتمام الآية - ٢٩ " . ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير

قوله : ﴿ يوم تجد ﴾ العامل في " يوم تجد " يحذركم ، أو فعل مضمر ، أو تود[١] . وقال ابن الأنباري[٢] : يجوز أن يكون متعلقا بقوله " وإلى الله المصير " أي : وإلى الله المصير يوم تجد "[٣] . والمعنى : تجد جزاء ما عملت ، أو بيان ما عملت في صحائف الأعمال . والأمد الغاية . قال الطرماح[٤] :

٢- كل حي مستكمل عدة العمـ ـرو مـود إذا انقضى أمده[٥] .

أي : غاية أجله .

قوله عز وجل : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله - الآية - ٣١ ﴾ قال ابن عباس " قال كفار قريش : انما نعبد الأصنام حبا لله ليقربونا الى الله زلفى "[٦] .

---

(١) الدر المصون (٣/ ١١٤) .

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري ، النحوي كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظا له ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . إنباه الرواة (٣/ ٢٠١) وبغية الوعاة (١/ ٢١٢) ، وتاريخ بغداد (٣/ ١٨١) .

(٣) زاد المسير (١/ ٣٧٢) .

(٤) الطرماح بن حكيم بن نفر الطائي ، أبو نفر ، كان شاعرا وخطيبا ، الشعر والشعراء لابن قتيبه (٣٨٨) ، والمؤتلف والمختلف للآمدي (١٤٨) .

(٥) ديوانه (١١٢) .

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص : (٩٧) ، عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ، وجويبر لا يحتج به ، والثعلبي في التفسير (٣/ق ٣٦/ب) والبغوي (١/ ٢٩٣) ، وانظر زاد المسير : (١/ ٣٧٣) .

وقال اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فأنزل الله " قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله " . وقال الحسن : إن ناسا قالوا : إنا لنحب ربنا حبا شديدا ، فأحب الله أن يجعل لحبّه علماً ، فأنزل هذه الآية[1] .

وكان ابن المبارك ، رحمه الله ، ينشد لنفسه :

٣ - تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا محال في المقال بديع

٤ - لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

قال ابن عباس : لما أنزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبيّ : ان محمدا (٨/أ) يأمرنا أن نحبّه كما أحبت النصارى عيسى ، ويجعل طاعته كطاعة الله ، فأنزل الله " قل أطيعوا الله والرسول . . الآية[2] - ٣٢ " وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى الأمير فقد عصاني[3] "

قوله : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا[4] ﴾ أي : إختارهم واجتباهم للنبوة . وقد سبق القول في آدم[5] . وأما نوح فاسمه

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦/ ٣٢٢) ، وقال عقبه : أما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه . فلا خبر به عندي يصح . اهـ
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٨) نسبته لابن المنذر
وانظر زاد المسير (١/ ٣٧٣) .

(٢) تفسير الثعلبي (٣/ق ٣٧/ب) ، والبغوي (١/ ٢٩٣) وزاد المسير (١/ ٣٧٤) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأحكام (٩/ ٧٧) ، ومسلم ، كتاب الامارة (٣/ ١٤٦٦ - ١٤٦٧) من حديث أبي هريرة .

(٤) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا أولا . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا ثالثا مرة ثانية .

(٥) في البقرة عند قوله تعالى " وعلم آدم الاسماء كلها . . . الآية - ٣٢ " .

السكن[١] وسمي نوحا لنوحه على نفسه .

قال الامام أحمد في كتاب الزهد : حدثنا عبد الرزاق ، عن وهيب بن الورد ، قال لما عاتب الله نوحا في ابنه فقال : " إني أعظك أن تكون من الجاهلين[٢] " ، بكى ثلاثمائة عام ، حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول " .[٣]

وقيل إنه كان ينوح لمعاصي أهله ، وقومه .

وقيل : إنه مر بكلب مجذوم فقال : إخسأ يا قبيح ، فأوحى الله اليه : أعبتني أم عبت الكلب ؟ .

قوله " وآل ابراهيم " قال ابن عباس ، والحسن : هم أهل دينه[٤] ،

وقال مقاتل : " آله " إسماعيل وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط[٥] ، وقيل : اقحمت " آل " تفخيما .

والمراد أن الله اصطفى آدم ونوحا وابراهيم . وقد سبق مثله في سورة البقرة .

و " آل عمران -٣٣" قال الحسن ووهب (٨/ب) : هو عمران والد مريم[٦] ،

---

(١) الصواب أن نوحا إسمه نوح ، كما صرح القرآن باسمه في عدة مواطن ولم يأتي في آية واحدة تسميته بالسكن ، فإن كان موصوفا بهذا الاسم في كتب أهل الكتاب فيحتمل أن يكون معناه بلغتهم ، أو هو لقب له .

(٢) هود (٤٦) .

(٣) لم أجده في المطبوع من الزهد .

(٤) انظر زاد المسير (١/ ٣٧٤) .

(٥) تفسير مقاتل (١/ ١٦٦) .

(٦) تفسير الثعلبي (٣/ق ٣٨/أ) ، والبغوى (١/ ٢٩٥) ، وزاد المسير (١/ ٣٧٥) .

فعلى هذا " آله " مريم ، وعيسى . وقال مقاتل : " هو عمران بن فاهث[1] ، فآله موسى وهارون وبين العمرانين ألف وثماني مائة سنة . والأظهر أنه عمران بن ماثان لقوله عقيب ذلك " إذ قالت امرأة عمران " .

قوله : " ذرية " بدل من آل إبراهيم وآل عمران ، أو حال ، أو نصب على القطع . " بعضها من بعض " يعني الآلين بعضها من بعض في التناسل وقيل : في التناصر . " والله سميع عليم - ٣٤ " بمن يصلح للاصطفاء ، أو " سميع عليم " لقول امرأة عمران ، فعلى هذا " إذ " في قوله ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ منصوب به . وقيل : بإضمار اذكر . وقال الزجاج : " العامل في " إذ " معنى الاصطفاء ، فيكون المعنى إصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران[2] وقال أبو عبيدة[3] ، وابن قتيبة[4] : " اذ ملغاة[5] . وامرأة عمران اسمها حنّة ، وهي أم مريم بنت عمران بن ماثان ، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم ، وملوكهم . قال ابن اسحاق وغيره : " كانت رأت طائرا يزق فرخه[6]

---

(١) تفسير مقاتل (١ / ١٦٦) .

(٢) معاني القرآن (١ / ٤٠٠)

(٣) مجاز القرآن (١ / ٩٠)

(٤) تفسير غريب القرآن ص: (١٠٣) ، وتأويل مشكل القرآن ص : (٢٥٢) .

(٥) ورد هذا الزجاج فقال : ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئا ، قال جميع النحويين : إن " إذ " يدل على ما مضى من الوقت ، فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغوا ، وهي اسم مع مابعدها . اهـ.
معاني القرآن (١ / ٤٠٠) .

(٦) زق الطائر فرخه يزقه : أي أطعمه بفيه . الصحاح (٤ / ١٤٩١) مادة (زقق) .

بعد أن أسنّت ويئست من الولد ، فهيّجها على التحنن على الولد ، فدعت ربها أن يهب لها ولدا ، فأجيبت ، فقالت : شكرا لله . " رب إني نذرت لك ما في بطني محررا " [١] أي : خالصا ، عتيقا من رق الدنيا ، حبيسا (٩/أ) على العبادة ، وسدانة البيت المقدس . قال القاضي أبو يعلى بن الفراء - رحمه الله - : " وهذا نذر صحيح في شريعتنا أيضا ، فإنه اذا نذر الانسان أن ينشيء ولده الصغير على عبادة الله ، وطاعته ، وأن يعلمه القرآن والفقه وعلوم الدين صح النذر " [٢] و " محررا " حال من " ما " . والتقبّل الأخذ بالرضى . ((إنّك أنت السميع)) لدعائي . ((العليم - ٣٥)) بنيتي ((فلما وضعتها)) الضمير يرجع الى قوله : لـ ((ما في بطني)) وإنما أنث حملا على المعنى ، لأن ما في بطنها كانت أنثى في علم الله ، أو على تأويل الحَبَلَه ، أو النفس ، أو النسمة . ((قالت ربي إني وضعتها)) أي وضعت النسمة " أنثى " وهو كلام يلوح منه أسفها على خيبة رجائها فإنها رجته ذكرا ولذلك حررته للعبادة والسدانة . وفي قوله : ((والله أعلم بما وضعت)) تعريض بتعظيم مريم ، وتجهيل لحنة بما استودع في تلك الأنثى من السر الإلهي ، ونبط بها من الآية العظيمة . وقرأ ابن عامر ، وأبو بكر ، عن عاصم ((بما وضعتُ)) بسكون العين وضم التاء [٣] ، فيكون من تمام كلامها . وفي قراءة ابن عباس : وضعتِ [٤]

---

(١) تفسير ابن جرير (٦ / ٣٣٠) ، والثعلبي (٣/ق ٣٩/ب) ، والبغوي : (١ / ٢٩٥) ، .

(٢) زاد المسير (١ / ٣٧٦) .

(٣) الحجة لابي علي (٣ / ٣٢) ، ولابن زنجلة ص: (١٦٠) ، والكشف : (١ / ٣٤٠) ، والنشر (٢ / ٢٣٩) .

(٤) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن ص: (٢٠) ، واعراب القراءات الشاذة (ق ٤١/ب) .

بسكون العين وكسر التاء - فيكون من مخاطبة الله لها ، على معنى أنك لا تعلمين قدر هذا المولود . ((وليس الذكر كالأنثى)) جائز أن يكون من تمام كلامها أيضا ، خارجا مخرج الاعتذار من مصادفة تحريرها أنثى ، والأنوثية مانعة من استقصاء (٩/ب) الوفاء بما نذرته ، والقيام بما نوته . وجائز أن يكون من تتمة التعريض بتعظيم مريم ، فتكون اللام للعهد . التقدير ((وليس الذكر)) الذى أردت ((كالأنثى)) التي ولدت . ((وإنى سميتها)) عطف على ((وضعتها)) . ومريم بلغتهم العابدة ، فسمتها بذلك تفاؤلا بمطابقة الفعل للاسم ، ألا تراها تقول ((وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم - ٣٦)) قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل[1] صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه) ، ثم قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾[2] ، ولقد عجبت من جرأة المعطلين على هذه الشريعة ، وتسميتهم المتمسكين بها أهل حشو ، فتراهم يبادرون الى تكذيب الأخبار النبوية ، المنقولة على ألسنة العلماء الثقات الأثبات ، بناء على خيالات فاسدة ، يتوهمونها ، لكن شؤم البدعة سلبهم وصف التوفيق ، فحال بينهم وبين التصديق والتحقيق ، وعميت عليهم

---

(١) الاستهلال رفع الصوت ، قال في القاموس (٤/ ٧١) : استهل الصبي رفع صوته بالبكاء . اهـ .

(٢) سيأتي تخريج المؤلف له ص : (١١٢) .

مسالك الهدى ، فتورطوا في مهالك الردى هذا صاحب الكشاف الزمخشري يقول في تفسيره : " وما روى من الحديث (ما من مولود . .) ثم ساق الحديث الى آخره ،ثم قال : إن صح ، فمعناه : أن كل مولود يطمع الشيطان (١٠/أ) في اغوائه ، إلا مريم وابنها ، واستهلاله صارخا تخييل لطمعه فيه . وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ،لو سلط إبليس على الناس ينخسهم لا متلأت الدنيا صراخا وعياطا[1]" .قلت: ولست أعجب من قوله عن حديث اتفق أئمة الاسلام على تصحيحه وتدوينه ، وأخرجه الامام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما[2] :إن صح ، لأن الرجل كان جاهلا بهذا العلم الجليل ولكن من صفاقة وجهه في رد الحديث على تقدير التصحيح ، والتمحل لتعطيل اللفظ الصريح ، مع أنه لا منافاة في ذلك بين النقل والعقل لأن العقل لا يحيل ذلك لذاته ،ولا يلزم منه محال على تقدير إثباته وأما قوله : " لو سلط إبليس على الناس ينخسهم لا متلأت الدنيا صراخا وعياطا ، فكلام يُشمّت به أعداءه ، لا ،بل يحزنهم عليه ،فما أحقه بانشاد قول الشاعر :

٥ - من أذن الله في فضيحته . . أغرى يديه بكشف عورته

لأن نبينا ، صلى الله عليه وسلم ،لم يخبر بتسليط الشيطان على الانسان بالنخس إلا حالة الولادة ، فكيف يوجّه منه هذا الإلحاد ؟ ومن أين يلزم أن تمتلئ الدنيا صراخا وعياطا ؟ ولعله إذا استقرى البلد العظيم ، وتصفح (١٠/ب) من ولد فيه في يوم لا يبلغ عددا ،يوجب أضعاف أضعافه بعض

---

(١) الكشاف (١/١٨٦ - ١٨٧) .

(٢) مسند الامام أحمد (١٢/١٧١) ،وصحيح البخاري ، كتاب التفسير سورة آل عمران (٦/٤٢) ، وصحيح مسلم ،كتاب الفضائل (٤/١٨٣٨) .

ما توهمه ، من امتلاء الدنيا صراخا . فسبحان من حفظ هذا الدين بحملة عدول ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين اللهم فاحفظنا من ضلالات الأهواء ، وعافنا من خيالات الآراء .

قوله تعالى : ((فتقبّلها ربّها بقبول حسن)) القبول مصدر ، والقياس فيه الضم كالدخول والخروج . قال سيبويه : خمس مصادر جاءت على فعول منها : قبول . والمعنى : رضيها ربّها بدل الذى نذرته . قال ابن عباس " سلك بها طريق السعداء [1] ** وأنبتها نباتا حسنا ** القبول والنبات مصدران يخالفان المصدر هاهنا قال الفراء : هو مثل قولك : تكلمت كلاما [2] قال القطامي [3] :

٦- وخير الأمر ما استقبلت منه . . وليس بأن تتبّعه اتباعا [4]

وقال آخر :

٧- ..... وإن شئتم تعاودنا عوادا [5] .

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤١/أ) ، والبغوى (١/٢٩٦) ، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس .

(٢) لم أجده في معاني القرآن ، وهو في تفسير الثعلبي (٣/ق ٤١/أ) .

(٣) عمير بن شييم التغلبي ، كان شاعر فحلا ، رقيق الحواشي ، حلو الشعر . طبقات الشعراء ص : (١٦٥) ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص : (٤٨٣) ، والمؤتلف والمختلف ص : (١٦٦) .

(٤) ديوانه ص : (٣٥) ، والكتاب (٤/٨٢) .

(٥) الخصائص لابن جنى (٢/٣٠٩) .

لم يقل : تتبعا ولا تعاودا .

وقال ابن الأنباري والمفضل[١] : التقدير وأنبتها فنبتت نباتا[٢] . قال ابن عباس: " كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام[٣] فيكون إشارة الى كمال نشوها . وقال قتادة : " حُدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب[٤] " . فيكون استعارة عن طهارتها من دنس الآثام (١١/أ) وقيل : " هو استعارة عن حسن التربية " .

قوله : " وكفلها زكريا " قرأ أهل الكوفة " كفلها " بالتشديد[٥] . " زكريا " بالقصر حيث جاء إلا أبا بكر ، عن عاصم ، فإنه يمد " زكريا " حيث جاء كالباقين[٦] قال ابن دريد : " هو اسم أعجمي "[٧] .

(١) المفضل بن سلمة بن عاصم ، الضبي أبو طالب اللغوى ، النحوى كان لغويا نحويا كوفي المذهب ، توفى سنة ثلاثمائة . إنباه الرواة (٣٠٥/٣) ومعجم الأدباء (١٦٣/١٩) ، وتاريخ بغداد : (١٢٤/١٣) .

(٢) زاد المسير (٣٧٧/١) ، وتفسير الثعلبي (٣/ق ٤١/أ) .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤١/أ) ، والبغوى (٢٩٦/١) ، وزاد المسير (٣٧٨/١) .

(٤) تفسير ابن جرير (٣٤١/٦) ، والأظهر شمول هذا لنباتها الخلقي والخلقي . وانظر تفسير ابن كثير (٣٥٩/١) ، وتفسير السعدى (٣٧٦/١) .

(٥) وخففها الباقون .

(٦) الحجة لابي على (٣٣/٣) ، ولابن زنجلة ص : (١٦١) ، والكشف (٣٤١/١) ، والنشر (٢٣٩/٢) .

(٧) جمهرة اللغة (٣٢٤/٢) .

-((الاشـــارة الـى القصـة))-

قال العلماء بالتفسير والسير : لما وضعت حنّه مريم لفتها في خرقـــة وحملتها إلى البيت المقدس ، وفاء بنذرها ، فوضعتها عند الأحبار ، أبنـــاء هارون وهم يومئذ يلونه كما تلي الحجبة الكعبة ، فقالت : دونكم بهـــذه النذيرة فتنافسوا فيها ، لأنها بنت إمامهم ، وصاحب قربانهم ، فقال زكريـــا أنا أحق بها ، وعندي خالتها ، فامتنعوا إلا أن يقترعوا ، فساروا الى نهـــر الأردن ، وكانوا سبعة وعشرين رجلاً[(١)] . قال ابن عباس : " قالوا : نطـــرح أقلامنا ، فمن صعد قلمه مغالبا لجرية الماء فهو أحق بها "[(٢)] . وقال السـدي ألقوا أقلامهم التي يكتبون بها ، فجرت الأقلام كلها ، وثبت قلم زكريا "[(٣)] . قال الحسن : " لم ترتضع ثديا قط[(٤)] . وذكر مقاتل : أنه استأجر لها ظئـــرا[(٥)]

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/ ٣٤٩) ، وسنن البيهقي (١٠/ ٢٨٦) . وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٢٤) ، والثعلبي (٣/ق ٤١/أ) ، وعرائس المجالس له ص : (٣٧٢) عند السدي

(٢) زاد المسير (١/ ٣٧٩) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٣٥٠) ، والثعلبي (٣/ق ٤١/ب) والبغوي (١/ ٢٩٦) ، وعرائس المجالس ص : (٣٧٢) .

(٤) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٢/ب) ، والبغوي (١/ ٢٩٧) ، وزاد المسير (١/ ٣٨٠) .

(٥) تفسير مقاتل (١/ ١٦٨) ، والظئر بالكسر المرضعة . القاموس (٢/ ٨٣) .

قوله : " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " (١١/ ب)

كلما منصوب على الظرف ،أى وجد كلما دخل . وقال الزجاج : " المحراب في اللغة الموضع العالي الشريف . قال الشاعر وضّاح اليمن [١] :

٨ - ربّة محراب إذا جئتها . لم ألقها أو أرتقي سلّما [٢]

وقال أبو عبيد : المحراب سيد المجالس ، ومقدمها وأشرفها ، وكذلك هو من المسجد [٣] . وقال غيره : " يقال للمسجد محراب " ومنه "يعملون له مايشاء من محاريب [٤] أى مساجد ، وأظن الشاعر أراد ذلك في قوله :

٩- جمع الشجاعة والخشوع لربه: ما أحسن المحراب في المحراب [٥] .

قال ابن اسحاق : " ضمّها الى خالتها أم يحيى ، حتى اذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنا لها محرابا في المسجد ، لا يصعد إليها غيره ،فكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم [٦] . قال ابن عباس : " كانت تصلي في غرفتها الليل والنهار [٧] ، وقال مقاتل : كانت اذا حاضت أخرجها الى منزله تكون

---

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال ،له قصص ،وأخبار مع أم البنين .

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٠٣) ، والبيت في اللسان ،مادة حرب(١/ ٣٠٥) وجمهرة اللغة (١/ ٢١٩) ، والأغاني (٦/ ٢٢٣) ، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٤) .

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩١) .

(٤) سبأ (١٣) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٤٠٩) .

(٦) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٢/أ) ،والبغوى (١/ ٢٩٦) ، وعرائس المجالس ص : (٣٧٢) .

(٧) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

مع خالتها أم يحيى فاذا طهرت ردها الى بيت المقدس"[1] . ويروى عن ابن عباس " أنها لم تكن تحيض" . قال الربيع بن أنس : " كان زكريا اذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب ، فاذا دخل وجد عندها رزقا"[2] . قال ابن عباس : " هو ثمار الجنة ، كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف (١٢/أ) في الشتاء"[3] . فلما عاين زكريا هذه الآية : ﴿ قال يا مريم أنى لك هذا ﴾ أى : من أين لك هذا الرزق الموجود في غير زمانه ؟ الواصل إليك ، والأبواب مغلقة عليك ؟ "((قالت : هو من عند الله)) . وقوله : ﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب - ٣٧ ﴾ جائز أن يكون من تمام كلامها وجائز أن يكون ابتداء كلام من الله . وقد سبق تفسيره ، ويروى أنها تكلمت وهي صغيرة كما[4] تكلم عيسى في المهد وفيه بعد لما سنذكره عن قريب ان شاء الله تعالى[5] . قال المفسرون : فلما عاين زكريا هذه الآية ، ورأى

---

(١) تفسير مقاتل (١/١٦٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/٣٥٥) ، والثعلبي (٣/ق ٤٢/أ) ، والبغوى (١/٢٩٧) ، وعرائس المجالس ص : (٣٧٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/٣٥٦) ، وزاد المسير (١/٣٨٠) .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٤٢/ب) عن الحسن .

(٥) ص : (١٢٨) .

خرق الله العادة بايجاد الفاكهة في غير أوانها طمع في الولد على الكبر فذلك قوله : " هنالك دعا زكريا ربه - ٣٨ " قال المفضل : أكثر ما يقال هنالك في الزمان ، وهناك في المكان ، وقد يجعل هذا مكان هذا[١] .

وقال غيره : يستعار هنا ، وثَمّ ، وحيث للزمان[٢] وجائز أن يكون معنى " هنالك " في ذلك المكان عند مريم في المحراب . وجائز أن يكون في ذلك الوقت . والذرية تقع على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، والمراد هنا واحد بدليل قوله : " فهب لي من لدنك وليا [٣] وأنث "طيبة" لتأنيث لفظ الذرية . و" سميع " بمعنى : سامع أو مجيب .

قوله تعالى : " فنادته[٤] (١٢/ب) الملائكة " . قرأ حمزة والكسائي " فناداه بألف ممالة " . وقرأ الباقون : فنادته[٥] . قال أبو علي : من قرأ فناداه فهو كقوله[٦] : " وقال نسوة[٧] وقال غيره : " الذى ناداه جبريل" ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود : فناداه جبريل[٨] ، فيكون الجمع على قراءتهما للتعظيم

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٣/ب) ، والبغوى (١/ ٢٩٧) ، وزاد المسير (١/ ٣٨٠) .

(٢) انظر تفسير النسفي (١/ ١٥٦) .

(٣) مريم (٥)

(٤) كتب مقابلها من الهامش : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا رابعا ، مرة ثانية .

(٥) الحجة ص (١٦٢) ، والكشف (١/ ٣٤٢) ، والنشر : (٢/ ٢٣٩)

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي (٣/ ٣٧ - ٣٨) .

(٧) يوسف (٣٠) .

(٨) تفسير ابن جرير : (٦/ ٣٦٤) ، وفي كتاب المصاحف لابن أبي داود ص : (٧٠) . أن قراءة ابن مسعود : وناداه الملائكة .

أو لبيان أن النداء جاء من ذلك الجنس ، كما تقول : ركبت السفن ، وسمى المحراب محرابا لشرفه كما ذكرنا[1] ، أو لمحاربة الشيطان فيه ﴿ أن الله ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة : " إن الله " بكسر الهمزة على إضمار القول ، أو لأن النداء في معنى القول . وقرأ الباقون بالفتح[2] على معنى ناديته بأن الله . فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل فنصب . قرأ حمزة ﴿ يبشرك ﴾ بالتخفيف[3] في كل القرآن ، إلا في قوله " فبم تبشرون "[4] ووافقه الكسائي على التخفيف في خمسة مواضع ، في آل عمران موضعان[5] ، وفي سبحان[6] موضع وفي الكهف[7] موضع ، وفي الشورى[8] موضع ، وشدد ذلك الباقون ، غير أن ابن كثير وأبا عمرو خففا التي في الشورى ، وهما لغتان مشهورتان . يقال : بشّر يبشّر تبشيرا ، وبَشَر يبشر بشرا وبشورا . وأنشد الفراء للأعشى[9] :

١- واذا رأيت الباهشين الى الندى غبرا أكفهم بقاع ممحل (١٣ أ)

---

(١) ص : (١١٦) .

(٢) الحجة لأبي علي (٣/ ٣٨) ، ولابن زنجلة : ص (١٦٢) ، والكشف (١/ ٣٤٣) ، والنشر (٢/ ٢٣٩) .

(٣) الحجة لأبي علي (٣/ ٤١ - ٤٢) ، والكشف : (١/ ٣٤٣ - ٣٤٤)

(٤) الحجر (٥٤) .

(٥) آية (٣٩) ، (٤٥) .

(٦) الاسراء (٩) .

(٧) آية (٢) .

(٨) آية (٢٣) .

(٩) ميمون بن قيس بن جندل البكري ، الأعشى ، الشاعر المشهور المقدم ، مات باليمامة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .
المؤتلف والمختلف ص : (١٢) ، ومعجم الشعراء ص : (٤٠١) .

١١- فأعنهم وابشر بما بشروا به وإذا هم نزلوا بضنك فانزل[1]

وقد ذكرنا معنى البشارة في البقرة . قال المفسرون : رأى زكريا جبريل في صورة شاب عليه ثياب بياض ، فناداه " إن الله يبشرك بيحيى[2] " وهو اسم أعجمي ، وقيل عربي ، ومنعه الصرف التعريف وصيغة الفعل . قال ابن عباس أحيى الله قلبه بالايمان " . وقال في رواية : أحي به عقر أمه[3] " . " مصدقا بكلمة من الله " أي : مؤمنا بعيسى ، فانه أول من آمن به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، وقيل قبل رفع عيسى إلى السماء ، وسمّي عيسى كلمة لتكوينه بها من غير أب . وقال أبو عبيدة : " الكلمة كتاب الله " . تقول العرب : أنشدني كلمة فلان، يعنون قصيدته[4] " . وقال زهير في كلمته كذا وكذا ﴿ وسيدا وحصورا ﴾ السيد : الذي يسود قومه ، أي : يفوقهم في الشرف والذي سادهم به كرامته على الله ، وحلمه وتقواه ، والحصور : الذي لا يأتي النساء ، من الحصر ، وهو الحبس . والذي عليه جمهور العلماء أنه

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٢) ، والبيتان ليسا للأعشى كما قال المصنف وانما هما لعبد قيس بن خفاف البرجمي ، كما في المفضليات ص (٣٨٥) .

(٢) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٥/أ) ، والبغوى (١/ ٢٩٨) .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٦/أ) ، وزاد المسير (١/ ٣٨٢) ، وهذا فيه نظر ، لأنه لا يلزم من العلمية ثبوت الوضعية ، الا بدليل من الشارع.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٩١) .

لم يكن له آلة الوطء[١] . وقال سعيد بن المسيب كان : " له كالنواة[٢]". وقال ابن عباس : " كان لا ينزل الماء[٣]". وقيل : " كان يمنع نفسه شهواتها[٤]" قال النبي صلى الله عليه وسلم (١٣/ب) " كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكرياء " ثم دلى رسول الله يده الى الأرض فأخذ عودا صغيرا ، ثم قال : " وذلك أنه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود[٥] ، لذلك سماه الله " سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين - ٣٩" أي :

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٦/ ٣٧٧ - ٣٨٠) ، وابن كثير (١/ ٣٦١) والدر المنثور (٢/ ١٩٠) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ٣٧٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٣٧٩) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٤٦) .

(٤) قال القاضي عياض في كتاب الشفاء : اعلم أن ثناء الله على يحيى أنه كان حصورا ليس كما قاله بعضهم انه كان هيوبا أو لا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب لا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها . اهـ من تفسير ابن كثير (١/ ٣٦١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره (١/ ٣٧٨) : وهذا أليق المعنيين . اهـ

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٣٧٧) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٤١) وابن المنذر قاله ابن كثير ، كلهم عن سعيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أو أبيه - شك سعيد - مرفوعا ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٢٤٣) ، موقوفا ، قال ابن كثير : وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثا غريبا جدا - يعني هذا الحديث - والموقوف أصح إسنادا من المرفوع . اهـ من التفسير (١/ ٣٦١) .

ونبيا كائنا من الصالحي الحال عند الله . وقيل : المعنى أنه من نسل الصالحين ، وأولاد الأنبياء .

﴿ قال ربّ أنّى يكون لي غلام ﴾ ليس على وجه الشك في ما جاءه من عند الله ، لأن الأنبياء معصومون من مثل هذه الحالة ، ولا على وجه الاستبعاد ، كما زعم جماعة من العلماء ، لأن كمال معرفته بالله تنفي استبعاد ما ينفعل عن القدرة الالهية ، ثم ان دلالة الحال ، واقداره على السؤال تنفي استبعاده لذلك ، وانما هو استعلام عن[1] الحالة التي يتكوّن الولد فيها المعنى : أيأتينا الولد على الحالة التي أنا عليها من الكبر ، وامرأتي من العقر ؟ أم يأتينا بعد رد شبابي ؟ وازالة العقر عن امرأتي ؟ هذا قول جماعة منهم : الحسن[2] ، وابن الأنباري ، وابن كيسان[3] . قال بعض اللغويين " الغلام فعال من الغلمة وهي شدة شهوة النكاح ، ويقال للكهل : غلام[4] " . ومنه قول ليلى الأخيلية[5] في الحجّاج :

١٢ - ..... . غلام اذا هز القناة سقاها[6]

---

(١) ويحتمل أن يكون تعجبا من قدرة الله تعالى وتعظيما له . انظر : النكت والعيون (١ / ٣٢١) .

(٢) النكت والعيون (١ / ٣٢١) ، وزاد المسير : (١ / ٣٨٤) .

(٣) زاد المسير (١ / ٣٨٤) .

(٤) في زاد المسير (١ / ٣٨٤) ، قال شيخنا أبو منصور اللغوي . وهو موهوب بن أحمد الجواليقي الحنبلي .

(٥) ليلى بنت الأخيل من عقيل بن كعب ، وهي من أشعر النساء ، وقد هاجت النابغة الجعدي . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص(٢٩١)

(٦) هذا عجز بيت شطره : شفاها من الداء العضال الذي بها ، كما في ديوانها ص (١٢١) وفيه : " اذا هز القناة شفاها " بدل سقاها وهو كذا في اللسان (١١ / ٤٥٢) مادة عضل .

وقد سبق (١٤/أ)

والمعنى : قد كان مرة غلاما ، وقولهم للطفل : غلام على معنى التفاؤل أى سيصير غلاما (١) ﴿ وقد بلغنى الكبر ﴾ قال الزجاج : " كل شىء بلغته فقد بلغك " . قال ابن عباس (٢) : " كان يوم بشر بالولد ابن مائة وعشرين سنة ، وامرأته بنت ثمان وتسعين " . والعاقر من الرجال والنساء : المنقطع والأصل فيه للنساء ، فأجرى مجرى طالق وحائض ﴿ قال كذلك - ٤٠ ﴾ أى : مثل خلق الولد بين شيخ هرم وعجوز عاقر يفعل ما يشاء من الآيات الخارقة للعادات . ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة ، أعرف بها وجود الحمل . سأل العلامة على وجود ما أمله ورامه ، ليتلقى النعمة بالشكر ، ويتعجل السرور ﴿ قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام ﴾ (٣) يريد بلياليها لقوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾ ﴿ إلا رمزا ﴾ استثناء منقطع أو متصل . حسن استثناؤه من الكلام لنيابته منابه فى الافهام . والرمز: الاشارة وأكثر ما يستعمل فى الشفتين ، قال ابن عباس (٤) : " جعل يكلم الناس بيده " وانما عقل لسانه عن مخاطبة الناس ، ولم يعقل عن ذكر الله .

قال الامام أبو الفرج ابن الجوزى ، رضى الله عنه : "جمهور العلماء على أنه انما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل (٥) " . وقال قتادة ،(١٤/ب) والربيع ابن أنس كان ذلك عقوبة له اذ سأل الآية والامارة بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة (٦) " . قال الثعلبى " قول قتادة قول أكثر المفسرين (٧) " . قلت : وهو قول يخالف ظاهر

---

(١) معانى القرآن (١/٤٠٨) .
(٢) تفسير الثعلبى (٣ق ٤٨/ب) ، والبغوى (١/١٩٩) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وجويبر متروك ، وانظر زاد المسير (١/٣٨٥) .
(٣) مريم (١١) .
(٤) تفسير ابن جرير (٦/٣٨٩) ، وانظر ابن أبى حاتم (٢/٢٥٣) والدر المنثور (٢/١٩٢) .
(٥) زاد المسير (١/٣٨٦) .
(٦) تفسير ابن جرير (٦/٣٨٦) ، وابن أبى حاتم (٢/٢٥٣) ، وزاد السيوطى فى الدر المنثور (٢/١٩٢) نسبته الى عبد بن حميد وابن المنذر وزاد المسير (١/٣٨٦) .
(٧) الكشف والبيان (٣/ق٤٩/ب) .

القرآن ، فان قيل ما الحكمة فى اختصاص الآية باعتقال لسانه عن مخاطبة الناس[1] فقط ؟ قلت : ليوفّر زمانه على شكر هذه النّعمة العظيمة ، والمنّة الجسيمة[2] ﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ أى : ذكرا كثيرا ﴿ وسبّح - ٤١ ﴾ بمعنى : صلّ فى قول عامة المفسرين . وسميّت الصلاة تسبيحا لاشتمالها على تنزيه الله تعالى وتسبيحه . والعشّى : جمع عشيّة ، وهى من وقت نزول[3] الشمس الى أن تغيب والإبكار مصدر أبكر يبكر . ويقال : بكّر يبكّر والمراد : ما بين طلوع الفجر الى وقت الضحى .

قوله ﴿ وإذ قالت الملائكة ﴾ وهو جبريل ﴿ يا مريم إنّ الله اصطفاك ﴾ أولا : بالقبول والنّبات الحسن ، وتكليم جبريل ، وولادة المسيح عيسى من غيّر أب ، وغير ذلك . ﴿ وطهّرك ﴾ من دنس الآثام . وقال ابن عباس : " من الحيض " . وقيل " طهرك من مسّ الرجال "[4] . وقال مجاهد : " من الكفر "[5] . وقال مقاتل : " من الفاحشة والاثم "[6] . ﴿ واصطفاك - ٤٢ ﴾ ثانيا على نساء عالمى زمانك بالفضل أو هو على عمومه . ويكون الاصطفاء الذى امتازت به على (١٥/أ) نساء العالمين ولادتها عيسى من غير أب[7] . وفى الصحيحين من حديث علىّ ، رضى الله عنه

---

(١) قال النحاس : قول قتادة ان زكريا عوقب بترك الكلام ، قول مرغوب عنه لأن الله تعالى لم يخبرنا أنه أذنب ، ولا أنه نهاه عن هذا أهـ بواسطة القرطبى (٤ / ٨١)

(٢) هذا فيه نظر . لأن هذه الآية وقعت بغير اختياره

(٣) أى من الزوال ، وانظر معانى القرآن للنحاس (١ / ٣٩٧) ، والنكت والعيون (١ / ٣٢٢)

(٤) زاد المسير (١ / ٣٨٧)

(٥) النكت والعيون (١ / ٣٢٢) ، وزاد المسير (١ / ٣٨٧)

(٦) تفسير مقاتل (١ / ١٧٠)

(٧) والأول أظهر وأشهر وعليه الأكثر .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة "[1] . وفي صحيح مسلم : " فأشار وكيع الى السماء والارض وفيهما أيضا من حديث أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثّريد على سائر الطعام "[2] .

قوله عز وجل ﴿ يا مريم اقنتي لربك ﴾ . قال ابن عباس : " قومي في الصلاة بين يدي ربك "[3] . وقال مجاهد : " أطيلي القيام في الصلاة " . وقال قتادة : " أطيعي ربك "[4] . فإن قيل : كيف قدّم السّجود على الرّكوع ؟ قلت : الواو للجمع ، لا للترتيب لأنّها نظير التثنية[5] ، على أنّه قد قيل : " إنّ السجود في شريعتهم كان مقدما على الرّكوع " . وفي قوله : ﴿ واركعي مع الراكعين - ٤٣ ﴾ . أمر لها بالجماعة أو يكون المعنى : كوني في عداد الراكعين ، وانتظمي في سلكهم . وأراد بالراكعين الرجال والنساء ، اذ لو كان المراد النساء فقط لقال : مع الراكعات . قال مجاهد " سجدت حتى قرحت "[6] وقال الأوزاعيّ : " قامت في الصلاة (١٥/ب) حتّى تورّمت قدماها وسالتا دما وقيحا "[7] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك ،(٤/ ٢٠٠) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٨٦)

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : إذ قالت الملائكة يا مريم (٤/ ٢٠٠) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٨٦ - ١٨٨٧)

(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٠٢) ، وعبد بن حميد ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٥)

(٤) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٠٣)

(٥) وهذا هو مذهب البصريين . انظر شرح ابن عقيل على ابن مالك (٣/ ١٠١ - ١٠٢) ، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤١٠)

(٦) زاد المسير (١/ ٣٨٨)

(٧) تفسير الثعلبي (٣/ق ٤٩/ب) ، والبغوي (١/ ٣٠١)

قوله : ﴿ ذلك ﴾ إشارة الى ما اقتصه على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، من أخبار زكريا ، ويحيى ، ومريم ، وعيسى . ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أى : مما غاب عنك يا محمّد علمه ﴿ نوحيه إليك ﴾ أى نلقيه عليك بارسال جبريل إليك . ﴿ وما كنت لديهم ﴾ أى : ما كنت حاضرا عندهم . ﴿ إذ يلقون أقلامهم ﴾ وهى التى يكتبون بها . وقيل : عصيّهم . ﴿ وما كنت لديهم إذ يختصمون - ٤٤ ﴾ ﴿ أيّهم يكفل مريم ﴾ تنافسا فيها . فإنّ قيل : معلوم قطعا أنه لم يكن عندهم فما الفائدة فى الإخبار عن ذلك ؟ قلت : اقامة الحجّة على الكفار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنّ طريق العلم بالشىء ، إمّا الرؤية ، أو السماع وقد علموا قطعا أنّ محمدا لم يكن من أهل الكتاب ، ولا متشاغلا بسماع العلم ولا دراسته ولا كان حاضرا عند أسلافهم .

فاذا حدّثهم بما لا يعلمه إلّا الراسخون فى العلم منهم ، من أنباء أنبيائهم وقصص أسلافهم ، ظهرت الحجّة عليهم بأنه بطريق الوحى . فإن قيل لم سمّى عيسى المسيح ؟ قلت : فيه أوجه :

أحدها : أنه لم يمسح ذا عاهة إلّا برأ . ففعيل هنا فى تأويل فاعل .

الثانى : أنّه كان سبيح القدمين ، رُوِيَ عن ابن عباس .

الثالث : أنّه كان ممسوحا بالبركة . قاله الحسن .

الرابع : لكونه ولد ممسوحا بالدّهن . حكاه أبو (١٦/أ) سليمان الدّمشقىّ .[1]

وفعيل فى تأويل مفعول على هذه الأقوال .

الخامس : لكونه مسح الكفر .

---

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان السعدى ، أبوسليمان الدمشقى ، صنف كتبا فى التفسير ، وكان شافعيا ، أشعريا ، كثير الاتباع للسنة ، حسن التكلم فى التفسير .
طبقات المفسرين للسيوطى ص : (٨٩) ؛ وطبقات المفسرين للداودى (٢/١٦٤) .

السادس : أنّ المسيح الصّديق . قاله مجاهد . وهو ينزع الى قول الحسن ، لأنه لما مُسح بالبركة ، وطُهّر من الذنوب صار صدّيقا .

السابع : أنّه سمّي مسيحا لأنه مسح الأرض ، وقطعها بالسياحة . فعلى هذا القول الميم زائدة . وعلى الأقوال التي قبله الميم أصلية .

وسمّي الدجّال مسيحا ، إمّا لكونه ممسوح إحدى العينين ، أو لقطعه الأرض بالسياحة[1] . فالأول : فعيل في تأويل مفعول . والثاني : في تأويل فاعل . قال الشاعر :

١٣ - إنّ المسيح يقتل المسيحا[2]

فإن قيل : ما الحكمة في نسبته إليها حين واجهها الملك بالبشارة ، فقيل : ﴿ إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ ، قلت : تنبيها على أنه آية لله ، مصّور بكلمته ، وليس له أب ينسب اليه ، إنّما ينسب اليها[3] . قوله ﴿ وجيها في الدنيا والآخرة ﴾ قال الزّجّاج : " الوجيه : ذو المنزلة الرفيعة عند ذي القدر والمعرفة "[4] .

والمعنى : وجيها في الدنيا بالنبوّة ، والآيات التي خصّ بها ، وفي الآخرة بالشفاعة ، وارتفاع المنزلة عند الله . " وجيها " حال من " كلمة " . فإن قيل : " كلمة " نكرة ، (١٦/ب) فكيف يصحّ الحال منها ؟ قلت : تخصّصت بالوصف فقربت من التعريف ، ومثل ذلك ﴿ ومن المقرّبين - ٤٥ ﴾[5] ، ﴿ ويكلّم الناس ﴾ ﴿ ومن الصالحين - ٤٦ ﴾ أي : يبشرك به موصوفا بهذه الأوصاف . قوله : ﴿ في المهد وكهلا ﴾ حالان من الضمير في " يكلّم " . قال ابن عباس : " تكلّم ساعة في مهده ثم

---

(١) أنظر تفسير الثعلبي (٣/ق ٥٠/أ - ب) ، والبغوي (١/ ٣٠١ - ٣٠٢) ، وزاد المسير (١/ ٣٨٩)

(٢) لم أجده .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) : إنما نسبه الى أمه لينفي ما قاله عنه الملحدون من النصارى ، إذ أضافوه الى الله تعالى أ هـ .

(٤) معاني القرآن (١/ ٤١٢)

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٦٠) ، والدر المصون (٣/ ١٧٧-١٧٨)

لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق "[1] . أخرجا فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " لم يتكلم فى المهد إلّا ثلاثة : عيسى بن مريم وصاحب جريج . . ثم ساق الحديث الى آخره "[2] . وأخرج الامام أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس ، قال : قال رسول الله : " لمّا كانت الليلة التى أسرى بى فيها أتت علىّ رائحة طيبة " ، فقلت : " ياجبريل : ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال : " قلت : وما شأنها ؟" قال بينما هى تمشط ابنة فرعون ، ذات يوم ، اذ سقط المدرى[3] من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبى ؟ قالت : لا ، ولكن ربى ، ورب أبيك الله قالت : أخبره بذا ؟ فقالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة وان لك ربا غيرى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك الله . فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها . قالت : إن لى اليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحبّ أن تجمع عظامى ، وعظام ولدى فى ثوب واحد ، وتدفننا قال : ذاك لك علينا قال : فأمر بأولادها ، فألقوا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك الى صبىّ لها يرضع ، فكأنها تقاعست من أجله ، قال : ياأمّاه اقتحمى فإنّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت . قال ابن عباس : " تكلم أربعة صغارا : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون "[4] .

---

(١) زاد المسير (١ / ٣٩٠) ، والدر المنثور (٥ / ٥١٠)

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب واذكر فى الكتاب مريم ، (٤ / ٢٠١) ومسلم ، كتاب البر والصلة (٤ / ١٩٧٦ - ١٩٧٧)

(٣) المدرى : المشط كما جاء فى بعض ألفاظ الحديث .

(٤) مسند الامام أحمد (٤ / ٢٩٥-٢٩٦) ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٤ / ٣٩٤ - ٣٩٥) وابن حبان فى صحيحه (موارد الظمآن رقم ٣٦) والبزاز (كشف الأستار - ١ / ٣٧) ، والطبرانى فى الكبير (١١ / ٤٥٠ - ٤٥١) = = =

فإن قيل (١) : ما الحكمة فى تكليمه الناس في المهد ؟ قلت : الحكمة فى ذلك تنزيه أمه ، وتحقيق معجزته .

قال ابن الأنبارى : " من أربى على الثلاثين فقد دخل فى الكهولة " . سمّى بذلك لاجتماع قوته ، وكمال شبابه ، من قولهم : اكتهل النبات . (٢) وقال ابن فارس "الكهل الرجل حين وخطه الشّيب " . (٣) وقد روى عن ابن عباس أنه قال : فى قوله ﴿ وكهلا ﴾ قال : " ذلك بعد نزوله من السماء " . (٤) وفى الإخبار لها بأنّه يتكلم كهلا بشارة عظيمة بحياته ، وأنّه يبلغ سن الكهولة . ﴿ قالت ﴾ على وجه التعجّب والاستعلام ، مخاطبة لله عز وجل . وقيل : لجبريل - بمعنى : ياسيّدى فانّ الرب يطلق بمعنى السيّد . ﴿ رب أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ﴾ أى : لم يجامعنى رجل . ﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء - ٤٧ ﴾ بسبب ، وغير سبب .

= = = وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١ / ٦٥) ، وقال : وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، ولكنه اختلط أهـ . وظاهر هذا يتعارض مع حديث أبى هريرة المتقدم " لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة " ، ولا معارضة بينهما فانه فى حديث أبى هريرة أخبر بما كان فى علمه - صلى الله عليه وسلم - مما أوحى اليه فى تلك الحال ، ثم بعد هذا أعلمه الله تعالى بما شاء من ذلك فأخبر به .

أنظر تفسير القرطبى (٤ / ٩١) .

قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيدا بالمهد ، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد أهـ من الفتح (٦ / ٤٨٠) قلت وهذا توجيه حسن ، يزول به الاشكال .

(١) كتب مقابلها : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا خامسا ثانية .

(٢) زاد المسير (١ / ٣٩٠)

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥ / ١٤٤)

(٤) زاد المسير (١ / ٣٩٠)

وما بعده الى آخر الآية مفسّر في البقرة .

قوله ﴿ ويعلّمه الكتاب - ٤٨ ﴾ . وقرأ نافع وعاصم ﴿ ويعلّمه ﴾[1] بالياء عطفا على ﴿ يبشرك ، ويكلّم ﴾ . قال ابن عباس : (١٧/أ) " نعلمه كتب النبيين وعلمهم ، والفقه (والحكمة) وقضاء النبيين"[2] . وقيل : الكتاب : الكتابة ﴿ ورسولا ﴾ أى : ويكلم الناس رسولا ، أو : ونجعله رسولا . أو هو معطوف على ﴿ وجيها ﴾[3] .

﴿ أنّى أخلق لكم ﴾ موضعه خفض ، بدل من " آية " ، أو رفع على معنى الآية أنّى أخلق . وقرأ نافع : "إنّى أخلق" بكسر الهمزة[4] على الاستئناف . ومعنى ﴿ أخلق لكم ﴾ أقدّر لكم ﴿ من الطين كهيئة الطير ﴾ وهو جمع طائر كزائر وزور ﴿ فأنفخ فيه ﴾ أى : فى الشيء المشابه لهيئة الطير ، فيكون الضمير للكاف ، وكذا الضمير للكاف فى قوله فى المائدة : ﴿ فتنفخ فيها ﴾[5] ولا يرجع الى الهيئة ، لأنّها ليست من خلق عيسى . وقال أبو علّى الفارسى : جائز أن يكون " فيه " للطير و "فيها" للهيئة . وجائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع فأنّث على معنى الجماعة[6] . وقال غيره : ﴿ فأنفخ فيه ﴾ أى : فى الطين[7] . قال

---

(١) الحجة لأبى على (٣/ ٤٣) ، ولابن زنجلة ص : (١٦٣) ، والكشف لمكى (١/ ٣٤٤) ، والنشر (٢/ ٢٤٠) .

(٢) أنظر زاد المسير (١/ ٣٩١)

(٣) أنظر الدر المصون (٣/ ١٨٦) وما بعدها .

(٤) الحجة لأبى على (٣/ ٤٣) ، ولابن زنجلة ص : (١٦٤) ، والكشف (١/ ٣٤٤) ، والنشر (٢/ ٢٤٠)

(٥) المائدة (١١٠)

(٦) الحجة (٣/ ٤٤) بمعناه .

(٧) الزجاج فى معانى القرآن (١/ ٤١٣)

ابن عباس : " أخذ طينا فصنع منه خفّاشا ، ونفخ فيه ، فإذا هو يطير " . ويقال لم يخلق سوى الخفّاش . قال أبو سعيد الخدرى : " قال لهم عيسى : ماذا تريدون ؟ قالوا : الخفّاش . فسألوه أشدّ الطير خلقا ، لأنه يطير بغير ريش " (١) . وقال وهب " كان الذى صنعه عيسى ، يطير ما دام الناس ينظرونه ، فاذا غاب عنهم سقط ميّتا ليتميز فعل الخلق (١٧/ب) من فعل الخالق " (٢) . قرأ نافع هنا وفى المائدة ﴿ فيكون طائرا ﴾ (٣) على معنى : فيكون ما أخلق طائرا . قوله : ﴿ فأبرىء الأكمه ﴾ وهو الذى يولد أعمى . وقيل : " هو الأعمى مطلقا " . وقد قيل : لم يولد فى هذه الأمّة أكمه سوى قتادة بن دعامة السّدوسى ، صاحب التفسير . ﴿ والأبرص ﴾ الذى به وضح ، وكان الغالب عليهم طلب الطب ، فأيد الله حجّته ، وشيّد معجزته بأن أبرأ على يديه ما لا يقدر حذاق الأطباء عليه . قال وهب : " ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى اليوم الواحد خمسون ألفا ، وإنّما كان يداويهم بالدعاء " (٤) . قوله : ﴿ وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ قال المفسرون : أحيى أربعة أنفس عازر وكان صديقا له ، أحياه بعد ثلاثة أيام ، وابن العجوز أحياه بعد أن حمل على نعشه ، فرجع الى بيته حاملا نعشه وابنه عشار ، وسام بن نوح . قال ابن عباس : بقى الأربعة حتى ولد لهم إلّا سام بن نوح . وروى أن عيسى دعاه باسم الله الأعظم فخرج سام من قبره فقال : قد قامت القيامة ؟ فقال

---

(١) زاد المسير (١/ ٣٩٢)

(٢) تفسير الثعلبى (٣/ق ٥٢/أ) ، والبغوى (١/ ٣٠٣) ، وزاد المسير (١/ ٣٩٢)

(٣) الحجة لأبى على (٣/ ٤٤) ، ولابن ونجلة ص : (١٦٤) ، والكشف (١/ ٣٤٥) ، والنشر (٢/ ٢٤٠)

(٤) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٣٢) ، والثعلبى (٣/ق ٥٢/ب) ، والبغوى (١/ ٣٠٣) ، وزاد المسير (١/ ٣٩٢)

عيسى : لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ، ثم قال له مت ، قال سل الله أن يعيذني من سكرات الموت فدعا الله ففعل . قال ابن السائب : كان عيسى يحيي الأموات (١) (١٨/أ) بياحي يا قيوم .

قوله ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم - ٤٩ ﴾ قال سعيد بن جبير (٢) كان عيسى في المكتب يقول للغلام : إنّ أهلك قد هيؤا لك كذا وكذا . وقيل : (٣) ما تأكلون من المائدة ، وما تدخرون منها ، والأصل في تدخرون تذتخرون تفتعلون من الذخر ، ولكن الدال حرف مجهور والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرف يشبه الذال في جهرها وهو الدال ، فصارت تذدخرون ثم أدغمت الذال في الدال .

قوله ﴿ ومصدقا ﴾ أي : وجئتكم مصدقا . فإن قيل : هل يجوز أن يكون عطفا على وجيها ورسولا ؟ قلت : يمنعه من ذلك قوله : ﴿ لما بين يدي ﴾ ولم يقل لما بين يديه .

﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ .

قال أبو عبيدة (٤) : معناه : كل الذي حرم عليكم .

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٥٢/ب - ٥٣/أ) ، والبغوي (١/ ٣٠٣-٣٠٤) وعرائس المجالس للثعلبي ص (٣٩٣)
وانظر زاد المسير (١/ ٣٩٢) . وهذا من أخبار أهل الكتاب ، التي لا يجزم باثباتها ولا ردها ، ولا يجوز أن يفسر بها كلام الله ، بل يجب أن يصان عن مثلها .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (ق ١/ ١٢/ب) ، وابن جرير (٦/ ٤٣٣) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٤) ، عن سعيد بن جبير . وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٥٣/أ) ، والبغوي (١/ ٣٠٤) عن السدي

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/ ٤٣٥-٤٣٦) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٤) وهذا التخصيص لا موجب له ، بل يجب التمشي مع النص ، وهو العموم لأن "ما" اسم موصول ، وهي من صيغ العموم .

(٤) مجاز القرآن (١/ ٩٤) .

وأنكر ذلك عليه أبو اسحاق [(١)] ، لأن بعضا لا يكون بمعنى كل ، ولا أحلّ لهم كل الذى حرّم عليهم . [(٢)] قال قتادة : كان موسى حرم عليهم الابل ، والشّروب وأشياء من الطير ، فأحلّها عيسى . [(٣)]

ثم برهن على النبوة بقوله ﴿ وجئتكم بآية من ربكم - ٥٠ ﴾ ثم نفى البنوة بقوله : ﴿ إنّ الله ربى وربكم ﴾ ثم أمرهم بالتوحيد ، بقوله : ﴿ فاعبدوه هذا ﴾ (١٨/ب) إشارة الى ما قدم ذكره ﴿ صراط مستقيم - ٥١ ﴾ طريق مستو يفضى بكم الى الجنة .

---

(١) هو الزجّاج .

(٢) أنظر معانى القرآن (١/٤١٥) ، وهو كما قال الزجّاج ، فإن بعضا لا تكون بمعنى كل فإنّه من المعلوم أن عيسى لم يحل لهم كل المحرمات كالشرك والزنا والسرقة ونحوها . وإنما أحل لهم بعض الطيبات التى حرمت على بنى اسرائيل عقوبة لهم ، كما فى قوله تعالى " وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنّا لصادقون " الأنعام (١٤٦) .

وقال النحاس فى معانى القرآن (١/٤٠٣) : وهذا القول - يعنى قول أبى عبيدة - غلط عند أهل النظر من أهل اللغة ، لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل أهـ .

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/٤٣٩) ، وعبد بن حميد قاله السيوطى فى الدر المنثور (٢/٢٢٢) .

والشّروب جمع شرب وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء القاموس مادة " شرب " (١/٤٢) .

قوله ﴿ فلمّا أحس عيسى منهم الكفر ﴾ (١) أى : علمه منهم علما (٢) لا لبس فيه كعلم ما يدرك بالحواس ، اللائى هى احدى مدارك اليقين .

تقول : أحسست بالشيء . وحسست به ، فهو محس ، وقول الناس : محسوس خطأ .

﴿ قال من أنصارى الى الله ﴾ قال الأكثرون " الى بمعنى " مع " كقوله : ﴿ الى المرافق ﴾ (٣) . والعرب تقول : الذود الى الذود ابل (٤) .

وقيل المعنى : من أنصارى الى أن أبين أمر الله .

---

(١) كتب مقابلها : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا ثانيا .

(٢) قاله الزجاج (١/ ٤١٦) ، والفراء (١/ ٢١٦) ، وابن جرير (٦/ ٤٤٢) وغيرهم .

(٣) المائدة (٦) ولفظها " ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق " الآية ، وكقوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم " النساء (٢) .

(٤) وهذا القول مروى عن ابن جريج والسدى ، ذكر ذلك ابن جرير (٦/ ٤٤٤) قال الفراء فى معانى القرآن (١/ ٢١٨) : وهو وجه حسن أ هـ .
ونسبه ابن هشام فى المغنى (١/ ٧٠) للكوفيين وجماعة من البصريين وتبعه ابن عقل في التسهيل (٢/ ٢٥٤) وانكر هذا جماعة من أهل اللغة كالزجاج ، والنحاس ، والعكبرى
قال النحاس فى معانى القرآن (١/ ٤٠٥) : وهذا القول عند أهل النظر لا يصح أ هـ .
وقال العكبرى فى اعراب القرآن (١/ ٢٦٤) : لا تصح أن تكون بمعنى مع ، ولا قياس يعضده أ هـ .
وتحرير المسألة : أن العرب اذا أرادت ضم الشيء الى الشيء مما لم يكن معه تجعل " الى " بمعنى " مع " .
أما اذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح أن تجعل مكان " مع " كما ذكر المؤلف فى المثل " الذود الى الذود ابل " .
والذود : من الثلاث الى العشر وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها أ هـ . من الصحاح (٢/ ٤٧٠) .

وقيل " إلى " تتعلق بمحذوف ، حالا من الياء ، أى من أنصارى ذاهبا الى الله ملتجئا اليه[١] . قال ذلك حين كفروا به ، وهموا بقتله .

﴿ قال الحواريون ﴾ أصل التحوير : التنظيف والإخلاص ، ومنه الدقيق الحوارى[٢] لنظافته وخلوصه ، والحواريات : الحواضر من النساء سمين بذلك لنظافتهن عن قشف البوادى .

قال الزّجّاج : الحذاق باللغة يقولون : الحواريون صفوة الأنبياء الذين أخلصوا فى التصديق بهم ونصرتهم[٣] .

ومنه قوله ـ عليه السلام ـ[٤] : " الزبير ابن عمتى حواريىٌ من أمتى "[٥] .

قال ابن عباس : الحواريون أصفياء عيسى ـ عليه السلام ـ ، قال : وكانوا إثنى عشر رجلا ، يصطادون السمك .

---

(١) قاله الزمخشرى فى الكشاف (١ / ١٩١) .

(٢) أى الأبيض الخالص .

(٣) معانى القرآن (١ / ٤١٧) ، وقوله " صفوة الأنبياء " هذا يوهم أن الحواريين من الأنبياء ، وليس كذلك ، فالأولى أن يقال صفوة أصحاب الأنبياء .

(٤) هذه طريقة المتقدمين فى عصر الشافعى وقبله يكتفون بذكر الصلاة أو السلام عند ذكر النبى صله الله عليه وسلم ،
وقد شدد فيها المتأخرون ، فقالوا ينبغى المحافظة على كتابة الصلاة والتسليم ، وقد ثبت عن الإمام أحمد أنه كان لا يكتب الصلاة أهـ . ملخصا من مقدمة الرسالة للشافعى بقلم أحمد شاكر ص : (٢٥) .

(٥) أخرجه الامام أحمد فى المسند (٣ / ٣١٤) ، بسند صحيح .

وقال فى رواية أخرى : كانوا قصارين ، يحورون الثياب[1] (١٩/أ) أى : يبيضونها .

وقال ابن المبارك : سمو حواريين لأنهم كانوا ربانيين ، عليهم أثر العبادة ونورها ، وحسنها ، قال الله تعالى : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾[2] .

وحكى ابن الأنبارى : أنهم المجاهدون ، وأنشدوا :

١٤ - ..... ونحن حواريون حين نزاحف[3]

وقد سبق إنشاد البيتين عند قوله ﴿ فمن خاف من موص جنفا ﴾[4]

﴿ نحن أنصار الله ﴾ أى أنصار دينه ورسوله ، ﴿ آمنّا بالله واشهد ﴾ ياعيسى أو يا ربنا ﴿ بأنّا مسلمون - ٥٢ ﴾

﴿ ربّنا آمنّا بما أنزلت ﴾ يعنون الانجيل ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين - ٥٣ ﴾ أى أثبت أسماءنا مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق ، قال ابن عباس : هم محمد وأمته[5] .

---

(١) ابن أبى حاتم (٢ / ٢٩١) ، والثعلبى (٣/ق٥٥/أ) ، وزاد المسير (١ / ٣٩٤) ، وانظر الدر المنثور (٢ / ٢٢٣) ، والقصارون : جمع قصار ، وهو الذى يغسل الثياب .

(٢) الفتح (٢٩) ، وانظر تفسير الثعلبى (٣/ق٥٦/أ) ، والبغوى (١ / ٣٠٦) .

(٣) هذا عجز بيت شطره : ونحن أناس يملأ البيض هامنا .
ولم أعثر على قائله ، وهو فى زاد المسير (١ / ٣٩٤) ، والدر المصون (٣ / ٢١٠) .

(٤) البقرة (١٨٢) .

(٥) تفسير ابن أبى حاتم (٢ / ٢٩٤) ، ومعجم الطبرانى الكبير (١١ / ٢٧٩) وزاد السيوطى فى الدر (٢ / ٢٢٣) ، نسبته الى الفريابى

قوله : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ ، المكر الاحتيال ، والخديعة . قال ابن عباس عامة بني إسرائيل كفروا بعيسى ، وهموابقتله إغتيالا فجازاهم الله على مكرهم فرفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من دلّهم عليه ، فصلب[1].

قال رجل للجنيد[2] : كيف رضى المكر لنفسه ، وقد عاب به غيره ، فقال : ما أدرى ما تقول ، ولكن أنشدتنى فلانة الطنبرانية[3] :

١٥ - فديتك قد جبلت على هواكا ∴ فنفسى لا تنازعنى سواكا (٨٩/ب)

١٦ - أحبك لا ببعضى بل بكلى ∴ وان لم يُبْقِ حُبُّك بى حِراكا

١٧ - ويقبح من سواك[4] الفعل عندى ∴ وتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال الرجل أسألك عن آية من كتاب الله ، وتجيبنى عن شعر فلانة الطنبرانية فقال : ويحك قد أجبتك إن كنت تعقل ، إن تخليته إياهم مع المكر به ، مكر منه بهم[5] ﴿ والله خير الماكرين - ٥٤ ﴾ ، أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا[6]

(=) وعبد بن حميد وبن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه ، قال ابن كثير فى التفسير (١/ ٣٦٥) بعد سياق سند بن أبى حاتم : وهذا اسناد جيد.

(١) زاد المسير (١/ ٣٩٥) ، وانظر ابن جرير (٦/ ٤٥٤) .

(٢) الجنيد بن محمد الخزاز أبوالقاسم القواريرى ، الزاهد المشهور شيخ الصوفية ، وأحد العارفين ، توفى ببغداد سنة ثمان وتسعين ومائتين حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٢٤١) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٣) .

(٣) فى تفسير الثعلبى : الطبرانية .

(٤) وقوله : " ويقبح من سواك الفعل ، البيت هذا ليس بصحيح ، فإن الفعل القبيح لا يحسنه فعل أحد ، فهو قبيح فى نفسه ، وليس قبيحا بمتعلقه .

(٥) تفسير الثعلبى (٣/ ق ٥٧/ أ - ب) .

(٦) المكر من الصفات التى تحتمل مدحا وذما ، فلا يوصف الله تعالى بها الا مقيدة ، كالكيد والاستهزاء ونحوهما فإن الله تعالى يمكر ويستهزئ = =

قوله تعالى : ﴿ إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ﴾ اذ ظرف لـ ﴿ خير الماكرين ﴾ أو لـ ﴿ مكر الله ﴾ قال ابن قتيبة : التوفى من استيفاء العدد يقال : توفيت واستوفيت .

قال الحسن ، وابن جريج ، وابن قتيبة ، والفراء فى آخرين : المعنى إنى قابضك وافيا تاما ، من غير أن تنال اليهود منك شيئا (١) .

﴿ ورافعك ﴾ من الدنيا ﴿ إلىّ ﴾ من غير موت .

وقال الربيع بن أنس : المعنى انى منيمك ، ورافعك الىّ فى نومك (٢) .

من قوله : ﴿ وهو الذى يتوفكم بالليل ﴾ (٣) .

وقال بعض أهل المعانى : إنى متوفيك عن شهواتك ، وحظوظ نفسك (٤) .

قال وهب بن منبه : كساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فصار ملكيا إنسيا ، سمائيا أرضيا . فعلى هذه الأقوال (٢٠ / أ) الكلام على نظمه . وروى عن ابن عباس أنه قال : إنى متوفيك ، أى مميتك (٥) . ثم

(=) ويكيد بمن فعل به هذا ، وأما الصفات التى هى ذم مطلقا كالظلم والخيانة فلا يوصف الله بها ألبتة . ولهذا قال تعالى " وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم " الأنفال (٧١) ، ولم يقل : فقد خانوا الله من قبل فخانهم .

وانظر مجموع الفتاوى (٧ / ١١١) ، ومختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٤) وكلام الله تعالى لا يجوز تفسيره بشعر الطنبرانية هذه .

(١) تفسير ابن جرير (٦ / ٤٥٦) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٦) ومعانى القرآن للفراء (١ / ٢١٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦ / ٤٥٥) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٢٩٦) .

(٣) الأنعام (٦٠) .

(٤) نسبه الثعلبى فى تفسيره (٣ / ق ٥٩ / ب) الى أبى بكر الواسطى . وليس بشىء فإنه خلاف ظاهر النص ، والمعهود من الخطاب .

(٥) تفسير ابن جرير (٦ / ٤٥٧) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٢٩٥) .

ثم اختلف فيه على قولين :

أحدهما : أنه على نظمه أيضا ، قال وهب : توفاه الله ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه .

الثاني : أن في الكلام تقديما وتأخيرا معناه اني رافعك الىّ ومطهرك ومتوفيك بعد انزالك من السماء (١) . وتكون الحكمة في اعلامه بوفاته بعد انزاله من السماء تعريفه أن رفعه الى السماء غير عاصم له من الموت المحتوم على أولاد آدم . قوله ﴿ ورافعك الىّ ﴾ قال سعيد بن المسيب : رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (٢) . وقال غيره : حملت به مريم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أورى سلّم (٣) لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل ، وأوحى اليه على رأس ثلاثين سنة .

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٦ / ٤٥٨) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢ / ٢٩٧) عن قتادة .
وأقرب هذه الأقوال للصواب هو أن معنى متوفيك : أي قابضك من الاستيفاء وهو القبض كما قاله جماعة من أهل اللغة ، وهو اختيار ابن جرير اذ لو كان معناه الموت لم يكن من الاخبار به فائدة لأنه أمر يشترك فيه جميع المخلوقات يتوفاها الله تعالى .

(٢) أخرجه ابن سعد وأحمد في الزهد والحاكم قاله السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٢٢٦) .

(٣) بالضم ثم السكون وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وشين معجمة وتشديد اللام هو اسم لبيت المقدس بالعبرانية ، معجم البلدان (١ / ٢٧٩) .

ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين ، فكانت نبوته ثلاث سنين (١) . قال مقاتل : رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان (٢) ، وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين (٣) ولما صلب شبهه جاءت مريم تبكي عنده ، فجاءها عيسى فقال : علام تبكين ؟ قالت : عليك ، فقال : ان الله رفعني ، ولم يصبني الا خير ، وان هذا شيء شبّه لهم (٤) . قال وهب : طرقوا عيسى (٢٠ /ب) في بعض الليل ليصلبوه ، فلما أرادوا صلبه أظلمت الأرض ، فأرسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم ، وصلبوا مكانه رجلا يقال له يهوذا ، وهو الذي دلّهم عليه وذلك أن عيسى عليه السلام جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال : ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ، ويبيعني بدراهم يسيرة ، فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبهم فأتى الحواري الى اليهود فقال : ما تجعلون لي ان أنا دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما ، فأخذها ودلهم عليه ، فألقى الله عليه شبه عيسى لما دخل البيت ورفع عيسى ، فأخذ الذي دلهم عليه ، فقال : أنا الذي دللتكم عليه ، فلم يلتفتوا الى قوله وقتلوه وصلبوه ، وهم يظنون أنه عيسى (٥) .

---

(١) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص (٤٠٢ - ٤٠٣) ونسبه الى التوراة.

(٢) تفسير مقاتل (١٧٣/١) ، ومن المعلوم أن ليلة القدر مما خصت بها هذه الأمة ، ولم تكن موجودة في الأمم السابقة .

(٣) زاد المسير (٣٩٧/١) .

(٤) تفسير ابن جرير (٣٦٩/٩) .

(٥) تفسير ابن جرير (٣٦٨/٩ - ٣٦٩) ، وزاد في الدر المنثور (٧٢٩/٢) نسبته الى عبد ابن حميد والثعلبي في تفسيره (٣/ق٥٧/ب -٥٨/أ) ، وفي عرائس المجالس ص (٤٠٠) ، والبغوي (٣٠٧/١) ، أما محاولة صلب عيسى ، والقاء الشبهة على غيره فهذا أمر ثابت بالقرآن ، وما ذكره المفسرون زائدا على هذا ، فهو من الاخبار التي لا يعلم صدقها من كذبها ، فيجب التوقف فيها ، حتى يتبين حالها .

قوله ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أى مخرجك من بين أظهرهم ، فانهم أرجاس ﴿ وجاعل الذين اتبعوك ﴾ ، قال ابن زيد : هم النصارى ﴿ فوق الذين كفروا ﴾ وهم اليهود ، فاليهود مقهورون مستذلون .(١)

وأنكر هذا القول حذاق العلماء ، وقالوا : والله ما اتبعه من ادعاه ربا . قال قتادة والربيع(٢) والشعبى فى آخرين : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك ﴾ ، هم أمة محمد ، لأنهم صدقوا بنبوته ، وأنه روح الله وكلمته .(٣) وعلى قول ابن زيد : معنى المتابعه لعيسى : محبته والميل اليه . (٢١ / أ)

﴿ فوق الذين كفروا ﴾ بالبراهين والحجج ، أو بالعزّ والغلبة .(٤)

﴿ ثم الىّ مرجعكم ﴾ هذا رجوع من المغايبة الى المخاطبة .

﴿ فأحكم بينكم - ٥٥ ﴾ حكم مجازاة ، والا فقد حكم بينهم بالحجج والبراهين وبيان الحق من الباطل ، الا تراه يقول : ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا ﴾ بالقتل والسبى والنفى والجزية والعار ﴿ والآخره - ٥٦ ﴾ بالنار . ﴿ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم - ٥٧ ﴾ قرأ حفص فيوفيهم بالياء ، وهى قراءة الحسن ، حملا على ما قبله من لفظ الغيبة فى قول الله ﴿ اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ﴾ وقرأ الباقون فنوفيهم بالنون على الاخبار عن الله تعالى .(٥)

---

(١) تفسير ابن جرير (٦ / ٤٦٣) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦ / ٤٦٢) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٢٩٩) ، واسناده حسن .

(٣) تفسير الثعلبى (٣ / ق ٦٠ / أ) ، والبغوى (١ / ٣٠٩) .

(٤) أو هما معا .

(٥) الحجة لأبى على (٣ / ٤٥) ، ولابن زنجله ص (١٦٤) ، والكشف (١ / ٣٤٥) ، والنشر (٢ / ٢٤٠) .

﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما سبق من خبر عيسى وغيره ، وهو مبتدأ خبره ﴿ نتلوه عليك ﴾ ﴿ من الآيات ﴾ خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون " ذلك " منصوب بمضمر يفسره " نتلوه " .

﴿ من الآيات ﴾ وهى الدلالات على صدقك ، وصحة نبوتك ، ﴿ والذكر الحكيم - ٥٨ ﴾ هو القرآن المحكم فى نظمه ، ومعانيه . وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ : وهو درة بيضاء معلقة بالعرش . وقد روى عن الحسن البصرى قال : " جاء راهبا نجران الى رسول - الله صلى الله عليه وسلم - فعرض عليهما الاسلام ، فقالا : انّا قد أسلمنا قبلك ، قال : كذبتما ، يمنعكما من ذلك ثلاث :

١ - أكلكما الخنزير

٢ - وعبادتكما الصليب

٣ - وقولكما لله ولد

قالا : فمن أبو عيسى ؟ (٢١ /ب) فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ انّ مثل عيسى عند الله ﴾ الى قوله : ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ .

والمعنى : ان مثل عيسى عند الله فى الخلق ، والانشاء من غير أب وايجاده ايجادا خارقا للعادة ، كمثل آدم ، وكون آدم خلق من غير أبوين لا يمنع من

---

(١) كتب مقابلها : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا سادسا مرة ثانية .

(٢) والأول أحسن ، لأنه لا يحتاج الى تقدير . وانظر التبيان (١ / ٢٦٦) والدر المصون (٣ / ٢١٦) .

(٣) أى اللوح المحفوظ .

(٤) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص (٩٨ - ٩٩) ، وعزاه السيوطى فى لباب النقول ص (٥٢) الى ابن أبى حاتم ولم أجده فى المطبوع .

تشبيه عيسى به ، فى أحد الطرفين اذ المماثلة لا تقتضى المشاركة من كل وجه وفى ضمن تمثيل عيسى بآدم قطع لحجة الخصم بأبلغ الطرق ، حيث اعتقد استحقاق عيسى للالهية بايجاده من غير أب ، فأورد عليه ما هو أعجب من عيسى وهو آدم .

وبلغنا أن بعض العلماء أسرته الروم ، ففاوضوه يوما فى ذكر عيسى ، فقال : لم تعبدونه ؟ فقالوا : لأنه لا أب له ، قال : فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا : كان يحيى الموتى ، قال : فحزقيل أولى ، لأن عيسى أحى أربعة أنفس وحزقيل أحى ثمانية آلاف ، قالوا : فكان يبرىء الأكمه والأبرص ، قال : فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما (١) .

قوله : ﴿ خلقه من تراب ﴾ يعني صوره وقدره جسدا من طين ، لا روح فيه " ثم قال له " أى لآدم ، وقيل لعيسى (٢) ، ﴿ كن فيكون - ٥٩ ﴾ أى فكان وقد قررنا مثل ذلك (٣) فى قوله ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ (٤) .

﴿ الحق من ربك ﴾ أى هذا الحق من ربك ، أو أتاك الحق ، أو هو مبتدأ وخبر . ثم خاطب المؤيد (٢٢ / أ) بالعصمة بالنهى عن الامتراء : وهو الشك

---

(١) لم أجد هذه القصة فى شىء من الكتب ، وفى بعض أجوبة هذا العالم نظر فان عيسى - صلى الله عليه وسلم - أعطاه الله القدرة على احياء الموتى باذنه وليس محصورا بأربعة .

(٢) الأول هو الصواب ، وهو أن الضمير يعود على آدم ، لأن الكلام فيه " خلقه من تراب ثم قال له " وعيسى ليس كذلك ولكنه خلق بالكلمة .

(٣) يعنى به ارادة الماضى بالمستقبل ، " ما تتلوا الشياطين " أى ما تلت .

(٤) البقرة (١٠٢) .

فيما جاءه من الأنباء ، لينبه الغافل ، ويثبت العاقل .

فقال : ﴿ فلا تكن من الممترين - ٦٠ ﴾ (١) ، قوله : ﴿ فمن حاجك فيه ﴾ أى فى عيسى ، وقيل فى الحق (٢) .

﴿ فقل تعالوا ﴾ قال الفراء : أصلها من العلو ، ثم ان العرب لكثرة استعمالهم اياها صارت عندهم بمنزلة " هلم " حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرف : تعال ، أى : اهبط (٣) . وقرأ الحسن : تعالُوا بضم اللام (٤) والأصل فيه : تعاليوا ، تفاعلوا من العلو ، فاستثقلوا الضمة على الياء فأسكنوها ثم حذفوها وبقيت اللام على فتحها (٥) . ومن ضمّ نقل حركة الياء المحذوفة الى اللام .

﴿ ندع أبناءنا ﴾ أى يدع كل منى ومنكم ، وأبناؤه صلى الله عليه وسلم فاطمة وابناها (٦) . ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ يعنى نفسه الكريمة (٧) .

---

(١) فى الأصل " فلا تكونن " وهو خطأ .

(٢) والأول أظهر ، لما جاء فى سبب نزول الآية ، أن المحاجة كانت فى عيسى

(٣) لم أجده فى معانى القرآن ، وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١ / ٣٩٩) .

(٤) اعراب القراءات الشواذ (ق ٤٣ / أ) ، وهى قراءة شاذة .

(٥) التبيان فى اعراب القرآن (١ / ٢٦٧ - ٢٦٨) .

(٦) وهما الحسن والحسين رضى الله عنهما .

(٧) وهذا هو الصواب كما سيأتى فى حديث سعد فى صحيح مسلم .

قال الامام أبو الفرج ابن الجوزى رحمة الله عليه ، فى قوله : ﴿ وأنفسنا ﴾ خمسة أقوال :

أحدها : أنه أراد على بن أبى طالب ، قاله الشعبى ، والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه .

والثانى : أنه أراد الاخوان ، قاله بن قتيبه (١) .

والثالث : أراد أهل دينه ، قاله أبو سليمان الدمشقى .

والرابع : أراد الازدواج .

والخامس : القرابة القريبة (٢) .

وفى صحيح مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ تعالوا ندع أبناءنا (٢٢/ب) وأبناءكم ﴾ دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : " اللهم هؤلاء أهلى " (٣) .

قال العلماء بالتفسير : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله وفد نجران ، الى المباهلة (٤) ، وخرج رسول الله محتضنا الحسين ، آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه ، وعلىّ خلفها ، وهو يقول : اذا أنا دعوت فأمّنوا .

فقال أسقف نجران (٥) : يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا عن مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى الى يوم القيامة .

---

(١) تفسير غريب القرآن ص (١٠٦) ، وهذا غريب ، فان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس له اخوان ، كما له أبناء عم .

(٢) زاد المسير (٣٩٩/١) ، ونسبها للواحدى ، والقول الرابع لا يصح لأن الأزواج لسنا من النفس ، وانما هن من النساء .

(٣) صحيح مسلم (١٨٧١/٤) .
كتاب فضائل الصحابة ، وفى هذا الحديث غنية عن الأقوال المتقدمة لتصريحه بالمدعويين .

(٤) أى الملاعنة وهى أن يدعو كل واحد من الفريقين على الظالم منهما .

(٥) الأسقف : رئيس النصارى فى الدين ، أعجمى تكلمت به العرب أ هـ . من اللسان مادة سقف (١٥٦/٩) .

ثم قبلوا الجزيـة ، وصالحوا رسول الله أن يؤدوا اليه فى كل سنة ألفى حـلة وثلاثين درعا من حديد ، عاريـة مضمونـة ، وانصرفوا ، فقال رسول اللـه : والذى نفسى بيده ان العذاب قد تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازيـر ، ولاضطرم الوادى عليهم نارا ، ولاستأصل الله نجران وأهلـه حتى الطير على الشجـر ، ولَمَا حال الحول على النصارى حتى هلكوا .(١)

﴿ ثـم نبتهـل - ٦١ ﴾ نفتعل من البُهلة بضم الباء وفتحها وهى اللعنـة ويكون الابتهال بمعنى الدعـاء والتضرع ، فالمعنى نجتهـد فى الدعـاء علـى الكاذب . والمعنيان مرويـان عن ابن عبـاس .(٢)

قوله (٢٣ / أ) : ﴿ إنّ هـذا ﴾ يعنى الذى أوحاه اليه ﴿ لهـو القصـص الحـق ﴾ .

هـو : فصل ،(٣) وجاز دخول اللام عليها - وهى فصل - لأنها أقرب الى المبتدأ(٤) من الخبر .

والخبر تدخل عليه اللام التى أصلها للمبتدأ ، فدخولها على ماهو أقرب أولى .

---

(١) أصل هذا الخبر فى الصحيحين من حديث حذيفة ، أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ، باب قصة أهل نجران (٥ / ٢١٧) ، ومسلم ، كتـاب الفضائل (٤ / ١٨٨٢) ، وأخرجه ابن أبى شيبه فى المصنف (١٤ / ٥٤٩) عن الشعبى مرسلا .
ولفظ المؤلف ذكره الثعلبى فى التفسير (٣ / ق٥٧ / ب) ، والبغـوى (١ / ٣١٠) وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٣٦٩) ، والدر المنثـور (٢ / ٢٣٠) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم (٢ / ٣١٤) ، وانظر تفسير البغوى (١ / ٣١٠) .

(٣) أى ضمير فصل ، وانظر الكلام عليه فى المغنى لابن هشام (٢ / ١٠٤) .

(٤) أى الجملـة .

أو يقال : " لهـو " مبتـدأ ، القصص خبره ، والجملة خبر " انّ " .

﴿ وما من اله الاّ اللـه ﴾ رد على النصارى ، وتكذيب لهم فى اعتقادهم التثليث . ودخلت " من " هنا توكيدا للنفى (١) .

﴿ واله ﴾ فى موضع رفع بالابتداء ، والخبر ﴿ الا اللـه - ٦٢ ﴾

﴿ فان تولوا ﴾ أعرضوا عن المباهله ، أو عن هذا البيان الواضح ﴿ فان اللـه عليـم بالمفسـدين - ٦٣ ﴾ فيستحقون مضاعفة العذاب ، مضافا الى العـذاب المستحق بسبب الكفر ، ويشهد لذلك قوله : ﴿ زدناهم عذابا فوق العـذاب بما كانوا يفسدون (٢) ﴾ .

قوله : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة ﴾ وهى ﴿ لا اله الاّ الله ﴾ ولعمرى انها كلمات ، ولكن العرب تسمى الكلام المشتمل على شرح قصة كلمة واحدة ، وقد سبق ذكره .

﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أى عدل بيننا وبينكم ، وكذلك هى فى قراءة ابن مسعود (٣) .

قال الزجاج : " يقال للعدل : سواء وسوى وسوّى " (٤) .

قال زهير بن أبى سلمى (٥) :

---

(١) ذكر هذا الزجاج فى معانى القرآن (١/ ٤٢٤) .

(٢) النحل (٨٨) .

(٣) لم أجد هذه القراءة

(٤) معانى القرآن (١/ ٤٢٥) .

(٥) هو زهير بن ربيعة المزنى ، شاعر جاهلى ، أحد أصحاب المعلقات ، الشعر والشعراء ص (٦٩) .

١٨ - أرونى خطة لا ضيم فيها

يسوى بيننا فيها السواء (٢٣/ب)

١٩ - فان نزل السواء فليس بيني

وبينكم بني حصن بقاء (١)

فالمعنى : هلموا الى كلمة عادلة ، مستوية بيننا وبينكم ، لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن .

وقرأ الحسن البصرى : " سواءً " بالنصب على معنى استوت سواء (٢) .

﴿ أن لا نعبد ﴾ بدل من " كلمة " ، أو فى موضع رفع على معنى هى ﴿أن لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ كما اتخذتم عيسى وعزيرا ، وهم بشر مثلنا ، أو لا نطيع الأحبار فى ما حرموا وحللوا من غير شريعة ، كما قال : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ (٣) ، ﴿ فان تولوا ﴾ أعرضوا عن التوحيد ، وعن ما أتيتهم به من الهدى والبيان ﴿ فقولوا ﴾ على وجه التضليل لآرائهم ، والتقريع لهم ﴿ اشهدوا ﴾ اعلموا ، وأعلموا من وراءكم ﴿ بأنا مسلمون - ٦٤ ﴾ مستسلمون منقادون للحق ، اذ تعاصيتم عليه ، ونكصتم عنه . وبهذه الآية العظيمة دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قيصر ملك الروم الى الاسلام حين كتب اليه يقول : من محمد رسول الله الى قيصر عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله

---

(١) ديوانه ص (٢١) ، وفيه " أرونا سنة " بدل أرونى خطة .

(٢) اعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٣٩) ، واعراب القراءات الشواذ للعكبرى (ق ٤٣/أ) .

(٣) التوبة (٣١) .

أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الأريسيين (١) ، و ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم (٢٤/أ) أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢) .

قوله عز وجل : ﴿ يا أهل الكتاب لما تحاجون فى ابراهيم ﴾ (٣) قال ابن عباس اجتمع عند النبى -صلى الله عليه وسلم أحبار اليهود ، ونصارى نجران ، فقال هؤلاء : ما كان ابراهيم الا يهوديا ، وقال هؤلاء : ما كان الا نصرانيا فنزلت هذه الآية (٤) .

﴿ وما أنزلت التوراة ﴾ التى حدثت اليهودية بعد نزولها ﴿ والانجيل ﴾ الذى نزلت النصرانية بعد نزوله ﴿ الا من بعده ﴾ أى من بعد موت ابراهيم بدهر طويل فبين ابراهيم وموسى نحو من ستمائة سنة ، وبين موسى وعيسى ألف وثمان مائة سنة (٥) .

---

(١) الأريسيون : جمع أريسى وهم : الفلاحون ، والمراد فان عليك اثم الضعفاء والأتباع من رعيتك ، لأنهم انما ضلوا بسببك ، أنظر غريب الحديث للخطابى (١/٤٩٩ - ٥٠٠) .

(٢) الحديث فى الصحيحين ، أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى من صحيحه (١/٧) ومسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣/١٣٩٦) .

(٣) فى الأصل : "قل يا أهل الكتاب" وهو خطأ .

(٤) تفسير ابن جرير (٦/٤٩٠) ، وفى سنده محمد بن أبى محمد وهو مجهول ، ولباب النقول ص : (٥٣) ، والدر المنثور (٢/٢٣٥) .

(٥) دعوى أن بين ابراهيم وموسى نحو من ستمائة سنة ، وكذلك الذى بين موسى وعيسى لا دليل عليه ، ولا يمكن الجزم به الا بمستند شرعى .

﴿ أفلا تعقلون - ٦٥ ﴾ استحالة ما ادعيتم ، وقبح ما أتيتم ، فتحجمون عن الجدال بالمحال .

قوله : ﴿ ها أنتم ﴾ قرأ نافع[١] وأبو عمرو[٢] بتليين الهمز مع المد ، وقرأ ابن كثير بالقصر والهمز ، على وزن هعنتم ، وقرأ الباقون بالمد والهمز[٣] وأصله : آانتم فقلبت الهمزة " هاء " ، فعلى هذا هو استفهام في معنى التعجب من جهلهم .

وقيل : " ها " للتنبيه ((أنتم)) مبتدأ ((هؤلاء)) خبره[٤] ((حاججتم)) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى على معنى : أنتم هؤلاء الأشخاص (٢٤ /ب) الحمقى ، وبيان حماقتكم وجهلكم أنكم ﴿ حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ ، وقيل : هؤلاء[٥] (بمعنى الذى ، وحاججتم) صلته ، ﴿ والله يعلم ﴾ دين ابراهيم[٦] ﴿ وأنتم لا تعلمون - ٦٦ ﴾ ذلك .

ثم (وصفه بالحنيفية)[٧] ونزهه عن ما نسبوه اليه من اليهودية والنصرانية فقال : ((ما كان ابرهيم - ٦٧)) الآية .

---

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارئ ، المدنى ، مولى بنى ليث أصله من أصبهان ، وقد ينسب لجده ، مات سنة تسع وستين ومائة . التقريب (٧٠٧٧) .

(٢) زبان بن العلاء بن عمار التميمى ثم المازنى ، أبوعمرو البصرى ، شيخ القراء والعربية ، اختلف فى اسمه اختلافا كثيرا ، توفى سنة أربع وخمسين ومائة . التقريب (٨٢٧١) .

(٣) الحجة للفارسى (٣ / ٤٦) ، ولابن زنجلة ص: (١٦٥) ، والكشف (١ / ٣٤٦) .

(٤) أنظر التبيان للعكبرى (١ / ٢٦٩) ، والدر المصون (٣ / ٢٣٦) .

(٥) ما بين القوسين مطموس بالأصل ، فاستدرك من الكشاف (١ / ١٩٤) .

(٦) والله عز وجل يعلم دين ابراهيم وغيره ، لأن الله عالم بكل شئ وعلمه متعلق بكل شئ ، فهو يعلم ماكان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

(٧) ما بين القوسين بياض بالأصل ، والظاهر أنه هكذا لفظه : وصفه بالحنيفية .

قوله عز وجل : ﴿ انّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه - ٦٨ ﴾

قال ابن عباس : نزلت فى رؤساء اليهود ، حين قالوا للنبى - صلى الله عليه وسلم - : لقد علمت أنّا أولى بدين ابراهيم منك ، انه كان يهوديا ، وما بك الا الحسد (١) .

وقيل : انها نزلت فى مخاصمة جعفر بن أبى طالب ، وعمرو بن العاص عند النجاشى وكان من حديثهم ما رواه أبوصالح (٢) عن ابن عباس ، وعبد الرحمن بن غنم (٣) عن أصحاب رسول الله ، ويونس بن بكير (٤) عن محمد بن اسحاق رفعه دخل حديث بعضهم فى بعض ، قالوا : لما هاجر جعفر بن أبى طالب وأصحابه الى الحبشة ، واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة ، وكان من أمر بدر ما كان ، اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا : انّ لنا فى الذين عند النجاشى من أصحاب محمد ثأرا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا ، وأهدوه للنجاشى لعله يدفع اليكم (٢٥ / أ) من عنده من قومكم ، ولينتدب (٥) لذلك رجلان من ذوى آرائكم ، فبعثوا عمرو

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص : (١٠٠) ، وزاد المسير (١ / ٤٠٣) .

(٢) باذام - بالذال المعجمة ، ويقال آخره نون - أبوصالح ، مولى أم هانى التقريب (٦٣٤) .
قال الكلبى : قال لى أبوصالح : كلما حدثتك كذب أهـ . من أحوال الرجال للجوزانى (٦٣) وقال ابن الجوزى فى الضعفاء (١ / ١٣٥) : كوفى يحدث عن بن عباس ولم يسمع منه أهـ .

(٣) عبد الرحمن بن غنم - بفتح المعجمة وسكون النون - الأشعرى مختلف فى صحبته وذكره العجلى فى كبار ثقات التابعين ، مات سنة ثمان وسبعين التقريب (٣٩٧٨) .

(٤) يونس بن بكير بن واصل الشيبانى ، أبوبكر الجمال ، الكوفى ، محدث مات سنة تسع وتسعين ومائتين . التقريب (٧٩٠٠) .

(٥) قال فى اللسان : وندب القوم الى الأمر يندبهم ندبا : دعاهم وحثهم وانتدبوا اليه : أسرعوا أهـ . مادة ندب ، (١ / ٧٥٤)
فالمعنى : ليسرع لهذا الأمر رجلان .

بن العاص وعمارة ابن أبي معيط [١] معهم الهدايا والأدم وغيره فركبا البحر وأتيا النجاشي فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له : انّ قومنا لك ناصحون وشاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك من هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب ، خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منّا الا السفهاء ، وانّا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فلمّا اشتد عليهم الأمر بعث اليك ابن عمه [٢] ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم ، قالوا : وآية ذلك أنهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ، ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس ، رغبة عن دينك وسنتك .

قال : فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب : يستأذن عليك حزب الله ، فقال لهم النجاشي : مروا هذا الصايح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي : نعم ، فليدخلوا بأمان الله وذمته ، فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال : ألا تسمع كيف يرطنون [٣] بحزب الله ، وما أجابهم به النجاشي (٢٥ /ب) فسآءهما ذلك . ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك ، فقال لهم النجاشي : ما منعكم أن تسجدوا لي ، وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق .

---

(١) عمارة بن عقبة بن أبي معيط القرشي ، أسلم هو وأخواه الوليد وخالد عام الفتح ، أقام عمارة بالكوفة . أسد الغابة (٤ / ١٤٢) والاصابة (٢ / ٥١٦) ، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص : (١٤٠) .

(٢) يعني جعفر بن أبي طالب .

(٣) قال في اللسان : يرطنون بحزب الله أي يكنون ولم يصرحوا بأسمائهم أ هـ .
اللسان مادة " رطن " (١٣ / ١٨١) .

قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك . وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله منا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التى رضيها الله لنا وهى السلام : تحية أهل الجنة ، فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والأنجيل ، قال : أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله " قال جعفر : أنا ، قال : يتكلم ، قال : انك ملك من ملوك الأرض ، ومن أهل الكتاب ، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ، ولا الظلم ، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي ، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر ، فتسمع محاورتنا ، فقال عمرو لجعفر : تكلم ، فقال جعفر للنجاشي : سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار ؟ فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا ، ردّنا اليهم . فقال النجاشي : أعبيد هم ياعمرو أم أحرار ؟ قال : بل أحرارا كرام فقال النجاشي : نجوا من العبودية .

قال جعفر : فسلهما هل أهرقنا دما بغير حق فيقتص منا ؟ فقال عمرو : لا ولا قطرة ، قال جعفر سلهما هل أخذنا (٢٦/أ) أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها ؟ قال النجاشي : يا عمرو ان كان قنطارا فعلىّ قضاؤه . قال عمرو : ولا قيراط ، قال النجاشي فما تطلبون منهم ، قال عمرو : كنا وهم على دين واحد وأمر واحد ، على دين آبائنا ، فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن ، فبعثنا اليك قومنا وقومهم لتدفعهم الينا ، فقال النجاشي : ماهذا

---

(١) أى جعفر بن أبي طالب . رضى الله تعالى عنه .

الدين الذى كنتم عليه ، والدين الذى اتبعتموه ؟ اصدقني ، قال جعفر أما الدين الذى كنا عليه وتركناه فهو دين الشيطان ، وأمره كنا نكفر بالله تعالى ، ونعبد الحجارة . وأما الدين الذى تحولنا اليه : فدين الاسلام جاءنا به من الله رسول كريم ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له ، فقال النجاشي : ياجعفر تكلمت بأمر عظيم ، فعلى رسلك[1] ، ثم أمر النجاشي فضرب الناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب ، فلما اجتمعوا قال : انشدكم بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى ابن مريم صلى الله عليه هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا ؟ قالوا : اللهم نعم قد بشرنا به عيسى بن مريم[2] وقال : من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بي ، فقال النجاشي : يا جعفر هى[3] ؟ بما يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم (٢٦/ب) عنه ؟ قالوا يقرأ علينا كتاب الله ، ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ، ويأمر بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، وبر اليتيم ، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، فقال له : اقرأ على شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت

---

(١) أى : على مهلك ، ومعناها طلب الانتظار .

(٢) ومصداق ذلك من القرآن قوله تعالى : " واذ قال عيسى بن مريم يبنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " الآية . الصف (٦) .

(٣) هى كلمة تعجب ، بمعنى زدني .

والروم ففاضت اعين النجاشي وأصحابه من الدمع ، وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب ؟ فقرأ عليهم سورة الكهف ، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي ، فقال : انهم يشتمون عيسى وأمه ، فقال النجاشي : ما تقولون في عيسى وامه ؟ فقرأ عليهم جعفر سورة مريم ، فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة[1] من سواكه قدر ما تقذى العين فقال : والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ، ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال : اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - يقول آمنون - من سبكم أو آذاكم غرم ، ثم قال : ابشروا ولا تخافوا ، فلا دهورة[2] اليوم على حزب ابراهيم ، فقال عمرو للنجاشي : ومن حزب ابراهيم قال : هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم ، فانكر ذلك المشركون وادعوا في دين ابراهيم ، ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه وقال : انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها ، فان الله ملكني ولم يأخذ (٢٧/أ) مني رشوة ، قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار فأنزل الله تعالى في ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم

---

(١) النفثة والنفاثة، الشظية من السواك تبقى في فم الرجل فينفثها . قاله في اللسان مادة " نفث " (٢/١٩٦) .

(٢) الدهورة : جمعك الشيء وقذفك به في مهواة . كأنه أراد لا ضيعة عليهم ، ولا يترك الله حفظهم ، وتعهدهم ، والواو زائدة . اللسان مادة " دهر " (٤/٢٩٤) .

على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ((إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه)) على ملته وسنته " وهذا النبي " يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ((والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)) (١).

أنبأنا حنبل بن عبد الله بن الفرج بن شعبان أبو علي (٢) ، أخبرنا

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص : (١٠٠) ، والثعلبي في تفسيره والبغوي (١/ ٣١٣) من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والكلبي ليس بثقة ، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس وقد تكلم فيه .
وكذلك هو من طريق محمد بن اسحاق عن الزهري مرسلا ، ومن طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم أخرجه عبد بن حميد ذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٣٧) وشهر بن حوشب متكلم فيه وعبد الرحمن ابن غنم مختلف في صحبته ، ولم يدرك الواقعة ، فروايته مرسلة .

(٢) ويقال له أبو عبد الله ، المُكَبِّر بجامع المهدي الرصافي ، ولد في حدود سنة عشر أو احدى عشرة وخمسمائة ، روى المسند كله عن هبة الله بن الحصين ، قال أبو شامة : كان فقيرا جدا . اهـ قال ابن الدبيثي كان دلالا في بيع الأملاك أسمع المسند بدمشق مرتين ، قال ابن الأنماطي : اجتمع له جماعة لا نعلمها اجتمعت في مجلس سماع قبل هذا بدمشق . اهـ
قال الذهبي : بل لم يجتمع مثلها لأحد ممن روى المسند وتوفي في المحرم سنة أربع وستمائة .
التقييد لابن نقطه (١/ ٣١٦) ومختصر ذيل تاريخ السمعاني لابن الدبيثي ص : (١٧٨) ، وسير اعلام النبلاء (٢١/ ٤٣١) ، والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٥) ، وشذرات الذهب (٥/ ١٢) .

أبو القاسم هبة الله بن الحصين[١] ، أخبرنا أبو علي بن المذهب[٢] ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي[٣] ، أخبرنا عبد الله يعني ابن الامام أحمد ، قال : حدثني أبي ، حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن مسروق ، عن عبد الله[٤] قال

---

(١) هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني ، أبو القاسم البغدادي الكاتب الأزرق ، مسند العراق ، كان دينا صحيح السماع ، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
السير (١٩/٥٣٦) ، والعبر (٢/٤٢٧) ، والنجوم الزاهرة (٥/٢٤٧) ، وشذرات الذهب (٤/٧٧) .

(٢) الحسن بن علي التميمي أبو علي الواعظ ، سمع المسند والزهد لأحمد توفي سنة أربع وأربعين واربعمائة . تاريخ بغداد : (٧/٣٩٠) والتقييد لابن نقطة (١/٢٧٩) ، والعبر (٢/٢٨٥) ، وشذرات الذهب (٣/٢٧١) .

(٣) الشيخ العالم المحدث مسند العراق ، أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي ، أبو بكر القطيعي الحنبلي ، كان يسكن قطيعة الدقيق فنسب اليها ، راوى مسند الامام أحمد وغيره ، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة .
تاريخ بغداد (٤/٧٣) ، وطبقات الحنابلة (٢/٦) ، والمنتظم (٧/٩٢) ، والسير (١٦/٢١٠) .

(٤) رجال سند الامام أحمد هم : عبد الرحمن هو ابن مهدي ، وسفيان هو ابن سعيد بن مسروق الثوري ، وأبو الضحى هو مسلم ابن صبيح ومسروق هو ابن الأجدع الوادعي ، وعبد الله هو ابن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل نبي ولاة من النبيين ، وان ولـيي منهم أبي وخليل ربي . ثم قرأ " ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعـــوه وهذا النبي " الآية .[1]

قوله : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتب - ٦٩ ﴾[2] . قال ابن عباس : نزلت في قول اليهود لمعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر : تركتما دينكما ، واتبعتما دين محمد .[3]

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند (٦ / ٧٠) وليس فيه من مسروق ، وانما هو عن أبي الضحى عن عبد الله ، فهو على هذا منقطع لان ابا الضحى لم يدرك ابن مسعود ، وكذلك أخرجه في موضع آخر (٥ / ٣٠٥) عن وكيع عن سفيان به . هكذا في المطبوع من المسند .
لكن أخرجه الترمذي في الجامع (٥ / ٢٢٣) موصولا عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله ، الا أنه رواه من طريق أبي نعيم ، ووكيـــع كلاهما عن الثوري به ولم يقل عن مسروق ، وقال : هذا أصح مـــن حديث أبي الضحى عن مسروق . اهـ
وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (ق / ١٢١ / أ) موصولا .
قال الشيخ أحمد شاكر : والاتصال بذكر مسروق زيادة ثقة ، بل ثقتين فهي مقبولة ، وبذلك يكون الحديث في ذاته صحيحا . اهـ

(٢) كتب مقابلها في الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقـــي مجلسا سابعا مرة ثانية .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١ / ٤٠٥) ، وانظر أسباب النـزول للواحدي ص : (١٠٤) ، وتفسير البغوي (١ / ٣١٥) .

قوله تعالى : ((لم تكفرون بآيات الله)) يعني القرآن ، والآيات المشتملة على نعته ، والشهادة برسالته في التوراة (٢٧/ب) والانجيل ((وأنتم تشهدون — ٧٠)) أنها حق .

قوله : ((لم تلبسون الحق بالباطل - ٧١)) وهو ايمانهم بالنبي أول النهار وكفرهم به آخره .

يقصدون بذلك ادخال الشبهة ، وايقاع الريبة في قلوب المسلمين ، وقد سبق تفسير الآية في البقرة .

قوله : ((وقالت طائفة من أهل الكتاب - ٧٢)) قال الحسن : تواطأ اثناعشر رجلا من أحبار اليهود ، فقال بعضهم لبعض : أدخلوا في دين محمد باللسان أول النهار ، واكفروا آخره ، وقولوا : بأنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا ، فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت ، المبعوث آخر الزمان ، فيشك أصحابه في دينهم . ويقولون : هم أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، فيرجعون الى دينهم فنزلت هذه الآية .[1]

ووجه النهار أوله .[2]

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٤) ، والبغوي في تفسيره (١/٣١٥) ، كلاهما عن الحسن والسدي ، وأخرجه ابن جرير (٦/٥٠٧) عن السدي ، بمعناه .

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٩٦) والزجاج في معاني القرآن (١/٤٢٩) ، وكذلك النحاس في معاني القرآن (١/٤٢٠) ، وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص : (١٠٦) ، أي صدر النهار . اهـ وهو بمعنى الأول .

وأنشد وا :

٢٠- من كان مسرورا بمقتل مالك . فليأت نسوتنا بوجه نهـــــار

٢١- يجد النسآء حواسرا يندبنه . قد قمن قبل تبلّج الأسحار[1]

قولـه ((ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم)) هذا من تمام كلام اليهود ، يقول علماؤهم لقلتهم : لا تصدقوا الا من تبع دينكم ، وجاء باليهودية .

واللام في قوله " لمن " صلة[2].

ولا تصدقوا أن أحدا يؤتي مثل ما أوتيتم من (٢٨/أ) العلم ، وفلق البحر والمن والسلوى ، وغير ذلك . ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم ، لأنكم أقوم منهم قيلا وأهدى سبيلا .

ويكون قوله على هذا : ((قل ان الهدى هدى الله)) كلاما معترضا من الله تعالى ، وهذا معنى قول مجاهد[3] والأخفش[4] .

وقيل : ان قوله ((ولا تؤمنوا)) متعلق بقوله : ((أن يؤتى)) على معنى لا تظهروا ايمانكم أن أحدا يؤتي مثل ما أوتيتم من الكتاب الا لمن تبع دينكم

---

(١) البيتان للربيع بن زياد العبسي ، كما في الحماسة (١/٤٩٤) وشواهد الكشاف (٤/٤٤) .

(٢) قال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (١/٣٤٢) : هذه الآية من أشكل ما في السورة ، والاعراب يبينها . اهـ .

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/٥١٢) ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٤٠٦) .

(٤) معاني القرآن (١/٢٠٧) .

من الأحبار والأشياخ الذين يؤمن تزلزلهم ورجوعهم عن دينهم فقط، ولا تغشوا ذلك الى المسلمين ،فيزدادوا ثباتا على دينهم ، وجرأة علينا ، ولا تظهروه للمشركين فيرغبوا في الاسلام .

((أو يحاجوكم)) عطف على ((أن يؤتى)) على معنى لا تظهروا ايمانكم أنّ أحدا يؤتى مثل ما أوتيتم ، أو أنهم يحاجوكم عند ربكم ، وتكون لهم الغلبة الا لأهل دينكم ، وعلى هذا يكون ((قل إن الهدى هدى الله)) كلاما معترضا .

وقيل تم كلام اليهود عند قوله : ((لمن تبع دينكم)) فقال الله لنبيه : ((قل ان الهدى)) ان واسمها ((هدى الله)) بدل من ((الهدى)) ((أن يؤتى)) خبر ((أن)) والمعنى قل : إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحق الذى جاءكم به موسى فغيرتموه (٢٨/ب) وبدلتموه حتى ((يحاجوكم عند ربكم)) أى في حكم ربكم ،كما تقول هذه المسألة عند أحمد كذا ،وعند الشافعي كذا ،أى في حكمه ،أو يكون المعنى :حتى يحاجوكم عند الله يوم القيامة ،فيقرعوا باطلكم بحقهم .

وقيل : أيضا : تم كلام اليهود عند قوله : ((تبع دينكم)) ((قل)) لهم يا محمد : ان الهدى الذى ينبغى أن يهتدى ويقتدى به هدى الله .

وقل لهم موبخا لهم : أن يؤتى : لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم ، دعاكم الى قول ما قلتم .(١)

---

(١) انظر تفصيل هذه الأقوال في الدر المصون (٣/٢٥٢) .

ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن كثير : ((آن يؤتى أحد))[1] بتحقيق الهمزة الأولى ، وتليين الثانية ، والفصل بألف على الاستفهام للتوبيخ ، بمعنى " لأن يؤتى أحد " فان قيل : كيف يرتبط " أو يحاجوكم " بما قبله على هذا المعنى ؟ قلت : التقدير فعلتم ما فعلتم ، وقلتم ما قلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، ولما يتصل به من محاجتهم لكم عند ربكم فحملكم على ذلك الحسد ألا تراه يقول ((ان الفضل بيد الله)) .

ولقراءة ابن كثير وجوه من المعاني والاعراب فان قلنا هو من تمام كلام اليهود فيكون في موضع رفع بالابتداء خبره محذوف ، تقديره : تعترفون وتظهرون . أو في موضع نصب بتقدير : تشيعون وتظهرون ذلك الذي أوتوه .

وان (٢٩/أ) قلنا : هو من كلام الله ، فجائز أن يكون توبيخا لليهود كما سبق . وجائز أن يكون خطابا للمؤمنين ، على معنى : لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المؤمنون يحسدونكم ، ويفعلون ما يفعلون ، وقرأ الحسن البصري والأعمش : "إن يؤتى " بكسر الهمزة[2] ، على معنى : لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ، وقولوا لهم : ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٢) ، ولابن زنجله ص (١٦٥) ، والكشف : (١/ ٣٤٧) .

(٢) مختصر ابن خالوية ص (٢١) ، والتقريب والبيان في شواذ القرآن : ص (٥٦/خ) ، واعراب القراءات الشواذ للعكبري (ق ٤٤/أ) واتحاف فضلاء البشر ص (١٧٦) ، والقراءات الشاذة للقاضي ص : (٣٥) ولم أجد قراءة الحسن . لكن ذكر ابن جني في المستحب (١/ ١٦٣) أن الحسن قرأ " أن يؤتى " على المبني للفاعل .

ما تؤتون مثله فلا يحاجوكم فيكون من كلام اليهود بعضهم لبعض .

وقيل على هذه القراءة : هو من كلام الله بلا اعتراض ويكون كلام اليهود تاما عند قوله ((تبع دينكم)) فالمعنى : قل يا محمد : ان الهدى هدى الله ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد ((أو يحاجوكم)) بمعنى : الا أن يحاجوكم اليهود بالباطل ، فيقولون : نحن أفضل منكم .

وقوله : ((عند ربكم)) أى عند فعل ربكم بكم ذلك . وتكون " أو " على هذا القول بمعنى الجحد والنفى ، وهذا معنى قول سعيد بن جبير ، والحسن[1] ومقاتل[2] .

قال الفراء : ويجوز أن تكون " أو " بمعنى حتى . كما يقال : تعلق به أو يعطيك حقك . أى : حتى يعطيك حقك[3] .

وقال امرؤ القيس[4] :

٢٢- فقلت له لا تبك عينك انما . نحاول ملكا أو نموت فنعذرا[5] (٢٩/ب)

أى حتى نموت .

---

(١) زاد المسير (١/٤٠٦) والنكت والعيون (١/٣٢٩) .

(٢) تفسير مقاتل (١/١٧٨) .

(٣) معاني القرآن (١/٢٢٣) .

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندى ، جاهلي من أهل نجد ، من الطبقة الأولى من الشعراء ، بل هو أشعر الناس ، قاله لبيد . طبقات الشعراء ص (٤٩) ، ومعجم الشعراء ص (٩) .

(٥) ديوانه ص (٦٦) .

((قل إن الفضل بيد الله)) النبوة والكتاب ((يؤتيه من يشآء)) لا من تشاؤن أنتم أيها اليهود .

((والله واسع عليم – ٧٣)) بمن يصلح للاصطفآء والاجتبآء ((يختص برحمته)) وهي النبوة في قول : مجاهد[١] والقرآن والاسلام ، في قول ابن جريج[٢] .

((والله ذو الفضل العظيم - ٧٤)) على أوليائه وأهل طاعته .

قوله تعالى : ((ومن أهل الكتٰب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك))[٣] قال ابن عباس : أودع رجل عبد الله بن سلام ألفا ومأتي أوقية من ذهب فأداها اليه ، فمدحه الله بهذه الآية وأودع رجل فنحاص بن عازورا دينارا ، فخانه فذمه الله بهذه الآية .[٤]

وقال مقاتل : الأمانة ترجع الى من أسلم من أهل الكتاب ، والخيانة الى من لم يسلم .[٥]

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/٥١٧) ، وابن أبي حاتم (٢/٣٤٥) .

(٢) تفسير ابن جرير (٦/٥١٨) ، وزاد المسير (١/٤٠٨) .

(٣) كتب مقابلها في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا ثالثا .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ، والبغوى (١/٣١٧) ، عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وجويبر ضعيف .
وزاد المسير (١/٤٠٨) .

(٥) تفسير مقاتل ص (١٨٧) بمعناه . وانظر زاد المسير (١/٤٠٩)

وقيل : ان الذين يؤدون الأمانة النصارى ، لغلبة الأمان عليهم ، والذين لا يؤدونها اليهود ، لغلبة الخيانة عليهم .

والباء بمعنى : على ، وقد سبق ذكر القنطار (١) .

والدينار : فارسي معرب ، وأصله دنار ، كما قدمنا ذكره وهو وان كان معربا فليس تعرف له العرب ، اسما غير الدينار ، فقد صار كالعربي ولذلك اشتقوا منه ، فقالوا : رجل مدنّر : كثير الدنانير ، وبرذون مدنر مستدير النقش ببياض (٣٠/أ) وسواد (٢) ، والمراد بقوله : ((الا ما دمت عليه قائما)) لزوم التقاضي (٣) .

---

(١) في : (٨٩) .

(٢) قاله ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٩) .

(٣) أي ملازمة الغريم ، حتى الوفاء .

** فصـــل **

اختلف القراء في الهاء المتصلة بالفعل المجزوم ، فقرأ أبـو بكـــــــر[1] وأبو عمرووحمزة[2] : " يؤ ده " ، " ولا يؤده " ، " ونوته منها "[3] في موضعيـــن في هذه السورة . وفي النساء ، " نوله " " ونصله "[4] وفي الشورى " نؤته منها "[5] باسكان الهاء في السبعة ، وقرأ ذلك قالون بكسر الهاء من غير ياء .

وقرأ الباقون بصلة الهاء بياء في الوصل .

وحجة من قرأ بالاسكان أن هذه الأفعال قد حذفت الياء التي قبل الهـــاء فيها للجزم ، وصارت الهاء في موضع لام الفعل ، وحلّت محلها ، فأسـكنت كما تسكن لام الفعل .

---

(١) شعبة بن عياش الكوفي ، أبو بكر الحناط ، الامام ، أحد رواة عاصـم ، عرض القرآن عليه ثلاث مرات . طبقات القراء لابن الجزرى (١ / ٣٢٥)

(٢) حمزه بن حبيب الزيات ، أبو عمارة الكوفي ، مولى آل عكرمة بن ربعـــي التميمي ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين ، وتوفي سنة ســـت وخمسين ومائة . معرفة القراء الكبار للذهبي ص : (٩٣) وطبقـات القراء لابن الجزرى (١ / ٢٦١) .

(٣) الآية (١٤٥) ، من هذه السورة ((ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منهـــا ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين)) .

(٤) الآية (١١٥) من سورة النساء ((ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وســـاءت مصيرا)) .

(٥) الآية (٢٠) من سورة الشورى : ((ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتـــه منهـــا)) .

الا ترى أنهم قد قالوا : لم يقرْ فلان القرآن . فحذفوا حركة الهمزة للجزم وابدلوا من الهمزة الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها ، ثم حذفوا أيضا الألف للجزم ، كذلك حذفوا الياء قبل الهاء للجزم ، واسكنوا الهاء للجزم ، اذ حلت محل لام الفعل .

وليست هذه العلة بالقوية .

وفيه علة أخرى : وذلك أن من العرب من يسكن هاء الكناية اذا تحرك ماقبلها فيقولون : ضربتهْ ضربا شديدا .

يحذفون صلتها ، ويسكنونها كما يفعلون بميم الجمع ، فالهاء اضمار والميم اضمار ، فجريا مجرى واحدا في جواز الاسكان (٣٠/ب) ، وقد كان يجب أن يكون الحذف مع الهاء أقوى منه مع الميم ، لان صلة الميم أصل من الاسم المضمر ، وصلة الهاء انما هي تقوية فاذا حسن حذف ما هو أصل فحذف ما هو غير أصل أقوى . وهذا الوجه أقوى من الأول على ضعفه أيضا .

وحجة من قرأ بالكسر من غير ياء ، أنه أجرى على أصله ، قبل الجزم .

وحجة من وصل بياء ، أن الهاء حرف ضعيف خفي ، فقوى بالياء في الكسر ، وبالواو في الضم .(١)

والسبعة وجمهور القراء على ضم الدال من " دمت " . وهي لغة أهل الحجاز(٢) لأنها من دام يدوم .

---

(١) قارن هذا الفصل بالكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي (١/ ٣٤٩) وانظر الحجة لابن زنجلة ص (١٦٦) . والسبعة لابن مجاهد ص (٢٠٧)

(٢) قاله في الدر المصون (٣/ ٢٦٦) .

وقرأ يحيى بن وثاب[1] : " دمت " بكسر الدال ، من دام يدام ، مثل خاف يخاف ، وهاب يهاب.[2]

" ذلك " اشارة الى ترك الأداء بسبب قولهم : ((ليس علينا في الأميين)) أى لا يتطرق علينا اثم ، ولا ذم بما نختان من أموال العرب ، يشيرون بذلك الى استحلالهم أموال المسلمين ، ومن خالفهم من العرب .

((ويقولون على الله الكذب)) وهو قولهم ليس علينا في الأميين سبيل ، ((وهم يعلمون - ٧٥)) أنهم كاذبون ، لأنهم قرؤا في التوراة لزوم الوفاء ، وأداء الأمانة .

قوله : ((بلى)) رد عليهم ، واثبات من الله لما نفوه من السبيل ، وهو وقف تام ، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله " بلى من أوفى بعهده " (٣١/أ) أى بعهد الله .

وقيل بعهد الموفى ، ((واتقى)) فأدى الأمانة ، واجتنب الخيانة ، ((فان الله يحب المتقين - ٧٦)) .

قوله : ((ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا)) أخرجا في الصحيحين أن الأشعث بن قيس قال : كان بيني وبين رجل من اليهود أرض

---

(١) يحيى بن وثاب الأسدى مولاهم ، الكوفي ، تابعي ثقة كبير ، من العباد الاعلام ، امام بالقراءة ، توفى سنة ثلاث ومائة .
طبقات القراء لابن الجزرى (٢ / ٣٨٠) .

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن ص (٢١) ، واعراب القرآن للنحاس (١ / ٣٤٥) .

فجحدني ، فقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : ألك بينة ؟ قلت : لا ، فقال لليهودي : احلف ، قلت : يارسول الله اذا يحلف فيذهب بمالي . فأنزل الله ((ان الذين يشترون)) الآية.[1]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي أمامة ، قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال رجل : يارسول الله وان كان شيئا يسيرا ، قال : وان كان قضيبا من أراك)[2]

هذا هو المشهور في التفسير ، وقال عكرمة ، ومقاتل : نزلت في الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، لما كانوا يأخذونه من سفلتهم من الدنيا .[3]

فالعهد - على القول الأول - : ما أخذه عليهم من لزوم الطاعة .

وعلى القول الثاني : ما أخذه عليهم من بيان صفة النبي محمد عليه السلام .

((أولئك (٣١/ب) لا خلاق لهم في الآخرة)) أي لا نصيب لهم في الجنة ونعيمها ، ((ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم)) لهوانهم عليه ، أو هو كناية عن غضب الله عليهم ، واعراضه عنهم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير (٦/٤٢) ، ومسلم ، كتاب الأيمان (١/١٢٢-١٢٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان (١/١٢٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (٦/٥٢٩) ، وتفسير مقاتل (١/١٧٩) .

قال الزجاج : تقول : فلان لا ينظر الى فلان ، ولا يكلمه ، معناه أنه غضبان عليه .[١]

((ولا يزكيهم - ٧٧)) أى لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم ، أو لا يثنى عليهم .

وفي صحيح مسلم من حديث أبى ذر[٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر اليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب اليم . فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يارسول الله من هم ؟ فقال : المسبل والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب .[٣]) .

فان قيل : ان حملت الآية على اليهود فلا اشكال فيها[٤] ، وان كانت في حق الذين يفعلون ذلك من المسلمين فما وجهها ؟ وقد علمنا بالدليل القطعي أن فسقهم لا يوجب انتفاء نصيبهم من الجنة ، ولا لزوم ما ذكر .[٥]

قلت : اما أن يحمل على التغليظ ، واما أن يراد به لا خلاق لهم بأول وهلة

---

(١) معاني القرآن (١ / ٤٣٤) .

(٢) أبو ذر هو : جندب - بضم الجيم المعجمة ويجوز في الدال الضم والفتح - ابن جنادة بضم الجيم المعجمة أيضا .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الايمان (١ / ١٠٢) .
قال ابن الاثير في النهاية (٥ / ٩٨) المنفق بالتشديد : من النفاق وهو ضد الكساد . اهـ .

(٤) وهذا هو اللائق بظاهر الآية ، أنها في أهل الكتاب ، لان الحديث في شأنهم ، لقوله قبلها " ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار" الآية ولهذا قال بعدها " وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب " أى من أهل الكتاب .

(٥) من عدم تكليم الله لهم ، ونظره اليهم يوم القيامة ، وتزكيتهم وتعذيبهم .

بل لا بد من عذابهم ، وايقاع ما يستحقونه بهم ، ولا يكلمهم الله كلاما ينفعهم ، ولا يثنى عليهم .[1]

واما أن يكون من الوعيد لمن فعل ذلك مستحلا فانه يكفر ، ويستحق جميع ما توعد به[2] (٣٢/أ) .

قوله عز وجل : ((وإنّ منهم))[3] يعنى أهل الكتاب ، ((لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب - ٧٨)) أى يقلبونها بالتحريف والزيادة .

والألسنة : جمع لسان ، كحمار وأحمرة .

قال : أبو عمرو : واللسان يذكر ويؤنث ، فمن ذكره جمعه ألسنة ، ومن أنثه جمعه ألسنا .[4]

وقال الفراء : اللسان بعينه لم نسمعه من العرب الا مذكرا[5] ، تقول العرب : سبق من فلان لسان يعنون به الكلام ، فيذكرونه .

---

(١) والأظهر أن يقال : هذا جزاؤه وعذابه ان أراد الله عز وجل تعذيبه ولم يغفر له ، والا فجائز أن يغفر الله له ويدخله الجنة من غير تعذيب اذا مات على غير الشرك ، لقوله تعالى ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) .

(٢) وهذا التعليل لا يستقيم ، فان من استحل محرما مجمعا على تحريمه فانه يكفر ولو لم يفعله .

(٣) كتب في هامش الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا ثامنا ، مرة ثانية .

(٤) انظر تهذيب اللغة للأزهرى (١٢/٤٢٧) ، ولسان العرب (١٣/٣٨٦) .

(٥) لم أجده في معاني القرآن ، وهو في زاد المسير (١/٤١٢) .

أنشد ابن الأعرابي [١]:

٢٣- لسانك معسول ونفسك شحة . وعند الثريا من صديقك مالكـــا [٢]

وانشد ثعلب [٣]:

٢٤- ندمت على لسان كان منـي . فليت بأنه في جـــوف مِكْـــم [٤]

فذكر اللسان لا رادته الكلام .

وأنشد ثعلب :

٢٥- أتتني لسان بني عامـــر . أحاديثهـا بعـد قـول نكـــر [٥]

---

(١) محمد بن زياد أبو عبد الله ،ابن الأعرابي ، من موالي بني هاشم قال الجاحظ: كان نحويا عالما باللغة والشعر ،ناسيا كثير السماع، مات سنة ثلاثين - وقيل سنة احدى وثلاثين ومائتين انباه الرواة (٣/١٢٨) ،وبغية الوعاة (١/١٠٥) .

(٢) البيت في زاد المسير (١/٤١٢) ،ولم أهتدي الى قائله .

(٣) أحمد بن يحيى الشيباني ،أبو العباس النحوي ،المعروف بثعلب ، امام الكوفة في النحو واللغة في زمانه ،توفي سنة احدى وتسعين ومائتين . طبقات الأدباء ص : (١٦٤) ،وانباه الرواة (٣/٢٤١)

(٤) قائله الحطيئة كما في ديوانه ص (٣٤٧) ،العكم : العِدْل ،داخل الجنب ، في الثوب .

(٥) لم أعرف قائله ،وهو في زاد المسير (١/٤١٢) .

فأنث اللسان لأنه عنى الكلمة والرسالة .

قوله عز وجل : ((ما كان لبشر)) الآية .

قال ابن عباس : سبب نزولها أن قوما من رؤساء اليهود والنصارى قالوا : يا محمد أتريد أن نتخذك ربا . فقال : معاذ الله ، ما بذلك بعثني ربي .(١)

وقال الضحاك : نزلت في نصارى (٣٢/ب) نجران حيث عبدوا عيسى .(٢)

فعلى القول الأول المراد بالكتاب القرآن .

وعلى القول الثاني : الانجيل .

والمعنى : ما ينبغي ولا يصلح لبشر خصه الله بانزال الكتاب عليه ، وأنعم عليه بالحكمة والنبوة أن يدعو الخلق الى غير الحق .

((ولكن كونوا ربانيين)) أي ولكن يقول لهم كونوا ربانيين .

قال المبرد :(٣) الرباني الذي يُربّ العلم ، ويرب الناس ، أي : يعلمهم ويصلحهم .

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/ ٥٣٩) عن عطاء عن ابن عباس وفي سنده محمد ابن ابي محمد وهو مجهول .
والثعلبي (٣/ق ٦٤/ب) ، وأسباب النزول للواحدي ص : (١٠٨) من طريق الكلبي وعطاء ، وتفسير البغوي (١/ ٣٢٠) .

(٢) ذكره الثعلبي (٣/ق ٦٤/ب) والواحدي في أسباب النزول ص: (١٠٨) ، والبغوي (١/ ٣٢٠) .

(٣) محمد بن يزيد أبو العباس المبرد ، كان اماما في اللغة والنحو ، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين .
طبقات الأدباء ص : (١٦٤) ، وانباه الرواة (٣/ ٢٤١) .

وحكى ابن الأنبارى[١] عن بعض اللغويين : الرباني منسوب الى الرب ،لأن العلم مما يطاع الله به ،فدخلت الألف (والنون)[٢] في النسبة للمبالغة كما قالوا : رجل لحياني ،اذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.[٣]

قال على رضى الله عنه : الربانيون : الذين يغذون الناس بالحكمة ، ويربونهم عليها[٤].

وقال ابن عباس : هم الفقهاء العلماء الحكماء.[٥] وقد روى عن محمد ابن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة[٦].

((بما كنتم تعلمون الكتب)) قرأ ابن عامر[٧] وأهل الكوفة ((تعلّمون))

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر بن الأنبارى النحوى ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظا ،توفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .
انباه الرواة (٣/ ٢٠١) ،وبغية الوعاة (١/ ٢١٢) ،وتاريخ بغداد (٣/ ١٨١) .

(٢) في الأصل " الألف واللام " والتصويب من الهامش ،وزاد المسير وغيره .

(٣) زاد المسير (١/ ٤١٣) ،وانظر : تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٨) ، واللسان (١/ ٤٠٣) .

(٤) ذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤١٣) .

(٥) تفسير ابن جرير (٦/ ٥٤٢) ،وابن أبى حاتم (٢/ ٣٦٥ ، ٣٦٦)

(٦) تفسير الثعلبي (٣/ق ٦٥/ب) ، والبغوى (١/ ٣٢١) .

(٧) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبيي - بفتح التحتانية وسكون المهملة ،وفتح الصاد المهملة ،بعدها موحدة - الدمشقي ،أبوعمران المقرئ ، مات سنة ثمان عشرة ومائة . التقريب (٣٤٠٥) .

بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف[1] . فمن شدد فلما فيه من المبالغة في الوصف بالعلم والتعليم ومن خففه حمله على قوله " تدرسون " فطابق بين الفعلين وجانس (٣٣/أ) بين اللفظين .

وفي حرف ابن مسعود ((تدرّسون - ٧٩))[2] بالتشديد .

قوله : ((ولا يأمركم)) قرأ الأكثرون بالرفع ، ونصبه ابن عامر ، وعاصم[3] ، وحمزة عطفا على ((يقول))[4] وفيه وجهان :

أحدهما : أن تجعل " لا " مزيدة لتأكيد النفي في قوله ((ما كان لبشر)) والمعنى : ما كان لبشر أن يختصه الله للنبوة ، والحكمة وينصبه لدعاء الخلق الى الله ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ، كما تقول : ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني .

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٥٨ ، ٥٩) ، ولابن زنجلة ص (١٦٧) والكشف (١/ ٣٥١) ، والنشر (٢/ ٢٤٠) .

(٢) قراءة ابن مسعود في زاد المسير (١/ ٤١٤) ، وفي غيره ، غير منسوبة الى ابن مسعود .
انظر مختصر ابن خالويه ص : (٢١) ، والمحتسب (١/ ١٦٣) ، والكامل (ق /١٧٥/أ) .

(٣) عاصم بن بهدلة ، وهو ابن ابي النجود ، بنون وجيم ، الأسدي مولاهم الكوفي ، أبو بكر المقرئ ، صدوق له أوهام ، حجة في القراءة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة . التقريب (٣٠٥٤) .

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٥٧) ، ولابن زنجلة ص : (١٦٨) ، والكشف : (١/ ٣٥٠) ، والنشر (٢/ ٢٤٠) .

والثاني : أن تجعل " لا " غير مزيدة ، على معنى : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ، ثم يقول ، ولا أن يأمركم .[١]

ومن رفع قطعه مما قبله .

والضمير في " ولا يأمركم " وفي " أيأمركم " ؟ للبشر[٢] ، وقيل لله . ((أيأمركم بالكفر)) ؟ استفهام بمعنى الانكار . وفي قوله : ((بعد اذ أنتم مسلمون - ٨٠)) دليل على أن الخطاب للمسلمين .

قوله : ((واذ أخذ الله ميثاق النبيين)) .

قال الزجاج : موضع " اذ " نصب ، المعنى : اذكر في أقاصيصك اذ أخذ الله .[٣]

قال ابن عباس : والميثاق : العهد ، وهو العهد الذى أخذه الله على الانبياء بتصديق محمد[٤] ، أو بتصديق بعضهم بعضا ، أو بتبليغ ما أرسلوا به ، أو هو الميثاق الذى أخذه الأنبياء على أممهم ، أو هو على حذف المضاف ، أى : ميثاق أولاد النبيين ، وهم بنو (٣٣/ب) اسرائيل . ويدل عليه قراءة ابن مسعود : ميثاق الذين أوتوا الكتاب .

---

(١) وهذا المعنى على قراءة النصب ، وهو اختيار ابن جرير في التفسير (٥٤٧/٦) ، والمعنى : ولا كان له أن يأمركم .

(٢) وهو الأظهر لسبب النزول ، كما اختاره ابن جرير .

(٣) معاني القرآن (٤٣٦/١) .

(٤) تفسير ابن جرير (٥٥٦/٦) ، وابن أبى حاتم (٣٧٠/٢) .

وكان مجاهد والربيع بن أنس يقرآنها كابن مسعود ويحكمان بغلط الكاتب واحتج الربيع بقوله ((ثم جاءكم رسول)) .[1]

ولا حجة فيه لما ذكرناه من حذف المضاف ، أو يكون التقدير : ثم جاءكم يا أمم النبيين الذين أخذ عليهم الميثاق ، فلزمهم ما لزم أنبياءهم .

أو يكون التقدير : ميثاق النبيين وأممهم ، فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع .

قوله ((لما ءاتيتكم)) وقرأ حمزة ((لما)) بكسر اللام .

وقرأ نافع ((آتيناكم))[2] فمن فتح اللام - قال الزجاج - هي لام التحقيق دخلت على " ما " الجزاء كما تدخل على " ان " .[3]

ومعناه : لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به .

وتكون " اللام " في ((لتؤمنن به)) جواب الجزاء .

---

(١) تفسير ابن جرير (٦ / ٥٥٣ - ٥٥٤) ، وأخرجه عبد بن حميد ، والفريابي ، وابن المنذر عن مجاهد . قاله في الدر المنثور (٢ / ٢٥٢) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : قلت والقول الذي ذكره مجاهد أنه " خطأ من الكاتب " انما عنى به أن قراءة ابن مسعود هي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة ، وأن الكاتب كتب القراءة التي كانت قبل العرضة الأخيره ، وأنه كان عليه أن يكتب ما كان في العرضة الأخيرة فأخطأ وكتب القراءة الأولى . ولم يرد بقوله " خطأ من الكاتب " أنه وضع ذلك من عند نفسه . كيف ؟ والقرآن متلقى بالرواية والوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ من حاشية ابن جرير .

(٢) الحجة للفارسي (٣ / ٦٢ ، ٦٩) ، ولابن زنجلة ص (١٦٨ ، ١٦٩) والكشف (١ / ٣٥١) ، والنشر (٢ / ٢٤١) .

(٣) معاني القرآن (١ / ٤٣٧) بمعناه .

ومن كسر اللام جعلها متعلقة بـ " أخذ " ،أى : أخذ ميثاقهم للذى آتاهم وجائز أن تكون " ما " على القراءتين موصولة ، أى للذى آتيتكموه لتؤمنن بـه ((ثم جاءكم رسول)) وهو محمد صلى الله عليه وسلم ((قال : ءأقررتـم)) أى : قال الله للنبيين : ((ءأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى)) أى :عهدى وقرأت لعاصم من رواية أبى بكر : أصرى ، بضم الهمزة .(١)

قال أبو على : يشبه أن يكون الضم لغة .(٢)

((قال : فاشهدوا)) (٣٤/أ) أى قال الله للنبيين : " فاشهدوا" على أممكم ، وقيل : اشهدوا على أنفسكم وعلى اتباعكم . ((وأنا معكم)) عليكم وعليهم ((من الشٰهدين - ٨١)) ، وقيل : قال للملائكة : اشهدوا عليهم وأنا معكم من الشاهدين .

((فمن تولى بعد ذلك)) قال ابن عباس : أى من أعرض عما جئت به ،وانكر ماعاهد الله عليه ((فأولئك هم الفسقون - ٨٢)) الخارجون عن العهد والايمان .

قوله : ((أفغير دين الله يبغون)) قرأ أبو عمرو بالياء و " ترجعون" بالتاء المعجمة من فوق ، وقرأهما الباقون بالتاء فيهما ،الا حفصا فانه قرأهما بالياء المعجمة من تحت بنقطتين .(٣)

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٧٠) .

(٢) الحجة للقراء السبعة (٣/ ٧٠) .

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٦٩) ،ولابن زنجلة ص (١٧٠) ،والكشف (١/ ٣٥٣) ، والنشر (٢/ ٢٤١) .

قال ابن عباس : اختصم أهل الكتاب ، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين ابراهيم ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم ،فغضبوا ،وقالوا : والله ما نرضى بقضائك ،ولا نأخذ بدينك ، فنزلت ((أفغير دين الله يبغون))[1] وهو دين محمد صلى الله عليه وسلم. ((وله أسلم)) اى انقاد وخضع ((من في السموات والأرض طوعا وكرها - ٨٣)) يوم ((ألست بربكم))[2] [3] أو هو اقرارهم أن الله خالقهم ورازقهم وان أشرك بعضهم ،أو هو استسلامهم لنفاذ أمر الله فيهم[4] أو يكون اسلام الكافر اذا رأى بأس الله ((فلما رأوا باسنا قالوا : آمنا بالله وحده))[5] أو سجود ظله (٣٤/ب) أو هو من العام الذى اريد به الخاص ،تقديره : من في السموات والأرض من المسلمين .

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٦٨/أ) ،والبغوى (١/٣٢٢) ،وذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١٠٨) ،قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص : (٢٧) : لم أجد له اسنادا .اهـ

(٢) العبارة غير مستقيمة ،ولعلها هكذا : يوم قال لهم ((ألست بربكم))

(٣) الأعراف (١٧٢) .

(٤) وهذا أظهر هذه الاحتمالات . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : (١/٣٧٨) ، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ،والكافر مستسلم لله كرها ،فانه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع . اهـ .

(٥) غافر (٨٤)

قوله ((قل آمنا بالله - ٨٤)) الآية سبق تفسيرها في سورة البقرة[١].
وانما أتى هٰهنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لصحة المعنيين لأن الوحي ينزل من السماء وينتهي الى المؤمنين والأنبياء ، وقيل انما قال هٰهنا ((بما أنزل علينا)) لأن الأمر بالقول للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البقرة الأمر للمؤمنين ، والوحي ينتهي اليهم ، والرسل يأتيهم الوحي بطريق الاستعلاء[٢] ، وأوردوا على هذا القول : ((انا أنزلنا اليك))[٣] ((وأنزلنا اليك))[٤] ((آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا))[٥] ، فلم يراع هذا المعنى ، ويمكن أن يقال في الجواب - عن هذا - الفرق المذكور صالح للتعليل به ، وتجويزُ غيره لا يمنع من صلاحية التعليل به . وما بعده مفسر أو ظاهر الى قوله ((كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا - ٨٦)) هم طائفة ارتدوا عن الاسلام منهم الحارث بن سويد[٦] فندم وعاد الى الاسلام فاستثناه الله بقوله ((الا الذين تابوا))[٧] .

---

(١) عند آية (١٣٦) .
(٢) قاله الراغب الأصفهاني . حكاه السمين في الدر المصون (٣/٢٩٨)
(٣) النساء (١٠٥) .
(٤) النحل (٤٤) .
(٥) آل عمران (٧٢) .
(٦) الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري ، الأوسي ، كان مسلما ثم ارتد ولحق بالكفار . اهـ من الاصابة (١/٢٨٠) .
(٧) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩) ، وابن جرير في التفسير (٦/٥٧٣) ، وأخرجه الامام أحمد في المسند (٤/٤٧) رقم (٢٢١٨) ، قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - : " اسناده صحيح والنسائي في سننه كتاب تحريم الدم ، باب في توبة المرتد (٧/١٠٧)

= = = =

وقيل نزلت في اليهود ، كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم حسدا بعد ايمانهم به قبل مبعثه .(١)

والقولان عن ابن عباس ، والاستفهام هنا بمعنى الجحد ، أي لا يهدي الله قوما هذا شأنهم ومثله : ((كيف يكون للمشركين عهد))(٢) (٣٥/أ) ومثله قول ابن الرقيات .(٣)

٢٦- كيف نومي على الفراش ولما . تشمل الشام غارة شعواء

٢٧- تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي . عن حذام المليحة الحسناء(٤)

(=) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٢) ، وقال : حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . اهـ ، ووافقه الذهبي ، وابن حبان في سننه (الاحسان ٦/ ٣٢٤) ، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٣٨٢) كلهم عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .
واسناده صحيح ، وليس فيه الحارث بن سويد ، وأخرجه ابن جرير (٦/ ٥٧٣) ، وعبد بن حميد عن السدي ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٧) .

(١) أخرجه ابن جرير (٦/ ٥٧٤) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٣) عن عطية العوفي عن ابن عباس . واسناده ضعيف . والقول الأول أصح .

(٢) التوبة (٧) .

(٣) عبيد الله بن قيس بن شريح القرشي ابن الرقيات ، شاعر قريش ، أكثر شعره الغزل والنسيب ، وله مدح وفخر ، لقب بابن قيس الرقيات لانه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة رقية .
الأعلام للزركلي : (٤/ ١٩٦) .

(٤) ديوانه ص (٩٥) .

((وشهد وا)) عطف الفعل على ما اشتمل عليه الا سم من معنى الفعـــل ، تقديره : بعد أن آمنوا وشهد وا ،أو تكون الواو للحال ،أى وقد شـــهد وا[1].

قوله : ((خلدين فيها)) أى في عذاب اللعنة .

ثم استثنى من تاب وأناب فقال ((إلا الذين تابوا - ٨٩)) الآيـــــة.

قوله : ((إن الذين كفروا بعد إيمانهم)) وهم الذين ارتد وا مع الحارث ولم يرجعوا عن كفرهم ، قالوا نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون .[2]

وقيل : هم اليهود والنصارى ، كفروا بمحمد بعد ايمانهم بصفته ((ثـــم ازداد وا كفرا)) باقامتهم على كفرهم ،لأنه كلما تجدد انزال الوحي تجدد كفرهم به .

أوهم اليهود كفروا بعيسى والانجيل ،ثم ازداد وا كفرا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن .[3]

((لن تقبل توبتهم - ٩٠))[4] قال ابن عباس :عزموا على أن يظهروا التوبة ويضمروا الكفر .

---

(١) وهذا أجود من الأول .

(٢) المنون الموت . قاله في القاموس (٤ / ٢٧٤) .

(٣) هذا الاحتمال فيه نظر لأن اليهود لم يؤمنوا بعيسى قط ،حتى يصح وصفهم بالايمان في قوله " كفروا بعد ايمانهم " .

(٤) قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (١ / ٢٨١) : قال بعض العلماء : يعني اذا أخروا التوبة الى حضور الموت ،فتابوا حينئذ . وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى ((وليست التوبة للذين يعملـــون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الئن ،ولا الذين يموتون وهم كفار - النساء ١٨) وقد تقرر في الأصول حمل المطلق ===

وقيل : هذا ايذان بموتهم على كفرهم . لأن الذى لا تقبل توبته من الكفار هو الذى يموت على الكفر . وهذا معنى قول الحسن (٣٥/ب) ومجاهد .

قوله : ((ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به - ٩١)) قال الزمخشرى : ان قلت : لم قيل في احدى الآيتين " تقبل " بغير فاء وفي الأخرى " فلن يقبل ؟ "

قلت : قد أوذن بالفاء أن الكلام بنى على الشرط والجزاء . وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر ، وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ، ولا دليل فيه على التسبيب ، كما تقول : الذى جاءني له درهم ، لم تجعل المجيء له سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم .(١)

قال الزجاج : ملء الشيء مقدار ما يملأه .

قال سيبويه والخليل : الملء بفتح الميم الفعل ، تقول : ملأت الشيء أملأه ملأ ، المصدر بالفتح لا غير .(٢)

و " ذهبا " منصوب على التمييز .

وقرأ الأعمش " ذهب "(٣) بالرفع رده الى " ملء " ، كما تقول : عندى عشرون نفسا رجال .

(=) على المقيد ، ولا سيما اذا اتحد الحكم والسبب كما هنا . اهـ .
وانظر تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٠/ب) .

(١) الكشاف (١/٢٠٠) .

(٢) معاني القرآن (١/٤٤٢) .

(٣) لم أجد هذه القراءة في شيء من كتب القراءات ، وهى قراءة شاذة ، ذكرها الزمخشرى في الكشاف (١/٢٠١) .

قال ابن فارس [١] : ربما أُنث الذهب ، فقيل : ذهبة ، وتجمع على الأذهاب [٢] .

قال الفراء : الواو في قوله " ولو افتدى به " قد يستغنى عنها ، ولو حذفت كان صوابا ، كقوله [٣] : ((وليكون من الموقنين)) [٤] .

قال الزجاج : هذا غلط ، لأن فائدة الواو بينة ، فليست مما تلغى ، قال : والمعنى : لو قدّم ملء الأرض ذهبا يتقرب به الى الله لم ينفعه ذلك (٣٦/أ) مع كفره ، ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا لم يتقبل منه [٥] .

وقال غيره [٦] : " ولو افتدى به " : كلام محمول على المعنى ، كأنه قيل : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا .

ويجوز أن يراد : ولو افتدى بمثله ، كقوله ((ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه)) [٧]

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين ، اللغوى القزويني ، كان نحويا على طريقة الكوفيين ، توفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . ابناه الرواة (١/ ١٢٧) ، واشارة التعيين ص : (٤٣) ، وبغية الوعاة (١/ ٣٥٢) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٦٢) .

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٢٦) .

(٤) الانعام (٧٥) .

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٤١) .

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٢٠١) . والقول الأول هو الأظهر ، وليست الواو زائدة وانما جيء بها لتوكيد النفى ، والمعنى أن الكافر لن تقبل منه الفدية ولو جاء بملء الأرض ذهبا ، على الفرض الممتنع لانه لا يقدر على الفدية ولا يملكها في هذا الوقت لانقطاع الأملاك . .

(٧) الزمر (٤٧) .

والمثل يحذف كثيرا في كلامهم ، كقولك : ضربته ضرب زيد ، تريد مثل ضربه كما أنه يراد في نحو قولهم : مثلك لا يفعل كذا ، يريد أنت" والسر فيه أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : قد سئلت ما هو أيسر من ذلك.(١)

قوله تعالى : ((لن تنالوا البرّ))(٢)

قال ابن عباس : هو الجنّة .(٣)

وقال الحسن : المعنى : لن تكونوا أبرارا .

قال القاضي أبو يعلى(٤) : لم يرد نفي الأصل ، وانما نفى وجود الكمال.(٥)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب صفة المنافقين (٤ / ٢١٦١) .

(٢) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا رابعا . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى مجلسا تاسعا ، مرة ثانية .

(٣) ذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١ / ٤٢٠) ، والبغوى في تفسيره (١ / ٣٢٥) ، وانظر النكت والعيون (١ / ٣٣٣) ، وتفسير البر بالجنة فيه نظر ، بل الجنة ثمرة البر ، أما البر فهو كلمة جامعة لخصال الخير كلها ، كما قال الله تعالى : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر)) الآية . (١٧٧) البقرة .

(٤) هو الامام العلامة شيخ الحنابلة ، محمد بن الحسين البغدادى ، ابن الفراء ، أبو يعلى الحنبلي ، صاحب التعليقة الكبرى ، والتصانيف المفيدة في المذهب ، توفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .
طبقات الحنابلة (٢ / ١٩٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٨ / ٨٩) .

(٥) زاد المسير (١ / ٤٢٠) .

((حتى تنفقوا مما تحبون - ٩٢)) أى حتى تكون نفقتكم من أموالكم التـــى تحبونهـــا .

والمراد بذلك : النفقة في وجوه الطاعات والقربات الى الله ،سواء كانـــت فرضا كالزكاة ،أو نفلا .

ولما نزلت هذه الآية (٣٦/ب) بادر ذوو النيات الى العمل بهـــــــا .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر أنصـارى بالمدينة مالا من نخل ،وكان أحب أمواله اليه بيرحا[1] ، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها فيشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)) قـــام أبو طلحة فقال : يارسول الله ،ان الله يقول : ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)) وان أحب أموالي الىّ بيرحا ،وانها صدقة لله ،أرجوا برهـــا وذخرها عند الله ،فضعها حيث أراك الله .

فقال : بخ ذلك مال رابح ،أو رابح ،- شك الراوى - وقد سمعت ما قلـــت ، وانى أرى أن تجعلها في الأقربين . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمـــه[2] .

وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها ،فقال هذه في سبيل الله ،فحمـــل عليها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكأنّ زيدا وجد في نفســـه ، وقال : انما أردت أن أتصدق به .

---

(١) بفتح الباء وكسرها ،وبفتح الراء وضمها والمد فيهما ،وبفتحهما والقصر قاله في النهاية (١/ ١١٤) .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير - سورة آل عمران (٦/ ٤٦) ،ومسلم كتاب الزكاة (٢/ ٦٩٣) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ان الله قد قبلها منـــــك[1] .

واعتقت امرأة جارية لا تملك غيرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حجبتك من النار .[2]

ويروى أن ابن عمر رضى الله عنهما قرأ هذه (٣٧/أ) الآية يوما فقـــال : لا أجد شيئا أحب الىّ من جاريتي رميثه ، هى حرة لوجه الله تعالى .

ثم قال : لولا أنى لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها ، فأنكحها نافعـــا مولاه ، فهى أم ولده .[3]

وأخرج الامام أحمد في كتاب الزهد باسناده أن الربيع بن خثيم[4] جاءه سائل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٢٦) ، وابن جرير (٦/٥٩٢) من طريقه . قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٢٧) وهو مفصل ، وأخرجه الطبرى (٦/٥٩٢) من رواية عمرو بن دينـــار نحوه مرسلا ، ورجاله ثقات . اهـ
وأخرجه الثعلبي في التفسير (٣/ق ٧١/ب) .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٧١/ب) بغير اسناد ، عـــن شهر بن حوشب .

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٧٢/أ) ، وذكره البغوى في التفسير (١/٣٢٦) ، وابن الجوزى في زاد المسير (١/٤٢١) وقوله : " فأنكحها نافعا مولاه فهى أم ولده " تفرد به ابن الجوزى ونسبه السيوطي في الدر (٢/٢٦٠) ، الى عبد بن حميد ، والبزار .

(٤) الربيع بن خثيم - بضم المعجمة وفتح المثلثة - بن عائذ بن عبد اللـــه الثورى ، أبو يزيد الكوفي ، ثقة ، عابد ، مخضرم ، مات سنة احـــدى أو ثلاث وستين . التقريب (١٨٨٨) .

في ليلة باردة فخرج اليه فرآه كأنه مقرور ، فقال : ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)) فنزع برنسا له فأعطاه اياه .[١]

ووقف سائل على بابه مرة أخرى ،فقال : أطعموه سكرا ،فقالوا : الخبز أنفع له ،فقال : ويحكم أطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر .[٢]

قوله : ((كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل)) السبب في نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا على ملة ابراهيم . فقالت اليهود : وكيف وانت تأكل لحوم الابل ، وتشرب ألبانها ، فقال : كان ذلك حلالا لابراهيم . فقالوا كل شيء نحرمه فانه كان محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا .

فأكذبهم الله بهذه الآية .[٣]

والحِل والحَلال كالحُرْم والحَرام ، واللبس واللباس . وجائز أن يكون الحل مصدرا ، ولذلك استوى في الوصف المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع نحو قوله : (٣٧/ب) ((لا هن حل لهم))[٤]

((إلا ما حرم إسرائيل على نفسه))

---

(١) لم أجده في المطبوع من الزهد .

(٢) انظر الحلية لأبى نعيم (٢/ ١١٥) .

(٣) ذكره الثعلبي في التفسير (٣/ق ٧٣/أ) والواحدى في أسباب النزول ص (١١٠) ،عن أبى روقه والكلبي ، وذكره أيضا البغوى (١/ ٣٢٦) ،وابن الجوزى (١/ ٤٢٢) .

(٤) الممتحنه (١٠) .

وفيه ثلاثة أقوال :

أحدهـا : أنه لحوم الابل وألبانها . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح ، والحسن وعطاء .

والثاني : زائدتا الكبد ، والكُلْيتان ، والشحم الا ما على الظهر ، قاله عكرمة .

والثالث : العروق ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وروى عن ابن عباس . (٢)

وكان السبب في تحريمه له ما روى شهر بن حوشب عن ابن عباس : أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا ياأحمد أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن يعقوب مرض مرضا شديدا ، فطال سقمه منه ، فنذر لله لئن عافاه الله من سقمه ليحرمنّ أحب الطعام والشراب اليه - وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشرب اليه ألبانها ؟

قالوا : اللهم نعم . (٣)

---

(١) يشير الى الحديث الآتى قريبا .

(٢) انظر هذه الآثار في تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٣/أ - ب) والبغوى (١/ ٣٢٦) ، وزاد المسير (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣) .

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤/ ١٥٦) ، رقم (٢٤٧١) . قال الشيخ أحمد شاكر : اسناده صحيح . اهـ .

===

وروى عن ابن عباس أن الا طباء وصفوا له اجتناب ما حرمه ، فحرمـــــــه .

وروى عن ابن عباس أنه شكى عرق النسا ، فحرم العروق .(١)

واختلفوا هل حَرَّم ذلك باذن الله أم باجتهاده ؟ على قولين :(٢)

(=) قلت : لكن فيه شهر بن حوشب متكلم فيه ، فلا ينبغي الجزم بصحة اسناده وهو فيه . لكن يشهد له ما في المسند رقم (٢٤٨٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود الى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم انا نسألك عن خمســـة أشياء . فذكر الحديث وفيه : قالوا : أخبرنا ما حرم اسرائيل علـى نفسه ؟ قال : كان يشتكى عرق النَسا فلم يجد شيئا يلائمه الا ألبان كذا وكذا (قال عبد الله بن أحمد) قال أبى : قال بعضهـــم يعنى الا بل ، قال : فحرم لحومها ، قالوا : صدقت . الحديث .
واسناده حسن ، والترمذى في كتاب التفسير - سورة الرعد - (٥ / ٢٩٤) وقال : هذا حديث حسن غريب . اهـ
والنسائي في الكبرى ، في عشرة النساء عن أحمد بن يحى الصوفـي عن أبى نعيم عن بكير بن شهاب به قاله المزى في تحفة الأشـــراف (٤ / ٣٩٤) . وابن أبى حاتم (٢ / ٣٩٥) ، والطبراني في الكبيـر (١٢ / ٢٤٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٤٢) رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات . اهـ والبخارى في التاريخ الكبيـــر (٢ / ١١٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٣٠٥) .

(١) تفسير ابن جرير (٧ / ١٠) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٣٩٧) ، وانظـر زاد المسير (١ / ٤٢٣) .

(٢) قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره (٤ / ١٣٥) : واختلف هـــل كان التحريم من يعقوب باجتهاد منه أو باذن من الله تعالى ؟ والصحيح الأول ، لان الله تعالى أضاف التحريم اليه بقوله ((الا ماحرم)) اهـ

واختلفوا لماذا ثبت تحريمه على (٣٨/أ) اليهود ؟ فقال ابن عباس: قال يعقوب : لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد .(١)

وقال الضحاك : وافقوا أباهم في التحريم .

وقال ابن السائب : حرمه الله بعد التوراة لا فيها ، وكانوا اذا أصابوا ذنبا عظيما حُرِّم عليهم طعام طيب ، أو صبّ عليهم العذاب .(٢)

((قل فأتوا بالتوراة فاتلوها)) لتعرفوا أن هذا التحريم كان من جهة يعقوب ، ولم يكن من زمن ابراهيم ولا نوح . ((ان كنتم صادقين - ٩٣)) فيما تدعون من التحريم ، ومعنى الآية : أن المطاعم كلها كانت حلالا لبني اسرائيل من قبل نزول التوراة ، وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم . لم يحرّم منها شيء قبل ذلك سوى المطعوم الذي حرمه يعقوب على نفسه . فتبعه أولاده على تحريمه ، وتتضمن الآية أيضا تكذيبهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما عيرهم الله به في قوله ((فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)) الى قوله ((عذابا أليما))(٣)

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ١٠) ، عن عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ليس بثقة . وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٢٦٣) ، نسبته لابن أبي حاتم ولم أجده في المطبوع .

(٢) تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٤/ب) والبغوي (١/ ٣٢٧) ، وزاد المسير (١/ ٤٢٣) .

(٣) النساء (١٦١) .

وفي قوله ((وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما)) الى قوله ((ذلك جزيناهم ببغيهم))[1] فقالوا لسنا بأول من حرم عليه هذا .

وانما هو محرم على نوح وابراهيم ،حتى انتهى التحريم (٣٨/ب) الينا فحرم علينا فأكذبهم الله بهذه الآية .

---

(١) الأنعام (١٤٦) .

فصـــل

وقد تضمنت هذه الآية فوائد منها :

١) التنبيه على جواز النسخ الذى ينكرونه ، وأن الأطعمة كانت محللة لهم قبل نزول التوراة ، الا ما استثناه الله ثم حرمت عليهم طيبات كانت حلالا لهم بسبب ظلمهم .

٢) ومنها تأكيد صدقه صلى الله عليه وسلم حيث قاضاهم الى كتابهم وأخبرهم بحقيقة ما فيه .

٣) ومنها ايضاح الحجة على رسالته ، لكونه أخبرهم بما يعلمون صحته ، ولم يكن من أهل العلم بذلك لولا الوحى .

وقد روى أنهم لم يجسروا على محاققته بالمرافعة الى التوراة خوف الفضيحة من ظهور باطلهم .

قوله تعالى ((فمن افترى)) أى اختلق ((على الله الكذب من بعد ذلك)) .

ونسب ما لم يكن محرما على نوح وابراهيم اليهما ، معرضا عن هذا البيان ((فأولئك هم الظلمون - ٩٤)) الذين شأنهم الظلم، وعدم الا تصاف بالا نصاف ، .

قوله تعالى : ((قل)) لهم يا محمد ((صدق الله)) فيما أخبر به من دين ابراهيم ، وشريعته ، المعنى : وكذبتم أنتم ((فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا)) وهى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف ، والتبديل ، والا جتراء على تكذيب الرسل والكذب عليهم (٣٩/أ) .

وفي قوله ((وما كان من المشركين - ٩٥)) تعريض بشرك أهل الكتاب ، لأنهم انما نسبوه الى اليهودية أو النصرانية .

قوله تعالى : ((ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة)) .

قال مجاهد : فخر المسلمون واليهود ، فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل من الكعبة ، وقال المسلمون : الكعبة أفضل فنزلت هذه الآية .[١]

قال أبو هريرة : كانت الكعبة حشفة[٢] على الماء ، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة[٣] .

وقال ابن عباس : وضع البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة ، ثم دحيت الأرض ، من تحت البيت .[٤]

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر قال : قلت يارسول الله : أى مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قال قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .[٥]

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٥/أ) والبغوى (١/ ٣٢٧) ، وأسباب النزول للواحدى ص : (١١٠) ، وزاد المسير (١/ ٤٢٤) .

(٢) الحشفة : صخرة رخوة حولها سهل من الأرض ، أو صخرة تنبت في البحر . اهـ . من القاموس (٣/ ١٣٢) .

(٣) أخرجه ابن المنذر ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٥) ، وذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤٢٤) .

(٤) ذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤٢٤) .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٦٦) ، ج ٤/ ١٧٧ ومسلم كتاب المساجد (١/ ٣٧٠) .

وفي آخر حديث البخارى : ثم الأرض لك مسجد فحيث ما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه .[١]

وقد أوردنا عند قوله ((واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت))[٢] ما يدل على أوّليته أيضا .

واختلفوا في بكة ومكة ، فقال الضحاك : هما واحد[٣] ، واحتجوا بأن الباء تبدل من الميم ، كلازم ولازب ، وسبد رأسه (٣٩/ب) وسمده اذا استأصله[٤] .

وذهب الأكثرون الى أن بينهما فرقا ، فقالوا : مكة بالميم اسم لجميع البلد ، وبكة اسم للبقعة المبنى فيها البيت ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابراهيم في آخرين .[٥]

وقال الزهرى : بكة بالباء اسم للمسجد والبيت ، ومكة اسم للحرم كله[٦] .

والبك في اللغة الأزدحام والدق ، فسمى البيت بذلك لأنه مزدحم الطائفين وقاصم أعناق الجبارين الباغين له السوء .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٤/ ١٧٧) .

(٢) البقرة (١٢٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/ ٢٥) .

(٤) انظر تهذيب اللغة للأزهرى (١٢/ ٣٧١) .

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٦/أ) والبغوى (١/ ٣٢٨) وانظر تفسير ابن أبى حاتم (٢/ ٤٠٨) وما بعدها .

(٦) تفسير ابن جرير (٧/ ٢٥) ، والثعلبي (٣/ق ٧٦/أ) .

وقال قطرب[1] : هو من بككت الرجل ، اذا وضعت منه ورد ت نخوته ، فهو يضع من نخوة المتجبرين .[2]

وقوله : ((مباركا)) حال من المستكن[3] في الظرف ، أى استقر ببكه في حال بركته ((وهدى للعالمين - ٩٦)) لأنه مطافهم ومزارهم ، وقبلتهم .

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من طاف بالبيت لم يرفع قد ما ، ولم يضع أخرى الا كتب الله له بها حسن ، وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها د رجة .[4]

---

(١) محمد بن المستنير ، أبو على اللغوى ، النحوى ، المعروف بقطرب أحد العلماء بالنحو واللغة ، أخذ عن سيبويه ، وعن جماعة من البصريين ، توفى سنة ست ومائتين ، طبقات الأدباء ي : (٧٦) وانباه الرواة (٣/ ٢١٩) .

(٢) زاد المسير (١/ ٤٢٥) .

(٣) أى الضمير المستتر .

(٤) أخرجه الا مام أحمد في مسنده (٦/ ٢١٧) ، رقم (٤٤٦٢) ، والترمذى ، كتاب المناسك ، باب ما جاء في استلام الركنين (٣/ ٢٩٢) وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . اهـ

والحاكم في المستدرك ، كتاب المناسك (١/ ٤٨٩) كلهم من طريق عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على ما بينته من حال عطاء بن السائب ، ولم يخرجاه . اهـ

ووافقه الذهبي ، وحسنه الشيخ أحمد شاكر ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٤١) ، رواه أحمد ، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، لكنه اختلط . اهـ

قوله : ((فيهآ ءايٰت بينٰت)) وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ((آية بينة))[1] ((مقام ابراهيم)) عطف بيان وصح بيان الجماعة بالواحد على قراءة الأكثرين لاشتمال مقام ابراهيم على آيات متعددة منها :

١) تأثير قدميه في صخرة صماء آية لله ، ومعجزة لابراهيم[2] .

٢) وإلانة بعضها دون بعض (٤٠/أ) .

٣) وحفظها مع كثرة أعداء الحق وأهله .

قال ابن جرير : فيه اضمار تقديره : منها مقام ابراهيم .[3]

---

(١) مختصر ابن خالويه ص (٢٣) والكامل في القراءات الخمسين ق (١٧٥/ب) وتفسير ابن جرير (٧/٢٦) .

(٢) قال ابن جرير : ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه ، وأصابعه فيه فمازالت هذه الأمة يمسحون حتى اخلولق ، وانمحى . اهـ تفسير ابن جرير (٣/٣٥) .
قال أنس : رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم ، حكاه القشيري . اهـ من تفسير القرطبي (٢/١١٣) ، وقد أشار الى هذا أبو طالب في قصيدته بقوله :
وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة . على قدميه حافيا غير ناعل
سيرة ابن هشام (١/٢٨٥) والروض الآنف (٢/١٣) .

(٣) قال ابن جرير في التفسير (٧/٢٨) ، الآيات البينات منهن مقام ابراهيم . اهـ

قال المفسرون : والآيات فيه كثيرة منها :

١) مقام ابراهيم .

٢) وامتناع الطير من العلو عليه .[1]

٣) واستشفاء المريض منها به .

٤) وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته .

وقال علي رضي الله عنه : الآيات البينات : مقام ابراهيم ، وأمن من دخله .[2]

وقال القاضي أبو يعلى : يجتمع الكلب والظبي في الحرم فلا الكلب يهيج الظبي ، ولا الظبي يستوحش منه .

فان قيل تأويل علي رضي الله عنه يستلزم اطلاق الجمع على التثنية .

---

(١) هذه ليست من الآيات ، لأن الواقع يمنع منها ، فان المشاهد أن الطير يعلو عليه .

(٢) زاد المسير (١ / ٤٢٦) وما قاله علي رضي الله عنه هو اللائق بظاهر الآية ، وأن قوله ((مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا)) عطف بيان للآيات .

( ) هذا ملتزم به ، فان اطلاق الجمع على التثنية مختلف فيه بين أهل العلم ، فجمهور أهل العلم أن أقل الجمع ثلاثة ، وذهب جمهور الظاهرية الى أن أقل الجمع اثنان . واحتج الظاهرية بعدة نصوص من الكتاب والسنة فمنها قوله تعالى : ((وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكانا لحكمهم شاهدين - الأنبياء ٧٨)) وكقوله تعالى : ((فان كان له اخوة فلأمه السدس - النساء ١١)) والأم تحجب من الثلث الى السدس بأخوين باجماع أهل العلم ، خلافا لابن عباس . واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم (الاثنان فما فوقهما جماعة) .

قلت : هي آيات باعتبار تعدد الذوات الآمنة فيه .

قوله : ((ومن دخله كان آمنا))

قال القاضي أبو يعلى : لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر ، تقديره : من دخله فآمنوه .(١)

وقال الضحاك : المعنى من حجه كان آمنا من ذنوبه التي اكتسبها قبل ذلك .(٢)

قال جعفر الصادق رضي الله عنه : من دخله على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمنا من عذاب الله .(٣)

وقال أبو النجم القرشي الصوفي :(٤) كنت أطوف بالبيت فقلت : ياسيدي قلت: ((ومن دخله كان آمنا)) من أي شيء ؟ فسمعت قائلا من ورائي آمنا من النار (٤٠/ب) فالتفت فلم أر شيئا .(٥)

قوله : ((ولله على الناس حج البيت))

قرأ حمزة والكسائي وحفص" حج " بكسر الحاء وفتحها الباقون .(٦)

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٢٧) .
(٢) أخرجه الثعلبي (٣/ق ٧٧/ب) .
(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٧/ب) .
(٤) لم أجده فيما لدى من كتب التراجم .

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ق ٧٧/ب) .
(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٧١) ولابن زنجلة ص : (١٧٠) ، والكشف (١/ ٣٥٣) ، والنشر (٢/ ٢٤١) .

وقوله : ((من استطاع اليه سبيلا)) بدل من الناس .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستطاعة فقال : الزاد والراحلة[1] .

---

(١) هذا الحديث مروى عن جماعة من الصحابة منهم أنس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن مسعود .

أما طريق أنس فأخرجه الدارقطني في السنن (٢/ ٢١٦) والحاكم (١/ ٤٤٢) ، وقال : هذا حديث على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٣٠) كلهم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس . قال البيهقي ولا أراه الا وهما . اهـ يعني انه مرسل ، ثم أخرجه عن سعيد عن قتادة عن الحسن مرسلا . قال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٢/ق ٣٦/ب) : لم يخرجه أحد من أهل السنن بهذا الاسناد... والصواب عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وأما رفعه عن أنس فهو وهم ، هكذا قال شيخنا . اهـ يعني ابن تيميه

وأما طريق ابن عمر فأخرجه الترمذي ، في كتاب الحج ، باب ما جاء في ايجاب الحج بالزاد والراحله (٣/ ١٧٧) وقال : هذا حديث حسن ، وابن ماجه ، في كتاب المناسك ، باب ما يوجب الحج (٢/ ٩٦٧) ، والدارقطني (٢/ ٢١٨) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) كلهم من طريق ابراهيم بن يزيد المكي ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن ابن عمر مرفوعا .

وأما طريق ابن عباس فأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٧) عن ابن جريج

= = =

وهذا مذهب أكثر العلماء .(١)

وقال مالك : ان وثق من نفسه بالقوة على المشي لزمه الحج .(٢)

وقال الضحاك : اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع .(٣)

ثم هدد الله اليهود حيث قابلوا وجوب الحج بالجحود ، فقال : ((ومن كفر فان الله غني عن العالمين - ٩٧)) أي من كفر بوجوب الحج ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، والأكثرين .(٤)

وقال السدي : من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به .(٥)

(=) وابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا ، وأما طريق عائشة فأخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٧) ، والبيهقي (٤/ ٣٣٠) ، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٣٢) ، من طريق عتاب بن أعين عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عائشة مرفوعا ، قال العقيلي : عتاب ابن أيمن عن الثوري في حديثه وهم . اهـ

وأما طريق عبد الله بن عمرو فأخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٨) .

وأما طريق ابن مسعود فأخرجه أيضا الدارقطني (٢/ ٢١٦) من طريق بهلول بن عبيد عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود مرفوعا . وبهلول ضعيف .

(١) انظر المغني (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠) ، قال الترمذي : والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل اذا ملك زادا وراحلة ، وجب عليه الحج . اهـ من الجامع للترمذي (٣/ ١٧٧) .

(٢) انظر بداية المجتهد (١/ ٣٧٢) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٢٦) ، والمغني (٣/ ٢٢٠) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧/ ٤٧) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠) .

(٥) تفسير ابن جرير (٧/ ٥١) والثعلبي (٣/ق ٨٣/أ) والبغوي : (١/ ٣٣٠) .

وقال عمر رضي الله عنه : لقد هممت أن ابعث رجالا الى الأمصار فينظـــرون الى من كان له مال ولم يحج فيضربون عليهم الجزية .(١)

وقال ابن عمر : من أمكنه الحج فلم يحج حتى مات ، وسم بين عينيه كافـــر .(٢)

وروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي أمامة قال : مـن لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة ، ولا مرض حابس ، ولا سلطان جائر فمـات ولم يحج (٤١/أ) فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا .(٣)

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٥) ، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) والثعلبي في التفسير (٣/ق ٨٣/ب) وأخرجه أبو بكر الاسماعيلي قاله ابن كثير (١/ ٣٨٦) ، ثم قال : وهذا اسناد صحيح الـــى عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٤٢٨) وزاد السيوطي نسبته الى عبد بن حميد الدر (٢/ ٢٧٥) .

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٢٨ - ٢٩) ، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) عن شريك عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عـــن أبي أمامة رفعه . وشريك هو ابن عبد الله النخعي ، وليث هـــو ابن أبي سليم ، وهما متكلم فيهما ، فالحديث سنده ضعيف .
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٥) ، الى سعيد بن منصور وأحمد في كتاب الايمان ، وأبو يعلى ، والبيهقي . وأخرجه الثعلبي في التفسير (٣/ق ٨٣/أ) ، والبغوى (١/ ٣٣١) وقال البيهقي اسناده غير قوى . اهـ

قوله : ((قل يأهل الكتب))[1] هم اليهود والنصارى ، ((لم تكفرون)) توبيخ وتقريع لهم ((بئايت الله)) وهي الآيات[2] والمعجزات التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

((والله شهيد - ٩٨)) أي شاهد ، لا يغيب عنه شيء من عملكم ، والواو في ((والله)) للحال .

((يأهل الكتب لم تصدون)) وقرأ الحسن ((تُصدون)) بضم التاء وكسر الصاد[3] ، ((عن سبيل الله من ءامن)) وكانوا يحتالون لافتتان[4] المؤمنين تارة بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتارة بالدخول في الاسلام والخروج منه في اليوم الواحد لا يقاع الريبة في قلوب المسلمين ، وتارة بالتحريش بين الأوس والخزرج ، وبذكرهم الأحقاد ، والحروب التي كانت بينهم ليعودوا لمثلها ((تبغونها عوجا)) في محل الحال ، والكناية للسبيل ، وهي تذكر وتؤنث[5] ، والمراد تبغون أهل السبيل الضلال ، والميل عن الهدى .

---

(١) كتب في هامش الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا عاشرا مرة ثانية .

(٢) أي آيات القرآن ، المصدقة لما عندهم من التوراة .

(٣) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن ص (٢٢) ، وإعراب القراءات الشواذ (ق ٤٧/أ) ، والكشاف (١/ ٢٠٥) .

(٤) يقال فتن الرجل بالمرأة وافتتن .

(٥) يعني السبيل ، ومما جاء في تذكيرها في القرآن قوله تعالى ((وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه)) الأعراف ١٤٦ ، ومن التأنيث قوله تعالى ((قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة)) الآية .

قال أبو عبيد[١]: العِوج - بكسر العين - في الدين والكلام والعمل، والعَوج - بفتحها - في الحائط والجذع.[٢]

وقال الزجاج: العِوج بكسر العين - فيما لا يرى له شخصا، وما كان له شخص قلت: عَوج بفتحها.[٣]

وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العِوج عند العرب بكسر (٤١/ ب) العين في كل مالا يحاط به، وبفتحها في كل ما يتحصل، فيقال: في الأرض عِوج، وفي الدين عِوج، لأن هذين يتسعان، ولا يدركان.

وفي العصا عَوج، وفي السن عَوج، لأنهما يحاط بهما ويبلغ كنههما.[٤]

وقال ابن فارس: العَوج - بفتح العين - في كل منتصب، كالحائط، والعِوج ما كان في بساط أو أرض أو دين، أو معاش.[٥]

((وانتم شهداء)) هذه واو الحال، والمعنى: وأنتم شهداء بصحة ما صددتم عنه، وبطلان ما انتم عليه، وهذا قول ابن عباس وقتادة والأكثرين.[٦]

---

(١) معمر بن المثنى، أبو عبيد التيمي، مولاهم، البصري، النحوي، اللغوي، مات سنة ثمان ومائتين. التقريب (٦٨١٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٩٨).

(٣) لم أجد لفظ المؤلف في معاني القرآن، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٤) زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٥) زاد المسير (١/ ٤٣٠).

(٦) تفسير ابن جرير (٧/ ٥٧)، وزاد المسير (١/ ٤٣٠).

وقيل : ((وانتم شهداء)) ثقات عدول عند أهل دينكم ، فيكون خارجا مخرج التذكير لهم بنعم الله عليهم واحسانه اليهم .

وقال القاضي أبو يعلى : ((وانتم شهداء)) أي عقلاء[1] ثم هددهم فقال : ((وما الله بغافل عما تعملون - ٩٩)) قوله تعالى : ((يأيها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتب - ١٠٠)) الآية .

سبب نزولها أن رجلا من اليهود يقال له : شاس بن قيس - وكان شيخا يهوديا عاسيا[2] عاتيا شديدا الشكيمة في كفره - مر بمجلس فيه نفر من الأوس ، والخزرج ، فغاظه اتفاقهم على الايمان ، بعد افتراقهم زمن عبادة الأوثان فحمله البغي والعناد على ايقاد نار الفساد (٤٢/أ) فأنشدهم أشعار بعاث ليبعثهم على الشر ، وهو يوم عظيم من أيام حروبهم ، وكان الظفر فيه للأوس ، فتنازع الحيان عند ذلك ، وتفاخروا ، وأخذتهم الأنفة ، والحمية ، حتى دعوا بدعوى الجاهلية ، وأخذوا السلاح ، واصطفوا للقتال ، فأنزل الله هذه الآية ، وما في حيزها فأقبل بها نبي الرحمة حتى وقف بين الصفين ، فقرأها ، ورفع بها صوته ، فانصتوا ، وعلموا أنها نزغة شيطان ، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ، وجثوا يبكون[3] .

---

(١) زاد المسير (١ / ٤٣٠) .

(٢) عسا الشيخ يعسو عُسّوا وعُسُوّا وعسيا كبر . اهـ من القاموس مادة "عسا" (٤ / ٣٦٤) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧ / ٥٥) ، عن محمد بن اسحاق قال : حدثني الثقة عن زيد بن أسلم به . وذكره الثعلبي (٣ / ق ٨٣ / ب) والبغوي (١ / ٣٣١) ، والواحدي في أسباب النزول ص(١١١) كلهم عن زيد بن أسلم .

((وكيف تكفرون)) استفهام في معنى التعجب والانكار ، المعنى : من أين يتطرق الكفر اليكم ((وأنتم تتلى عليكم ءايت لله)) يعني القرآن ((وفيكم رسوله)) محمد تشرق أنوار رسالته ، وهدايته في أبصاركم وبصائركم .

٢٨- كأنه الشمس في البرج المنيف به . على البرية لا نار على علم[1]

((ومن يعتصم بالله)) فيلوذ ببابه ، ويعوذ بجنابه ((فقد هدى الى صراط مستقيم - ١٠١)) أخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله .

قوله : ((يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته))

قال ابن مسعود : هو أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر .[2]

---

(١) لم أعثر على قائله ، ولعله من شعر المصنف نفسه .

(٢) أخرجه سفيان الثوري في التفسير ص (٧٩) وابن المبارك في الزهد ص (٨) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣ / ٢٩٧) ، والطبراني في الكبير (٩ / ٩٣) ، وابن جرير في التفسير (٧ / ٦٥) وابن أبي حاتم (٢ / ٤٤٦) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص (١٠٧) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٩٥) كلهم من طريق زبيد اليامي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا ، واسناده صحيح .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه اهـ ووافقه الذهبي .
قال ابن كثير : وهذا اسناد صحيح موقوف . اهـ من التفسير : (١ / ٣٨٧) .
ورواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه مرفوعا قاله ابن كثير .
= = = =

ورواه مرفوعا (٤٢/ب) الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس : هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ، وأن لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وأن تتقوا الله بالقسط ، ولو على أنفسكم ، وآبائكم وأبنائكم.(١)

(=) قلت : لم أجد المرفوع في النسخة المطبوعة من الحاكم ، وكذلك نسبه السيوطي في الدر (٢/٢٨٢) الى الحاكم ، وابن مردويه وأخرجه الثعلبي أيضا (٣/ق ٨٦/أ) عن ابى النضر عن محمد بن طلحة عن زبيد عن مرة عن عبد الله رفعه .

قال ابن كثير : " والأظهر أنه موقوف والله أعلم " اهـ (١/٣٨٨)

(١) تفسير ابن جرير (٧/٦٧) وابن أبى حاتم (٢/٤٤٩) ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص (١٠٧) عن علي بن طلحة عن ابن عباس .

فصل

ذهب ابن عباس في رواية ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وأكثر المفسرين[1] الى أن هذا منسوخ بقوله : ((فاتقوا الله ماستطعتم))[2] ، والذاهبون الى أحكامه جعلوا قوله : ((ما استطعتم)) مفسرا لقوله : ((حق تقاته))[3] .

قوله : ((ولا تموتن الا وأنتم مسلمون - ١٠٢))

قال صاحب الكشاف : معناه لا تموتن على حال سوى حال الاسلام ، اذا أدرككم الموت ، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو : لا تأتين الا وأنت

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/٦٨) وابن أبى حاتم (٢/٤٤٩) والناسخ والمنسوخ لابن الجوزى ص (٢٤٢) ، وتفسير ابن كثير (١/٣٨٨) والرواية الصحيحة عن ابن عباس أنها لم تنسخ .

(٢) التغابن (١٦) .

(٣) قال النووى : والصحيح الذى جزم به المتقنون ، وأطبق عليه المحققون أنها ليست ناسخة ، بل هى مفسرة ومبينة للمراد بقوله ((حق تقاته)) ، وأنه ما استطاعه المكلفون ، لان غير المستطاع لا يكلف به . اهـ . من فتاوى النووى من حاشية هبة الله بن سلامة . وقال القرطبي (٤/١٥٧) : (وهذا أصوب - يعنى عدم النسخ - لأن النسخ انما يكون عند عدم الجمع ، والجمع ممكن فهو أولى اهـ وقال مكى في الناسخ والمنسوخ ص (٢٠٣) : وهذا القول حسن .اهـ قال ابن الجوزى : قال شيخنا على بن عبد الله - لعله على بن عبيد الله أبو الحسن بن الزاغونى - : والاختلاف في نسخها واحكامها يرجع الى اختلاف المعنى المراد بها ، فالمعتقد نسخها يرى أن :

= = =

على حصان ، لا تنهاه عن الاتيان ، (ولكنك)[1] تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان[2] .

قوله : ((واعتصموا بحبل الله جميعا))

قال الزجاج : اعتصموا استمسكوا[3] ، قال ابن مسعود : حبل الله كتابه[4] وقال في رواية أخرى : الجماعة[5] . وقال مجاهد : عهد الله[6] . و" جميعا "

(=) ((حق تقاته)) الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه ، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به ، فتحصيله من الواحد ممتنع ، والمعتقد احكامها يرى أن ((حق تقاته)) أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته ، فكان قوله " ما استطعتم " مفسرا لـ ((حق تقاته)) لا ناسخا ولا مخصصا . اهـ من زاد المسير (١ / ٤٣٢) .

(١) في الأصل " ولكنه " والتصويب من الكشاف .

(٢) الكشاف : (١ / ٢٠٦) .

(٣) معاني القرآن (١ / ٤٥٠) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧ / ٧٢) ومعجم الطبراني الكبير (٩ / ٢٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة وابن المنذر ، وسعيد بن منصور (ق / ١٢١ / ب) قاله السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٢٨٤) وقال : ان سنده صحيح .

(٥) تفسير ابن جرير (٧ / ٧١) ، وابن أبي حاتم (٢ / ٤٥٣) ، ومعجم الطبراني الكبير (٩ / ٢٤٠) ، والشريعة للآجري ص (١٣) ، وسعيد ابن منصور (ق / ١٢١ / ب) وعبد بن حميد وابن المنذر قاله السيوطي (٢ / ٢٨٥) .

(٦) تفسير ابن جرير (٧ / ٧٢) والثعلبي (٣ / ق ٨٦ / ب) والبغوي (١ / ٣٣٣) .

نصب على الحال . ((ولا تفرقوا)) أصلها تتفرقوا ، فحذفت التاء الثانية الأصلية ،لاتفاقهما في الجنسية .

فان قيل : هلا حذفت التاء الأولى - لمكان (٤٣/أ) زيادتها - وأقرت الأصلية ؟ .

قلت : لأن الأولى دخلت لمعنى الاستقبال ،فكان حذف ما لا معنى فيه أولى .

وابن كثير في رواية البزى[1] يشدد التاء على الادغام ، وهذا مذهبه في كل ما أصله تآءان ، مثل ((ولا تيمموا الخبيث))[2] ((ولا تجسسوا))[3] ، وذلك في احدى وثلاثين موضعا في القرآن .[4]

والمعنى : لا تختلفوا وتتفرقوا ،كما تفرقت اليهود والنصارى .

((واذكروا)) أيها الأوس والخزرج ((اذ كنتم أعداء)) تتناحرون ، ورحى الحرب تدور بينكم مائة وعشرين سنة ((فألف بين قلوبكم)) بالاسلام ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، ((فأصبحتم)) أى فصرتم ((بنعمته اخوانا)) يعنى اخوة في الدين ((وكنتم على شفا حفرة)) أى على حرف هوة ((من النار)) وهو تمثيل لقربهم من الهلاك ، على معنى : ليس بينكم وبين الخلود

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله البزى ،أبو الحسن المكى ، مقرىء مكة ومؤذن المسجد الحرام ،استاذ محقق ضابط متقن ، وتوفى سنة خمسين ومائتين . طبقات القراء لابن الجزرى (١/ ١٢٠)

(٢) البقرة (٢٦٧) .

(٣) الحجرات (١٢)

(٤) النشر (٢/ ٢٣٢) .

في النار سوى مفارقة هذه الدار ((فأنقذكم منها)) بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وفي مسند الامام أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله كره لكم ثلاثا ، ورضى لكم ثلاثا ، رضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وأن تنصحوا لولاة الأمر وكره لكم قيل ، وقال : واضاعة المال ، وكثرة السؤال .(١)

((كذلك)) أي مثل ذلك البيان الواضح ((يبين الله لكم آياته لعلكم (٤٣/ب) تهتدون - ١٠٣))

ارادة أن تزدادوا هدى .

ويروى أن اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ هذه الآية فقال : والله ما أنقذهم منها ، وهو يريد أن يوقعهم فيها .

فقال ابن عباس : خذوه من غير فقيه .(٢)

قوله : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) .

---

(١) مسند الامام أحمد (١٦/١٤٤) ، رقم (٨٣١٦) ، والحديث مخرّج في الصحيحين . أخرج البخاري شطره الأخير " ان الله كره لكم قيل وقال الحديث كتاب الزكاة (٢/١٥٣) ، ومسلم ، كتاب الأقضية (٣/١٣٤٠) بلفظ المؤلف .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٩٤/ب) بلاغا .

من للتبعيض[1] ،لأنه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا العالم بما يجوز في ذلك وما لا يجوز . والخير الاسلام ، والمعروف طاعة الله ، وطاعة رسوله ، والمنكر معصية الله ، ومعصية رسوله .

((وأولئك)) يعني الذين يدعون الى الخير ، ويأمرون وينهون ((هم المفلحون - ١٠٤)) .

قال علي رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر.[2]

وأخرج الامام في مسنده ، من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله عليه فيه مقال أن يقول ، فيقول الله : ما منعك أن تقول فيه فيقول : يا رب خشيت الناس فيقول : فأنا أحق أن يخشى .[3]

---

(١) وقيل : للبيان .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٧٤) ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ي (٣٠) : وهو من طريق اسحاق بن بشر ومقاتل وهما ساقطان . اهـ

(٣) مسند الامام أحمد (٣ / ٩١) وكذلك أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ي (٢٩٣) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن رجل عن أبي سعيد مرفوعا .
وأخرجه أحمد أيضا في المسند (٣ / ٣٠) ، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ٩٠) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي سعيد مرفوعا والأول أشبه للاختلاف فيه على عمرو ، وشعبة مقدم فيه ، والأعمش مدلس ، فالظاهر أنه سواه باسقاط المبهم ، وأيضا أبو البختري لم يدرك أبا سعيد ، قاله أبو حاتم في المراسيل ص٧٦

= = = =

قرأت على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني[١] ، أخبركم أبو منصور محمد ابن أسعد الطوسي[٢] ، أخبرنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغـــوى ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي[٣] ، أخبرنا أبو بكر أحمد بـن الحسن الحيرى[٤] (٤٤/أ) أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي[٥] ، حدثنـــا

(=) لكن أخرجه الامام أحمد أيضا (٤٧/٣ ، ٧٣) من طريق سفيان عن زبيد اليامى عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سـعيـد مرفوعـــا .

(١) المحدث الجوال ، محمد بن الحسين القزويني ، أبو المجد الصوفي حدث ببغداد والموصل ، ورأس عين ، ودمشق وغيرها ، واشتهر اسمه ، توفى بالموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة .
سير أعلام النبلاء (٢٤٩/٢٢) وشذرات الذهب (١٠١/٥)

(٢) محمد بن أسعد الطوسي ، أبو منصور العطارى ، المعروف" بجعدة " من فقهاء الشافعية ، كانت له معرفة جيدة بالخلاف ، وأنـــس بالتفسير ، وكان يعظ بتبريز ، وناظر ، ودرس وافتى ، توفـــى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .
المنتظم لابن الجوزى (٢٧٩/١٠) ، وسير اعلام النبـــلاء (٥٣٩/٢٠) .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

(٤) أحمد بن الحسن النيسابورى ، أبو بكر الحيرى ، الشافعي ، فقيـه حدث عن جماعة ، توفى سنة احدى وعشرين واربعمائة .
سير أعلام النبلاء (٣٥٦/١٧) ، شذرات الذهب (٢١٧/٣) .

(٥) حاجب بن أحمد بن برحم النيسابورى ، أبو محمد الطوسي ، روى عن

= = =

عبد الرحيم بن منيب[1] حدثنا يعلى[2] ، عن الأعمش عن الشعبي عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل الواقع في حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم ركبوا في السفينة ، فاستهموا عليها ، فركب قوم علوها ، وركب قوم سفلها ، وكانوا اذا استقوا آذوهم ، وأصابوهم بالماء فقالوا : انكم قد آذيتمونا ، مما تمرون علينا ، فأعطوا رجلا فأسا فنقب عند هم نقباء ، قالوا : ما هذا الذى تصنعون ؟ قالوا : تأذيتم بنا فننقب عند نا نقبا نستقى منه ، فان تركوهم هلكوا ، وأهلكوا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجّوا هذا حديث صحيح أخرجه البخارى[3] عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش .

قوله : ((ولا تكونوا كالذين تفرقوا - ١٠٥)) وفيهم قولان :

(=) عبد الرحمن بن منيب المروزى ، وجماعة ، توفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣٣٦) وشذرات الذهب (٢ / ٣٤٣) .

(١) ذكره الذهبي في ترجمة الذى قبله .

(٢) يعلى بن عبيد بن أبى أمية ، الكوفي أبو يوسف الطنافسي ، ثقة الا في حديثه عن الثورى ففيه لين ، مات سنة بضع ومائتين . التقريب (٧٨٤٤) .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الشهادات ، باب القرعة في المشكلات (٣ / ٢٣٧) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

أحدهما : أنهم اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس[1] والحسن[2] .

والثاني : أنهم الحرورية ، قاله أبو أمامة[3] .

قوله : ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)) يوم نصب على الظرف وهو " لهم " أو باضمار أذكروا .

قال ابن عباس - في رواية عطاء - : يوم تبيض وجوه المهاجرين والأنصار ، وتسود وجوه قريظة والنضير[4] .

وقال - في رواية سعيد بن جبير - : يوم (٤٤/ب) تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة[5] .

وقيل : يوم تبيض وجوه المؤمنين ، وتسود وجوه الكافرين ، وقيل : المنافقين

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٣٥) ، والقرطبي (٤/ ١٦٦) ، ونسبه الى جمهور المفسرين .

(٢) أثر الحسن أخرجه ابن جرير (٧/ ٩٣) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٢)

(٣) أثر أبي أمامة أخرجه الثعلبي (٣/ق ٩٦/أ) ، وذكره البغوي : (١/ ٣٣٩) والأول أظهر ، لأن الحرورية لم يشتهر أمرهم الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كانوا داخلين في عموم الآية .

(٤) ذكره الثعلبي (٣/ق ٩٦/ب) عن عطاء .

(٥) تفسير ابن ابي حاتم (٢/ ٤٦٥) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩١) ، أبا نصر في الابانة ، والخطيب في تاريخه واللالكائي في السنة .

((فأما الذين اسودت وجوههم)) وهم أهل البدعة أو اليهود والنصارى على اختلاف القولين ،أو جميع الكفار أو المنافقين ، على القولين الآخرين[1] ((أكفرتم)) على اضمار القول ،أى فيقال لهم : أكفرتم ((بعد ايمانكم)) بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ،وان أريد به الحرورية فالمعنى أكفرتم غطيتم الحق ،وفارقتم الجماعة ، وسللتم سيف البغى على المؤمنين . ، بعد ايمانكم ،وان أريد به جميع الكفار ،فالمعنى أكفرتم بعد ايمانكم ((يوم ألست بربكم)) وان أريد به المنافقون ،فالمعنى : بعد ايمانكم بألسنتكم ((فذوقوا العذاب)) أصل الذوق بالفم ،ثم استعير لما يتعرف تقول العرب : ذق الفرس فاعرف ما عنده . وأنشدوا :

٢٩- فان الله ذاق حلوم قيس . . فلما رأى خفتها قلاها[2]

وفي كتاب الخليل ، كل ما نزل بانسان من مكروه فقد ذاقه .

أخبرنا الامام أبو اليمن ،زيد بن الحسن الكندى[3] ، أخبرنا أبو منصور

---

(١) والأولى ترك الآية على اطلاقها ،ولا ينبغى أن تخصص بنوع من العصاة ، وما جاء في ذلك عن السلف ، فانما أرادوا به التمثيل لا الحصر .

(٢) قائله يزيد بن الصعق ، كما في الحيوان للجاحظ (٥ / ٣٠) .

(٣) تقدمت ترجمته في : (٣١)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز[1] ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب ، أخبرنا أبو نضر محمد بن عبيد الله بن الحسن[2] ، حدثنا أبو حفص (٤٥/أ) عمر بن محمد بن علي الزيات[3] ، حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن أيوب[4] ، سمعت الحسن بن حماد ، سجادة[5] يقول : بلغني أن أم اسحاق الأزرق قالت له يا بني ان بالكوفة رجلا يستخف بأصحاب الحديث ، وأنت على الحج ، فأسألك بحقي عليك أن لا تسمع منه شيئا ، قال اسحاق : فدخلت الكوفة ، فاذا الأعمش قاعد وحده ، فوقفت على باب المسجد فقلت : أمي والأعمش ، وقد

---

(١) الشيخ الجليل ، الثقة ، أبو منصور ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد ، الشيباني ، القزاز ، كان من أولاد المحدثين ، سمع من جماعة ، وكان صحيح السماع ، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة المنتظم (١٠/ ٩٠) وسير أعلام النبلاء : (٢٠/ ٦٩) .

(٢) لم اعثر على ترجمته

(٣) عمر بن محمد بن علي البغدادي ، أبو حفص ، المعروف بابن الزيات كان ثقة أمينا ، صاحب حديث يحفظه ، توفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٠) ، والسير (١٦/ ٣٢٣)

(٤) لم أعثر على ترجمه .

(٥) في الأصل : الحسن بن محمد ، وهو خطأ ، والصواب الحسن بن حماد بن كسيب ، الحضرمي ، أبو علي البغدادي ، يلقب سجاده ، مات سنة احدى وأربعين ومائتين . التقريب (١٢٣٠) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[1] فدخلت المسجد فسلمت ، فقلت : يا أبا محمد حدثني فاني رجل غريب ، فقال : من أين أنت ؟ قلت من واسط ، قال : فما اسمك ؟ قلت : اسحاق ابن يوسف الأزرق[2] ، قال : فلا حييت ولا حييت أمك ، أليس حرجت عليك أن لا تسمع مني شيئا ؟ قلت : يا أبا محمد ليس كل ما بلغك يكون حقا ، قال : لأحدثنك بحديث ما حدثت أحدا قبلك ، فحدثني عن ابن أبي أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الخوارج كلاب أهل النار[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (١ / ٨١) ، وابن حبان في المجروحين (١ / ١٤١) ، وابن عدي في الكامل (١ / ١٨٣) ، وابن عبد البر في العلم ص (٢٦) ، والخطيب في التاريخ (٤ / ١٥٧) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١ / ٥٤) ، وقال - بعد سرد طرقه - : هذه الأحاديث كلها لا تثبت . . . . وقال أحمد بن حنبل : لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء . اهـ وانظر المقاصد الحسنة ص(٢٧٥)

(٢) اسحاق بن يوسف المخزومي ، الواسطي ، المعروف بالأزرق ، ثقة مات سنة خمس وتسعين ومائة . التقريب (٣٩٦) .

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤ / ٣٥٥) ، وابنه في السنة (٢ / ٦٣٥) ، وابن ماجه ، في المقدمة (١ / ٦١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٣٨) كلهم عن اسحاق عن الأعمش عن ابن أبي أوفى قال صاحب ظلال الجنة في تخريج السنة : حديث صحيح ، ورجال اسناده ثقات ، رجال الشيخين ، غير أن الأعمش لم يسمع من ابن أبي أوفى ، وهو الى ذلك مدلس . اهـ
لكن الأعمش قد توبع فقد أخرجه ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي شيبة

= = =

وفي مسند الامام من حديث سيار[1] قال : جيء برؤس من قبل العراق فنصبت عند باب المسجد . وجاء أبو أمامة[2] ، فدخل المسجد فركع ركعتين ثم خرج ، فنظر اليهم ،فقال : شر قتلى تحت ظل السماء ثلاثا ، وخير قتلى تحت (٤٥/ب) ظل السماء من قتلوه ،وقال : كلاب النار ثلاثا ، ثم انه بكى ثم انصرف عنهم ،فقال له قائل : يا أبا أمامة أرأيت هذا الحديث حيث قلت : كلاب أهل النار شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شيء تقوله برأيك ؟ قال سبحان الله ،اني اذا لجريء ،لقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ،ومرتين حتى ذكر سبعا . فقال الرجل : لأي شيء بكيت ،قال : رحمة لهم . وفي رواية أخرى عنه ثم قرأ ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)) الى آخر الآية .[3]

(=) عن أبي الوليد عن حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان قال دخلت على ابن أبي أوفى ، فذكره ،واسناده حسن وللحديث شاهد عن أبي أمامة سيذكره المؤلف بعد هذا الحديث .

(١) سيار الأموي ، مولاهم ،الدمشقي ،قدم البصرة ،صدوق ، من الثالثة ،قيل اسم أبيه عبد الله، أخرج له الترمذي . اهـ من التقريب (٢٧٢٠) .

(٢) صدي بن عجلان ، الباهلي ، الصحابي ،رضي الله عنه .

(٣) مسند الامام أحمد (٥/ ٢٥٠ ، ٢٥٣) والترمذي (٥/ ٢٢٦) في تفسير سورة آل عمران ،وابن ماجه في المقدمة (١/ ٦٢) واسناده حسن وله شاهد من حديث ابن ابي أوفى تقدم ص ١٨٢

قوله : " ففي رحمة الله " يعني الجنة ، قال ابن قتيبة : وسمي الجنة رحمة لان دخولهم اياها كان برحمته .[1]

وقوله ((هم فيها خالدون - ١٠٧)) موقعه موقع الاستئناف ، وكأنه قيل كيف يكونون فيها ؟ فقيل : هم فيها خالدون ،لا يظعنون ولا يموتون .

قوله : ((كنتم خير أمة اخرجت للناس))[2] .

نزلت حين قالت طائفة من اليهود للمسلمين : ديننا خير ،ونحن أفضل .[3]

قال الزجاج : الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته[4] ، وفي الحديث : انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها ،وأكرمها على الله عز وجل .[5]

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٣٧) .

(٢) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادي عشر مرة ثانية .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص (١١٣ - ١١٤) والثعلبي (٣/ق٩٨/أ) عن عكرمة ومقاتل ،وابن جرير (٧/ ١٠١) ،عن عكرمة بسند صحيح . وتفسير مقاتل (١/ ١٨٧) ،وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٣) نسبته الى ابن المنذر .

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٥٦) .

(٥) أخرجه الامام أحمد في المسند (٥/ ٣) والترمذي ،كتاب التفسير (٥/ ٢٢٦) ،وابن ماجه ،كتاب الزهد ،باب صفة أمة محمد (٢/ ١٤٣٣) ،والحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة (٤/ ٨٤) ، كلهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ،قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ،ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي قال ابن كثير (١/ ٣٩١) : وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي .

والمعنى كنتم في اللوح المحفوظ ،أو في علم الله ،أو كنتم مذ كنتم ،أوكنتم بمعنى خلقتم ،أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة (٤٦/أ) موصوفين به ، وذكر الفراء[1] والزجاج[2] أن معنى " كنتم " أنتم ، كقوله :

((وكان الله غفورا رحيما)) .

ومعنى الكلام : كنتم خير الناس للناس ،وأنفع لهم .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي[3] ، وأبو الحسن ،علي بن أبي بكر الصوفي[4] قالا أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى[5] ، قال أخبرنا أبو الحسن ،

(١) معاني القرآن (١/٢٢٩) .

(٢) لم أجده في معاني القرآن ،وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٤٣٩) وهذا هو الأظهر ،فتكون كان مسلوبة الدلالة على الزمن ،وانما أتى بها لاتصاف اسمها بخبرها .

(٣) الشيخ الأمير ،أبو القاسم ، شمس الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي ، البغدادي الصيدلاني ، العطار ، حدث بالصحيح وغيره ، ومات بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .
التقييد (١/١٥٨) والسير (٢٢/٨٤) .

(٤) الشيخ المسند المعمر ،أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي ، القلانسي ، العطار الصوفي سمع صحيح البخاري من أبي الوقت ، وحدث به في حلب وبغداد ورأس عين ، وازدحموا عليه ، حدث عنه عز الدين الرسعني ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . السير (٢٢/٣٨٨) ، والشذرات (٥/١٦٠)

(٥) عبد الأول بن عيسى السجزي أبو الوقت الهروي ، مسند الدنيا ، شيخ الاسلام ،سمع صحيح البخاري من الداوودي ، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .
سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٠٣) والمستفاد من تاريخ بغداد (١٥٠) والشذرات (٤/١٦٦) .

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود[1] قراءة عليه في سنة خمس وستين وأربعمائة .

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه بن أحمد بن يوسف بن أعين السرخسي[2] ، سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري[3] سنة ست عشرة وثلاثمائة ، حدثنا الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ، حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ميسرة[4] عن أبي حازم[5] ، عن أبي هريرة " كنتم خير أمة أخرجت للناس "

---

(١) الداوودي ، جمال الاسلام ، مسند الوقت ، سمع الصحيح من السرخسي ، توفي سنة سبع وستين وأربعمائة . الأنساب للسمعاني (٥ / ٢٩٥) ، والسير (١٨ / ٢٢٢) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٥٢٥) .

(٢) راوي صحيح البخاري ، سمعه من الفربري ، توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (١٦ / ٤٩٢) ، وشذرات الذهب (٣ / ١٠٠) .

(٣) راوي صحيح البخاري ، سمعه منه بفربر مرتين ، توفي سنة عشر وثلاثمائة ، السير (١٥ / ١٠) ، والعبر (٢ / ٩) والشذرات (٢ / ٢٨٦) .

(٤) محمد بن يوسف هو الفريابي ، وسفيان هو ابن سعيد الثوري ، وميسرة بن عمار ، ويقال ابن تمام ، الأشجعي ، الكوفي ، ثقة من السادسة . اهـ . من التقريب (٧٠٣٨) .

(٥) سلمان الأشجعي ، أبو حازم ، الكوفي ، ثقة ، مات على رأس المائة . التقريب (٢٤٧٩) .

قال خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل ،في اعناقهم ،حتى يدخلون في الاسلام . هذا حديث صحيح .[1]

وقيل المعنى : كنتم خير الأمم التي اخرجت للناس ،تأمرون بالمعروف ، كلام مستأنف ، مبين لكونهم خير أمة .

والمعروف : التوحيد[2]، والمنكر : الشرك ، قوله (٤٦/ب) ((منهم المؤمنون)) كعبد الله بن سلام ، وأصحابه .

((واكثرهم الفسقون - ١١٠)) وهم الذين أصروا على الكفر ،وخرجوا عن الطاعة ،ومما يدل على قله من آمن منهم ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لوآمن بي عشرة من اليهود ،لم يبق على ظهرها يهودي الا أسلم)[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ،كتاب التفسير (٤٧/٦) ، موقوفا على أبي هريرة ،لكن يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد ، باب الأساري في السلاسل (٧٣/٤) .

(٢) المعروف أعم من التوحيد ،بل التوحيد من المعروف الذي يجب الأمر به .
والمعروف كل ما عرف حسنة شرعا ، وكذلك المنكر كل ما عرف قبحه شرعا ،وأول ما يدخل فيه الشرك .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ،باب اتيان اليهود (٨٩/٥) ومسلم ،كتاب صفات المنافقين (٢١٥١/٤) ، ولفظ المصنف لفظ مسلم.

قوله ((لن يضروكم)) يعني اليهود ، ((الا أذى)) أي ضررا مقتصرا على أذى ، من بهت يختلقونه ، وباطل يلقونه .

ثم ضمن الله النصر للمسلمين ، فقال : ((وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار)) وقوله : ((ثم لا ينصرون - ١١١)) جملة معطوفة على الشرط والجزاء . والتقدير : ثم أخبركم ، وأبشركم أنهم لا ينصرون ، ولذلك لم يجزم .

قوله[1] ((ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا)) أي أينما وجدوا ، وقد سبق تفسيره في البقرة[2] ((الا بحبل من الله)) في موضع الحال ، على معنى : الا معتصمين ، أو متمسكين بحبل من الله ، أي عهد منه ، وعهد من الناس ، الذين هم ناس على الحقيقة ، وهم المسلمون ، وعهد هم عقد الذمة لأهل الكتاب ، ونسبته الى الله لصدور الاذن فيه من جهته . قال الزجاج : وما بعد الاستثناء في قوله (٤٧/أ) ((الا بحبل من الله - ١١٢)) ليس من الأول[3] وإنما المعنى أنهم أذلاء الا أنهم يعتصمون بالعهد اذا أعطوه . وباقي الآية مفسر في البقرة .[4]

قوله : ((ليسوا سواء)) يعني اليهود ، ثم بين ما به وقع انتفاء المساواة ،

---

(١) كتب بالهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا خاصا .

(٢) عند آية (٦١) .

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٥٧) ، ومراده أنه استثناء منقطع ، وقيل انه متصل ، انظر الدر المصون (٣/ ٣٥٢) .

(٤) عند قوله " ضربت عليهم الذلة والمسكنة)) الآية - ٦١ - البقرة .

فقال : ((منهم أمة قائمة)) مستقيمة عادلة ، قال ابن عباس : قائمة على الحق ، وعلى أمر الله ، لم يتركوه ، كما تركه الآخرون .(١)

وقال السدى : قائمة بطاعة الله .(٢)

((يتلون)) في موضع رفع صفة لأمة ، ومثله ((يؤمنون)) والمعنى : يقرأون كتاب الله ((آناء الليل)) ساعاته ، واحدها أنىً ، مثل نَجَىً ، أو أنىً مثل معاً .

قال السدى : أناء الليل : جوف الليل .(٣)

وروى سفيان عن منصور(٤) : أنها ما بين المغرب والعشاء(٥) ، وقال قتادة : هى ساعات غير معينة .

((وهم يسجدون - ١١٣)) أى يصلون النوافل ، وقيل : هو السجود المعروف فعلى القول الأول تكون الواو للحال(٦) ((ويأمرون بالمعروف)) وهو اتباع

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/١٢٣) ، وابن أبى حاتم (٢/٤٨٦) والثعلبي (٣/ق ١٠٢/أ) ، والبغوى (١/٣٤٣) .

(٢) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٠٢/أ) والبغوى (١/٣٤٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/١٢٦) ، والثعلبي (٣/ق ١٠٢/أ) والنكت والعيون (١/٣٣٩) ، وزاد المسير (١/٤٤٣) .

(٤) سفيان هو الثورى ، ومنصور هو ابن المعتمر السلمى ، أبو عتاب الكوفي

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٢٢٩) ، وابن أبى حاتم (٢/٤٨٨) والثعلبي (٣/ق ١٠٣/أ) .

(٦) وكذلك على الثاني ، ويجوز أن تكون استئنافا ، على كلا القولين .

محمد صلى الله عليه وسلم ، ((وينهون عن المنكر)) وهو مخالفته صلى الله عليه وسلم ، ((ويسارعون في الخيرات - ١١٤)) .

يبادرونها خوف الفوت بحلول الموت .

ومعنى الآية : من أهل الكتاب أمة موصوفون بهذه الصفات ، وهم الذين أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام ، ومنهم من أصر على يهوديته (٤٧/ب) وكفره ، وهم الأكثرون ، وانما اقتصر على الاخبار عن أمة واحدة لوضوح المعنى ، وظهوره ، كقوله ((أمن هو قانت))[1] ولم يذكر ضده ، ومثل ذلك قول الشاعر :

٣٠- وما أدري اذا يممت أرضا . . أريد الخير أيهما يليني

٣١- الخير الذي أنا ابتغيه . . أم الشر الذي هو يبتغيني[2]

أراد : أريد الخير ، وأتقى الشر ، ولذلك قال : " أيهما يليني " وقال : " أم الشر" قوله تعالى : ((وما تفعلوا من خير فلن تكفروه)) خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقرأ حمزة والكسائي[3] : ((وما يفعلوا)) بالياء ((فلن يكفروه)) بالياء أيضا ردا الى الأمة القائمة ، واخبارا عنهم ،

---

(١) الزمر (٩) .

(٢) البيتان للمثقب العبدي من قصيدة طويلة ، في المفضليات ص(٢٩٢)

(٣) وكذلك هي قراءة حفص عن عاصم كما في الحجة للفارسي (٣/ ٧٣) لابن زنجلة ص (١٧٠ - ١٧١) والكشف (١/ ٣٥٤) ، والنشر (٢/ ٢٤١) .

والمعنى : لن يضل عنكم ثوابه ، ((والله عليم بالمتقين - ١١٥)) أى بالمحتجزين بالايمان عن الشرك ، والايقان عن الشك .

قوله : ((مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا)) .

قال مجاهد : نزلت في نفقات الكفار يوم بدر ، وقال مقاتل : في نفقة اليهود على علمائهم ((كمثل ريح فيها صر)) وهو البرد الشديد ، وقيل : النار سميت بذلك ، لتصويتها عند التهابها[1] ، فأعلمهم الله عز وجل أن ضرر نفقتهم في طاعة الشيطان ومعصية الله على أنفسهم كضرر (٤٨/أ) هذه الريح على هذا الزرع ، وقوله ((أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم)) بالكفر والمعاصى ، ومنع حق الله منه فانهم اذا كانوا بهذه المثابة ، كان سخط الله عليهم أشد ، وكانت العقوبة في حقهم أعظم .

وقيل : ظلموا أنفسهم بالزرع في غير أوانه . فان قيل : الغرض تمثيل نفقتهم في ضياعها وذهاب نفعها بما أهلكته الريح ، فكيف قال : كمثل ريح ، والمثل

---

(١) وقيل الصر : الصوت الذى يصحب الريح من شدة هبوبها .
قال العلامة ابن القيم : والأقوال الثلاثة متلازمة ، فهو برد شديد محرق - لييبسه - الحرث ، كما تحرقه النار ، وفيه صوت شديد .
التفسير القيم ص (٢١٥) .

ليس للريح ، وانما هو لما أهلكته ؟

قلت : قد سبق الكلام على نظائره ، ويجوز أن يكون المعنى : مثل اهلاك نفقتهم كمثل اهلاك الريح ، أو مثلها كمثل مهلك الريح ، وهو الحرث .

قوله : ((وما ظلمهم الله)) يعني المنفقين ، ما ظلمهم اذ لم يتقبل نفقتهم ((ولكن أنفسهم يظلمون[1] - ١١٧)) حيث لم يسلكوا بها مسلك ما يتقبل من النفقات التي يتقرب بها الى الله ، وتجدي على أصحابها نفع الدنيا والآخرة ، ويجوز أن يكون المعنى : وما ظلم الله أصحاب الحرث الذين اجتاحت الريح زرعهم بالعقوبة ، ولكن أنفسهم يظلمون حيث ارتكبوا ما أوجبوا ذلك من الكفر والمعاصي ، ويجوز أن يعود الضمير في ((وما ظلمهم الله)) للمنافقين الذين ضرب المثل لهم ، وبهم .

قوله : ((يأيها الذين (٤٨/ب) آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)) نزلت ناهية لطائفة من المؤمنين ، كانوا يواصلون رجالا من اليهود والمنافقين لما بينهم من الحلف ، والرضاع ، والقرابة ، والجوار ، والصداقة .[2]

---

(١) في الأصل : " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " وهو خطأ .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٤١) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وفيه ابن اسحاق ، ومحمد بن أبي محمد ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٩) ، عن محمد بن أبي محمد قوله .
وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٩) ، نسبته الى ابن اسحاق ، وابن المنذر .

وبطانة الرجل : خاصته الذين يستنبطون أمره ، ويظهرون على سره مأخوذ من بطانة الثوب .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : الأنصار كرشي ، وعيبتي .(١)

أي جماعتي ، وموضع سري ، وقوله : الأنصار شعار ، والناس دثار .(٢)

وقوله : ((من دونكم)) أي من دون أبناء جنسكم .(٣)

وهم المسلمون . ويجوز أن يكون متعلقا بلا تتخذوا ببطانة على معنى : بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم ، ثم علل ذلك فقال ((لا يألونكم خبالا)) أي فسادا ، أو شرا ، والمعنى : لا يدعون من جهدهم شيئا في ادخال الفساد عليكم ، يقال : آلا في الأمر ، يألو ، ألوا اذا قصّر فيه .(٤)

ومنه قول ابن مسعود حين بايعوا عثمان رضي الله عنهما : ولم نأل عن خيرنا ذي فوق .(٥)

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٥ / ٤٣) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤ / ١٩٤٩) ، والعيبة من الرجل موضع سره . اهـ من القاموس ، مادة " عيب " (١ / ١١٣) .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة الطائف (٥ / ٢٠٠) ومسلم كتاب الزكاة (٢ / ٧٣٩) .

(٣) هذا التفسير فيه نظر ، لأن الجنس يدخل فيه المؤمنون والكفار والصواب أن يقال : من دونكم أي من دون أهل دينكم ، وملتكم يعني من غير المؤمنين كما قاله ابن جرير في التفسير (٧ / ١٣٨) وانظر ابن كثير .

(٤) هذا من حيث اللغة ، أما المعنى فهو : لا يقصرون في اقاع الخبال فيكم ، بل يجتهدون فيه ، ويسعون في طلبه .

(٥) ذكره الثعلبي في التفسير (٣ / ق ١٠٤ / ب) .

وخبالا تمييز ، أو مصدر ،أو مفعول ثان ، على معنى : لا يمنعونكم ، ولا ينقصونكم[1] خبالا ، ((ودوا ما عنتم)) ما مصدرية ،والمعنى : أحبوا عنتكم ، وادخال المشقة عليكم ،والاضرار لكم في دينكم ودنياكم .

والعنت : شدة الضرر ، والمشقة .

((قد بدت البغضاء من أفواههم)) بما تسمعون (٤٩/أ) منهم ، من شتمكم ،والكذب عليكم ((وما تخفى صدورهم)) من الغل والحقد والحسد ((أكبر - ١١٨)) مما يبدون من أفواههم .

قال القاضي أبو يعلى : في هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات ،والكتابة ،ولهذا قال الامام أحمد : لا يستعين الامام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب.[2]

وقد روى أن عمر رضى الله عنه ،كتب الى أبى موسى - وقد بلغه أنه استكتب ذميا - : لا تردوهم الى العز بعد اذ أذلهم الله .[3]

---

(١) تقدم بيان معناها ،ولكن هذا من المؤلف ، لأجل تقدير صحة مجيء " خبالا " مفعولا ثانيا .

(٢) زاد المسير (١/ ٤٤٧) ، ومراده استعمالهم في أمور المسلمين العامة ، كتولى مهام الدولة ، من رئاسة ، ووزارة ، وقيادة جيش ونحوها ، فان في هذا تسليط لهم على المسلمين ،أما الأمور الخاصة كستأجار المسلم الواحد منهم لعمل من اعماله الزراعية والصناعية ، والتجارية ونحوها فلا بأس به ، ولهذا استأجر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الاريقط للدلالة على الطريق زمن الهجرة وهو مشرك ، واستودعه راحلته .

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى ، كتاب آداب القاضي (١٠/ ١٢٧) وذكره الزمخشرى في الكشاف (١/ ٣٤٤) .

قوله ((هـأنتهم)) قال صاحب الكشاف : " ها " للتنبيه . أنتم مبتـــدأ أولآء خبره ، أى : أنتم أولاء الخاطيئون في موالاة منافقي أهل الكتـــاب.

قوله : ((تحبونهم ولا يحبونكم)) بيان لخطيئتهم في موالاتهم ، حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضآء وقيل : " أولاء [1] موصول " تحبونهم " صلته . والواو في " وتؤمنون " للحال ، وانتصابها من " لا يحبونكم " أى لا يحبونكـم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله ، وهم مع ذلك يبغضونكم ، فما بالكـــم تحبونهم ، وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم .

وفيه توبيخ شديد ، بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ، ونحوه " فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون " [2] وبها تمام كلامه . [3]

وقيل معنى الآية أنتم تحبونهم ، لأنكم تريدون لهم (٤٩/ب) الاســـلام ولا يحبونكم ، لأنهم يريدون لكم الضلال .

((وتؤمنون بالكتب كله)) هو اسم جنس ، يريد الكتب كلها ((واذا لقوكم)) يعنى المنافقين ، وقيل : يعنى اليهود ((قالوا امنا واذا خلوا عضـوا)) أى كدموا [4] ((عليكم الأنامل)) أى أطراف الأصابع ((من الغيظ)) ، وقيل :

---

(١) في الأصل " هؤلاء " .

(٢) النساء : (١٠٤) .

(٣) الكشاف : (١/ ٢١٣) .

(٤) كدمه يكدِمه ، ويكدُمه عضه بأدنى فمه . قاله في القاموس مادة كـــدم (٤/ ١٧١) .

ان عض الأنامل هٰهنا استعارة لشدة الحنق والحقد ، وان لم يكن ثم عض على الحقيقة.[1] كقول الشاعر :

٣٢- اذا رأونى - أطال الله غيظهم - عضوا . . من الغيظ أطراف الأباهم[2]

ومثله قول أبى طالب :

٣٣- وقد صالحوا قوما علينا أشِحّة . . يعضون غيظا خلفنا بالأنامل[3]

وسبب غيظهم ما كانوا يرونه من انتظام المسلمين ، وائتلاف قلوبهم ، واستفحال أمرهم ((قل)) لهم يا محمد على وجه الدعاء عليهم بأن يدوموا على حنقهم الى الموت ((موتوا بغيظكم)) أى اهلكوا كمدا بحنقكم .

((ان الله عليم بذات الصدور - ١١٩)) أى بحقيقة ما في القلوب ، من خير وشر ، فهو يعلم ما في قلوب اليهود والمنافقين من الغيظ والبغضاء ، ومايقولون ويتناجون به في الخلاء .

قال ابن الأنبارى : تأنيث " ذات " لمعنى الحقيقة ، كما تقول (٥٠/أ) العرب : لقيته ذات يوم ، فيؤنثون ، لان مقصدهم لقيته مرة في يوم .

---

(١) وهذا ليس بصحيح ، والأصل حمل الكلام على الحقيقة ، وقد صرح الله عز وجل بأنهم يعضون أناملهم من الغيظ .

(٢) لم أعثر على قائله ، وهو في البحر المحيط (٣/ ٤١) والدر المصون (٣/ ٣٧١) بغير نسبه .

(٣) هو في ديوان الفرزدق ، والبحر (٣/ ٤١) .

قوله عز وجل : ((ان تمسسكم حسنة))[1] أى نصر وغنيمة وحال مستقيمة ((تسؤهم وان تصبكم سيئة)) قتل وهزيمة ((يفرحوا بها وان تصبروا)) على آذاهم ((وتتقوا)) الشرك والمعاصي ((لا يضركم)) جواب الشرط ، وهو من ضار يضير ، ومنه " لا ضير " وقرأ الضحاك[2] كذلك الا أنه ضم الضاد من ضار يضور ، وهى لغة قليلة[3] .

وقرأ أهل الكوفة ، وابن عامر ((يضرّكم))[4] بضم الضاد ، وتشديد الراء وضمها ، أصله : يضررْكم ، فاجتمعت راءان ، والأولى ساكنة ، فأدغمت في الثانية ، ونقلت ضمة الراء الأولى الى الضاد ، وضمت الراء الأخيرة ، اتباعا لأقرب الحركات اليها وهى الضاد ، طلبا للمشاكلة كقولهم : مُدّ يا هذا أو تكون " لا " بمعنى ليس . وفي هذه الآية دلالة على أن سهام الكيد لا تنفذ في دروع الصبر والتقوى .

---

(١) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس الثاني عشر ، مرة ثانية .

(٢) لم أجد قراءة الضحاك هذه ، والكسر قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو ، ونافع ، وانظر التهذيب (١ / ١٣٤) .

(٣) ليست كما زعم المصنف ، بل هى لغة مشهورة ، وانظر الصحاح ، مادة " ضور " (٢ / ٧٢٣) .

(٤) الحجة للفارسي (٣ / ٧٤) ، ولابن زنجلة ص (١٧١) ، والكشف (١ / ٣٥٥) ، والنشر (٢ / ٢٤٢) .

وارشاد للعباد أن يستعينوا بهما في غمرات المهالك ، ومخاوف المسالك .

والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك .(١)

ومنه قوله تعالى : ((فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون))(٢) .

وقد قال الحكماء : اذا أردت أن (٥٠/ب) تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك .

((ان الله بما يعملون(٣) محيط - ١٢٠)) من الصبر والتقوى ، محيط أي عالم فهو يفعل بكم ما أنتم أهله .

وقرأ الحسن والأعمش ((تعملون))(٤) بالتاء على معنى : بما يعملون في عداوتكم ، محيط فهو يجازيهم ، ويعاقبهم .

---

(١) أخرجه الامام أحمد من حديث ابن عباس في المسند (٤/ ٢٨٧) رقم (٢٨٠٤) وكذلك الترمذي في الجامع (٤/ ٦٦٧) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص(١٦٠) وصححه النووي في الأربعين ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢) الصافات (١٤٣ - ١٤٤) . (٣) في الأصل " تعملون " .

(٤) في الأصل " وقرأ الحسن والأعمش" يعملون " بالباء . وهو خطأ والصواب ما أثبته . وقراءة الحسن ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن ص (٢٢) ، والهذلي في الكامل (١٧٥/خ) وهي قراءة شاذة . فعلى هذا تكون صحة العبارة كالتالي : " ان الله بما يعملون محيط" أي بما يعملون في عداوتكم ، محيط فهو يجازيهم ، ويعاقبهم ، وقرأ

= = =

قوله تعالى : ((واذا غدوت من أهلك)) أى واذكر اذ أصبحت ذاهبا من بيت عائشة ، وذلك يوم أحد ، وقال مجاهد ومقاتل : يوم الأحزاب. وروى عن الحسن أنه يوم بدر .(١)

والأول : أصح ، لقوله " اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا " وكان ذلك يوم أحد ((تبوئ المؤمنين)) أى تنزلهم ، والمباء : المنزل ((مقاعد)) أى مراكز ومواطن ، ((للقتال)) قال مجاهد ، والكلبي ، والواقدى : غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة رضى الله عنها يمشى على رجليه الى أحد ، فجعل يصف أصحابه للقتال ، كأنما يقوم بهم القداح ان رأى صدرا خارجا قال : تأخر .

وذلك أن المشركين نزلوا بأحد - على ما ذكره السدى ومحمد بن اسحاق - يوم الأربعاء ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ، ودعا عبد الله بن أبى بن سلول ، ولم يدعه قط قبلها ، فاستشاره فقال عبد الله بن أبىّ ، وأكثر الأنصار : أقم يارسول الله بالمدينة ، لا تخرج اليهم ، فوالله ما خرجنا منها الى عدو (٥١/أ) قط الا أصاب منا .

(=) الحسن والأعمش " تعملون " بالتاء ، على معنى " بما تعملون " من الصبر والتقوى " محيط " أى عالم فهو يفعل بكم ما أنتم أهله .

(١) ذكر هذا الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٠٧/أ) والبغوى (١/ ٣٤٦) وزاد المسير (١/ ٤٤٩) ، والمشهور عن الحسن أنه يوم الأحزاب أخرج هذا ابن جرير (٧/ ١٦١) ، وابن أبى حاتم (٢/ ٥١١) .

لا د خلها علينا الا أصبنا منه ، فكيف وأنت فينا ؟ إ فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وان د خلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فأعجب رسول الله هذا الرأى .

وقال بعض أصحابه : يارسول الله أخرج بنا الى هذه الأكلب ، لا يرون أنا جبنا عنهم ، وضعفنا .

وأتاه النعمان بن مالك الأنصارى فقال : يارسول الله لا تحرمني الجنة ، فوالذى بعثك بالحق لأد خلن الجنة ، فقال له : بم ؟ قال : بأنى أشهد أن لا اله الا الله ، وأنى لا أفر من الزحف ، قال صدقت ، فقتل يومئذ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى رأيت في منامي بقرا ، فأولتها خيرا ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، فأولتها هزيمة ، ورأيت أنى أد خلت يدى في د رع حصينة ، فأولتها المدينة ، فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ، فان أقاموا أقاموا بشر ، وان هم د خلوا المدينة قاتلناهم فيها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يد خلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الأزقة .

فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر ، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد ، أخرج بنا الى أعدائنا فلم (٥١/ب) يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، من حبهم للقاء العدو ، حتى د خل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته ، فلما رأوه وقد لبس السلاح ، ندموا ، وقالوا : نشير

على رسول الله والوحي يأتيه ، فقاموا واعتذروا اليه ، وقالوا اصنع ما شئت ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل . وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار ، فصلى عليه ، ثم خرج اليهم ، فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال ، سنة ثلاث من الهجرة ، وكان من أمر حرب أحد ما كان .(١)

فذلك قوله ((واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم - ١٢١)) .

والمعنى : سميع لما تظهرون ، علم بما تضمرون .

قوله ((اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا)) " اذ همت " بدل من " اذ غدوت " أو عمل فيه " سميع عليم " والطائفتان : حيان من الأنصار ؛

بنو سلمة من الخزرج .

وبنو حارثة من الأوس .

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره بطوله (٣/ق ١٠٧/أ) والبغوى (١/ ٣٤٦) وسيرة ابن هشام (٣/ ٨٤٠) ، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٩٩) وفيه اسم الرجل الذى صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم أنه مالك بن عمرو من بنى النجار ، وانظر زاد المعاد (٣/ ١٩٢) ، ومسند الامام أحمد (٣/ ٣٥١) ، وبعض أجزائه في الصحيح .

وكانا جناحى العسكر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في ألف ، وقيل : في ألف الا خمسين .

وذكر الزجاج : أنهم كانوا ثلاثة آلاف ، وكان المشركون في ثلاثة آلاف[1] .

ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الفتح ان صبروا ، فانخزل عبد الله بن أبيّ (٥٢ / أ) الخزرجي في ثلاثمائة رجل ، فقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟

فتبعهم عبد الله بن حرام ، أبو جابر السلمي ، فقال : أنشدكم الله في نبيكم ، وفي أنفسكم ، فقال عبد الله بن أبيّ : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، فهمت بنو سلمة ، وبنو حارثة بالانصراف ، فعصمهم الله تعالى ، فثبتوا ، فذكرهم الله نعمته بعصمته اياهم ، ومعنى تفشلا : تجبنا ، وتخورا ((والله وليهما)) ناصرهما ، قال جابر بن عبد الله لفرط استبشاره بانزال الله آية ناطقة بثنائه عليهم ، وولايته لهم ، : والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به ، وقد أخبرنا الله أنه ولينا .

وفي الصحيحين من حديث جابر : نحن الطائفتان بنو حارثة ، وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل ، لقول الله تعالى ((والله وليهما))[2] .

---

(١) الذى في معاني القرآن للزجاج (١ / ٤٦٦) أن المسلمين سبعمائة ، والكفار كانوا ثلاثة آلاف ، وهذا هو الموافق للصواب .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران (٦ / ٤٧) ومسلم كتاب فضائل الصحابة (٤ / ١٩٤٨) .

وقرأ ابن مسعود ((والله وليهم))[1] مثل قوله ((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا))[2] .

((وعلى الله فليتوكل المؤمنون - ١٢٢))

التوكل : الاعتماد على الغير ، واظهار العجز .[3]

يقال : فلان وكلة تلكة ، أي عاجز ، يكل أمره الى غيره ، فالتوكل على الله تفويض الأمر اليه ، والاعتماد عليه ثقة بحسن تدبيره ، وتفويضا الى قضائه ، وتقديره .

قوله : ((ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)) بدر أسم لماء[4] بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا ، فسمى به ، ((وأنتم أذلة)) لقلة العدد (٥٢ / ب) والعدد ، وذلك أنهم خرجوا من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر ، سبعة وسبعون من المهاجرين ، والباقون من الأنصار .

وكان صاحب رأية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة ، فانطلقوا على النواضح[5]

---

(١) لم أجد هذه القراءة .

(٢) الحجرات (٩)

(٣) هذا حد التوكل في اللغة .

(٤) وأصبح الآن بلدا معروفا ، من أعمال المدينة بينه وبينها خمسون ومائة كيلا تقريبا بطريق الاسفلت الموصل الى مكة .

(٥) مفردها ناضح وهي الابل التي يستقى عليها .

يعتقب النفر على البعير الواحد ، وكان معهم سبعون بعيرا ، وفرسان ، أحدهما للمقداد ، والآخر لمرثد بن أبي مرثد ، وكان معهم ستة أدرع ونصرهم الله عز وجل مع قلتهم ، وقلة عددهم على المشركين ، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا ، وكان معهم مائة فرس ، فقتلوا منهم سبعين من صناديدهم وأسروا سبعين ، ولم يقتل من المسلمين في ذلك اليوم سوى ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار وهذه أول غزوة قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/٦٤٣) ، وزاد المعاد (٣/١٧١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٤٧) .

﴿ الاشارة الى مغازيه صلى الله عليه وسلم ﴾

جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ست وعشرون[1] غزوة ، قاتل منها في تسع ، أولها :

١) بدر ، وكانت يوم الجمعة ، السابع والعشرين[2] من شهر رمضان ، سنة اثنين من الهجرة ، وفيها[3] حولت القبلة ، وماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٣/أ) وبنى بعائشة ، وتزوج علي فاطمة ، وفرض صوم رمضان ، وفرضت زكاة الفطر .

٢) ثم أحد ، وكانت في شوال ، سنة ثلاث من الهجرة ، وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ، وزينب[4] ، وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

---

(١) قال العلامة ابن القيم في الهدى (١/ ١٢٩) ، فالغزوات سبع وعشرون ، وقيل خمس وعشرون ، وقيل تسع وعشرون ، وقيل غير ذلك . اهـ

(٢) الذى عليه جمهور أهل العلم ، وعامة أهل المغازى والسير أنها في السابع عشر من رمضان .
انظر السيرة لابن هشام (٢/ ٦٦٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٧٤) والتفسير له (١/ ٤٠٠) .

(٣) أى في السنة الثانية من الهجرة .

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة القيسية ، من بنى هلال ابن عامر .

وفيها علقت فاطمة بالحسين ، وبين ولادتها للحسن وعلوقها بالحسين خمسون ليلة .

٣) وفيها غزوة بنى النضير[1] ، وفيها حرمت الخمر .

٤ ، ٥) ثم غزاة الخندق ، وبنى قريظة ، وذلك في شوال سنة أربع[2] وفيها قصرت الصلاة ، وولد الحسين ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، وفيها سقط عقد عائشة ، فنزلت آية التيمم[3] ، وقيل كانت غزوة الخندق وبنى قريظة سنة خمس .

٦ ، ٧) ثم غزا بنى المصطلق ، وبنى الحيان ، وذلك في شعبان سنة خمس وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، وفيها نزل الحجاب .

---

(١) وقيل غزوة بنى النضر في السنة الرابعة .

(٢) قال العلامة ابن القيم في الهدى (٣ / ٢٦٩) : وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين ، اذ لا خلاف أن أحدا كانت في شوال سنة ثلاث ، وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل ، وهو سنة أربع ، ثم اخلفوه لأجل جدب تلك السنة . اهـ وانظر البداية والنهاية (٤ / ٩٣) .

(٣) وقيل نزلت آية التيمم في غزوة بنى المصطلق .

وقيل كانت غزوة المصطلق سنة ست ، وفيها قال أهل الافك ما قالوا ، وفيها قال ابن أبى : " لئن رجعنا الى المدينة "

٨) ثم غزاة خيبر ، وكانت سنة ست ، وفيها كانت

٩) غزوة الحديبية ، وفيها استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، ومطر الناس ، وقيل كانت خيبر سنة سبع .

١٠) ثم غزاة الفتح ، وكانت في (٥٣ / ب) رمضان سنة ثمان وفيها كانت .

١١) مؤتة ، فأصيب بها زيد بن حارثة ، وجعفر[1] وعبد الله بن رواحة ، وفيها أسلم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعثمان بن أبى طلحة وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل ، وفيها ولد ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها توفيت زينب بنت رسول الله ، وفيها طلق رسول الله سودة بنت زمعة[2] ، فجعلت يومها لعائشة فراجعها .

---

(١) هو جعفر بن أبى طالب .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن عائشة لكنه مرسل وأحسن منه - على ضعفه - ما أخرجه الترمذى ، كتاب التفسير ٥ / ٢٤٩ وقال هذا حديث حسن غريب ، والطيالسي في مسنده ص (٣٤٩) والطبراني في الكبير (١١ / ٢٨٤) ، والبيهقي في الكبرى (٧ / ٢٩٧) كلهم عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وأمسكني واجعل يومى لعائشة . ====

وفيها قالوا : يارسول الله سعر لنا ، وكان قد غلا السعر[1] ، .

١٢ ، ١٣٠) ثم غزاة حنين ، ثم الطائف ، وكانتا في شوال أيضا سنة ثمان .

قوله : ((فاتقوا الله لعلكم تشكرون - ١٢٣)) نعمته عليكم ، اذ نصركم مع ضعفكم على أضعافكم .

قوله ((اذ تقول للمؤمنين)) وذلك يوم بدر ، على الصحيح ، وقال الضحاك ومقاتل : يوم أحد .[2]

(=) لكن سليمان بن معاذ سيء الحفظ ، ورواية سماك عن عكرمة ضعيفة

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في التسعير (٣ / ٦٠٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح . اهـ
وأخرجه أيضا أبو داود ، في باب التسعير من البيوع (٣ / ٢٧٢)
وابن ماجه ، باب من كره أن يسعر ، في التجارات (٢ / ٧٤١)
كلهم عن حماد بن سلمة عن قتادة وثابت وحميد عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله سعر لنا ، فقال : ان الله هو المسعر . الحديث .

(٢) ذكره ابن القيم في الزاد ، والقول الأول قول ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، والرواية الثانية عن عكرمة ، واختاره جماعة من المفسرين .
زاد المعاد (٣ / ١٧٧) ، ومال ابن القيم الى أنها نزلت في أحد لأن السياق في ذكر أحد ، وانما أدخل ذكر بدر اعتراضا في اثنائها ، وفيها أن الامداد بثلاثة آلاف ثم وعدهم أنهم ان صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف والامداد ببدر بألف ، وهذا معلق على شرط ، وذلك مطلق ، والقصة في آل عمران قصة أحد مستوفاة مطولة وفي الأنفال بدر مستوفاة مطولة ، ويوضح هذا أن قوله ((ويأتوكم من فورهم هذا)) قد قال مجاهد : انه يوم أحد ، وهذا يستلزم

= = =

فعلى الأول " اذ " ظرف لنصركم ، وعلى الثاني هو بدل ثاني من "اذ غدوت"

فان قيل : القصة - على هذا القول الصحيح - واحدة .

فكيف قال هنا ((بثلاثة آلاف)) ، ((بخمسة آلاف)) ؟

وقال في الأنفال ، في قصة بدر أيضا : ((اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف)) (١) .

قلت : قال قتادة : أمدهم الله بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف (٢) .

فان قيل : كيف ساغ لهذين العالمين أن يقولا : كان ذلك يوم أحد ، والآية قد صرحت بامداد (٥٤/أ) الملائكة وكان ذلك يوم بدر ، بغير خلاف (٣) ، ثم انهم يوم أحد قد كسروا ، وانهزموا فكيف يكون ذلك مع وجود الملائكة ، ونزولهم

(=) أن يكون الامداد فيه فلا يصح قوله : ان الامداد بهذا العدد كان يوم بدر ، واتيانهم من فورهم هذا يوم أحد والله أعلم . اهـ بتصرف يسير من زاد المعاد (٣/١٧٨) .

(١) الأنفال (٩)

(٢) قلت : لكن آية الأنفال تمامها ((أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)) فان كانت الآيات كلها في بدر فلا منافاة بين قوله ألف وثلاثة آلاف ، وخمسة آلاف فان الألف مردفة بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف وانظر تفسير ابن كثير (١/٤٠١) .
وأما ان كانت آيات آل عمران في أحد فشرطه الصبر والتقوى ولم يقعا ، فلم يقع الامداد . وانظر أيضا دفع ايهام الاضطراب للشنقيطي ص (٦٩) .

(٣) يعني قوله ((اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)) الانفال (٩) ولا خلاف أن هذا كان يوم بدر .

لنصرتهم ؟ قلت : نزول الملائكة ـ على هذا القول ـ كان مشروطا بالصبر والتقوى ، قال الله تعالى : ((ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم)) فانتفى لانتفائها .

قوله : ((ألن يكفيكم))[1] انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف ، والامداد اعطاء الشيء بعد الشيء .

فان قيل : هل تضمن قوله ((منزّلين - ١٢٤)) معنى مطولبا للمبشرين بذلك ؟

قلت : نعم ، فان المقصود من بشارتهم بامدادهم بالملائكة اظهار شرفهم وتطييب قلوبهم ، ليثقوا بنصر الله لهم ، وليزدادوا جرأة على أعدائهم ، فاذا علموا أنهم ليسوا من ملائكة الأرض ، وأنهم من ملائكة السماء المكرمين ، المخصوصين بزيادة القرب من الله ، ازدادوا شرفا ، وطمأنينة في أنفسهم ، واقداما على المشركين .

فان قيل فما وجه قراءة ابن عامر ((منّزلين))[2] بالتشديد ؟

قلت : لأنهم نزلوا من مقام الى مقام ، حتى انتهوا الى الأرض .

فان قيل : فما وجه قرآءة من قرأ ((منزلين)) بكسر الزاي[3] ؟

قلت : وجهه أنهم أنزلوا النصر ، وجاؤا به .

---

(١) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثالث عشر مرة ثانية .

(٢) الحجة للفارسي (٣/٧٥) ، ولابن زنجلة ص (١٧٢) والكشف : (١/٣٥٥) ، والنشر (٢/٢٤٢) .

(٣) ذكرها الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١١١/ب) .

قوله : " بلى " ايجاب لما بعد " لن " المعنى : بلى يكفيكم (٥٤ / ب) الامداد ، فأوجب الكفاية بهم ، ثم قال ((ان تصبروا)) يعنى عند لقاء الأعداء ، وتتقوا مخالفة الرسول ((ويأتوكم من فورهم هذا)) يعنى المشركين .

والفور : مصدر فاريفور فورا ، وأصله غليان القدر ، ويقال للغضبان : فار فائره اذا اشتد .

ثم استعير للسرعة ، وعدم التعريج على شيء ، ويقال : قفل فلان من فوره اذا رجع من سفره لا يلوى على شيء يصده عن الرجوع .

قال ابن عباس : ((ويأتوكم من فورهم)) من وجههم هذا . أى يأتوكم مسرعين من وجههم وسفرهم .

وقال مجاهد ((من فورهم)) أى من غضبهم .(١)

وكانوا غضبوا لما أصابهم يوم بدر .

وقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ((مسوِّمين - ١٢٥)) بكسر الواو ، وفتحها الباقون(٢) ، فمن كسر فعلى معنى أنهم قد سوموا أنفسهم ، أو خيلهم ، ويؤيده الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : سوموا فان الملائكة قد سومت.(٣)

---

(١) تفسير ابن جرير (٧ / ١٨٢) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٥٢٣) .

(٢) الحجة للفارسي (٣ / ٧٦) ولا بن زنجله ى (١٧٣) ، والكشف (١ / ٣٥٥) والنشر (٢ / ٢٤٢) .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢ / ٣٣٦) بلفظ المؤلف . وأخرجه ابن أبى شيبة في المصنف في موضعين ، في كتاب الجهاد (١٢ / ٢٦١) ، وفي كتاب المغازى (١٤ / ٣٥٨) وابن جرير (٧ / ١٨٦)

= = = =

فنسب الفعل اليها ، ومن فتح فعلى معنى أنهم قد سُوموا وُعلموا من السيما وهى العلامة .

(=) ولفظه (تسوموا فان الملائكة قد تسومت) كلهم عن ابن عون عن عمير بن اسحاق به . فهو مرسل ، عمير بن اسحاق تابعي .

** الاشارة الى نبذة من **
خبر الملائكة يوم بدر

قال على ، وابن عباس رضى الله عنهم : كانت عليهم يوم بدر عمائم بيض (٥٥/أ) قد أرسلوها بين أكتافهم[١] . وقال على : كان سيما خيل الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض في آذانها ونواصيها[٢].

وقال هشام بن عروة : كانت الملائكة على خيل بلق ، وعليهم عمائم صفر[٣].

وقال عبد الله بن الزبير : كانت على الزبير ملاءة صفراء ، أو عمامة صفراء يوم بدر ، فنزلت الملائكة يوم بدر مسومين بعمائم صفر[٤].

وروى الزبير بن المنذر عن جده أبى أسيد[٥] ، وكان بدريا ، قال : لو أن بصرى فرج منه ثم ذهبتم معى الى بدر ، لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة في عمائم صفر ، قد طرحوها بين أكتافهم[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ق ١١٢/ب) والبغوى (١/ ٣٤٩) وابن هشام في السيرة (٢/ ٦٧٣) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم (٢/ ٥٢٥) وسنده صحيح .

(٣) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٨٨) ، والبلق سواد وبياض ، يقال فرس أبلق ، وفرس بلقاء . اهـ . من الصحاح ، مادة بلق (٤/ ١٤٥١) .

(٤) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٨٨) ، وابن أبى حاتم (٢/ ٥٨) وابن ابى شيبة (١٢/ ٢٦١) ، والحاكم (٣/ ٣٦١) ، وانظر الدر (٢/ ٣٠٩)

(٥) مالك بن ربيعة بن البدن ، أبو أسيد الساعدى ، مشهور بكنيته ، شهد بدرا وغيرها ، مات سنة ثلاثين ، وقيل بعد ذلك . التقريب (٦٤٣٦) .

(٦) أخرجه ابن جرير (٧/ ١٨٦) .

قال مجاهد : كانت أذناب خيولهم مجزوزة ، وفيها العهن[1] .

وروى ابن عباس عن رجل من غفار قال : حضرت أنا وابن عم لي بدرا ونحن على شركنا ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة الخيل وسمعنا فارسا يقول : أقدم حيزوم ، فأما صاحبي فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم انتعشت[2] .

وروى جبير بن مطعم عن علي رضي الله عنه قال : بينا أنا أمتح[3] من قليب بدر جاءت ريح شديدة ، فلم أر أشد منها ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التي قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ، فكانت الريح الأولى جبريل (٥٥ / ب) نزل في ألفين من الملائكة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الريح الثانية ، ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله وكانت الريح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أنا من يساره وهزم الله أعداءه[4] .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧ / ١٨٧) ، وابن أبي حاتم (٢ / ٥٢٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧ / ١٧٥) ، وذكره ابن هشام في السيرة (٢ / ٦٧٢) ويشهد له ما أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ١٣٨٤) ، عن ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين أمامه ، اذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم الحديث .

(٣) متح الماء ، يمتحه ، متحا ، اذا نزعه . اهـ من الصحاح ، مادة " متح " (١ / ٤٠٣) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١ / ٤٥٣) .

وقال أبـو واقد الليثي : انى لا تبع يوم بد ر رجلا من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي ، فعرفت أن غيرى قد قتله .(١)

---

(١) أخرجه الا مام أحمد في المسند (٥ / ٤٥٠) وابن هشام في السيرة (٦٧٢/٢) وابن جرير (١٧٦/٧) ، عن أبى د اود المازني ، ولم يثبت عن أبى واقد الليثي ، فان أبا واقد مختلف في شهود ه بد را ، ذكر هذا الحافظ ابن حجر عنه في الا صابة (٢١٦/٤) ، وصحـح أنه أسلم يوم الفتح ، وأن قصة القتل هذ ه وقعت له يوم اليرمـوك ، لا يوم بد ر .

فصـــل

واختلفوا في عدد الملائكة يوم بدر :

فقال علي رضي الله تعالى عنه وأكثر المفسرين : كانوا خمســة آلاف.

وقال الشعبي : أربعة آلاف .

وقال مجاهد : ألفا .

وذكر الزجاج تسعة آلاف.[1]

ونقل بعض المفسرين ثمانية آلاف .

والأول أشهر وأكثر ، ولعل مجاهدا أخذ بقوله : ((اذ تستغيثون ربكم))[2] الآية ، ولعل الشعبي احتج بها ، وبقوله : ((يمددكم بثلثة آلاف)) وما حكاه الزجاج مستفاد من مجموع الأعداد في الآيات ، الألف ، والثلاثة الآلاف ، والخمسة الآلاف . ولعل صاحب القول الأخير نظر الى العـــدد المذكور في الآيتين هـهنا والله أعلم.[3]

قوله : ((وما جعله الله)) يعني الامداد بالملائكة (٥٦/أ) ((الا بشرى لكم)) بشارة لكم بالنصر ((ولتطمئن)) أي تسكن ، ((قلوبكم به)) فـي الحرب ، ((وما النصر الا من عند الله)) لا بالعدد ولا بالعـــدد ((العزيز)) الذي لا يغلب من نصره ((الحكيم - ١٢٦)) فيما قضاه وقدره.

---

(١) زاد المسير (١/٤٥٣) .

(٢) الأنفال (٩) .

(٣) وقد تقدم الجمع بين الآيات ص (٢٤٤)

قوله ((ليقطع)) متعلق بنصركم ،أو يمدد كم ، والطرف حرف الشيء[1] والمعنى ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر ، ((أو يكبتهم)) قال الخليل بن أحمد : الكبت في اللغة الصرع في الوجه[2] . والمراد به الهزيمة في قول ابن عباس ، والخزي في قول قتادة[3] ، ومقاتل[4] ، والهلاك في قول أبي عبيدة[5] ، واللعن في قول السدي[2] ، وغيظهم في قول النضر بن شميل[2] وابن قتيبة[6] ، والظفر في قول المبرد[2] ، وكل ذلك يرجع الى أصل الكلمة بطريق المجاز[7] .

قال ابن قتيبة : أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن الدال ، وكان الأصل فيه يكبدهم ،أي يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ ،وشدة العداوة .

---

(١) وقال ابن جرير (٧/١٩٢) ، الطرف الطائفة والنفر . اهـ
وقال ابن كثير : (١/٤٠٢) ليهلك أمة .

(٢) زاد المسير (١/٤٥٤) ، ومراد المبرد يكبتهم أي يظفر المؤمنين بهم.

(٣) تفسير ابن جرير (٧/١٩٤) ، وابن أبي حاتم (٢/٥٣٢) .

(٤) تفسير مقاتل (١/١٩٢) .

(٥) المشهور عن أبي عبيدة كقول الخليل . ونقل ما ذكر المصنف عن أبي عبيدة ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص (١١٠) .

(٦) عبارة ابن قتيبة : وقال غيره ـ يعني أبا عبيدة ـ هو أن يغيظهم ويخزيهم . اهـ تفسير غريب القرآن ص (١١٠) .

(٧) بل الأولى أن يقال : وكل ذلك يرجع الى أصل الكلمة بطريق العموم لأن كل هذه المعاني التي ذكرها المؤلف داخله في كلمة الكبت.

والدال والتاء متقاربتا المخرج ، والعرب تدغم احداهما في الأخرى ، وتبدل احداهما من الأخرى ، كقولهم : هرت الثوب ، وهردده ، اذا خرّقه[1] ، وكبت العدو وكبده ((فينقلبوا خائبين - ١٢٧)) لم يدركوا ما أمّلوا .

قوله : ((ليس لك من الأمر شيء))

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد (٥٦/ب) ابن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني[2] بدمشق سنة تسع وستمائة ، أخبرنا عبد الكريم بن حمزة السلمي[3] ، حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكتاني[4] الحافظ ،

حدثنا الحافظ أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي[5] ، حدثنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة الليثي[6] ، حدثنا

---

(١) تفسير غريب القرآن ص (١١٠) ، وراجع تهذيب اللغة للأزهري (١٥٣/١٥) .

(٢) تقدمت ترجمته ص : (٣١)

(٣) عبد الكريم بن حمزة السلمي ، أبو محمد الدمشقي ، الحداد ، الشيخ الثقة المسند ، محدث عصره ، توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء (٦٠٠/١٩) وشذرات الذهب (٧٨/٤) .

(٤) عبد العزيز بن أحمد التميمي ، أبو محمد الدمشقي ، الكتاني الحافظ محدث دمشق ، توفي سنة ست وستين وأربعمائة . الاكمال (١٨٣/٧) والأنساب (٣٥٣/١٠) ، والسير (٢٤٨/١٨) .

(٥) تمام بن محمد بن عبد الله البجلي ، أبو القاسم الرازي ثم الدمشقي الحافظ ، محدث الشام ، توفي سنة أربع عشرة وأربعمائة . سير أعلام النبلاء (٢٨٩/١٧) ، الوافي بالوفيات (٣٩٧/١٠)

(٦) أحمد بن محمد بن عمارة الليثي الكناني مولاهم ، أبو الحارث الدمشقي الشيخ المسند المحدث ، توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء : (٧٠/١٦) ، وشذرات الذهب (٤٠/٣) .

علي ابن أحمد بن مروان[1] بواسط ، حدثنا حميد بن الربيع الخـــــراز[2] حدثنا هشيم ،عن حميد الطويل ، وداود بن أبي هند ،عن أنس بـــن مالك قال :- لما كان يوم أحد كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم، وشج في وجهه فجعل يمسحه[3] بيده ويقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهـــم وهو يدعوهم الى الله عز وجل ،؟ فنزلت ((ليس لك من الأمر شـــــيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون)) .

هذا حديث صحيح انفرد باخراجه مسلم .[4]

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي ،وأبو الحسن ،علي بن روزبة البغداديان قالا أخبرنا أبو الوقت ،أخبرنا الداودي ، أخبرنا السرخسي ،أخبرنا الفربري ، أخبرنا البخاري ،حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا ابراهيم بن ســـعد ، حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ،وأبي سلمة بن عبد الرحمن عـــن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يدعو علـــى أحد ، أو يدعو لأحد قنت (٥٧/أ) بعد الركوع فربما قال - اذا قـــال :

---

(١) لم أعثر على ترجمة فيما لدى من كتب التراجم .

(٢) لم أعثر على ترجمة فيما لدى من كتب التراجم .

(٣) أي الدم كما في الصحيح .

(٤) صحيح مسلم (١٤١٧/٣) ،لكنه ليس بهذا السند الذي ساقه المؤلف. وأما سند المؤلف فهو عند الترمذي (٢٢٧/٥) ،عن حميد عن أنس، ولم أجد رواية داود بن أبي هند عن أنس ،بل وليس له رواية عنه فـــي الكتب الستة .

سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد - : اللهم انج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، اللهم أشد وطئتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف .

يجهر بذلك ، وكان يقول في بعض صلاته ، في صلاة الفجر : اللهم العن فلانا وفلانا ، لأحياء من العرب ، حتى أنزل الله ((ليس لك من الأمر شيء))[1] . ورواه أيضا البخاري من حديث الزهري عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، فأنزل الله ((ليس لك من الأمر شيء)) الى قوله ((فانهم ظالمون - ١٢٨)) وهذا حديث صحيح[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير - سورة آل عمران (٦ / ٤٨) .

(٢) صحيح البخاري (٦ / ٤٧) وفي هذين الحديثين اشكال حيث ورد كل واحد منهما سبب نزول للآية وقد جمع بينهما الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ / ٢٢٧) فقال : وطريق الجمع بينه - يعني حديث أنس المتقدم - وبين حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم ، دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته ، فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له من الأمر المذكور ، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم ، وذلك كله في أحد . اهـ

قلت : وهذا الجمع فيه نظر فان ظاهر خبر أنس رضي الله عنه أن الآية نزلت في اثناء غزوة أحد اذ فيه " فجعل يمسح الدم عن وجهه

= = = =

والمعنى : انما أنت عبد من عبادى ، خصصتك برسالتى ، وبعثتك منذرا لهم ليس لك من عذابهم ، أو استصلاحهم ، أو ليس لك من النصر والهزيمة شيء ولك بمعنى اليك.[1] ((أو يتوب عليهم)) عطف على " أو يكبتهم " ، " وليس لك من الأمر شيء " اعتراض[2] ، وقيل " أو يتوب " : منصوب باضمار " أن " فيكون

(=) ويقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فأنزل الله ((ليس لك من الأمر شيء)) فظاهره أن الفاء للتعقيب ، وان كان يحتمل أنها للسببية ، وعندى أنه لا مانع أن تكون الآية نزلت مرتين ، الأولى فى أحد ، ثم لما دعا على القوم نزلت مرة ثانية تذكيرا له صلى الله عليه وسلم على أن الراوى قد يحكى نزول الآية وهو لا يريد الا أن الحادثة داخلة في عموم الآية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مقدمة التفسير ص (٤٨) : وقولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب للنزول ، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية ، وان لم يكن السبب ، كما تقول : عنى بهذه الآية كذا ، الى أن قال : واذا عرف فقول أحدهم : نزلت في كذا لا ينافى قول الآخر : نزلت في كذا ، اذا كان اللفظ يتناولهما . . . واذا ذكر أحدهم لها سببا نزلت لأجله ، وذكر الآخر سببا فقد يمكن صدقهما ، بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب ، ومرة لهذا السبب . اهـ

(١) وقال ابن جرير (٧/ ١٩٤) : ليس اليك يا محمد من أمر خلقي ، الا أن تنفذ فيهم أمرى ، وتنتهى فيهم الى طاعتي ، وانما أمرهم الىّ والقضاء فيهم بيدى ، دون غيرى ، أقضى فيهم ، وأحكم بالذى أشاء ، من التوبة على من كفر بى ، وعصاني وخالف امرى ، أو العذاب اما في عاجل الدنيا بالقتل ، والنقم المبيرة ، واما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي . اهـ

(٢) قاله ابن كثير في التفسير (١/ ٤٠٢) .

في حكم اسم معطوف على الأمر ، أو على شيء ، أي ليس لك من أمرهم شيء ، أو من التوبة عليهم ،أو من (٥٧/ب) تعذيبهم ،أو ليس لك من أمرهم شيء ، أو التوبة عليهم ،أو تعذيبهم ،وقيل " أو " بمعنى " الا أن "[1] كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي ، على معنى : ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم ،أو يعذبهم فتشتفي منهم ،ثم أثبت الأمر كله لنفسه فقال عز وجل : ((ولله ما في السموات وما في الأرض)) خلقا وملكا وعبيدا ((يغفر لمن يشاء)) من الموحدين الكبائر[2] ((ويعذب من يشاء)) من المشركين[3] على الصغائر ، هذا مروى عن ابن عباس .[4]

---

(١) قال ابن جرير (٧/١٩٤) : والقول الأول أولى بالصواب ،لأنه لا شيئا من أمر الخلق الى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك . اهـ ، وقال ابن كثير (١/٤٠٢) : " أو يتوب عليهم" أي مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ، ((أو يعذبهم)) أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال " فانهم ظالمون " أي يستحقون ذلك . اهـ

(٢) تخصيص المغفرة بالكبائر لا موجب له ،بل الله يغفر للموحدين الكبائر والصغائر بمشيئته المقرونة بالحكمة البالغة .

(٣) يعذب المشركين على شركهم ومن شاء من عصاة الموحدين على معصيتهم هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ،أن من مات على الكفر فان مصيره النار ، ومن مات على الاسلام وقد أصر على كبيرة من كبائر الذنوب فان أمره الى الله تعالى ان شاء غفر له برحمته ، وان شاء عذبه بعدله وحكمته .

(٤) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس في شيء من كتب التفسير .

نص عليه لأنه مخالف لأصول أهل السنة والجماعة

قوله عز وجل ((يـأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربٰوا)) نزلت في ربـــا الجاهلية[1] ، وكان الرجل يقول لصاحبه : أخر عني دينك وأزيدك فـــي المال ، فيستوهب بالشيء الطفيف المال الكثير ((أضعفا)) حـــال ، ((مضعفة[2] - ١٣٠)) نعت لاضعافا .

---

(١) يعني في معاملتهم في الجاهلية ، قال ابن جرير (٧/ ٢٠٤) لا تأكلوا الربا في اسلامكم بعد اذ هداكم له ، كما كنتم تأكلونـــه في جاهليتكم . اهـ
وقال ابن كثير (١/ ٤٠٤) يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة ، كما كانوا في الجاهلية يقولون : - اذا حل أجل الدين - اما أن تقضي واما أن تربي . اهـ

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى تعليقا على هذه الآيـــة في عمدة التفسير (٣/ ٣٨) : والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا وأولياؤهم من عبادي التشريع الوثني الأجنبي - بل التشريع اليهودي في الربا - يلعبون بالقرآن ، ويزعمون أن هذه الآية تدل علـى أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة ، ليجيزوا ما بقي من أنـــواع الربا ، على ما ترضاه أهواؤهم ، وأهواء ساداتهم ، ويتركوا الآيـــة الصريحة (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)) فكانوا في تلاعبهم بتأويل هذه الآيات الصريحة أسوأ حالا ممن ((يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)) فاولئك الذين سمـــى الله فاحذروهم اهـ .

وفي قوله : ((واتقوا النار - ١٣١)) تهديد شديد للمؤمنين الذين يأكلون الربا ، حيث خوفهم بالنار التي أعدها لمن كفر به .

قال أبو حنيفة : هذه أخوف آية في القرآن . وفي الآية رد على الجهمية في قولهم ان النار لم تخلق بعد .(١)

((واطيعوا الله والرسول)) في ترك ما نهيتم عنه من أكل الربا وغيره وامتثال ما أمرتم به من التقوى ((لعلكم(٢) ترحمون - ١٣٢)) فتفوزوا بدخول الجنة

---

(١) لقوله تعالى ((أعدت للكافرين)) والاعداد التهيئة ، فهي مخلوقة وموجودة الآن على ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة ، وقد اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ورأى فيها بعض من يعذب من أهلها ، وعرضت عليه في صلاة الكسوف في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهي باقية أبدا لا تفنى وقد صرح الله في القرآن الكريم ببقائها أبدا في ثلاث آيات في سورة النساء في قوله ((ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله لغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا)) الآية ١٦٩ .
وفي سورة الأحزاب في قوله تعالى (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا)) الآية ٦٥ .
وفي سورة الجن في قوله ((ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا)) الجن (٢٣) .

(٢) لعل هنا تحتمل أحد معنيين :
١) أنها على بابها من الرجاء أي على رجاء منكم أن ترحموا
٢) أن معناها التعليل أي لترحموا ، ولهذا قال ابن عباس في عيسى : عيسى من الله واجبه ، قال العلماء : كل لعل في القرآن فانها صالحة للتعليل الا التي في الشعراء ((وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون - ١٢٩)) فانها بمعنى كان ، أي كأنكم تخلدون .

والنجاة من النار المعدة للكفار[1] .

قوله : ((وسارعوا الى مغفرة من (٥٨/أ) ربكم))[2]

قرأ نافع ، وابن عامر ((سارعوا)) بغير واو ، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام ، وقرأ الباقون بالواو[3] ، قال أبو علي : من قرأ بالواو عطف ((وسارعوا)) على ((وأطيعوا)) ، ومن حذفها فلان الجملة الثانية ملتبسة بالأولى ، فاستغنت عن العطف[4] ، ومعنى الآية : بادروا الى موجبات المغفرة وهي طاعة الله تعالى ، وقال ابن عباس : لا تصروا على الذنب ، اذا أذنب أحد فليسرع الرجوع .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : سارعوا الى الاخلاص .

وقال علي رضي الله عنه : الى أداء الفرائض .

وقال أنس بن مالك : التكبيرة الأولى من العبادة .[5]

---

(١) قوله ((المعدة للكفار)) لا مفهوم له ، لأنه يجب تقوى النار المعدة للكفار والعصاة .

(٢) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا سادسا ، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الرابع عشر مرة ثانية .

(٣) الحجة للفارسي (٣/٧٨) ، ولابن زنجله ص (١٧٤) والكشف (١/٣٥٦) والنشر (٢/٢٤٢) .

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/٧٨) ، وهذه القراءة سبعية صحيحة وقد وردت هكذا ، وقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم بغير واو ، فلا اشكال .

(٥) أخرجه ابن المنذر قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/٣١٤) .

وقال الضحاك : الى الجهاد .[1]

((وجنة عرضها السموات والأرض)) قال سعيد بن جبير : لو ألصق بعضهن الى بعض كانت الجنة في عرضهن[2] . قال ابن عباس : يريد لرجل واحد من أوليائه .[3]

قال الزهرى : فأما الطول فلا يعلمه الا الله .[4]

وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية أبى صالح :

الجنان أربعة : جنة عدن ، وهى الدرجة العليا ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم ، وجنة المأوى ، كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها الى بعض .[5]

---

(١) ذكر هذه الآثار الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١١٦/أ) وابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤٥٩) ، وهذه الأقوال لا تنافى بينها ، بل هى داخلة في عموم المغفرة وأنها من موجباتها ، وأسبابها .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم (٢/ ٥٤٧) بسند حسن .

(٣) لم أجد هذا الأثر في شيء من كتب التفسير ، ومع ذلك فهو مخالف لظاهر الآية .

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٠٥) .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٠٤) ونسبه للكلبي ، ومع ذلك فهو مخالف لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا سألتم الله الجنة فأسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة ووسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفه عرش الرحمن . وقوله " الجنان أربعة " على تأويل : أربعة أقسام ، أو أنواع .

وقال ابن قتيبة : أراد بالعرض السعة ، ولم يرد العرض (٥٨/ب) الذى يخالف الطول ، والعرب تقول : بلاد عريضة أى واسعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم للمنهزمين يوم أحد : لقد ذهبتم فيها عريضة .

قال الشاعر :

٣٤- كأن بلاد الله - وهى عريضة . على الخائف المطلوب - كفة حابل[1]

وروى وكيع في تفسيره باسناده عن طارق بن شهاب ، قال : قالت اليهود لعمر : تقولون : جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال عمر أرأيت اذا جاء النهار فأين يذهب الليل ، واذا جاء الليل فأين يذهب النهار ؟ قالوا نزعت بما في التوراة[2] ، وقال أنس بن مالك : الجنة فوق

---

(١) تفسير غريب القرآن ص (١١١) ، وهذا مخالف لما عليه عامة أهل التفسير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، من أن المراد العرض المقابل للطول وهذا يدل على سعتها ، اذا كان هذا عرضها فكيف بطولها ؟ وقوله " جنة عرضها السموات والأرض " أى كعرض السموات والأرض كما جاء مفسرا في سورة الحديد بقوله ((سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض)) الآية : ٢١

(٢) وأخرجه ابن جرير أيضا (٧/ ٢١١) بسند صحيح ، وأخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد قاله السيوطي في الدر (٢/ ٣١٥) وورد مرفوعا ففى المسند (٣/ ٤٤٢) أن هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تدعونى الى جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار . وأخرجه ابن جرير في تفسيره أيضا (٧/ ٢٠٩) وأخرجه البزار والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة نحوه . قاله في الدر المنثور (٢/ ٣١٥) .

السموات السبع ، تحت العرش .[1]

قال قتادة : وان جهنم تحت الأرضين السبع .[2]

---

(١) ذكر هذا الأثر الثعلبي (٣/ق ١١٧/أ) وقد جاء في كون الجنة في السماء أحاديث متعددة مرفوعة يشهد بعضها لبعض ذكرها أبو نعيم في صفة الجنة ص (١٦٥) وما بعدها .
ويدل على هذه المسألة حديث المعراج فان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على الجنة في السماء السابعة كما قال تعالى ((ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)) النجم ١٥ وسدرة المنتهى في السماء بالاجماع ، وكذلك قوله تعالى ((وفي السماء رزقكم وما توعدون)) الذاريات : ٢٢ .
أنه الجنة على أحد التفسيرين ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله الجنة فأسألوه الفردوس ، فانه أعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن) الحديث ، والعرش فوق السموات السبع باجماع أهل السنة والجماعة ، والجنة بينه وبين السماء السابعة .
وانظر شرح السفارينيه (٢/ ٢٣٩) .

(٢) هذا الأثر ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١١١/أ) ، وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في صفة الجنة ص (١٦٦) وما بعدها آثارا ضعيفة يشهد بعضها لبعض أن النار تحت الأرض السابعة وهو ظاهر الكتاب والسنة كما في قوله تعالى ((كلا ان كتاب الفجار لفي سجين)) المطففين (٧) .
ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء فيقول الله (اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى) أخرجه الامام أحمد (٤/ ٢٨٨) . وقد قيل ان النار في السماء ، ولا يصح ، وحجة هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع عليها لما عرج به ، وليس فيه حجة

= = =

ثم وصف المتقين فقال : ((الذين ينفقون في السراء والضراء)) أي في الشدة والرخاء ، كما فعلت الصديقة بنت الصديق ، المبرأة بنص الكتاب المطهرة من كل عاب ، أم المؤمنين ، وحبيبة رسول رب العالمين عائشة رضي الله عنها فانها تصدقت في يوم بحبة عنب فتعجبن النسوة منها فقالت ان فيها ذرا كثيرا تشير الى قوله تعالى : ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (١))) وتصدقت في يوم آخر بمائة وسبعين ألف درهم (٥٩/أ) فضة (٢)

٣٥ - شنشنة أعرفها من أخزم . . (٣)

(=) لما ذهبوا اليه ، لأنه يجوز أن ترفع له الى السماء فيراها ، أو أنها كشفت له وهي تحت الأرضين ، ولهذا رأى الجنة في صلاة الكسوف وهو في الأرض ، وهي في السماء .

قال السفاريني في شرح عقيدته (٢/ ٢٣٩) : والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن ، والنار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد . اهـ . وانظر حادي الارواح .

(١) الزلزلة (٧)

(٢) أخرج ابن سعد في الطبقات الشطر الأول منه ، ولم أجد الشطر الثاني ، وفيه مبالغة تجعل في النفس من ثبوته شيئا .

(٣) قال في اللسان (١٢/ ١٧٧) : أبو اخزم جد أبي حاتم طيء ، أو جد جده ، وكان له ابن يقال له أخزم ، فمات أخزم وترك بنين فوثبوا يوما في مكان واحد على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال :

ان بني رملوني بالدم . . شنشنة أعرفها من أخزم

من يلق آساد الرجال يكلم

كأنه كان عاقا ، والشنشنة : الطبيعة ، أي أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه . اهـ

فلله درها ما أكرم طبعها ، وأعظم نفعها ، وأكبر قدرها . واعطر نشرها ، وأجمل فضائلها ، وأجزل فواضلها ، [فلو أن النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال].

قال ابن عباس : ينفقون في اليسر والعسر[1] ، أنشدني بعض أهل العلم[2] :

٣٦- على كل حال كن منفقا . أخا عسرة كنت أو موسرا

٣٧- فلا المال تملكه مقبلا . ولا المال تملكه مدبرا

قوله : ((والكاظمين الغيظ)) من قولهم كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير على جرّته ، اذا ردها في حلقه .

فكاظم الغيظ هو الممسك على ما في نفسه منه[3] .

وفي مسند الامام من حديث سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله تبارك وتعالى على رؤس الخلائق يزوجه ويخيره من أي الحور العين شاء[4] .

قال الترمذي : هذا حديث حسن .[5]

(١) أخرجه ابن جرير (٧ / ٢١٤) ، وابن أبي حاتم (٢ / ٥٤٧) .

(٢) لم أستطع معرفة المنشد .

(٣) قال ابن كثير (١ / ٤٠٤) : أي اذا ثار بهم الغيظ كظموه ، بمعنى كتموه فلم يُعمِلوه ، وعفوا مع ذلك عمن أساء اليهم . اهـ

(٤) المسند (٣ / ٤٤٠) وليس فيه " يزوجه " وفيه " حتى يخيره " .

(٥) سنن الترمذي في موضعين الأول في كتاب البر والصلة ، باب في كظم الغيظ (٤ / ٣٧٢) ، والثاني في كتاب صفة القيامة ، باب (٤٨) (٤ / ٦٥٦) بلفظ أحمد ، وفي كلا الموضعين قال : حسن غريب . اهـ

وأخرج أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى .(١)

وعن عائشة أن (٥٩/ب) خادما لها غاظها فقالت : لله در التقوى ، ما ترك لذى غيظ شفاء .(٢)

قوله : ((والعافين عن الناس)) قال زيد بن أسلم ، ومقاتل : يعفون عمن ظلمهم .(٣)

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا .(٤)

وقال على رضى الله عنه : اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه .(٥)

ورأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاما له ، فقال : سوأة لك ، أتضرب من لا يستطيع أن يتمنع عليك ؟ والله لقد منعتنى القدرة من ذوى الاحن ، وان أحق من عفا لمن قدر .

---

(١) المسند (٨/٢٣٦) ، رقم (٦١١٤) ، واسناده صحيح .
(٢) ذكره الزمخشرى في الكشاف (١/٢١٧) ، وسكت عليه الحافظ ابن حجر في تخريج احاديثه ، كأنه لم يعرفه .
(٣) ذكره الثعلبي (٣/ق ١١٨/ب) ، والبغوى (١/٣٥٢)
(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة (٤/٢٠٠١) .
(٥) لم أجد أثر على هذا .

وفي قوله : ((والله يحب المحسنين - ١٣٤)) اشارة الى أن الاتصاف بهذه الأوصاف من سمات المحسنين ، ويروى في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت قصورا مشرفة على الجنة ، فقلت ياجبريل لمن هذه ؟ فقال : للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين .(١)

قال الحسن : الاحسان : أن يعم ولا يخص ، كالريح والمطر . وقال سفيان الثورى : أن تحسن الى من أساء اليك ، فان الاحسان الى المحسن متاجرة.(٢)

وكان للمأمون خادم هو صاحب وضوئه ، فبينا هو يصب الماء على يده سقط الاناء ، فاغتاظ المأمون عليه فقال (٦٠/أ) يا أمير المؤمنين ان الله يقول : ((والكاظمين الغيظ)) قال : قد كظمت غيظي عليك ، قال : ((والعافين عن الناس)) قال : قد عفوت عنك ، قال ((والله يحب المحسنين)) قال : أنت حر .(٣)

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٥٥) ، وقال المحقق : أخرجه الترمذى عن أنس ، وقال : غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة .

(٢) هذا التفسير فيه نظر ، لأن الاحسان يكون لمن أحسن كما قال الله تعالى ((هل جزاء الاحسان الا الاحسان)) الرحمن : ٦٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تجدوا ما تكافؤه فقولوا جزاك الله خيرا) .
ويكون كذلك لمن أساء بان لا يؤخذ باساءته .

(٣) أخرجه البيهقي عن على بن الحسين ، قاله السيوطي في الدر (٢/ ٣١٧) ولم أجده عن المأمون .

قوله تعالى : ((والذين اذا فعلوا فاحشة))

قال عطاء عن ابن عباس : نزلت في نبهان التمار أتته امرأة تشترى منه تمرا فقال : ان هذا التمر ليس بجيد ، وفي البيت أجود منه ، فهل لك فيه ؟ قالت : نعم ، فذهب بها الى بيته ، فضمها ، وقبلها ، فقالت : اتق الله فتركها وندم على ذلك ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت هذه الآية .(١)

وروى أبو صالح عن ابن عباس أن أنصاريا ، وثقفيا آخا النبي صلى الله عليه وسلم بينهما ، فخرج الثقفي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، فكان الأنصارى يتعاهد أهل الثقفي ، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت ، وهى

---

(١) ذكره الثعلبي (٣/ق ١١٩/ب) والواحدى في أسباب النزول ص٨١١ بغير اسناد . قال الحافظ ابن حجر في الاصابة (٣/ ٥٥٠) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ١٩٤) عن الضحاك عن ابن عباس ... وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره ، عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس مطولا ومقاتل متروك ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وعبد الغني وموسى هالكان ، وأورد هذه القصة الثعلبي ، والمهدى ، ومكى والماوردى في تفاسيرهم بغير سند . اهـ

قلت : لكن قصة التمار هذه ثابتة في سنن الترمذى (٥/ ٢٩٢) ونزل بسببها ((وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل)) الآية هود (١١٤) ، لا هذه الآية . ، وهى في مسلم (٤/ ٢١١٦) وليس فيها تسمية الرجل .

ناشرة شعرها ، فدخل ولم يستأذن ، فأخذ يلثمها ، فوضعت كفها على وجهها ،فقبله ،ثم ندم فأدبر راجعا ،فقالت : سبحان الله خنت أمانتك فخرج يسيح في الجبال تائبا من ذنبه ،هائما على وجهه ، يحثو التراب على رأسه ،فلما رجع الثقفي لم يستقبله أخوه الأنصارى ، فسأل زوجته عنه فقالت (٦٠/ب) لا كثر الله في الاخوان مثله ،وأخبرته خبره ،فخرج في طلبه ،فوافقه ساجدا يقول : ذنبي ذنبي ،فقال يافلان انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فسله عن ذنبك لعل الله يجعل لك منه مخرجا ،فرجع الى المدينة ،فأتيا أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة ،وفرجا ، فقال الأنصارى : قد هلكت ،قال : وما أهلك ؟ فذكر له القصة ، فقال أما علمت أن الله يغار للغازى ، مالا يغار للمقيم ،ثم لقيا عمر ،فقال مثل ذلك ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل مقالتهما ، فأنزل الله عز وجل ((والذين اذا فعلوا فاحشة)) الآية .(١)

ويروى عن ابن مسعود قال : قال المؤمنون : يارسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا ،كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه ، اجدع أنفك ،أو أذنك ، افعل كذا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزل الله هذه الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١١٨) بغير اسناد وابن الجوزى (١/ ٤٦٢) والثعلبي في التفسير (٣/ق ١١٩/ب) ونسبه لمقاتل والكلبي ولم أجد أحدا أسنده ، فلا يصح .

آلا أخبركم بخير من ذلكم ، وقرأ عليهم هذه الآيات (١) .

قوله ((الذين)) مبتدأ خبره ((أولئك)) ، أو عطف على ((المتقين)) أي أعدت للمتقين ، والتائبين ، ويكون ((أولئك)) اشارة اليهما .

والفاحشة : القبيحة الشنعاء ، وكل شيء جاوز حده فهو (٦١/أ) فاحش والمراد بها ههنا الزنا في قول جابر بن زيد (٢) ، وقيل : كل كبيرة ،

---

(١) أخرجه ابن جرير بهذا السياق (٧/ ٢١٩) عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وأخرجه باخصر منه عن ابن مسعود وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وأخرجه ابن المنذر أيضا عن ابن مسعود بسياق المؤلف قاله في الدر المنثور (٢/ ٣٢٦) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ٢١٨) وابن المنذر قاله في الدر المنثور (٢/ ٣٢٦) وقد جاءت الفاحشة في القرآن لعدة معاني منها :
الأول : الزنا ، قال الله تعالى ((ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة)) الاسراء : ٣٢ .
الثاني : اللواط ، قال الله تعالى ((انكم لتأتون الفحشة ماسبقكم بها من أحد من العلمين)) العنكبوت : ٢٨ .
الثالث : النشوز ، على أصح التفسيرين ، لقوله تعالى ((ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا أن يأتين بفحشة مبينة)) النساء : ١٩
الرابع : البخل : قال الله تعالى ((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)) البقرة : ٢٦٨ .
والفحشاء البخل كقول طرفة بن العبد :
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي . عقيلة مال الفاحش المتشدد
والفاحش البخيل ، وقد أهمل هذه اللفظة من تكلم على الأشباه والنظائر وهي هنا يحتمل أن يكون المراد بها الزنا ، أو كل فعلة قبيحة من كبائر الذنوب .

((أو ظلموا أنفسهم)) قال مقاتل ، وابن السائب : هو ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة .

وقيل : جميع الصغائر .(١)

((ذكروا الله)) جائز أن يكون باللسان ، فهو الاستغفار ، وهو قول ابن مسعود ، وجائز أن يكون بالجنان ، على معنى ذكروا عظمته ، وجلاله وعرضهم عليه ، ووقوفهم للسؤال بين يديه .(٢)

قوله : ((ولم يصروا على ما فعلوا)) قال السدى : الاصرار السكون وترك الاستغفار(٣) ، قال أكثر المفسرين : لم يقيموا ولم يدوموا .

قال ابن فارس : الاصرار العزم على الشيء والثبات عليه .

---

(١) تفسير مقاتل (١ / ١٩٤) والظلم عند أهل السنة والجماعة كما هو في اللغة وضع الشيء في غير موقعه اللائق به ، فظلمهم أنفسهم ، هو أنهم أوقعوها في الذنوب والمعاصي ، التي يجب عليهم تخليصها منها ، فارتكابها ظلم منهم لأنفسهم حيث لم يسعوا في أسباب صلاحها بل سعوا في أسباب هلاكها .

(٢) لا ريب أن المعنى الثاني أقرب الى ظاهر الآية ، وان كان الأول داخلا في عمومها ، فان مرتكب المعصية اذا أفاق ورجع الى رشده وتذكر عظمة الله عز وجل وقدرته على الانتقام ، أقلع ، وأستغفر لذنبه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن) وذلك أنه حين ارتكاب هذا الفعل قد ذهبت عظمة الله من نفسه فضعف ايمانه فتجرأ على هذه الفاحشة .

(٣) تفسير ابن جرير (٧ / ٢٢٤) .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة .)[1]

قوله ((وهم يعلمون)) حال من " فاعل[2] الاصرار ، والمعنى : وهم يعلمون ضرر الاصرار ، ونفع الاستغفار ، هذا معنى قول ابن عباس[3] ، وقال مجاهد : وهم يعلمون أن الله يتوب على من تاب .[4]

وقال السدى ، ومقاتل : يعلمون أنهم قد أذنبوا .[5]

ومازال يخطر بي أن المعنى : وهم يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنب، ويأخذ به ، لحديث أبي هريرة .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار (٢/ ٨٤) ، والترمذي ، كتاب الدعوات (٥/ ٥٥٨) ، وقال : هذا حديث غريب انما نعرفه من حديث أبي نضيره ، وليس اسناده بالقوى ، وأبو يعلى في المسند (١/ ١٢٤) وسنده ضعيف لجهالة مولى أبي بكر .

(٢) في الأصل " فعل " وهو خطأ ، فهى حال من الواو في " ولم يصروا " أو من الواو في " استغفروا " .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٢٠/ب) ، والبغوى (١/ ٣٥٣) .

(٤) ابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٧) .

(٥) ابن جرير (٧/ ٢٢٦) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٥٧) ، وعندى أن المعنى وهم يعلمون أى يقعون في الذنب ويصرون عليه عن اختيار منهم لا جهلا ، ولا نسيانا ، ولا اكراها .

حتى رأيت الثعلبي[1] قد نسبه الى الحسين بن الفضل[2] (٦١/ب) والحديث هو ما أخرجه الامام أحمد في مسنده ، والشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان رجلا أذنب ذنبا ، فقال : ربي اني عملت ذنبا فاغفره ، فقال تبارك وتعالى : عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر فقال رب اني عملت ذنبا فاغفره ، فقال عز وجل : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر ، فقال رب اني عملت ذنبا فاغفره ، فقال : عبدي علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء .[3]

وفي ما يحكيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال : يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان فيك ، يا ابن آدم

---

(١) الكشف والبيان (٣/ق ١٢١/أ) .

(٢) العلامة المفسر اللغوي المحدث ، الحسين بن الفضل البجلي أبوعلي الكوفي ثم النيسابوري ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٤) ، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٥٩)

(٣) مسند الامام أحمد (١٥/ ٩٣) ، وصحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ((يريدون أن يبدلوا كلام الله)) (٩/ ١٧٨) ومسلم ، كتاب التوبة (٤/ ٢١١٢) .

انك ان تلقني بقراب الأرض خطايا بعد أن لا تشرك بي شيئا ، القاك بقرابها مغفرة ، يا ابن آدم انك ان تذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرني غفرت لك ولا أبالي[1] (٦٢/أ)

وقال ثابت البناني : بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية[2].

ثم ذكر جزاءهم فقال : ((أولئك جزاؤهم - ١٣٦)) الآية .

قوله : ((قد خلت من قبلكم سنن))[3] السنن جمع سنة ، وهي الطريقة

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار (٥٤٨/٥) ، وقال : حديث غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه . من أنس ، وفيه كثير بن فائد ، وأحمد (١٥٤/٥) ، والدارمي (٣٢٢/٢) ، وفيه شهر بن حوشب عن أبي ذر ، وأخرجه الامام أحمد (١٠٨/٥) والحاكم (٢٤١/٤) ، وصححه ، ووافقه الذهبي عن أبي ذر مختصرا ، وسنده حسن ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩/١٢) ، والصغير (٢٠/٢ ، ٢١) عن ابن عباس وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦/١٠) رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه ابراهيم بن اسحاق الصيني ، وقيس بن الربيع وكلاهما مختلف في توثيقه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ

(٢) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير من طريقه (٢٢٠/٧) ، وسنده حسن .
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٦/٢) نسبته الى عبد بن حميد .

(٣) كتب في هامش الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الخامس عشر مرة ثانية .

والمعنى : مضى قبلكم أهل سنن وشرائع ، .

((فسيروا في الأرض)) بأجسادكم ، وقال الزجاج : اذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم .[1]

وقيل المعنى : فسيروا في الأرض ببصائركم ((فانظروا)) بعين التفكر والاعتبار[2] ((كيف كان عاقبة المكذبين - ١٣٧)) .

قوله تعالى : ((هذا بيان للناس)) هذا اشارة الى القرآن ، وقيل الى أخبار الأمم السالفة .[3]

---

(١) معاني القرآن (١ / ٤٧٠) .

(٢) الأولى أن يكون الأمر بالسير عاما للسير بالأبصار بالتنقل والأسفار للاطلاع على أحوال الماضين وأخبار الهالكين ، وللسير بالبصائر وذلك بالتفكر فيما جرى لهم من الهلاك والعذاب بسبب المعصية والمراد بالنظر نظر التفكر والاعتبار ، وليس مجرد النظر بالبصر فقط الذى يشترك فيه الانسان والحيوان ، فهذا لا يؤمر به .

(٣) هذا لا يصح ، ولا يستقيم مع سياق الآية ، وان كانت أخبار الأمم السالفة تقع فيها الموعظة ، لكن ليس فيها بيان ، ولا هدى للناس والصواب الأول وهو أن الاشارة فيه الى القرآن ، وان كان ابن جرير رحمه الله اختار الثاني فهو خلاف الصواب ، وما اختاره ابن كثير هو اللائق بظاهر الآية وأنه عائد الى القرآن .

قال ابن عبد ربه : كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي ، حتى ينادي الى الفهم ، ويتقبله العقل ، ذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه ومنّ به على عباده .

وقال سهل بن هارون[1] : البيان ترجمان العلم ، وقال بعضهم : ليس لمنقوص اللسان بهاء ولوحك بيافوخه[2] عنان السماء ((وهدى)) يعني من الضلالة ، ((وموعظة - ١٣٨)) من الجهالة .

قوله : ((ولا تهنوا ولا تحزنوا)) نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما أصابهم يوم أحد ، وتقوية لقلوبهم[3] ، والمعنى (٦٢/ب) لا تضعفوا عن قتال الأعداء ، ولا تحزنوا على من أصيب من الشهداء ، وكان قد قتل يومئذ حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومصعب بن عمير في خمسة من المهاجرين ، وسبعين من الأنصار رضي الله عنهم ، وجرح سبعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أبو محمد الفارسي الأصل ، كان أديبا ، كاتبا ، شاعرا حكيما شعوبيا يتعصب للعجم على العرب ، شديدا في ذلك ، وكان مشهورا بالبخل توفي سنة خمس عشرة ومائتين . معجم الأدباء (١١/٢٦٦) .

(٢) اليافوخ : حيث التقى عظم مقدم الرأس ، وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . اهـ من اللسان ، مادة " أفخ" ٣/٥

(٣) وقال ابن جرير (٧/٢٣٤) : وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجرح والقتل بأحد . اهـ

قال أنس : وأُتي رسول الله بعلي وبه نيف وستون جراحة ، من طعنة وضربة ورمية ، فجعل رسول الله يمسحها وهي تلتئم باذن الله ، كأن لم تكن [١].

قال ابن عباس : لما انهزموا يوم أحد أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا ، اللهم لا قوة لنا الا بك . فنزلت هذه الآية [٢].

((وأنتم الأعلون)) أي وحالكم أنكم أعلا منهم ، وآخر الأمر لكم ، وقيل ((وأنتم الأعلون)) في الآخرة ، لأن قتالكم في الرحمن ، وقتالهم في الشيطان [٣] ((ان كنتم مؤمنين - ١٣٩)) متعلق بالنهي [٤] المعنى : ان كنتم مصدقين بما وعدكم الله من الاستعلاء على الأعداء فلا تهنوا ولا تحزنوا [٥].

قوله ((ان يمسسكم قرح)) وقرأ أهل الكوفة الا حفصا بضم القاف [٦] ، لغتان

---

(١) لم أجد هذا الأثر في شيء من كتب السير ، وفيه نكاره ، فان هذا الأمر لو وقع لنقل ، واشتهر .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧ / ٢٣٦) وفيه عطية العوفي ، متروك .

(٣) الأولى الآخذ باطلاق الآية ، وهو أنهم الأعلون في الدنيا والآخرة

(٤) وهو قوله ((ولا تهنوا ولا تحزنوا))

(٥) هذا هو أحد الأقوال في تقدير جواب الشرط ((ان كنتم مؤمنين)) وقال ابن القيم : ان مثل هذا الاسلوب جاء في القرآن كثيرا ، فلا يحتاج الى جواب .

(٦) الحجة للفارسي (٣ / ٧٩) ولابن زنجلة ص (١٧٤) ، والكشف (١ / ٣٥٦) ، والنشر (٢ / ٢٤٢) .

بمعنى واحد ، وقال أبو عبيد : القرح بالفتح : الجراح وبالضم ألم الجراح[1] (٦٣/أ) والمعنى : ان يصيبكم يوم أحد قرح ((فقد مس القوم)) يعني المشركين ((قرح مثله)) يوم بدر ، وقيل ((قد مس القوم قرح مثله)) يوم أحد فانه قتل منهم خلق كثير .

قال ابن عباس : ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصر يوم أحد فانكر ذلك عليه ، فقال بيني وبينكم كتاب الله ، ان الله يقول : ((ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه))[2] .

قوله : ((وتلك الأيام)) مبتدأ وخبر ، أو " تلك " مبتدأ . و " الأيام " صفة ((نداولها)) خبره ، والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة ((نداولها بين الناس)) فنجعل الدولة للمسلمين تارة ، وللمشركين أخرى ((وليعلم الله الذين آمنوا)) أي وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء ، وهو معطوف على محذوف تقديره : ليتميز الثابتون على الايمان من غيرهم[3] ((ويتخذ منكم شهداء)) قوما يكرمهم بالشهادة .

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٦٦) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤/ ٢٠٩) ، رقم (٢٦٠٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٦ - ٢٩٧) ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٦٥) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٣) ، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد ، متكلم فيه .

(٣) وقيل التقدير : ليتميظوا ، وليعلم الله ، وقيل الواو زائدة . قاله العكبري (١/ ٢٩٥) .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمى ، وأبو الحسن الصوفي ، قالا أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا الداودى ، قال أخبرنا ابن حمويه ، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : قال رجل (٦٣/ب) للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أرأيت ان قتلت فأين أنا ؟ قال : في الجنة فألقى تمرات في يده ، ثم قاتل حتى قتل .

هذا حديث متفق على صحته[1] ، وأخرجه مسلم عن سعيد بن عمرو الاشعثي عن سفيان .

((والله لا يحب الظلمين - ١٤٠)) كعبد الله بن أبى وأصحابه المنافقين الذين انخزلوا معه يوم أحد[2] .

قوله ((وليمحص الله الذين آمنوا))

قال الزجاج والمبرد وغيرهما : يمحصهم : ينقيهم ، ويخلصهم . يقال : محص الحبل محصا اذا أذهب منه الوبر ، ومحصت الذهب بالنار خلصته مما يشوبه ، ومنه ((اللهم محص عنا ذنوبنا))[3] .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، غزوة أحد (٥/ ١٢١) ، ومسلم كتاب الامارة (٣/ ١٥٠٩) .

(٢) قال ابن جرير (٧/ ٢٤٤) : " والله لا يحب الظلمين " الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم . اهـ .
فالله عز وجل لا يحب الظالمين ، سواء كان الظلم بالشرك ، أو فيما دونه والمؤلف مثل للظالمين بالمنافقين ، ولو مثل بالمشركين لكان أجود وأقرب الى لفظ الآية .

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٧١) .

وقال الزجاج : يحبط أعمالهم .[1]

قوله : ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة)) أم منقطعة ، والاستفهام في معنى الانكار ، ((ولما يعلم الله)) بمعنى ولما يجاهدوا فيعلمه الله واقعا ، لان العلم متعلق بالمعلوم ، قال (٦٤/أ) الله : ((ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم))[2] ، أى ليس فيهم خير فيعلمه الله[3] ، ((ويعلم الصبرين - ٢ ١٤))

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٧١) ، ولم يقطع به بل جوزه ، لكنه خلاف ظاهر الآية ، لأن الآية صرحت بمحق الكافرين أنفسهم ، ليس أعمالهم ، وبينهما بون شاسع ، لأن هذا المحق في الدنيا ، وأما احباط الأعمال فهو في الآخرة كما قال الله تعالى : ((وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلنه هباء منثورا)) الفرقان : ٢٣ .

قال ابن كثير (١/ ٤٠٨) : " ويمحق الكافرين " أى فانهم اذا ظفروا وبغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ، ومحقهم وفنائهم . اهـ ومن المعلوم أن قوله ((ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)) متعلق بقوله : " وتلك الأيام نداولها بين الناس " فاذا هزم المؤمنون وكسروا فان فيه تمحيصا لذنوبهم ، واذا غلبوا الكفار وهزموهم فان فيه محقا لهم واضعافا لشوكتهم " .

(٢) الأنفال (٢٣) .

(٣) وهذا من تعلق علم الله بالمعدوم ، فان الله تعالى يعلم أن لا خير فيهم ولهذا قال ((ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم)) أى لو علم أنه يكون فيهم خير لأسمعهم سمع قبول ، لكنه علم أنهم لا خير فيهم فأضلهم وهذا نظير قوله تعالى عن الكفار ((ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يليتنا نرد ولا نكذب بايت ربنا)) الى قوله ((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكذبون)) الأنعام (٢٨) .
فمراد المؤلف : أن الله علم أن لا خير فيهم ، وأن لم يعلم فيهم خيرا وانه كان في سابق علمه ذلك .

وقال الزجاج : معنى الآية جعل الله الأيام مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين اذا أدال عليهم ، ويمحق الكافرين ، ويستأصلهم اذا أدال عليهم فقابل تمحيص المؤمنين بمحق الكافرين ، لأن تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق الكافرين باهلاك أنفسهم .(١)

وقال الحسن ومجاهد : يمحصهم بتليهم ويختبرهم(٢) ومنه قول الشاعر :

٣٨ـ رأيت فضيلا كأن شيئا ملفظا . . فكشفه التمحيص حتى بدا ليا(٣)

((ويمحق الكفرين - ١٤١)) قال ابن عباس : يهلكهم .(٤)

---

(١) لم أجد هذا النقل بهذا السياق في معاني القرآن (١/ ٤٧٢) قال ابن جرير (٧/ ٢٤٤) ، ليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بادالة المشركين منهم ، حتى يتبين منهم المخلص الصحيح الايمان من المنافق . اهـ
وهذا وان كان داخلا في لفظ التمحيص ، فمعناه ليمحص الله الذين آمنوا من غيرهم الا أن الأظهر أن المعنى ليمحص الله الذين آمنوا ، أي يطهرهم ويخلصهم من ذنوبهم .
قال ابن كثير : أي يكفر عنهم من ذنوبهم ، ان كانت لهم ذنوب والا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به (١/ ٤٠٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ٢٤٥) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٧٤) .

(٣) البيت لعبد الله بن معاوية ، كما في الكامل (١/ ١٨٣) ، وعيون الأخبار (٣/ ٧٥) ، وزاد المسير (١/ ٤٦٧) ، والدر المصون (٣/ ٤٠٧) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧/ ٢٤٦) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٧٦) .

قرأ جمهور القراء " ويعلم " بالنصب ، وقرأت لأبي عمرو من رواية عبد الوارث[1] عنه ، " ويعلم " بالرفع ، وقرأ الحسن " ويعلم " الصبرين " بالجزم على العطف ، والكسر في الوصل للالتقاء الساكنين ، وقرأت بهذه القراءة أيضاً[2] من بعض طرق عبد الوارث . فمن نصب فعلى الصرف عن العطف . قال ابن الأنباري : هذه الواو يسميها النحويون واو الصرف[3] ، فالذي بعدها ينصب على خلاف ما قبلها ، كما تقول العرب : لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا تجمع بينهما ، ولا تأكل السمك في حال شربك اللبن ، وقيل انتصب باضمار " أن "[4] ومن رفع فعلى أن الواو للحال ، كأنه قيل : ولما تجاهدوا

---

(١) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان ، أبو عبيدة التنوري ، العنبري مولاهم البصري ، امام حافظ مقرئ ثقة ، عرض على أبي عمرو وغيره . توفي سنة ثمانين ومائة بالبصرة .
طبقات القراء لابن الجزري (١ / ٤٧٨) .

(٢) هما قراءتان شاذتان ، انظر مختصر ابن خالويه ص (٢٢) ، والكامل للهذلي (من ١٧٥ / ب - ١٧٦ / أ) والتقريب والبيان (خ / ٥٦)

(٣) ورد هذا ابن هشام فقال في المغني (٢ / ٣٥) ، وسمى الكوفيون هذه الواو واو الصرف ، وليس النصب بها خلافا لهم . . . . والحق أن هذه واو العطف اهـ .

(٤) المثال المتقدم لا تأكل السمك وتشرب اللبنَ منصوب باضمار " أن " فيهما قول واحد ، وهذا المثال لا يتناسب مع واو الصرف فلعل في الكلام تقديماً وتأخيراً صوابه : فالذي بعدها ينصب على خلاف ما قبلها وقيل انتصب باضمار " أن " كما تقول العرب : لا تأكل السمك وتشرب اللبن .

وأنتم صابرون .

قوله : ((ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه)) .

قال ابن عباس وغيره : لما أخبره عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما لقي به شهداء بدر من الكرامة ، رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه ، فلما كان يوم أحد الحوّ على النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج حرصا على الشهادة ، ورغبة فيها ، فلم يلبثوا أن انهزموا ، الا من شاء الله منهم فأنزل الله فيهم هذه الآية[1] ، والمعنى : فقد رأيتم أسبابه ((وأنتم تنظرون - ١٤٣)) توكيد ، على معنى : وأنتم بصرآء .

وقيل : وأنتم تنظرون ماتمنيتم ، وقال ابن عباس : وانتم تنظرون (٦٤/ب) الى السيوف .

والذى يظهر لي ، ويشهد بصحته سبب النزول ، والله أعلم أن المعنى : ولقد كنتم تمنون الموت رغبة في الشهادة فقد رأيتموه ، وبلغتم ما كنتم تحبون ، وتتمنون ، وحالكم أنكم قوم تنتظرون[2] الموت ، وترتقبونه رغبة في كرامة الله

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم (٢/ ٥٧٧) وسنده ضعيف ، فيه عطية العوفى لا يحتج به .

(٢) قول المؤلف هذا فيه نظر ظاهر ، وذلك أن الآية لفظها " وأنتم تنظرون " وفرق بين نظر ، وانتظر ، فعلى هذا لا يستقيم ما ذكره

قال ابن جرير : " وانتم تنظرون " يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر ، أى بقرب منكم . اهـ (٧/ ٢٤٨) .
وقال الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٧٣) : قيل فيه :غير قول

= = = =

وما أعده للشهداء ، فلم انهزمتم ، وأسلمتم نبيكم ، وخذلتم دينكم

(=) قال الأخفش معناه التوكيد ، وقال بعضهم : وأنتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وسلم .

والمعنى - والله أعلم - فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول : قد رأيت كذا وكذا ، وليس في عينيك عمه ، أى قد رأيته رؤية حقيقية ، وهو راجع الى معنى التوكيد . اهـ .

ـ** الاشارة الى غزاة أحد **ـ

أخبرنا أبو علي بن فرح بن سعادة[1] في كتابه ، أخبرنا أبو القاسم ابن محمد بن عبد الواحد[2] ، أخبرنا الحسن بن علي[3] ، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك[4] ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو اسحاق ، أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا - عبد الله بن جبير ، قال : ووضعهم موضعا ، وقال : ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فان رأيتمونا ظهرنا على القوم ، وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم ، قال : فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساء يشددن[5] على الجبل ، وقد بدت اسواقهن ، وخلاخيلهن ، رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون ، فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما (٦٥/أ) قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : والله انا لنأتين الناس ، فلنصيبن من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، وذلك قوله

---

(١) هو حنبل بن عبد الله ، تقدم .

(٢) هو هبة الله بن الحصين ، تقدم .

(٣) هو ابن المذهب تقدم .

(٤) هو القطيعي تقدم .

(٥) في المسند والصحيح يشتددن " ومعناه يسعين سعيا شديدا نحو الجبل .

((والرسول يدعوكم في أخراكم)) فلم يبق مع رسول الله غير اثني عشر رجلا ، فأصابوا منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد أفي القوم محمد ؟ ثلاثا ، قال : فنهاهم رسول الله أن يجيبوه . ثم قال : أفي القوم ابنُ أبي قحافة أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي قحافة ؟

أفي القوم ابنُ الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ، وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت - والله - ياعدو الله ، ان الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك مايسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ، ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز :

أعل هبل ، أعل هبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا تجيبوه ؟

قالوا : يارسول الله وما نقول ؟

قال : قولوا : الله أعلى وأجل .

قال : ان لنا العزى ، ولا عزى لكم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبوه ؟

قالوا : يارسول الله ما نقول ؟ قال قولوا (٦٥/ب) : الله مولانا ولا مولى لكم.(١)

انفرد باخراجه البخاري ، فرواه في ثلاثة(٢) مواضع من كتابه عن

---

(١) المسند (٤/٢٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري في غزوة أحد (٥/١٢٠) ، وفي التفسير (٦/٤٨) وفي الجهاد .

عمرو بن خالد عن زهير[1] . وبهذا الاسناد قال : حدثنا أبي ، قال حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه قال : ما نصر الله تعالى نبيه في مواطن ما نصره يوم أحد . قال : فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، ان الله يقول ((ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه)) ثم ذكر حديث الرماة الى أن قال : وصاح الشيطان : قتل محمد فلم يُشَك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك مانشك أنه قد قتل ، حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتكفيه اذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنا لم يصبنا ما أصابنا ، قال : فرقِيَ نحونا وهو يقول : اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله ، قال : ويقول مرة أخرى : اللهم انه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى الينا ، فمكث ساعة ، فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعل هبل !! ثم قال وأجيب نحوَ ما تقدم فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب انه قد انعمت (عنها)[2] فعالِ عنها[3] .

---

(١) زهير هو ابن معاوية .

(٢) ما بين القوسين من المسند : ومعنى قوله " أنعمت عينها " أي قرت من الأنعام ، يعني آلهته ، وقوله " فعال عنها " أي تجاف وتباعد عن ذكرها بسوء ، وقد ذكر أحمد شاكر في التعليق على المسند ان كلمة " عينها " ثابتة في الأصول .

(٣) تقدم تخريجه ص : (٢٨٦) .

قوله : طلع بين السعدين . يعني سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وكانا نقيبين ، وقوله : قد انعمت يعني الآلهة ، فعال عنها (٦٦/أ) أي لا تذكرها بسوء .

قال أهل العلم بالتفسير والسير : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بالشعب من أحد قال للرماة : أحموا ظهورنا ، فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، فلما استباح المسلمون عسكر المشركين انكب الرماة فدخلوا العسكر ينهبون ، وثبت عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة ، وكان على ميمنة قريش خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ومعهم النساء يضربن بالدفوف ، ويقلن الشعر ، وكانت هند تقول :

نحن بنات طارق . نمشي على النمارق . ان تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق . فراق غير وامق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : من يأخذ هذا السيف بحقه فقال من رضي الله عنه - أبو دجانة - سماك بن خرشة - أنا يارسول الله ، وكان رجلا شجاعا ، يختال في الحرب سجية ، ما يستطيع غير ذلك ، فتعمم بعمامة حمراء ، وبرز يتبختر ويقول :

٣٩- أنا الذي عاهدني خليلي . ونحن بالسفح لدى النخيل

٤٠- أن لا أقوم الدهر في الكيول . أضرب بسيف الله والرسول (٦٦/ب)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموضع ، ثم حمل رسول الله على المشركين فاستباحهم ، وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه طلحة بن أبي طلحة حامل لواء قريش وانزل الله نصره ، فلما

رأت الرماة المشركين قد انهزموا ، والرسول والمسلمون يغنمونهم ، مالوا الى الدنيا وطلبوا الغنيمة ، فقال أميرهم عبد الله بن جبير : أما أنا فلا أفارق مكانا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه فثبت في نفر دون العشرة ، وانكب أكثرهم ، فدخلوا العسكر ، فلما رأى خالد قلة الرماة وانشغال المسلمين بالغنيمة صاح في خيلة من المشركين ثم حمل على المسلمين من خلفهم فهزموهم ، وقتلوهم ، وشج رسول الله في وجهه وكسرت رباعيته ، وتفرق عنه أصحابه ، وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل دونه فظن الخبيث أنه قد قتل رسول الله فقال : قتلت محمدا ، وصرخ الشيطان : الا ان محمدا قد قتل ! الا ان محمدا قد قتل ! فقال أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : يا قوم ان كان محمدٌ قد قتل فان رب محمد لم يقتل ، ما تصنعون بالحياة بعده (٦٧/أ) موتوا على ما مات عليه ، ثم حمل على المشركين ، فقاتل حتى قتل ، وانكفأ الناس ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الى عباد الله ، الى عباد الله ، فاجتمع اليه ثلاثون من أصحابه ، فذبوا عنه ، فأصيبت يد طلحة ابن عبيد الله ، وسالت عين قتادة بن النعمان ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في مكانها ، فعادة أحسن ما كانت[1] ، وفي ذلك يقول ابنه يفتخر :

---

(١) وقيل : ان عين قتادة بن النعمان سالت يوم بدر ، قال ابن عبد البر في الاستيعاب والأول - يعني يوم بدر - أصح . اهـ

٤١- أنا ابن الذى سالت على الخد عينه . فردت بكف المصطفى أحسن الرد

٤٢- فعادت كما كانت لأحسن حالها . فياحسنَ ما عينٌ وياحسنَ ما يد

وقال سعد بن الربيع وهو في آخر رمق ياقوم لا عذر لكم عند الله ان وصل الى رسول الله وفيكم عين تطرف .

ولما أنهزم المسلمون ، وصرخ الشيطان : قتل محمد .

قال قوم من المنافقين : الحقوا بدينكم الأول .

وقال بعض المسلمين : ليت عبد الله بن أبى أخذ لنا أمانا من أبى سفيان .

ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ، فكان أول من عرفه كعب بن مالك فقال : عرفت عينيه تزهران تحت المغفر ، فنادى بأعلا صوته يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله فتراجع المسلمون اليه ، فلامهم على الفرار ، فقالوا : يانبى الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، أتانا (٦٧/ب) الخبر بأنك قد قتلت ، فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين[1] . فأنزل الله ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل))[2] .

هذا اسم أكرم الله به رسوله ، واشتقاقه من الحمد ، سمى بذلك لأنه محمود عند

---

(١) ذكر هذا السياق ابن هشام في السيرة (٣/٨٤٣) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٥) وابن القيم في الهدى (٣/١٩٤) ، وتفسير الثعلبي (٣/ق ١٢٤ - ١٢٥) .

(٢) أسباب النزول للواحدى ص (١٢٠) عن عطية العوفي .

الله ، وعند الملائكة ، وعند الناس[1] . وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

٤٣ - وشق له من اسمه ليجله . فذو العرش محمود وهذا محمد[2]

وقوله ((قد خلت من قبله الرسل)) اشارة الى أنه يتطرق اليه ما يتطرق اليهم من القتل والموت .

---

(١) انظر الكلام على هذه المسألة في جلاء الأفهام ص (٩٢) .

(٢) ديوانه ص (٥٤) .

فصل

لما انتهيت مرة في تدريس تفسير الكتاب العزيز الى هذه الآية أورد على رجل فاضل اشكالا فقال : لا شبهة أن " قد " في أصل الوضع لتقريب الماضي من الحال[1] ، ومعلوم أن بين انقراض الرسل وبين زمن نزول هذه الآية أمدا بعيدا ودهرا طويلا ، فكيف ساغ دخول " قد " ههنا ؟

فقلت : المقصود من سياق هذه الآية تقريع المنهزمين يوم أحد ، وابطال ماعتصموا به من جهة الاعتذار للفرار من قولهم للرسول : أتانا الخبر بأنك قد قتلت .

فقال سبحانه ((وما محمد الا رسول)) فحكمه حكمهم يجوز عليه ما يجوز عليهم ويتطرق اليه ما تطرق (٦٨/أ) اليهم ثم قرب سبحانه زمان هؤلاء الرسل الى المنهزمين المواجهين بالتوبيخ والتقريع بصيغة تقرب الماضي من الحال فقال : ((قد خلت من قبله الرسل)) ليكون ذلك في قربه منهم كالمشاهد لهم لترسخ في أذهانهم ، وليستحضروا في قلوبهم ما سيجرى على رسولهم مماثلا لما جرى على من قبله من الرسل ، كانه قال :((قد خلت من قبله الرسل)) بالأمس أفاين مات محمد أو قتل اليوم كما مات من قبله من الرسل وقتلوا ((انقلبتم على أعقابكم)) فيكون ذلك توبيخا على توبيخ ، وبخهم أولا لفرارهم ، وثانيا لاعتذارهم ليزدادوا بصيرة ، وايمانا ، وثباتا على دينهم كيف تصرفت بهم الحال كما كان أنس بن النضر حين قيل : قتل

---

(١) انظر المغني لابن هشام (١/١٤٨) .

محمد ، وكما كان الصديق حين قال : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت .

وقلّ أن يذكر مثل هذا التحرير في تفسير ، ولكن هذا من السرّ المكنون الذي لا يظهر الا بالبحث والتقرير .

قوله[1] عز وجل : ((أفاين مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم)) أي أتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل ؟

ويقال لكل من عاد الى ما كان عليه ، ورجع وراءه انقلب على عقبيه . يعرض بهذا (٦٨/ب) بالقائلين حين صرخ الشيطان : قتل محمد ارجعوا الى دينكم الأول ((ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)) انما يضر نفسه ((وسيجزى الله الشكرين - ١٤٤)) قال علي رضي الله عنه : يعني الثابتين على دينهم ، وكان أبو بكر أمير الشاكرين[2] .

---

(١) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا سابعا ، وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السادس عشر مرة ثانية .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/ ٢٥٢) وفيه " كان أبو بكر أمين الشاكرين " بدلا من أمير الشاكرين .
قال ابن جرير : " وسيجزى الله الشكرين " يقول : وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته ، اياه لدينه ، بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان هو مات أو قتل ، واستقامته على منهاجه وتمسكه بدينه وملته بعده . اهـ .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن الصوفي . قالا : أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا الداوودى ، أخبرنا ابن حمويه ، أخبرنا الفربرى أخبرنا البخارى ، أخبرنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح[1] ، حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مغشى بثوب حبرة[2] ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله ، وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها .

وحدثني أبو سلمه عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس ، فقال : اجلس ياعمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس اليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد : من كان منكم (٦٩/أ) يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، قال الله : ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل)) الى قوله ((الشكرين)) قال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها ، فأخبرني

---

(١) محل في طرف من أطراف المدينة ، فيها منزل لابي بكر الصديق رضى الله عنه . معجم البلدان (٣/٢٦٥) .

(٢) حبرة كعنبة : ضرب من برود اليمن . اهـ من القاموس ، مادة حبر (٢/٢) .

سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو الا أن سمعت أبا بكر تلاهـا فعقرت حتى ماتقلني رجلاى ، وحتى أهويت الى الأرض حين سمعته تلاهـا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات . انفرد باخراجه البخارى (١).

قوله : ((وما كان لنفس أن تموت الا بـاذن اللـه))

قال الزجاج : اللام في النفس معناها النقل بتقدير : وما كانت نفس لتمـوت الا باذن الله (٢).

قال ابن عباس : يريد بقضائه وقدره . ((كتبـا مؤجلا)) أى كتـب الله ذلك كتابا الى أجله في اللوح المحفوظ ،لا يقدمه اقتحام المهالـك ولا يؤخره الفرار من المعارك .

والمقصود من هذا حض المسلمين على الصبر عند لقاء العدو ، والعتب علـى المنهزمين يوم أحد .

((ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منهـا — ١٤٥))

أى من قصد بعمله الدنيا نعطه (٦٩/ب) منها ما قدرنا له ،ثم ينقطـع ، وفيه تعريض بالرماة الذين تركوا المركز ، طلبا للغنيمة ،وباقي الآية تعريـض بالذين بقوا مع أميرهم عبد الله بن جبير لحفظ المركز .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعـد الموت (٢ / ٩٠) .

(٢) ويحتمل أن تكون اللام باقية على أصلها ،ويكون المعنى : ما يحـق ولا ينبغى لنفس أن تموت الا باذن الله .

قوله عز وجل : ((وكأين)) وقرأ ابن كثير : ((وكآئن)) ، مثل وكاعن ، والأول لغة أهل الحجاز ، والثاني لغة بنى تميم .

قال المعلوط القريعي [1] :

٤٤ــ وكائن رأينا من غنى مذمم . وصعلوك قوم مات وهو حميد

قال ابن قتيبة : وهذه اللغة أفصح ، وأكثر [2] ، قال الشاعر :

٤٥ــ وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلم [3]

قال الفراء : وأنشدنى الكسائي :

٤٦ــ وكائن ترى يسعى من الناس جاهدا
على ابن غدا منه شجاع وعقرب [4]

---

(١) لم أعثر عليه .

(٢) يعنى لغة بنى تميم ، وقوله فيه نظر ، نعم لا شك أنها لغة فصيحة ، وقراءة صحيحة ، لكن دعوى كونها أفصح ، محل نظر ، بل العكس هو الأولى ، فان لغة قريش هى أفصح لغات العرب ، ولا سيما وقد قرأ بها ستة من القراء المشهورين بالاتقان والضبط .

(٣) هذا البيت لزهير بن أبى سلمى المزني في معلقته احدى المعلقات السبع ، كما في ديوانه ص (٨٨) .

(٤) لم أعثر على قائله ، وهو في زاد المسير (١ / ٤٧١) .

وقال آخر :

٤٧- وكائن أصابت مؤمنا من مصيبة . . على الله عقباها ومنه ثوابها[1]

قال بعضهم : أصلها " أى " دخلت عليها كاف التشبيه ، فمن ثقل فعلى الأصل ، ومن خفف فلكراهة التضعيف ، وكان أبو عمرو يقف على الياء نظرا الى الأصل ، والباقون على النون اتباعا[2] للامام ، ومعناها (١/٧٠) وكم من نبي قتل ، وقرىء شاذا " قتل " بالتشديد ، وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة " قاتل " والفاعل " ربيون " ، والمعنى : كم من نبى قتل الربيون معه فما وهن من بقى منهم ، ويؤيد هذا المعنى قراءة من شدد ، وقيل[3] القتل مسند الى النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا " معه " في محل الحال المعنى : وكم من نبي قتل كائنا معه ربيون ، فما وهنوا بعد قتل نبيهم . والقولان جاريان في قراءة أهل الكوفة أيضا[4] .

والربيون -بالحركات الثلاث على الراء - : الجماعات الكثيرة وهذا قول الأكثرين

---

(١) لم أعثر على قائله ، وهو في زاد المسير (١ / ٤٧١) .

(٢) أى المصحف الامام .

(٣) وحكى ابن كثير (١ / ٤١٠) فيها قولا ثالثا - هو اختيار ابن جرير - قال : قيل معناه : كم من نبى قتل ، وقتل معه ربيون من أصحابه كثير " اهـ .

(٤) ووجهها في قراءة أهل الكوفة : وكم من نبى قاتل معه ربيون ، فقتل منهم طائفة فما وهن من بقى منهم لقتل من قتل ، وعلى القول بان القتال مسند للنبي يكون المعنى : وكم من نبى قاتل ، فقتل ، ومعه ربيون ، فما وهنوا لقتل نبيهم .

من أهل التفسير ، واللغة .

قال ابن مسعود : هم الألوف . اختاره الفراء .

وقال قتادة ، وعكرمة ، ومجاهد : الجماعات الكثيرة .

واختاره ابن قتيبة ، وقال الحسن : العلماء والفقهاء . اختاره الزجاج .

وقال ابن فارس : هم العارفون ، ، المتألهون .(١)

((فما وهنوا)) أى ما ضعفوا عند قتل نبيهم ، أو قتل من قتل منهم ((وماضعفوا)) عن جهاد الأعداء بعد ما أصابهم في سبيل الله ((وما استكانوا - ١٤٦)) أى : ما ذلوا(٢) للعدو وفي هذا تعريض بالمهزمين الذين أظهروا الوهن والضعف والذل حين صرخ الشيطان : قتل محمد .

قوله : ((وما كان قولهم)) يعنى قول (٧٠/ب) الربيين الا هذا القول ، وهو الاعتراف بالذنوب .

((واسرافنا في أمرنا)) وهو مجاوزة الحد في المعاصي .

فالمعنى : اغفر لنا الصغائر والكبائر ((وثبت أقدامنا - ١٤٧)) كى لا نزول عن دينك ، وحرب أعدائك .

---

(١) وهذان القولان الأخيران مخالفان لما عليه عامة أهل التفسير واللغة وما قاله ابن مسعود ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة هو المقدم ، لا سيما وأنه الذى جاءت به لغة العرب .

(٢) ذكر الله تعالى من وصف هؤلاء الربيين أمرين :
أحدهما : أنهم لم يضعفوا عن قتال عدوهم لما أصابهم .
الثاني : ولم يعرضوا عن جهاده ، ويستسلموا له بل وصفهم بالصبر المعبر عنه بقوله : ((والله يحب الصابرين)) .

المعنى : فهلا كنتم أنتم يا أصحاب محمد كذلك .

((فئاتهم الله ثواب الدنيا)) وهو النصر والغنيمة ، ((وحسن ثواب الآخرة - ١٤٨)) وهو الجنة .[1]

وخصه باضافة الحسن اليه تمييزا له عن ثواب الدنيا ، وتفضيلا له عليه .

قوله تعالى : ((يايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا - ١٤٩))

قال على رضى الله عنه : هم المنافقون الذين قالوا - حين صرخ الشيطان قتل محمد - ارجعوا الى دينكم الأول .[2]

وقال ابن عباس : هم اليهود . وذلك أنهم كانوا يرومون ادخال الشبهة على المؤمنين ليفتنوهم .

فلما كان يوم أحد قالوا : لو كان نبيا ما غلب .

وقيل : هو عام في جميع الكفار .[3]

((بل الله مولكم - ١٥٠)) وليكم وناصركم ، وقرىء " بل الله "[4] بالنصب على معنى بل اطيعوا الله مولاكم .

---

(١) حسن ثواب الآخرة يعم الجنة وما فيها من النعيم ، الذى أعظمه رؤية البارى عز وجل .

(٢) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٣٠/ب) ، والبغوى (١/ ٣٦٠) .

(٣) وهذا هو الأظهر ، وان كان قائل تلك المقالة المنافقون أو اليهود أو غيرهم ، فان هذا وصف عام لجميع أعداء الاسلام من شتى الطوائف حيث تؤدى طاعتهم الى الاعراض عن دين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، اذ لا يرضون بتباعنا اياهم الا على هذه الحال .

(٤) مختصر شواذ القرآن ص (٢٢) .

قوله : ((سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعـــــــب))

قال السدى : لما ارتحل المشركون نحو مكة ندموا في بعض الطريق وقالوا : قتلنا أصحاب محمد حتى اذا لم يبق منهم الا شرذمة تركناهم فهموا بالرجوع ليستأصلوهم (٧١/أ) فقذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلت هذه الآيـــة (١).

وقيل : كان ذلك يوم أحد ، فانهم انهزموا راجعين الى مكة ، ولهم القـوة والغلبـــة (٢).

والرعب باسكان العين وبضمها لغتان .

وبضمها قرأ ابن عامر والكسائي (٣) حيث جآء ، وهو الخوف الذى يملأ القلب، من قولهم : رَعَبْتُ القربة أى ملأتها .

و " ما " في قوله ((بما أشركوا)) مصدرية ، المعنى : باشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا ، حجة ظاهرة .

لان الند والشريك لا حجة على صحته فتنزل .

((ومأوٰهـم النار)) مكانهم الذى يأوون اليه النار .

ثم ذمه فقال ((وبئس مثوى الظلمين - ١٥١)) .

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص (١٢١) وتفسير ابن جرير (٧/ ٢٨٠) .

(٢) وهذا هو معنى ما ذكره السدى في سبب نزول الآية .

(٣) الحجةللفارسي (٣/ ٨٥) وابن زنجله ص (١٧٦) ، والكشف (١/ ٣٦٠)

قوله : ((ولقد صدقكم الله وعـــــــده))

قال قوم من المسلمين : من أين أصابنا هذا ؟ وقد وعدنا الله النصر فنزلت هذه الآية.[1]

والوعد بالنصر في قوله عليه الصلاة والسلام ((لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم))[2]

أو في قوله ((سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب))

أو في قوله ((بلى ان تصبروا وتتقوا)) الآية.[3]

ان قلنا هو يوم أحد .

((اذ تحسونهم باذنه)) أي تقتلونهم قتلا ذريعا ، يقال : سنة حســـوس اذا أتت على كل شيء ، وجراد محسوس ، اذا قتله البرد .

وكان ذلك حين كان الرماة يرشقونهم بالنبل ، وباقي المسلمين يضربونهـــــم بالسيوف.[4]

((حتى اذا فشلتم)) أي (٧١/ب) جبنتم[5] وضعف رأيكم ((وتنازعتم فـــي الأمر)) وهو تجاذب الرماة فيما بينهم ، بين قائل : لا نفارق المركز ، وقائل : ما يمنعنا من الغنيمة ((وعصيتم)) خالفتم الرسول في قوله : ((لو رأيتـــم

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٢١) عن محمد بن كعب القرظي .

(٢) تقدم ص (٢٨٩) .

(٣) ولا مانع من ارادة هذه النصوص كلها لا سيما في مثل هذا المقـــام.

(٤) يعني في أول المعركة قبل أن يفارق الرماة مكانهم الذي وضعهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) وبهذا فسره ابن عباس ، واختاره ابن جرير ، وكذلك هو في اللغـــة والفشل الجبن والضعف . قاله في اللسان ، مادة " فشل " .

الطير تخطفنا لا تفارقوا مكانكم)[1] .

وقيل : في الكلام تقديم وتأخير تقديره : حتى اذا تنازعتم وعصيتم فشلتم[2] .

((من بعد ما أراكم ما تحبون)) وهو النصر والغنيمة .

وجواب " حتى اذا " محذوف تقديره : حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم منعتكم ما تحبون[3] ، ويجوز أن يكون متعلقا بما قبله ،التقدير : ولقد صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم .

((منكم من يريد الدنيا)) وهم الذين فارقوا المركز .

((ومنكم من يريد الآخرة)) كعبد الله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا معه .

قال ابن مسعود : ما كنت أظن أن أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[4] .

((ثم صرفكم عنهم - ١٥٢)) رد وجوهكم عن المشركين بالهزيمة .

وفي قوله ((صرفكم)) ابطال لمذهب القدرية حيث أضاف الصرف الى نفسه وجعله من فعله .

---

(١) تقدم ص : (٢٨٩) .

(٢) وهذا لايمنع منه السياق ،لان الواو عند البصريين لا تفيد الترتيب ،

(٣) ويجوز أن يكون تقديره : حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم — من بعد ما أراكم ما تحبون — انهزمتم ،أو غلبتم .

(٤) أخرجه الامام أحمد في المسند (٦ / ١٩١) رقم (٤٤١٤) بسند حسن ،وابن جرير (٧ / ٢٩٥) وابن أبي حاتم (٢ / ٦٠٦) .

وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول : هؤلاء مع رسول الله ، في سبيل الله غضاب لله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شيء فضيعوه ، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم .

والفاسق اليوم يتحرم كل (٧٢/أ) كبيرة ، ويركب كل داهية ، ويزعم أن لا بأس عليه فسيعلم .

قوله ((اذ تصعدون ولا تلوون على أحد))[1] .

قوله " اذ " نصب بصرفكم ، أو بقوله ليبتليكم ، أو بعفا ، أو باضمار اذكر ، وتصعدون من الاصعاد وهو : الذهاب في الأرض ، والابعاد فيها ، يقال أصعد في الأرض اذا أمعن في الذهاب فيها .

وقرأ الحسن البصرى : تصعدون[2] ، بفتح التاء والعين ، من الصعود ، يريد ارتفاعهم في الجبل ، ويؤيده قراءة عائشة وأبى الجوزاء[3] في آخرين ((ولا تلوون على أحد))[4] بضم الهمزة والحاء أى الجبل المعروف ، وقيل صعد

---

(١) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السادس عشر مرة ثانية .

(٢) الكامل للهذلي (ق ١٧٦/ب) اعراب القراءات الشواذ (ق ٤٨/ب)

(٣) أوس بن عبد الله الربعى ، أبو الجوزاء - بالجيم والزاى - بصرى ، تابعي ثقة جليل ، يرسل كثيرا ، توفى سنة ثلاث وثمانين . التقريب (٥٧٧)

(٤) اعراب القراءات الشواذ (ق ٤٨/ب) .

وأصعد بمعنى واحد ((ولا تلوون)) أصله من لى العنق في الالتفات ثم استعير في ترك التعريج .

((والرسول يدعوكم في أخراكم)) يقال : جاء فلان في آخر الناس ، وأخراهم ، اذا جاء من خلفهم .

كما يقال : جاء في أولاهم ، وأولاهم .

والأخرى تأنيث الآخر ، وهو في تأويل : يدعوكم في ساقتكم ، أو في جماعتكم المتأخره ، يقول : الى عباد الله ، الى عباد الله ، أنا رسول الله

((فأثبكم)) عطف على " ثم صرفكم " والمعنى : فجازاكم غما حين صرفكم عنهم ((ليبتليكم)) بسبب غم أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمخالفتكم له .

وهذا اختيار الزجاج .[1]

وقال الحسن : بغم أدخلتموه على (٧٢/ب) الكفار يوم بدر .[2]

وقيل : غما بغم ، أى غما على غم .

تقول نزلت به ، أى عليه .

أو غما مع غم ، كما تقول : جاء زيد بعمرو ، أى معه ،[3] وهو ما أصابهم من

---

(١) معاني القرآن (١/٤٧٩) .

(٢) وهذا بعيد عن معنى الآية ، لأن الآية سيقت للتوبيخ ، وادخال الغم على الكفار أمر محمود ، فلا يصح التوبيخ على فعل أمر محمود محبوب للشارع .

(٣) لا فرق يذكر بينهما من حيث المعنى ، سواء كان غما مع غم ، أو غما على غم .

القتل والهزيمة مع مافاتهم من النصر والغنيمة .

أو مع ما نالهم حين سمعوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم .

((لكى لا تحزنوا - ١٥٣)) قيل : ان " لا " زائدة ، كقوله " لئلا يعلم أهل الكتب " (١)

فالمعنى : فأثابكم غما ، عقوبة لكم ، لكى تحزنوا على مافاتكم من النصر والغنيمة ومانالكم من القتل والهزيمة .

فعلى هذا اللام في " لكى " متعلقة بقوله " فأثابكم " .

والأظهر أن " لا " على أصلها ، ومعناها النفى ، ثم في توجيه الآية طرق :

أحدها : فأثابكم غما عظيما تضاءل عنده الغم الأول ، وهو : ما فاتكم وأصابكم عند سماع صوت الشيطان : قتل محمد فبقى الغم الأول مغمورا كأن لم يكن له وجود ، ومن هذا قول الشاعر :

٤٨ — اذا تجدد حزن هون الماضي .

الطريق الثاني : أن المعنى : فأثابكم غما بغم لتتمرنوا وتتعودوا ، فلا تحزنوا على ما فاتكم من المَسَار ، ولا على ما أصابكم من المَضَار . كما قيل :

٤٩ — تعودت مس الضر حتى ألفته . فأسلمني حسن العزاء الى الصبر

٥٠ — ووسع صدرى بالأذى كثرة الأذى

وقد كنت أحيانا يضيق به صدرى (٧٣/أ)

---

(١) الحديد (٢٩) .

ومنه البيت السائر :

١٥ - انكرتُ طارقة الحوادث مرة . ثم اعترفتُ بها فصارت ديدنا

الطريق الثالث : أن تكون لام كي متعلقة بقوله :

((ولقد عفا عنكم)) أي عفا عنكم لكي لا تحزنوا ، فان عفو الله يذهب بالحزن .(١)

قوله : ((ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا))

قال ابن قتيبة : الأمنة : الأمن(٢) ، ونعاسا بدل من أمنة .

وجائز أن يكون هو المفعول ، وأمنة حالا متقدمة عليه ، نحو رأيت راكبا رجلا .

وجائز أن يكون مفعولا له ، أي نعستم للأمنة .

والنعاس : الوسن ، يقال : نعس ينعس نعاسا فهو ناعس ، وبعضهم يقول : نعسان .

قال الفراء : قد سمعتها ، ولكن لا أشتهيها .(٣)

قال الزجاج : معنى الآية : أعقبكم بما نالكم من الرعب بأن أمنكم أمنا تنامون معه ، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام .(٤)

---

(١) والطريق الأول الذي ذكره المؤلف قوي جدا .

(٢) تفسير غريب القرآن ص (١١٤) .

(٣) يعني نعسان ، ولم أجد هذا النقل في معاني الفراء ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٠) له .

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٧٩) .

((يغشى)) يعنى النعاس .

وقرأ حمزة والكسائي : " تغشى [1] بالتاء والا مالة ، يعنى الأمنة " طائفة منكم " وهم المؤمنون ((وطائفة قد أهمتهم أنفسهم)) وهم المنافقون ، أهمهم خلاص أنفسهم لا خلاص الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا الخلاص في الاسلام .

قال الزبير رضي الله عنه : أرسل الله تعالى علينا النوم (٧٣/ب) فما منا رجل الى ذَقِنُه في صدره ، فوالله انى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا .

فحفظتها منه . [2]

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي ، وابن روزبة البغدادبان . قالا : أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو الحسن ، عبد الرحمن بن محمد أخبرنا عبد الله بن أحمد ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا اسحق بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، أبو يعقوب ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شيبان عن قتادة ، قال : حدثنا أنس أن أبا طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ، قال : فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه ، وجعلت أنظر وما منهم أحد يومئذ الا يميد تحت حجفته من النعاس . [3]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/٨٨) ، وابن زنجلة ص (١٧٦) والكشف (١/٣٦٠) والنشر : (٢/٢٤٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/٣٢٣) وانظر الدر المنثور (٢/٣٥٣) .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب التفسير ، باب " أمنة نعاسا " (٦/٤٨) . والحجفة : الترس . قاله في النهاية (١/٣٤٥) .

قوله : ((يظنون بالله غير الحق))

ظنوا أن عقد الاسلام قد انحل ، وأن أمر النبي قد اضمحل .

قال ابن عباس : ظنوا أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه .[1]

((ظن الجهلية)) بدل من " غير الحق " .

والمعنى : ظن المختص بالملة الجاهلية ، أو كظن أهل الجاهلية . فشبه ظن أهل الشك بظن أهل الشرك .

وقوله : " يقولون " بدل من يظنون ، والاستفهام بمعنى الجحد كما سبق .

وتقديره : ما لنا من النصر ، والظفر شيء ، كما وعدنا .

قال أبو سليمان الدمشقي (٧٤/أ) : القائل : ((هل لنا من الأمر من شيء ؟)) عبد الله بن أبي بن سلول .[2]

قل لهم يا محمد : " ان الأمر كله لله " قرأ الكل[3] " كله " بالنصب على توكيد الأمر ، الا أبا عمرو فانه رفع على الابتداء .[4] و " لله " الخبر ، والجملة خبر " ان " وقوله : " يخفون " حال من " يقولون " .[5]

والذي أخفوه : الشك والنفاق ، أو قولهم : ((هل لنا من الأمر من شيء ؟))

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٨١) .

(٢) زاد المسير (١/ ٤٨٢) .

(٣) مراده كل القراء قرؤا بنصب " كله " ما عدا أبا عمرو .

(٤) الحجة لابي علي الفارسي (٣/ ٩٠) ولابن زنجلة ص (١٧٧) والكشف (١/ ٣٦١) .

(٥) انظر الدر المصون (٣/ ٤٤٩) .

وقولهم : ((لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هـهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)) أى لصاروا الى براز من الأرض وهو المكان المنكشف ، والمضاجع : المصارع .

وهذا اعلام من الله للبشر أنه لا وزر من القدر .

قوله : ((وليبتلى الله ما في صدوركم)) أى ما فيها من الاخلاص .

((وليمحص ما في قلوبكم - ١٥٤)) من وساوس الشيطان ،

قال قتادة : ليطهرها من الشك ، والارتياب بما يريكم من عجائب صنعته ، من الأمنة واظهار سرائر المنافقين .

وقال غيره : أراد بالتمحيص ابانة ما في القلوب ، فيكون الخطاب بذلك للمنافقين .(١)

قوله عز وجل : ((ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان)) يريد جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد ، والخطاب للمسلمين ((انما استزلهم الشيطان)) أى طلب منهم الزلل(٢) ، ((ببعض ما كسبوا)) (٧٤/ب) من الذنوب .

وهو معصية الرسول بمفارقة المركز .

وذكر البعض مشعر بأن المعفو عنه من الذنوب أكثر .

((ولقد عفا الله عنهم - ١٥٥)) توليهم يوم أحد .

---

(١) قاله في زاد المسير (١/ ٤٨٢) ، وهو محتمل .

(٢) حيث دعاهم اليه ، وأوقعهم فيه .

ثم نهى الله المؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين فقال :

((لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم)) .

أي لأجل[1] اخوانهم ، كقوله : ((وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه))[2] والمعنى لاخوانهم في السبب وهو النفاق .

وقيل في النسب .

((اذا ضربوا)) أي سافروا ، وساروا فيها .

قال الزجاج : انما قال " اذا ضربوا " ولم يقل " اذ " لأنه هذا شأنهم أبدا يقولون فلان اذا حدث صدق ، واذا ضرب صبر ، و" اذا " لما يستقبل الا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل الا لما قد خبر منه فيما مضى .[3]

وقال غيره : هو على حكاية الحال الماضية .

---

(١) تفسير المؤلف يدل على أن اللام للتعليل ، وهو خلاف الظاهر ، بل الأظهر أنها للتعدية ، أي قالوا لهم هذا القول حين سفرهم أو غزوهم وهو مذهب ابن جرير في تفسيره (٧ / ٣٣١) يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل ، أو مات في سفر ، خرج فيه في طاعة الله ، أو تجارة ، لو لم يكونوا خرجوا من عندنا ، وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا ، وما قتلوا . اهـ .
وعدل بها ابن كثير عن ظاهرها فقال : عن أخوانهم . وهو خلاف التحقيق .

(٢) الأحقاف (١١) .

(٣) لم أجد هذا النقل في المطبوع من معاني القرآن للزجاج ، لكن ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١ / ٤٨٤) .

((أو كانوا غزا)) جمع غاز مثل صائم وصوم ، ونائم ونوم ، وفيه اضمار تقديره قالوا لا خوانهم اذا ضربوا في الأرض أو غزوا فماتوا أو قتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا .

((ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم)) قال ابن عباس : ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم سلموا[1] ، حسرة أى : حزنا وأسفا في قلوبهم. واللام في " ليجعل " متعلقه (٧٥/أ) " بقالوا " على معنى قالوا ذلك ، واعتقدوه ليجعله الله حسرة في قلوبهم .

ويجوز أن تكون متعلقة بالنهى ، أى لا تكونوا كالذين كفروا في هذا القول والاعتقاد ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة .[2]

((والله يحى ويميت)) فهو الفاعل للاحياء والاماتة في الحضر والسفر ، وكلاهما سببان بالنسبة الى القدر .

((والله بما يعملون بصير - ١٥٦)) قرأ ابن كثير وحمزه ، والكسائي " يعملون " بالياء حملا على لفظ الغيبة في الآية .

وقرأ الباقون بالتاء رداً[3] على قوله " لا تكونوا " .

فالخطاب على هذا للمؤمنين ، وعلى تلك للكافرين .

قوله تعالى : ((ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم)) .

قرأ نافع وأهل الكوفة الا أبا بكر " متم " " ومتنا " بكسر الميم حيث وقع ، وقرأ

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٨٤) .
(٢) والأول أظهر لدلالة السياق والمعنى عليه .
(٣) الحجة لأبى على (٣/ ٩١) ولابن زنجله ص (١٧٢) ، والكشف (١/ ٣٦١) والنشر (٢/ ٢٤٢) .

الباقون بضم الميم[1] غير أن حفصا ضم الميم في هذه السورة خاصة ، فمن ضم فلأنه من مات يموت ، كقال يقول .

ومن كسر فعلى لغة من قال : مات يمات ، مثل دام يدام ، والقراءة الأولى أوجه .

واللام في " لئن " لام القسم ، تقديره : والله لئن قتلتم أيها المؤمنون في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ، جواب القسم ، وهذا الجواب سد مسد جواب (٧٥/ب) الشرط[2] ، ومثله ((لإلى الله تحشرون))[3] .

والمعنى لمغفرة من الله لذنوبكم بسبب الجهاد ، ورحمة منه لكم ((خير مما تجمعون — ١٥٧)) من عرض الدنيا .

وقرأ حفص " يجمعون " بالياء[4] ، على معنى : خير مما يجمع غيركم من الدنيا ((ولئن متم أو قتلتم لإلى الله)) الموصوف بالمغفرة والرحمة ((تحشرون-١٥٨))

قوله : ((فبما رحمة من الله لنت لهم)) " ما " صلة ، كقوله : ((فبما نقضهم ميثاقهم))[5] ، والتقدير : فبرحمة من الله انعم بها عليك ، وعليهم ، لنت لهم

---

(١) الحجة لأبي علي (٣/ ٩٢) ، لابن زنجلة ص (١٧٨) ، والكشف (١/ ٣٦١) والنشر (٢/ ٢٤٢) .

(٢) وهذا هو المعروف عند جمهور النحاة أنه اذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما ، ولهذا المعنى أشار ابن مالك في الخلاصة بقوله :
واحذف لدى اجتماع شرط وقسم . جواب ما أخرت فهو ملتزم

(٣) يعني أنه استغنى بذكر جواب القسم عن جواب الشرط في قوله " ولئن متم أو قتلتم لا الى الله تحشرون)) .

(٤) الحجة لأبي علي (٣/ ٩٤) ، والكشف (١/ ٣٦٢) ، والنشر (٢/ ٢٤٣)

(٥) النساء (١٥٥) ، والمائدة (١٣) .

فشملتهم لطفا ، ووسعتهم عطفا ، ((ولو كنت فظا)) يعني جافيا غليظا سيء الخلق[1] ((لا نفضوا من حولك)) أي لتفرقوا عنك ، ونفروا منك ((فاعف عنهم)) ما يخصك ((واستغفر لهم)) تفريطهم في حقي عليهم . ((وشاورهم في الأمر)) استخرج ما عندهم فيما لم يأتك فيه وحي ، وفي قراءة ابن عباس " وشاورهم في بعض الأمر "[2] . واشتقاقه من شرت العسل ، وانشدوا :

٥٢ — .... الذ من السلوى اذا ما نشورها[3]

وقال الزجاج : يقال : شاورت الرجل مشاورة ، وشوارا ، وما يكون من ذلك اسمه : المشورة ، وبعضهم يقول : المشورة ، على وزن قسورة ، ومعنى قولهم : شاورت فلانا أظهرت ما عندي وما عنده ، وشرت الدابة اذا امتحنتها فعرفت همتها في (٧٦/أ) سيرها ، وشرت العسل اذا أخذته من مواضع النحل ، وعسل مشار .

قال الأعشي :

٥٣ — كأن القرنفل والزنجبيل . . باتا بفيها وَأَرْياً مشارا[4]

والأَرْيُ : العسل[5] .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٧/ ٣٤٠ - ٣٤١) .

(٢) المحتسب (١/ ١٧٥) ، والمصاحف ص (٨٥) .

(٣) هذا عجز بيت صدره :

* وقاسمها بالله حقا لأنتم *

وهو لخالد بن زهير ، كما في ديوان الهذليين (١/ ١٥٨) ، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٢١٥) .

(٤) ديوانه ص (٦٨) ، ولفظه :

كأنه جنيا من الزنجبيل . . ل خالط فاها وأريا مشورا

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٨٥) .

فان قيل : ما الحكمة في كون من لم يخلق الله في بني آدم أكمل منه ، وأكثر علما ، وأصوب رأيا ، وأثقب فهما ، يؤمر بمشاورة من هو دونه .

قلت : فيه حكم منها :

تطيب قلوب أصحابه ، وتشريفهم بذلك ، وارشادهم الى الاستنان به .

قال علي رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه ، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم .

وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر (١) .

قرأت على أبي المجد القزويني ، أخبركم أبو منصور الطوسي ، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود ، حدثنا المطهر بن علي (٢) ، أخبرنا أبو ذر الصالحاني (٣) حدثنا أبو الشيخ بن حيان الحافظ (٤) حدثنا علي بن العباس المقانعي ، حدثنا

---

(١) زاد المسير (١/٤٨٨) .

(٢) لم أعثر على ترجمة .

(٣) محمد بن ابراهيم بن علي الصالحاني ، أبو ذر الأصبهاني ، الواعظ روى عن أبي الشيخ ، وتوفي سنة أربعين ، وأربعمائة ، العبر (٢/٢٧٧) وشذرات الذهب (٣/٢٦٤) .

(٤) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، المعروف بأبي الشيخ ، أبو محمد الأصبهاني ، الحافظ محدث أصبهان صاحب التصانيف ، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة ، أخبار أصبهان (٢/٩٠) .
(سير أعلام النبلاء (١٦/٢٧٦) ، شذرات الذهب (٣/٦٩) .

أحمد بن محمد بن ماهان ،أخبرني أبي ، حدثنا طلحة بن زيد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت :

ما رأيت رجلا (٧٦/ب) أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .[١]

وقرأت على أبي القاسم ،علي بن أبي منصور الموصلي[٢] ،أخبركم أبو زكريا ، يحيى بن أسعد بن بوش[٣] ، فأقر به .

أخبرنا أبو العز ،بن كاوش[٤] ،أخبرنا أبو علي الجازري[٥] ،أخبرنا أبو الفرج

---

(١) لم أجد بقية رجال هذا السند ، ولا الحديث أيضا من رواية عائشة لكن أخرجه الامام أحمد في المسند (٤/٣٢٨) من رواية ابي هريرة وكذلك أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/٣٣١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٣١) ولفظه " ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما لدى من كتب المراجع .

(٣) يحي بن أسعد بن بوش - بفتح الباء وسكون الميم بعدها شين معجمة - البغدادي أبو القاسم ،أو أبو زكريا الأزجي ، الشيخ المعمر، الرحلة سمع كثيراً ، وحدث بالمسند ، وكان عاميا ، توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . التقييد لابن نقطه (٢/٣٠٥) ومشيخة النعال ص(١٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢١/٢٤٣) .

(٤) أحمد بن عبيد الله بن محمد السلمي ،أبو العز العكبري ، المعروف بابن كادش ، طلب الحديث ، وقرأ على المشايخ ، ونسخ بخطه ، وجمع وخرج ، توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة .
المنتظم (١٠/٢٨) وسير أعلام النبلاء (١٩/٥٥٨) والشذرات (٤/٧٨) .

(٥) محمد بن الحسين الجازري . انظر السير (١٩/٥٥٨) .

المعافي بن زكريا الجَريرى[1] ، حدثنا محمد بن القاسم الأنبارى[2] ، حدثنا أبي[3] عن أبي جعفر محمد بن عمران[4]

قال : يقال توأم الرأى خير من الفذ ، ورأى الثلاثة لا ينقض .

قال محمد : ويقال : نصف عقلك مع أخيك ، يعنى في المشاورة .

قال محمد : ويقال : ما هلك امرؤ عن مشورة ، ولا سعد امرؤ استغنى برأيه .

وقال الشاعر :

٥٤ - خليلى ليس الرأى في صدر واحد . أشيرا على اليوم ما تريان

واعلم أن المراد من الآية : وشاور ذوى الرأى ، والعقول من أصحابك .

وقد روى عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله " وشاورهم في الأمر " قال : يريد أبا بكر وعمر رضى الله عنهما[5] .

---

(١) المعافى بن زكريا بن يحى ، أبو الفرج النهرواني ، الجَريرى ، نسبة الى رأى ابن جرير الطبرى ، العلامة ، الفقيه الحافظ ، القاضي ، توفى سنة تسعين وثلاثمائة .
تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٠) والمنتظم (٧/ ٢١٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٤) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى ، أبو محمد ، علامة بالأدب والأخبار من أهل الأنبار ، سكن بغداد ، وله تصانيف في الأدب وغيره ، توفي سنة أربع وثلاثمائة . الأعلام للزركلي : (٥/ ١٨١) .

(٤) لم أجد له ترجمه .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٠) وصححه ووافقه الذهبي ، والنحاس في معاني القرآن ص ٥٠٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٩) ، ونسبه الى البيهقي أيضا .
والآية كما ترى مطلقه ، فالأولى عدم تقييدها بأحد من الأمة . والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أمر له ولأمته .

" فاذا عزمت " وقرأ شاذا " عزمت " بضم التاء[1] ، على معنى : عزمت لك على أمر ، وقضيته وأمضيته ((فتوكل على الله - ١٥٩)) لا على المشورة .

قوله : ((ان ينصركم الله فلا غالب لكم))[2] .

قال ابن السائب : ان ينصركم الله كما فعل يوم بدر ، فلا غالب لكم (٧٧/أ) وان يخذلكم كما فعل يوم أحد ((فمن ذا الذى ينصركم من بعده - ١٦٠)) أى من بعد الله .

وقيل : من بعد خذلانه ، والأظهر الأول ، بتقدير حذف المضاف أى من بعد خذلان الله .

قوله : ((وما كان لنبى أن يغل)) .

أخرج أبو داود في سننه ، والترمذى في جامعه ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ((وما كان لنبي أن يغل)) في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ، فانزل الله هذه الآية الى آخرها[3] .

---

(١) المحتسب (١/١٧٦) وهى قراءة شاذة .

(٢) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس الثامن عشر ، مرة ثانية .

(٣) أخرجه الترمذى في الجامع ، كتاب التفسير (٥/٢٣٠) ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس .
وأبو داود في السنن ، كتاب الحروف (٤/٣١) ، وفيه خصيف بن عبد الرحمن متكلم فيه .

وروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلا غل من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت هذه الآية .(١)

ونقل عنه أيضا : أن قوما من أشراف الناس طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصهم بشيء من المغانم فنزلت .(٢)

وقال قتادة غل قوم يوم بدر فنزلت .(٣)

وقال ابن السائب ومقاتل : نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلبا للغنيمة(٤) ، وقالوا : نخاف أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ،فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم :

(ألم أعهد اليكم أن لا تبرحوا ،أظننتم أنا نغل) .

وقال ابن اسحاق : نزلت في غلول الوحى .(٥)

وقد اختلف القراء في هذا الحرف ،فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (٧٧/ب)

---

(١) ذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١٢٢) والثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٤٠/ب) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ٣٥١) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٢) نسبته الى ابن أبي شيبة .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/ ٣٥٣) ،وزاد السيوطي في الدر المنثور : (٢/ ٣٦٣) نسبته الى عبد بن حميد .

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٢٠١) وزاد المسير (١/ ٤٩٠) .

(٥) تفسير ابن جرير (٧/ ٣٥٢) .

" يغل " بفتح الياء وضم العين .

وقرأ الباقون بالعكس من ذلك .(١)

وأصل الباب الاختفاء ، يقال غل من المغنم غلولا ، وأغل اغلالا ، اذا أخذه في خفية ، وأغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد ، والغل الحقد الكامن في الصدر .

والغلالة ثوب يلبس تحت الثياب ، والغلل الماء الذى يجرى تحت الشجر .(٢)

والمعنى : ما ينبغي لنبي ولا يصح له أن يغل .

لأن النبوة تنافى الغلول .

ومن قرأ : يغل ، بضم الياء وفتح الغين فهو راجع الى معنى القراءة الأخرى أى ما كان لنبي أن يوجد غالا . ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا .

وقال الحسن - في معنى هذه القراءة - : أن يغل " أى يخان .(٣)

وهو الذى يقتضيه سبب نزول الآية على ما رواه الضحاك ، وقاله قتادة ، وهو اختيار ابن قتيبة .(٤)

---

(١) أى بضم الياء وفتح الغين ، كما في الحجة للفارسي (٣ / ٩٤) وابن زنجله ص (١٧٩) ، والكشف (١ / ٣٦٣) ، والنشر (٢ / ٢٤٣) .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣٧٥ - ٣٧٧) ، وتهذيب اللغة للأزهرى (١٦ / ٩٤) ، واللسان ، مادة " غلل " (١١ / ٥٠٠) ومعاني القرآن للزجاج (١ / ٤٨٤) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧ / ٣٥٣) ، وابن أبى حاتم (٢ / ٦٣٧) .

(٤) تفسير غريب القرآن ص (١١٤) .

وقال الفراء : يخون[1] ، واختاره الزجاج[2] .

ورده ابن قتيبة ، فقال : لو أراد يخون لقال : يغلل ، كما قال يفسق[3] .

((ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة - ١٦١)) .

صرفه قوم من ظاهره ، وقالوا : يأتي يوم القيامة باثم ما غل .

والصحيح أنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه .

لما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه ، وعظم أمره ، ثم قال : لا ألفين أحدكم (٧٨/أ) يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، فيقول : يارسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، فيقول : يارسول الله اغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك .

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، فيقول : يارسول الله اغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يارسول الله اغثني ، فأقول لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك .

---

(١) قال في معاني القرآن (٢٤٦/١) : يسرق أو يخون . ا . هـ

(٢) معاني القرآن (٤٨٤/١) .

(٣) تفسير غريب القرآن ص (١١٥) ، وعبارته فيه : ولو كان المراد هذا المعنى لقيل : يغلل ، كما يقال : يفسق ، ويخون ، ويفجر . اهـ .

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يارسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك .

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يارسول الله اغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك .[1]

الرغاء : صوت البعير ، والثغاء : صوت الشاة ، والنفس : ما يغل من السبي والرقاع : الثياب ، والصامت : الذهب والفضة ،

ومعنى : لا ألفين : لا أجدن ، ومنه قوله تعالى : ((ما ألفينا عليه آباءنا))[2] أي : وجدنا .

أخبرنا أبو علي بن سعادة في كتابه . أخبرنا أبو القاسم بن محمد بن عبد الواحد ، أخبرنا الحسن بن علي ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، أخبرنا عبد الله بن الامام أحمد ، حدثني أبي[3] ، حدثنا عفان ، حدثنا همام ، وأبان ، قالا : حدثنا قتادة عن سالم ، عن معدان ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة : الكبر ، والدين ، والغلول .[4]

هكذا رواه الأكثرون ، وجوده الدارقطني ، فقال : انما هو الكنز ، بالنون والزاي .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الغلول ، وقول الله تعالى ((ومن يغلل يأت بما غل)) (٤ / ٩٠) ومسلم ، كتاب الامارة (٣ / ١٤٦١) .

(٢) البقرة (١٧٠) .

(٣) تقدم هذا السند ص (٢٨٦) .

(٤) المسند (٥ / ٢٧٦) وأخرجه أيضا الترمذي ، كتاب السير ، باب ما جاء في الغلول (٤ / ١٣٨) وابن ماجه (٢ / ٨٠٦) والدارمي (٢ / ٢٦٢) وعفان هو ابن مسلم الصفار ، وهمام هو ابن يحيى العوذي ، وأبان هو ابن يزيد العطار ، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي ، وسالم هو ابن ابي الجعد . ومعدان هو ابن ابي طلحة اليعمري .

فصل

ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم الى أن الغال من الغنيمة يحرق متاعه كله ، الا الحيوان ، والمصحف ، والسلاح .

وبه قال الامام أحمد[1] ، لما روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر حرقوا متاع الغال ، وضربوه[2] .

وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه . واضربوه .[3]

---

(١) انظر المغني (٨/٤٧٧) ، وهذه المسألة من مفردات مذهب الحنابلة قاله في الانصاف (٤/١٨٥) ، واختار شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية أنّ تحريق رحل الغال من باب التعزير لا الحد .
الاختيارات ص (٣١٤) .
قال في الفروع (٦/٢٣٧) وهو أظهر . اهـ .
قال في الانصاف (٤/١٨٥) : قلت : وهو الصواب . اهـ
وذهب الائمة الثلاثة الى أنه لا يحرق متاعه ، لعدم تحريق النبي صلى الله عليه وسلم متاع من غل معه في غزواته .
انظر أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٠١) ، والمغني (٨/٤٧٧)

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في عقوبة الغال (٣/٦٩) وابن الجارود في المنتقى ص ٣٦٣ ، والبيهقي في الكبرى (٩/١٠٢) وفيه الوليد بن مسلم ، وزهير بن محمد متكلم فيهما .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجهاد ، باب عقوبة الغال (٣/٦٩) والترمذي ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في الغال ما يصنع به (٤/٦١) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . . . وسألت محمدا

====

قال الا مام أحمد رضي الله عنه : ولا يصلى الا مام على الغال من الغنيمة، لأن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم حنين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه القوم لذلك ، فقال : ان صاحبكم غل (٧٩/أ) .

ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوى درهمين .(١)

(=) عن هذا الحديث فقال : انما روى هذا صالح بن محمد بن زائدة وهو أبو واقد الليثي ، وهو منكر الحديث . اهـ

وقد اختلف في سنده من حيث الاتصال والانقطاع ، قال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف (٣٥٦/٥) : فان رواية سعيد النفيلي موصوله ، ورواية محبوب مقطوعة ، ليس فيها أن سالما حدث به عن أبيه عن جده ، ولا عن أبيه فقط ، ولهذا قال أبو داود : هذا أصح الحديثين ، يعنى المقطوع ، فحينئذ الشذوذ من الدراوردى ، لأن الغزارى أثبت منه . اهـ .

قلت : فعلى هذا لا يسلم قول المؤلف : وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا وجدتم الرجل . . . . قال القرطبي (٢٥٩/٤) : رواه أبو داود والترمذى من حديث صالح بن أبى زائدة وهو ضعيف ، لا يحتج به . ا . هـ .

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجهاد ، باب في تعظيم الغلول (٦٨/٣) والنسائي ، كتاب الجنائز ، الصلاة على من غل (٦٤/٤) وابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب الغلول (٩٥٠/٢) وابن الجارود في المنتقى ص ٣٦٣ ، كلهم عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبى عمرة ، عن زيد بن خالد الجهنى به .

قلت : رجاله ثقات خلا أبا عمرة ، وهو مولى زيد بن خالد الجهني لا يعرف ، قال الحافظ : مقبول .

= = = =

قوله : ((ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون — ١٦١)) تعالى الله أن ينسب الظلم اليه ، لاستحالته عليه[1] ، فعقابه عدل ، وثوابه فضل .

قوله : ((أفمن اتبع رضوان الله)) فعمل بطاعة الله وطاعة الرسول ((كمن باء)) أى رجع ((بسخط من الله — ١٦٢)) .

قوله : ((هم درجت عند الله)) أى ذوو درجات ، أو أهل درجات على حذف المضاف .

يعنى أن من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله تتفاوت منازلهم عنده ، فأهل الجنة يتفاوتون في الدرجات النفيسة الرفيعة ، وأهل النار يتفاوتون في المنازل الخسيسة الوضيعة .

هذا معنى قول ابن عباس ، والأكثرين .

وقال سعيد بن جبير : " هم درجت " أى أهل الجنة الذين اتبعوا رضوان الله[1] .

(=) وهذا الحديث يؤيد ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية أن تحريق متاع الغال من قبيل التعزير لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه تعزيرا له بحرمانه من ثواب الآخرة ، وهو أعظم من الحرمان من ثواب الدنيا .

(١) مراد المؤلف بالاستحالة الشرعية ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة لكثرة النصوص المصرحة بنفي الظلم عن الله تعالى من الكتاب والسنة أما العقل فلا يمنعه اذ لو كان مستحيلا عقلا ، لما صح أن ينفيه الله عن نفسه ، ولكن لكمال عدله حرم الظلم على نفسه عز وجل .

(٢) تفسير ابن جرير (٣٦٧/٧) ، وابن أبى حاتم (٦٤٦/٢) ، وانظر تفسير الثعلبي (٣/ق ١٤٣/ب) والبغوى (٣٦٨/١) وزاد المسير (٤٩٣/١) .

((والله بصير بما يعملون — ١٦٣)) فيجازى كلا بعمله .

قوله : ((لقد من الله على المؤمنين)) أى أنعم عليهم ((اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم)) أى من نسبهم فحازوا به فخرا مؤبدا ، وذخرا مخلدا .

ومنه قوله ((وانه لذكر لك ولقومك))[1] .

قالت عائشة : هذه الآية للعرب خاصة .[2]

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : " من أَنفسهم " بفتح الفاء (٧٩/ب) وهى قراءة فاطمة رضى الله عنها ، والضحاك ، وأبى الجوزاء[3] .

على معنى : بعث فيهم رسولا من أشرفهم نسبا وأكرمهم مختدا ، لأنه صفوة بنى هاشم ، وبنوها صفوة قريش ، وقريش صفوة كنانة ، وكنانة صفوة ولد اسماعيل .

٥٥ — نسب كأنّ عليه من شمس الضحى . نورا ومن فلق الصبح عمودا

وهذا معنى قول ابن عباس ، والأكثرين[4] ، واختار الزجاج القول بعمومها في جميع المؤمنين[5] ، على معنى : بعث في المؤمنين رسولا من أنفسهم : من نسل آدم ، ليس بملك من الملائكة ، ولا خلق لا يعرفونه .

---

(١) الزخرف (٤٤) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم (٦٤٧/٢) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٢) نسبته الى ابن المنذر والبيهقي في شعب الايمان .

(٣) مختصر ابن خالويه في الشواذ ص (٢٣) واعراب القراءات الشواذ (ق/٤٩/أ) .

(٤) زاد المسير (٤٩٤/١) وتفسير القرطبي (٢٦٤/٤) .

(٥) معاني القرآن (٤٨٧/١) .

ووجه الا متنان عليهم بكونه من العرب - على القول الأول - أنهم يألفونه ، ويعرفونه ، ويفهمون عنه ما يصدر منه ، ويعلمون صدقه وأمانته ، ويدأبون في نصره ، ويرغبون في اظهار أمره ، مراعاة لأحسابهم ، وحفظا لأنسابهم (١) .

وعلى القول الثاني - الذى اختاره الزجاج - يتوجه الا متنان عليهم حيث جعل الرسول منهم ادميا يلابسهم ، ويخالطهم ، فان الشكل يميل الى شكله والجنس يميل الى جنسه لأنسه به (٢) .

وباقي الآية مفسر في البقرة الى قوله ((وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين-١٦٤)) هذه " ان " هى الخفيفة من الثقيلة ، واللام : هى الفارقة بينها وبين النافية والتقدير : وان الشأن والحديث (٨٠/أ) ((كانوا من قبل)) بعثة محمد اليهم ((لفي ضلال)) عن الحق ((مبين)) ظاهر لمن له أدنى مسكة من دراية وهداية ، يأكلون الخبائث والحرام ، ويعبدون الطواغيت والأصنام ، فمن عليهم بانزال الكتاب وارسال محمد اليهم ، وتزكيتهم بالعلم والحكمة ، بعد أن كانوا أجهل شيء وأضله .

---

(١) كون هذا علة في جعله منهم فيه نظر ، اذ ليس من مقاصد الشرع بعث النبي منهم ليحافظوا على الأحساب والأنساب ، ولكن لتقوم الحجة عليهم بكونه معروفا لديهم نسبا ولسانا .

(٢) وهذا القول فيه من الضعف ما فيه ، لأن كل الأنبياء الذين بعثوا قبل نبينا من بنى آدم ، فلا فائدة من الا متنان ، بل الا متنان بكونه منهم من جنسهم من العرب كما تقدم . والله أعلم .

قوله : ((أو لما أصبتكم مصيبة)) هذه واو العطف اما على قصة أحد ، واما على محذوف ، تقديره : أفعلتم كذا ، وقلتم حينئذ كذا ، دخلت عليها همزة الاستفهام وهو بمعنى التوبيخ والتقريع ، و" لما " في موضع نصب بـ" قلتم " " أصابتكم " في موضع جر ، على معنى : قلتم وقت اصابتكم ، والمصيبة : قتلهم يوم أحد ((قد أصبتم مثليها)) يوم بدر قتلا وأسرا .

((قلتم : انى هذا)) أى كيف أصابنا هذا ، ونحن مسلمون موعودون بالنصر والغلبة ؟

((قل هو من عند أنفسكم)) لأنكم خالفتم أمر رسولي ، وفارقتم المركز ميلا الى الغنيمة ، وذهابا مع الطمع .

هذا معنى قول ابن عباس[1] ، ومقاتل[2] .

وقيل : هو من عند أنفسكم حيث أكثرتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرتم عليه بالخروج من المدينة ، وعكستم رأيه وخالفتم أغراضه التى يجريها على وفق الحكمة والمصلحة .

وهذا معنى قول قتادة[3] . وقد روى (٨٠/ب) عن على رضى الله عنه ، قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، فقال : ان الله تعالى قد كره

---

(١) أخرجه ابن المنذر ، قاله السيوطي في الدر (٢/ ٣٦٨) ، وذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤٩٦) .

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/ ٣٧٢) ، وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٣٦٨) نسبته الى عبد بن حميد .

ما صنع قومك من أخذهم الفداء ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الآسارى وبين أن يأخذوا الفداء ، على أن يقتل منهم عدتهم. فذكر ذلك للناس ،فقالوا : عشائرنا واخواننا نأخذ منهم الفداء ويستشهد منا عدتهم .

فقتل منهم يوم أحد سبعون ،عدد أسارى بدر .(١)

فعلى هذا يكون المعنى : قل هو من عند أنفسكم بأخذكم الفداء ،واختياركم حين خيرتم يوم بدر القتل .(٢)

((ان الله على كل شيء قدير - ١٦٥)) فهو يقدر على نصركم ،وادالتكم من عدوكم .

قوله : ((وما أصبكم يوم التقى الجمعان))

النبي وأصحابه ،وأبو سفيان وأصحابه .(٣)

((فباذن الله)) بقضائه وقدره ((وليعلم المؤمنين — ١٦٦)) .

---

(١) أخرجه الترمذى في سننه ،كتاب السير ،باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء (٤/١٣٥) .
وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث الثورى ، لا نعرفه الا من حديث ابن ابى زائدة . اهـ
وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ، قاله المزى في تحفة الاشراف : (٧/٤٣٠) ، وابن جرير (٧/٣٧٦) وابن ابى شيبة في المصنف (١٤/٣٦٩) ، وانظر الدر المنثور (٢/٣٦٨) .

(٢) والأول أظهر ،وأقرب الى سياق الآيات ،وقصة بدر لا تعلق لها بأحد فالصواب أن قوله " من عند أنفسكم " أى بسبب المعصية بمخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) أى : جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أحد .

((وليعلم الذين نافقوا)) معناه ليميز بينهم . فيظهر ايمان المؤمنين ، وحسن نياتهم ، بصبرهم وثباتهم ، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم ، وقلة صبرهم

قال ابن عباس : يريد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن رسول الله يوم أحد[1] ، فلحقهم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال لهم : أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم ، وقومكم ، ودعاهم الى القتال في سبيل الله ، فذلك قوله : ((وقيل لهم تعالوا قتلوا في سبيل الله (٨١/أ) أو ادفعوا)) أي ذبوا عن حرمكم ، وحسبكم ، ونسبكم ، أو كثروا السواد ان لم يكن نية في الجهاد ((قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم)) كلام يلوح منه اللوم على ترك القوم ما اقتضاه رأي عبد الله بن أبي من الاعتصام بحدود المدينة المعنى : لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لا تبعناكم ، وانما أنتم على شفا من استئصال شأفتكم ، فعلام نجعل أنفسنا فرائس الفوارس ، وأغراض الحتوف ، وجزر السيوف ، وهذا هو التأويل الذي يشهد العلم بصحته . لا ما ذكره الماوردي[2] من أن المعنى : لو كنا نحسن القتال لا تبعناكم[3] ، ولا ما ذكره

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٩٧) .

(٢) علي بن محمد بن حبيب ، الماوردي ، أبو الحسن البصري ، كان من وجوه فقهاء الشافعية ، وله تصانيف كثيرة ، في أصول الفقه وفروعه توفي سنة خمسين وأربعمائة .
تاريخ بغداد : (١٢/ ١٠٢) والمنتظم (٨/ ١٩٩) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٣٨٧) .

(٣) لم أجد ما ذكره المؤلف عن الماوردي في تفسيره المطبوع ، وقد ذكر المحقق أن العبارة عند هذه الآية مضطربة ، فصوبها من السيرة

====

ابن اسحاق أن المعنى : لو نعلم قتالا يجرى اليوم لقاتلنا معكم.(١)

وهذا(٢) الذى ذكره الواحدى ، وجمهور المفسرين .

والقول الذى ذكره الماوردى ردىء جدا .

والذى قاله ابن اسحاق قول تشهد العقول الرصينة بتفاهته ، لأن أهل النفاق رجعوا حين تراءت الفئتان ، وقامت الحرب على ساق ، فكيف يقولون ذلك بهذا الاعتبار في معرض الاعتذار ، والكفار قد أقبلوا بقضهم وقضيضهم يطلبون الأخذ بالثأر ، من المهاجرين والأنصار .

((هم)) يعنى المنافقين ((للكفر)) الذى كانوا يتباعدون (٨١/ب) عنه بألسنتهم ((يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم)) لأنهم كانوا ينطقون بالايمان ، ويقولون : " نحن أنصار الله ، وأنصار رسوله ((والله أعلم بما يكتمون - ١٦٧)) من الشقاق والنفاق .

قوله : ((الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا)) " الذين " اما أن يكون نصبا على الذم ، أو على البدل من " الذين نافقوا " أو رفعا ، على معنى : " هم الذين" أو على الابدال من واو يكتمون ، أو جرا على البدل من الضمير في " أفواههم " أو من (الضمير في)(٣) " قلوبهم " كما في قوله :

(=) فلعله أسقط تفسير الآية ، وقد نسب هذا القول أيضا للماوردى ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٤٩٨) .

(١) زاد المسير (١/ ٤٩٨) .

(٢) يعنى ما ذهب اليه ، من القول الأول .

(٣) مابين القوسين لم أتبين قراءته ، فأثبته من الدر المصون (٣/ ٤٧٩) .

٥٦ـ على حالة لو أن في القوم حاتما . على جوده لضن بالماء حاتم[1]

والمعنى : قالوا لاخوانهم في النفاق ، أو في النسب . على معنى قال بعضهم لبعض ((لو أطاعونا)) فيما أشرنا به عليهم ، يعنون الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى استشهدوا ((ما قتلوا)) وقيل : المعنى قالوا لأجل[2] اخوانهم المقتولين : لو أطاعونا ما قتلوا ﴿ وقعدوا ﴾ يعني ابن أبي وأصحابه قعدوا عن الجهاد ، وعن نصر الرسول والمؤمنين ((قل)) لهم ـ يا محمد مظهرا فساد هذا الاعتقاد ـ :

((فادرءوا عن أنفسكم الموت)) أي : أدفعوه .

((ان كنتم صدقين ـ ١٦٨)) أن الحذر يدفع القدر .[3]

قوله تعالى : ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)) .

وقرأ ابن عامر " قتلوا "[4] بالتشديد (٨٢/أ) .

أخرج مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال : سألنا عبد الله[5] عن هذه

---

(١) البيت للفرزدق ، كما في ديوانه

(٢) قد تقدم الكلام عليه ص :(٣١١)

(٣) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس التاسع عشر مرة ثانية .

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٩٨) ، والكشف (١/ ٣٦٤) ، والنشر (٢/ ٢٤٣)

(٥) مسروق هو ابن الأجدع الوادعي ، مخضرم من أخص أصحاب ابن مسعود وعبد الله هو ابن مسعود الصحابي رضي الله عنه .

الآية ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) .

قال : اما انا قد سألنا عن ذلك ، فقال [1] : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل . فاطلع عليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شيء نشتهي ، ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا [2] .

وأخرج الترمذى من حديث جابر بن عبد الله ، قال : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا جابر مالى أراك منكسرا ؟ ! قلت : يارسول الله استشهد أبى ، وترك عيالا ودينا ، قال : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت : بلى يارسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا [3] ، وقال : يا عبدى تمن على ؟ أعطك ، قال : يارب تحيينى

---

(١) المسؤل ، والقائل هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فالحديث مرفوع لا اشكال فيه كما بينه النووى في الشرح .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٣/ ١٥٠٢) .

(٣) قوله : كفاحا أى : مواجهة ليس بينهما حجاب ، ولا رسول . قاله في النهاية (٤/ ١٨٥) .

فأقتل فيك ثانية . قال الرب تبارك وتعالى : انه قد سبق مني أنهم لا (٨٢/ب) يرجعون .

قال : أنزلت فيه هذه الآية ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)) الآية . قال الترمذي : هذا حديث حسن .(١)

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ،قال : لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ،ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب ، معلقة في ظل العرش ،فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، ومقيلهم ،قالوا : من يبلغ اخواننا عنا اننا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ،فأنزل الله هذه الآية .(٢)

وقال جابر بن عبد الله : كتب معاوية الى عامله بالمدينة أن يجري عينا الى أحد ،فكتب عامله : انها لا تجرى الا على قبور الشهداء ،فكتب اليه :

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب التفسير ،سورة آل عمران (٥/ ٢٣٠) ،وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . اهـ .
قلت : واقتصار المؤلف على قوله : قال الترمذي هذا حديث حسن لعله في بعض النسخ ونسخت المؤلف كذلك . والله أعلم .
وأخرجه ابن ماجه ، كتاب الجهاد ،باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢/ ٩٣٦) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤/ ١٢٣) رقم ٢٣٨٨ ،وأبو داود في السنن ،كتاب الجهاد ،باب فضل الشهادة (٣/ ١٥) ،والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٧) ، .وقال : صحيح على شرط مسلم ،ولم يخرجاه . اهـ ، ووافقه الذهبي ،وابن جرير (٧/ ٣٨٥) ====

أن انقذها .

قال جابر : فرأيتهم يُخرجون على رقاب الرجال ، كأنهم رجال نوم ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما .

وفي حديث عائشة بنت طلحة أنها رأت أباها في المنام ، فقال لها : يابنيه حوليني من هذا المكان فقد أضر بي النداء فأخرجته بعد ثلاثين سنة أو نحوها ، وهو طرى لم يتغير منه شيء .

ومما خص به الشهداء ما رواه المقدام بن معدى كرب عن (٨٣/أ) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : للشهيد عند الله ست خصال :

يغفر له في أول دفعة .

ويرى مقعده من الجنة .

ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خير من الدنيا وما فيها .

ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه

قال الترمذى : هذا حديث صحيح .(١)

(=) وزاد السيوطي في الدر (٢/٣٧١) نسبته الى هناد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل كلهم من طريق ابن اسحاق عن اسماعيل بن أميه ، عن أبي الزبير عن ابن عباس .
ورواه بعضهم فأدخل بين أبي الزبير وابن عباس سعيد بن جبير .
قال ابن كثير (١/٤٢٧) وهذا أثبت . اهـ يعنى زيادة سعيد بن جبير .
قلت : فيه ابن اسحاق ، وأبو الزبير وهما مدلسان ، ولم يصرحا بالتحديث .

(١) سنن الترمذى ، كتاب فضائل الجهاد ، باب في ثواب الشهيد (٤/١٨٧ - ١٨٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . ===

قرىء على العلامة أبي اليمن زيد بن الحسن الكندى وأنا أسمع ،أخبركم أبو القاسم اسماعيل بن أبي بكر بن أحمد السمرقندى[1] ، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن النقور البزار[2] حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق ابن أخي ميمى[3] ، حدثنا عبد الله بن محمد[4] ، حدثنا عبد الله بن عون[5] ، حدثنا يوسف بن عطية[6] من ثابت البناني ،عن أنس بن مالك قال :

(=) وابن ماجه في السنن ،كتاب الجهاد ،باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢/ ٩٣٥ - ٩٣٦) .
قلت : رجاله ثقات .

(١) الشيخ الامام المحدث ، العفيد ،السمند ،اسماعيل بن أحمد السمرقندى ، أبو القاسم الدمشقي ، ثم البغدادى ،صاحب المجالس الكثيرة ،توفى سنة ست وثلاثين وخمسمائة .
المنتظم (١٠/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨) ، وشذرات الذهب (٤/ ١١٢) .

(٢) الشيخ الجليل الصدوق ،مسند العراق ،أحمد بن محمد بن عبد الله ابن النقور ،البزار ،أبو الحسن البغدادى ،توفى سنة سبعين وأربعمائة تاريخ بغداد (٤/ ٣٨١) ، والمنتظم (٨/ ٣١٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٧٢) وشذرات الذهب (٣/ ٣٢٥) .

(٣) المشهور بابن أخي ميمى ، روى عن البغوى وجماعة ،وله اجزاء مشهورة ،توفى في رجب سنة تسعين وثلاثمائة ، العبر (٢/ ١٧٩) وشذرات الذهب (٣/ ١٣٤) .

(٤) عبد الله بن محمد القرشي مولاهم ،أبو بكر البغدادى ، المعروف بابن أبي الدنيا ،صاحب التصانيف السائرة ، توفى سنة احدى وثمانين ومائتين . الجرح والتعديل (٥/ ١٦٣) وتاريخ بغداد (١٠/ ٨٩) والمنتظم (٥/ ١٤٨) والسير (١٣/ ٣٩٧) .

(٥) عبد الله بن عون الهلالي ،الخزاز ،أبو محمد البغدادى ،ثقة عابد ، توفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . التقريب (٣٥٢٠) .

(٦) يوسف بن عطية بن ثابت الصفار ،أبو سهل البصرى ،متروك ،من الثامنة التقريب : (٧٨٧٣) .

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الأنصار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله عز وجل حقا ، قال : أنظر ما تقول ، فان لكل قول حقيقه ، قال : يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني بعرش ربي عز وجل بارزا ، وكأني انظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها ، قال (٨٣/ب) : أبصرت فالزم، عبد نور الله الايمان في قلبه . فقال : يارسول الله ادع الله لي بالشهادة . فدعا له رسول الله ، فنودي يوما في الخيل ، فكان أول فارس ركب ، وأول فارس أستشهد ، فبلغ ذلك أمه ، فجاءت الى رسول الله فقالت : يارسول الله ان يكن في الجنة لم أبكه ولم أحزن ، وان يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا .، فقال : يا أم حارث ، أو يا أم حارثة ، انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان ، والحارث في الفردوس الأعلى ، قال : فرجعت وهي تضحك وتقول : بخ بخ لك ياحارثه !! (١)

والخطاب بقوله : ((ولا تحسبن)) للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز أن يكون لكل أحد .

---

(١) أخرجه البزار (كشف الاستار : ١/ ٢٦) وقال : تفرد به يوسف - يعني ابن عطية - وهو لين الحديث . اهـ ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٠٢) عن الحارث أنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، وفيه عبد الله بن لهيعة .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٧) : رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة ، وفيه من يحتاج الى الكشف عنه . اهـ
وانظر الاصابة (١/ ٢٨٩) .

وقوله فبلغ ذلك أمه الخ في صحيح البخاري نحو هذا فرجعت وهي تضحك ... الخ فتح الباري ٦/ ٢٦

وقرىء " أحياء[1] " بالنصب ، على معنى أحسبهم أحياء .

((عند ربهم)) في دار كرامته مقربون عنده ((يرزقون — ١٦٩)) من ثمار الجنة على ما ذكرناه في الحديث[2].

((فرحين)) حال من الضمير في يرزقون ، يريد : مسرورين بما أعطاهم الله من النعيم الذى لا تكيفه العقول فتصفه ((ويستبشرون)) يعنى الشهداء ((بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم)) يعنى المسلمين الذين تخلفوا في الدنيا ، وقيل : " لم يلحقوا بهم " لم يدركوهم في الفضل[3] ، رجوا حرصهم على الشهادة حين أبلغهم الله ما أفضوا اليه من الكرامة ، والسعادة .

وقال السدى : يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من أخوانه (٨٤/أ) وأهله ، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيستبشر بقدومه ، كما يستبشر أهل الغائب به[4].

((ألا خوف عليهم)) في محل الجر بدل من الذين[5] ، والضمير في " عليهم " للذين لم يلحقوا .

---

(١) الكشاف (١ / ٢٣٠) ، واعراب القراءات الشواذ (ق ٤٩/أ) .

(٢) تقدم ص : (٣٣٤)

(٣) والأول أظهر ، وأشهر ، وعليه الأكثر ، وهو اختيار ابن جرير وابن كثير وجماعة كثيرة من أهل التفسير .

(٤) تفسير ابن جرير (٧ / ٣٩٧) وابن أبى حاتم ، قاله في الدر المنثور (٢ / ٣٧٥) .

(٥) أى بدل من قوله " بالذين لم يلحقوا " ، وانظر الدر المصون : (٣ / ٤٨٦) .

قال الفراء : معناه : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ((ولا هم يحزنون — ١٧٠)) (١) .

قوله : ((وأن الله - ١٧١)) قرأ جمهور القراء " وأن " بفتح الهمزة ، وقرأ الكسائي بكسرها (٢) .

فمن فتح عطف على النعمة ، والفضل ، ومن كسر فعلى الاستئناف .

قوله : ((الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)) سبب نزول هذه الآية أنه لما انصرف المشركون يوم أحد ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لاتباعهم ، خوفا من رجوعهم ، وقصدا لارهابهم واظهارا للجلد ، وقال : لا يخرج معنا الا من كان حضر يومنا بالأمس ، فخرج صلى الله عليه وسلم في سبعين من أصحابه منهم الخلفاء الأربعة من بعده حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال (٣) ، وكان بأصحابه القرح ، فتحاملوا على أنفسهم رغبة في ثواب الله ، وتصديقا بموعوده ، وكان أخوان من بني عبد الأشهل أصابتهما جراحات اثخنتهما ، فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قالا : لا يفوتنا غزاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا وليست لهما دابة (٨٤/ب) فكان أحدهما أيسر جرحا من أخيه ، قال فكنت اذا غلب حملته ، فوافى رسول الله معبد الخزاعي - وكان كافرا - فقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك .

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٤٧) .
(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٩٧) ولابن زنجلة ص (١٨١) ، والكشف (١/ ٣٦٤) والنشر (٢/ ٢٤٤) .
(٣) انظر معجم البلدان (٢/ ٣٠١) .

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أبا سفيان وهو بالروحاء[1] ، قد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قتلنا أشراف أصحاب محمد ، وقادتهم ، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم ، فلنقرعن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبدا ، قال ما وراك يا معبد ؟ قال : ان محمدا قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه ، وبهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله قط .

قال : ويلك ! ما تقول ؟ فقال : والله ما أراك ترتحل من ههنا حتى ترى نواصي الخيل ، فألقى الله في قلبه وقلوب أصحابه الرعب ، وطلبوا مكة خائفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم ، فمر بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة ، نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون محمدا عني رسالة أرسلكم بها ، وأحمل لكم أبلكم هذه زبيبا بعكاظ اذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم .

قال : اذا لقيتموه فأخبروه أني في جمع كثير ، وخوفوه .

فمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد (١/٨٥) فأخبروه الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم انه صلى الله عليه وسلم أظهر الجلد ، وجد في الطلب ، فسبقه أبو سفيان فدخل مكة ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وقد ظفر في وجهه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن العاص ، وأبي عزة الجمحي ، وأنزل

---

(١) موضع على بعد سبعين كيلا من المدينة تقريبا مما يلي مكة .

الله هذه الآية[1] . هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، أخبرنا الشيخان أحمد ابن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق العطار قراءة عليه وأنا اسمع وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغداديان ، بقراءتي عليه ، قالا : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي ، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ، أخبرنا أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي ، أخبرنا محمد بن يوسف[2] ، حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا محمد ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " قالت لعروة : يابن أختي كان أبواك منهم ، الزبير وأبو بكر ، لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد ، فانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلا كان (٨٥/ب) فيهم أبو بكر والزبير هذا حديث صحيح .[3]

---

(١) أخرجه الواقدي في المغازي (١/ ٣٣٦) ، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٨٨٣) ، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣٤) ، وتفسير ابن جرير (٧/ ٤٠٠) وما بعدها ، والدر المنثور (٢/ ٣٨٥) .

(٢) هو الفربري تقدم .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب الذين استجابوا لله والرسول (٥/ ٣٠) .
وقوله حدثنا محمد ، هو ابن سلام البيكندي ، وأبو معاوية هو محمد ابن خازم الضرير .

وقال مجاهد ، وعكرمة : نزلت في غزوة بدر الصغرى ، وكان من حديثها أن أبا سفيان حين أراد الانصراف من أحد ، قال : يا محمد موعد بيننا وبينك بدر الصغرى[1] نتقابل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان شاء الله ، فلما كان العام القابل خرج أبو سفيان بأهل مكة ، حتى نزل مر الظهران فقذف الله في قلبه الرعب ، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي ، وقد قدم معتمرا ، فقال له أبو سفيان : يا نعيم اني وعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى ، وان هذا عام جدب ، فالحقهم وثبطهم عنا ، وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندي عشرة من الابل ، أضعها على يدي سهيل بن عمرو ، ويضمنها ، فجاء سهيل فضمنها له ، فقدم المدينة ، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان ، فقال لهم : بئس الرأي رأيتم ، وخوفهم ، وقال : انهم قد جمعوا لكم ، فكرهوا الخروج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذوي البصائر والثبات من أصحابه ، حتى وافى بدر الصغرى ، فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش ، فيقولون قد جمعوا لكم ، يقصدون بذلك ارهاب المسلمين ، فيقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل . حتى بلغوا بدرا - وهو ماء (٨٦/أ) لبني كنانة ، موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون اليها في كل

---

(١) كلمة " الصغرى " كذا في الأصل ، وهي اما وهم من المؤلف ، أو سهو من الناسخ ، لأن أبا سفيان حين نادى ، لا يعلم هل هي صغرى ، أو كبرى بل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : موعدك بدر لقابل ، فسماها الناس بدرا الصغرى .

كل عام ثمانية أيام ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ينتظرون أبا سفيان ، فرجع أبو سفيان الى مكة ، فسماهم أهل مكة : جيش السويق أى أنهم خرجوا فشربوا السويق ثم رجعوا ، وكان مع المسلمين تجارات، فباعوا فربحوا ، وأنصرفوا الى المدينة سالمين[1] ، فذلك قوله ((الذين استجابوا لله والرسول)) الذين صفة للمؤمنين ، أو مبتدأ خبره " للذين أحسنوا " ، أو هو منصوب على المدح ، (أستجابوا " بمعنى أجابوا كما سبق ، ((للذين أحسنوا منهم)) بطاعة الرسول ، ((واتقوا)) مخالفته ((أجر عظيم -١٧٢)) ثواب جزيل لا يعلم كنهه الا الله .

قوله : ((الذين قال لهم الناس)) وهم الركب العبقسيون[2] على قول الأكثرين أو نعيم[3] على القول الآخر ، وعبر عنه بصيغة الجمع[4] لأنه من الجنس ، كما تقول :

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ٥٣/أ - ب) والبغوى (١ / ٣٧٤) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص (٣٤) : ذكره الثعلبي عن مجاهد وعكرمة ، وسنده اليهما في أول كتابه ، وروى ابن سعد في الطبقات بعضه . اهـ

(٢) يعنى الركب الذين من عبد قيس وقد مضت قصتهم ص : (٣٤٠)

(٣) نعيم بن مسعود ، وقد تقدم ذكر القولين في الكلام على قوله " الذين استجابوا لله والرسول " ص (٣٣٩) وما بعدها .

(٤) يعنى على القول الثاني ، وهو أن القائل نعيم بن مسعود ، أما على الأول فلا اشكال .

فلان يركب الخيل ، وان لم يكن له الا فرس واحد ، ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس يضامونه في هذا القول .

((فزادهم ايمانا)) أي زادهم قول الناس ايمانا ، وتصديقا ، وثباتا على دينهم وطاعة نبيهم .

وهذه الآية من جملة الهوادم لمذهب المانعين من القول بزيادة الايمان ونقصانه[1] ولأنه لا يخلو اما أن يكون الايمان يزيد عن التصديق فقط ، أو عن التصديق مع انضمام الطاعة اليه وأياما (٨٦/ب) كان فهو يقبل الزيادة والنقصان ، ولا اشكال في الثاني[2] ، أما الأول ، فكل عاقل يجد في نفسه زيادة التصديق بتناصر الحجج ، وتعاضد البراهين ، لا سيما القلوب الصافية من الكدر ، اذا تليت عليها آيات الكتاب العزيز ، فانه يتجدد لها ايمان وايقان ، لو وزن بالجبال الشوامخ لربا عليها ، والى هذا القسم أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث الشفاعة ، قال : فيقال : انطلق فاخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ، الى أن قال : مثقال ذرة أو خردلة من ايمان ، الى أن قال : ادنى ، أدنى ، أدنى مثقال خردله من ايمان .[3]

---

(١) كالجهمية ، والاشاعرة ، والكرامية ونحوهم .

(٢) يعني التصديق مع انضمام الطاعة اليه ، وانظر على مسألة زيادة الايمان ونقصانه ، كتاب الايمان لابن منده ، ولابن أبي شيبة ص (٧٢) ولابي عبيد ص (٢٤) ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، المجلد السابع وشرح العقيدة السفارينية (١/ ٤١١) وغيرها من مصنفات أهل السنة والجماعة .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩/ ١٧٩) ووجه الاستدلال بالحديث أن المراد بقوله " مثقال خردلة من ايمان " مجرد التصديق من غير عمل .

واليه أشار عمر بن الخطاب في قوله : لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الأرض لرجح به .(١)

لم يرد الأعمال ، لأن العقل يقطع باستحالته . وانما أراد المعنى القائم بقلبه ، من قوة ايمانه وصفاء بصيرته ، وتحقيقه في تصديقه ، وكان عمر رضى الله عنه يأخذ بيد الرجل ، فيقول : قم بنا نزداد ايمانا(٢) .

وقالوا : ((حسبنا الله)) أى كافينا الله ((ونعم الوكيل — ١٧٣))

---

(١) قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص (٣٤) :أخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده من رواية هذيل بن شراحبيل ،عن عمر واسناده صحيح ،وروى مرفوعا .
أخرجه ابن عدى (الكامل ٥/١٨٩٨) من رواية عبد العزيز بن أبى رواد ،عن نافع ،عن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه " لو وضع ايمان أبى بكر على ايمان هذه الأمة لرجح بها " في اسناده عيسى بن عبد الله بن سليمان ،وهو ضعيف .
قلت : لم ينفرد به . بل تابعه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد بلفظ " لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض رجحهم "
أخرجه ابن عدى (الكامل : ٤/١٥١٨) أيضا ،وحديث عمر الموقوف أخرجه أيضا ابن المبارك في الزهد ، ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد . اهـ .الحافظ ابن حجر
قلت : وذكره الديلمي في الفردوس (٣/٣٧٧) عن ابن عمر والعجلوني في كشف الخفاء (٢/١٦٥) وقال رواه اسحاق بن راهويه ،والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر من قوله .
وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٥٥/ب) عن عمر موقوفا .

(٢) لم أجد هذا عن عمر رضى الله عنه ،ولكن صح عن معاذ رضى الله عنه
====

قال الخطابي[1]: الوكيل الكفيل بأرزاق العباد ، ومصالحهم ، وحقيقته الذى يستقل بالأمر الموكول اليه[2].

وفي الحديث : (اذا غلبك أمر فقل : حسبى الله ونعم الوكيل)[3]

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبد الله ، وأبو الحسن (٨٧/أ) على ابن أبى بكر البغداديان قالا : أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا الداودى ، أخبرنا ابن أعين ، أخبرنا الفربرى ، حدثنا البخارى ، حدثنا مالك بن اسماعيل ، حدثنا اسرائيل ، عن أبى حصين ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : كان آخر قول ابراهيم حين ألقى في النار : حسبى الله ونعم الوكيل[4].

قوله : ((فانقلبوا)) أى : رجعوا ((بنعمة من الله وفضل)) سالمين مأجورين قد بلغوا سؤلهم ، وأطاعوا رسولهم .

(=) أنه قال لرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة ، يعنى نذكر الله ، أخرجه ابن ابي شيبة في كتاب الايمان ص (٧٢) . بسند صحيح .

(١) الامام العلامة الحافظ ، اللغوى ، حمد بن محمد بن ابراهيم ، الخطابي أبو سليمان البستي ، الشافعي ، صاحب التصانيف ، توفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . المنتظم (٦/٣٩٧) طبقات الاسنوى (١/٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٣) .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص (٧٧) وقد حكى هذا القول فقال : ويقال معناه أنه الكفيل الخ .

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند (٦/٢٥ - ٢٦) وأبو داود في السنن كتاب الأقضية ، باب الرجل يحلف على حقه (٣/٣١٣) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٤٠٣) رقم (٦٢٦) وابن السنى في اليوم والليلة ص (٩٤) رقم (٣٤٩) .
كلهم عن بقية بن الوليد عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن سيف الشامي ، عن عوف بن مالك رضى الله عنه .
وبقية مدلس ، ولم يصرح بالتحديث ، وسيف وثقه العجلي .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران (٦/٤٩) .

وقال مقاتل : اصابوا سرية بالصفراء[1] فرزقوا منها[2] .

وقال مجاهد : الفضل ههنا هو الربح في التجارة[3] ، وقوله : ((لم يمسسهم سوء)) في محل الحال ، ((واتبعوا رضوان الله)) في طلب القوم .

((والله ذو فضل عظيم — ١٧٤)) .

قوله ((انما ذلكم الشيطن يخوف أولياءه[4])) ذلك مبتدأ ، الشيطان خبره المعنى : ذلك المثبط ، المخوف هو الشيطان ، أو يقال : الشيطان صفة لاسم الاشارة ، و" يخوف " الخبر[5] ، والشيطان : الركب ، أو نعيم[6] على

---

(١) واد كثير النخل والزرع ، بينه وبين بدر مرحلة ، ورضوى منها من ناحية المغرب على يوم . معجم البلدان (٣/ ٤١٢) .

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/ ٤١٥) والفضل يطلق في اللغة على التجارة وقد استعمله القرآن في مواضع ، كقوله تعالى : ((ليس عليكم جناح أن تبتغون فضلا من ربكم)) البقرة - ١٩٨ ، وقوله : ((يبتغون فضلا من ربهم ورضوان)) المائدة - ٢ .

(٤) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا تاسعا وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس العشرين ، مرة ثانية .

(٥) وهو اختيار أبي البقاء العكبرى في التبيان (١/ ٣١١) وهو أجود .

(٦) الصواب أن الشيطان المراد به جنس الشيطان ، أما الركب ، ونعيم وغيرهم من طوائف الشرك فهم أولياء الشيطان الذين يخوف بهم المؤمنين .

القول الآخر ،أو هو على حذف المضاف تقديره : انما ذلكم فعل الشيطان أو تخويف الشيطان ،أو قول الشيطان ، ((يخوف أولياءه)) أي : يخوفكم أولياءه[1] ، وهكذا قرأها ابن مسعود ،وابن عباس ،وعطاء[2] ، فاقتصر على ذكر المفعول الثاني ،كما تقول : أعطيت الأموال ،وكسوت الثياب .

وقال الحسن : المعنى : (٨٧/ب) يخوف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين .[3]

((فلا تخافوهم)) أي : لا تخافوا أولياء الشيطان .

أبا سفيان وأصحابه ، ((وخافوني)) في ترك أمري .

((ان كنتم مؤمنين - ١٧٥)) أي : مصدقين بما جاءكم به رسولي ، وقد سبق القول في نظائر هذا الشرط .

---

(١) قال ابن جرير (٧/٤١٦) : يخوفكم بأوليائه من المشركين ،أبي سفيان وأصحابه من قريش . اهـ
قلت : ما ذهب اليه ابن جرير هو قول جمهور المفسرين ، من السلف والخلف وهو المطابق لمعنى الآية ،وأما قول الحسن فمحتمل ،الا أن الأول أظهر منه وأشهر ،ويشهد له قراءة أبي " بأوليائه " .

(٢) المحتسب لابن جني (١/١٧٧) وفيه بدل ابن مسعود عكرمة .
والكشاف : (١/٢٣١) .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/٣٥٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١/٥٠٧) .

قوله عز وجل : ((ولا يحزنك)) وقرأ نافع " يحزنك " بضم الياء ، وكسر الزاى حيث جاء الا قوله في الأنبياء " لا يحزنهم الفزع الأكبر "[1] فانه قرأها كالباقين[2] ، اما اتباعا لاثر ، أو ايثارا للجمع بين اللغتين[3] .

((الذين يسارعون في الكفر)) أى يقعون فيه سريعا ، رغبة فيه ، وميلا اليه ، قال ابن عباس : هم المنافقون ، ورؤساء اليهود[4] .

وقال الضحاك : كفار قريش .[5]

وقيل : قوم ارتدوا عن الاسلام .[6]

---

(١) الأنبياء (١٠٣) .

(٢) الحجة للفارسي (٣/٩٩) ولابن زنجله ص (١٨١) ، والكشف (١/٣٦٥) ، والنشر (٢/٢٤٤) .

(٣) ذكره ابو علي الفارسي حيث قال : وأما قراءته " لا يحزنهم الفزع الأكبر فعلى أنه يشبه أن يكون تبع فيه أثرا أو أحب ، الأخذ بالوجهين ، اذ كان كل واحد منهما جائزا . اهـ من الحجة (١/١٠٠) .
قلت : واللغتان المشار اليهما أنه يقال حَزِن يَحْزَن ، وأَحْزَن يُحْزِن وقراءة نافع من الثاني .
وانظر الصحاح للجوهري ، مادة " حزن " (٥/٢٠٩٨) .

(٤) زاد المسير (١/٥٠٨) .

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٥٨/أ) والبغوى (١/٣٧٦) وزاد المسير (١/٥٠٨) .

(٦) قاله الماوردى في تفسيره المسمى النكت والعيون (١/٣٥٤) وحكاه ابن الجوزى في زاد المسير (١/٥٠٨) عنه . ولفظ الآية عام لا يختص بطائفة معينة .

والمعنى : لا يحزنك تعاضدهم ، وتناصرهم ((انهم لن يضروا الله شيئا)) بمسارعتهم في الكفر .

المعنى : بل يضرون أنفسهم ، الا تراه يقول : ((ولهم عذاب عظيم - ١٧٦)) وقال عطاء : لن يضروا أولياء الله شيئا[1] ، فهو على حذف المضاف .

((يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة)) أى نصيبا في الآخـــــرة .

قوله : ((ان الذين اشتروا الكفر بالايمان - ١٧٧)) .

قال مجاهد : هم المنافقون[2] ، آمنوا ، ثم كفروا .

قوله ((ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم)) قـــرأ الجمهور " يحسبن " بالياء وكذا (٨٨/أ) التى بعدها " ولا يحسبن الذيـن يبخلون " .

وقرأهما حمزة بالتاء[3] . فمن قرأهما بالياء أسند الفعل الى الذين كفروا " أو الى " الذين يبخلون " فهم الفاعلون ، ومن قرأهما بالتاء فعلى الخطـــاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الفاعل .

((الذين كفروا)) منصوب ، و ((انما نملى لهم خير لأنفسهم)) بدل منـه ،

---

(١) زاد المسير (١/٥٠٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٤٢٠) ، وابن أبى حاتم ، قاله في الدر المنثور (٢/٣٩٢) .

(٣) الحجة للفارسي (٣/١٠١) ، ولابن زنجله ص (١٨٢) ، والكشـــف (١/٣٦٥) ، والنشر (٢/٢٤٤) .

أى لا تحسبن أنما نملى للكفار خير لهم ، وقوله " أن " مع ما فى حيزه يسد مسد المفعولين ، كقوله : ((أم تحسب أن أكثرهم يسمعون))[1] ، و" ما " مصدرية بمعنى : ولا تحسبن أن املاءنا خير لهم .

قال ابن عباس : الذين كفروا هم اليهود ، والنصارى ، والمنافقون[2] .

وقال غيره : بعمومه في جميع الكفار[3] .

ومعنى نملى لهم : نطيل لهم في العمر ، ومثله " واهجرني ملياً "[4] .

قال ابن الأنبارى[5] : واشتقاقه من الملوة ، وهى المدة من الزمان ، يقال مِلْوة من الدهر ، وَمَلْوة ، وُمَلْوة ، ومِلاَوة ، وَمَلاَوة ، وُمَلاَوة ، ومنه قولهم : تملى حبيبا أى لتطل أيامك معه .

قال متمم بن نويرة :

٥٧- بودى لو أنى تمليت عمره . بمالىَ من مال طريف وتالد[6]

---

(١) الفرقان (٤٤) .

(٢) زاد المسير (١/ ٥٠٨) .

(٣) حكاه ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٥٠٩) عن أبى سليمان الدمشقي وهو الصواب .
وان كان سبب نزولها اليهود أو النصارى ، أو المنافقون أو غيرهم فالعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

(٤) مريم (٤٦) .

(٥) زاد المسير (١/ ٥٠٩) .

(٦) البيت في زاد المسير (١/ ٥٠٩) .

وقال غيره : الإملاء لهم تخليتهم وشأنهم ، مستعار من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء .

والمعنى : لا تحسبن الذين كفروا أن (٨٨/ب) الاملاء لهم خير لهم من منعهم ، وقطع آجالهم ، ((انما نملي لهم ليزدادوا اثما - ١٧٨)) لأنهم كلما طالت أعمارهم كثرت معاصيهم ، فازدادوا اثما .

وقد روى أبو بكرة - واسمه نفيع [1] - رضي الله عنه أن رجلا قال لرسول الله : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، قال : فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [2] .

قوله : ((ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه)) .

قال ابن عباس : الخطاب للكفار ، والمنافقين [3] .

وقال أكثر المفسرين ، وأهل المعاني : الخطاب للمؤمنين ، على معنى : ما كان الله ليذر المخلصين على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من التباس المنافق بالمخلص . ((حتى يميز الخبيث من الطيب)) أي حتى يتبين الكافر والمنافق من المؤمن [4] .

وقرأ حمزة والكسائي " يميّز " بضم الياء وفتح الميم ، وتشديد الياء ، وكسرها [5] .

---

(١) هو نفيع بن الحارث الثقفي ، صحابي جليل ، مشهور بكنيته .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن . (٥٦٦/٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٣٩٣/٢) وانظر زاد المسير (٥١٠/١) .

(٤) وهذا هو الأظهر وعليه عامة أهل التفسير .

(٥) الحجة للفارسي (١١٠/٣) ، ولابن زنجلة ص (١٨٢) ، والكشف (٣٦٩/١) ، والنشر (٢٤٤/٢) .

فميز الله بينهم بالهجرة ، والجهاد ، والاعلام بجهة الوحى .[1]

((وما كان الله ليطلعكم على الغيب)) فلا تتوهموا عند اخبار الرسول اياكم بايمان هذا ، ونفاق هذا أنه يطلع على ما في القلوب ، ويعلم الغيوب ، كما يعلمه الله تعالى ، بل علم الرسول ذلك بجهة الوحى ، واخبار الله له ، ((ولكن الله يجتبى من رسله من يشآء - ١٧٩)) أى يصطفى من يشاء (٨٩/أ) من رسله فيطلعه على ما يشاء من الغيب ، كما قال - في موضع آخر - : ((فلا يظهر[2] على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول))[3] .

وعلى قول ابن عباس يكون المعنى : وما كان الله ليطلعكم أيها الكفار على الغيب ، لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا من يؤمن بك ، ومن لا يؤمن .

قوله عز وجل : ((ولا يحسبن الذين يبخلون)) .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، والأكثرون : نزلت في مانعى الزكاة[4] .

---

(١) أما الجهاد ، واخبار الوحى عن أحوال المنافقين ، فهذا تميز به المنافق من المؤمن الصادق ، وأما الهجرة فهى سابقة على النفاق ، فقد هاجر أكثر المسلمين من مكة قبل ظهور النفاق ، والنفاق انما ظهر بعد غزوة بدر .

(٢) في الأصل " ولا يظهر " وهو خطأ .

(٣) تمام الآية " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول " الجن - ٢٦ - ٢٧ .

(٤) انظر : زاد المسير (٥١٢/١) .

وروى عن ابن عباس ، ومجاهد أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم[1] ، اختاره الزجاج[2] .

والذى آتاهم الله - على القول الأول - المال ، وعلى القول الثاني : العلم والصحيح هو القول الأول لما أخرج البخارى في صحيحه من حديث ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية ((ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيمة))[3] .

وفي حديث آخر أنه يستعيذ منه فيقول له ماله : لم تستعذ مني ، أنا مالك الذى كنت تبخل به في الدنيا ، فيطوقه في عنقه ، فلا يزال في عنقه حتى يدخله (٨٩/ب) الله جهنم .[4]

قوله : ((هو خيرا لهم)) يعنى البخل المدلول عليه بقوله : ((يبخلون)) ومثله قول العرب : من كذب كان شرا له .

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ٤٣٢) ، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس والعوفي متروك .

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٩٢) .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران (٦/ ٤٩) .

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٦٢/أ) بسنده عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أى كان الكذب شرا له ، فدل قولهم كذب على الكذب .

ومثله قول الشاعر :

٥٨ - اذا نهى السفيه جرى اليه . وخالف والسفيه الى خـــــلاف[1]

أراد : جرى الى السفيه ، ودل قوله : السفيه ، على السفه ، وهذا باب واسع.

قوله : ((سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمـــة)) .

تفسيره ما جاء في الحديث[2] ، وهو قول ابن مسعود ، ومقاتل[3] ، وقال ابراهيم النخعي : يصير في عنقه يوم القيامة طوقا من نار[4] .

قوله : ((ولله ميراث السموات والأرض))

قال ابن عباس : يموت أهل السموات والأرض ، ويبقى رب العالمين[5] .

وقال ابن الأنباري : معنى الميراث انفراد الرجل بما كان لا ينفرد بـــه فلما مات الخلق ، وانفرد عز وجل صار ذلك وراثة[6] .

---

(١) البيت في الخصائص (٣ / ٤٩) ، والمحتسب (١ / ١٧٠) ، والانصاف (١ / ١٤٠) بغير نسبه .

(٢) تقدم ص (٣٥٤)

(٣) قول ابن مسعود تقدم ، وقول مقاتل في تفسيره (١ / ٢٠٩) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧ / ٤٣٨) وزاد السيوطي في الدر (٢ / ٣٩٥) نسبة الى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر وابن ابى حاتم .

(٥) زاد المسير (١ / ٥١٣) .

(٦) زاد المسير (١ / ٥١٤) .

وقال غيره المعنى : له ما في السموات والأرض مما يتوارثه أهلها من مال وغيره ، فمالهم يبخلون عليه بملكه .[1]

((والله بما تعملون خبير — ١٨٠)) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ، ردا على قوله ((سيطوقون)) " ولا يحسبن الذين يبخلون " " ولا يحسبن الذين كفروا " وقرأ الباقون " تعملون " بالتاء[2] ، ردا على قوله : " وان (٩٠/أ) تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم " .

قوله عز وجل : ((لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء)) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وجمهور المفسرين : السبب في نزول هذه الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود ، فوجد هم قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له : فنحاص[3] ، فقال له أبو بكر : اتق الله ، وأسلم ، فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله ، فقال : يا أبا بكر : والله ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا ، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة ، وقال : والله لولا العهد الذى بيننا لضربت عنقك ، فذهب فنحاص يشكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أبو بكر

---

(١) قال ابن جرير (٧/ ٤٤٠) ، يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه الحى الذى لا يموت ، والباقي بعد فناء جميع خلقه . اهـ

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١٣) ، ولابن زنجلة ص (١٨٤) ، والكشف (١/ ٣٦٩) ، والنشر (٢/ ٢٤٥) .

(٣) هو فنحاص بن عازورا .

بما قال ، فجحد فنحاص ، فنزلت هذه الآية .

ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ((ولتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم)) الآية .[1]

ومقصود الخبيث من هذا الكلام ، الاستهزاء والتهكم ، حيث سمع قول الله ((من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا))[2] .

((سنكتب ما قالوا)) أي سنأمر الحفظه بكتابته في صحائف أعمالهم[3] وأقوالهم .

((وقتلهم)) أي نكتب قتلهم ((الأنبياء)) وفي قوله : ((سنكتب)) وعيد شديد ، وتهديد عظيم ، لا سيما وقد قرنه بقتلهم الأنبياء (٩٠/ب) تنبيها على عظيم افترائهم ، وشدة اجترائهم ((ونقول ذوقوا عذاب الحريق - ١٨١)) يعني ذوقوا عذاب النار ، كما أذقتم أنبيائي ، وأوليائي الغضى .

تقول العرب لمن انتقم منه : ذق (أخس)[4] ، ومنه قول أبي سفيان لحمزة رضي الله عنه - وقد وقف عليه صريعا - : ذق عقق .[5]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧/٤٤١) ، عن ابن عباس ، من طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد .
وأخرجه أيضا ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، قاله السيوطي في الدر (٢/٣٩٦) .

(٢) البقرة (٢٤٥) .

(٣) كلمة الأعمال تشمل الأقوال ، والأفعال ، فلا حاجة الى عطف الأقوال عليها .

(٤) هكذا بالأصل ، ولم أتبين معناها .

(٥) انظر السيرة لابن هشام (٣/٨٧٥) ومعناه : يا عقق ، يريد ياعاق .

وقرأ حمزة " سيكتب " على ما لم يسم فاعله ، " وقتلهم " بالرفع ، " ويقول " بالياء[1] .

قوله : ((ذلك)) اشارة الى ما تقدم من ذكر عقابهم ، ((بما قدمت أيديكم)) من الكفر ، والعناد ، والاجتراء على قتل الأنبياء ، والأولياء ، ((وأن الله)) أى وبأن الله ((ليس بظلام للعبيد - ١٨٢)) ، فان قيل ما وجه ارتباط هذا المعطوف ، وهو قوله ((وأن الله ليس بظلام للعبيد)) بالمعطوف عليه ، وهو ما قدمت أيديهم من المعاصي ، ووجه التشريك بينهما في استحقاق العذاب ؟

قلت : نفى الظلم عن الله اثبات لوصفه بالعدل .

فالمعنى : ذلك العذاب سببه أمران :

أحدهما : ماقدمت أيديكم من المعاصي التى بعضها قتل الأنبياء .

والثاني : عدل الله في خلقه ، والعادل لابد وأن يأخذ للمظلوم من الظالم فصار معنى الكلام : ذلك العذاب بما قدمت أيديكم من قتل الأنبياء وغيره وبأن الله عادل ، يقتص منكم .

قوله تعالى : ((ان الله عهد الينا)) الآية .

نزلت في كعب بن الأشرف ، ومالك (٩١/أ) بن الصيف ، وحيى بن أخطب ، في جماعة من اليهود ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ان الله عهد الينا[2] ، يعنون في التوراة : ((ألا نؤمن لرسول)) أى : لا نصدقه

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٥) ، ولابن زنجلة ص (١٨٤) ، والكشف (١/ ٣٦٩) ، والنشر (٢/ ٢٤٥) .

(٢) ذكره الثعلبي في التفسير (٣/ق ١٦٣/ب) والواحدى في أسباب النزول ص (١٢٩) ، والبغوى (١/ ٣٨٠) ، عن الكلبي ، وذكره ابن الجوزى في زاد المسير (١/ ٥١٦) عن ابن عباس .

((حتى يأتينا بقربان)) يتقرب به الى الله ، من ذبح أوغيره ((تأكله النار)) ، وكان هذا من سنن المرسلين خلا عيسى بن مريم عليه السلام. قال السدى : أمرهم الله في التوراة أن لا يصدقوا أحدا يزعم أنه رسول الله حتى يأتي بقربان تأكله النار ، الا المسيح ، ومحمدا ، وكان نزول النار لأكل القربان علامة لقبوله .

((قل)) لهم يا محمد على وجه التبكيت لهم ((قد جاءكم رسل من قبلي بالبينت وبالذى قلتم)) من القربان التى تنزل النار لأكله ، ((فلم قتلتموهم ان كنتم صدقين — ١٨٣)) .

قوله : ((فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك)) هذه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ، واعلام له أن ما قوبل به من التكذيب ليس ببدْع ، بل هى سنة المردة الكفرة مع رسل الله اليهم ، فسبيله أن يسلك مسلكهم ، في الصبر على الأذى والتكذيب ، حتى يحكم الله فيه ، وفيهم ، كما صبر أولوا العزم من قبله ، ((جاؤا بالبينت والزبر والكتب المنير - ١٨٤)) الزبر ، جمع زبور ، وهى الصحف المزبورة ، أى المكتوبة .

قال امرؤ القيس : (٩١/ب)

٥٩ - لِمَنْ طللٌ أبصرته فشجاني . كخط زبور في عسيب يماني (١)

وقيل هو من زبره اذا زجره ، وسمى الزبور لكثرة زواجره وقرأ ابن عامر "وبالزبر" (٢)

---

(١) ديوانه ص (٨٥) .

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١١٣) ، ولابن زنجلة ص (١٨٥) والكشف (١/ ٣٧٠) ، والنشر (٢/ ٢٤٥) .

بزيادة باء ، وقرأ هشام [١] وبالكتب [٢] بزيادة باء ، نظرا الى الأصل ، وللتأكيد ، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام .

وقراءة الأكثرين أكثر استعمالا في كلام العرب ، طلبا للخفة ، لأن حرف العطف أغنى عن اعادة حرف الجر ، كما تقول : مررت بزيد وعمرو ، ولو لزم تكرير العامل لوجب أن تقول : جاني زيد وجاني عمرو .

والكتاب المنير ، المضيء بحججه وبراهينه ، وهو اسم جنس هنا .

قوله : ((كل نفس ذائقة الموت)) قال ابن عباس : لما نزل قوله : ((قل يتوفكم ملك الموت الذى وكل بكم)) [٣] قالوا : يارسول الله انما نزل في بنى آدم فاين ذكر الموت في الجن والطير والأنعام ، فأنزل : ((كل نفس ذائقة الموت)) [٤] الآية ، أى كل نفس حية ذائقة الموت .

((وانما توفون أجوركم)) أى جزاء أعمالكم ((يوم القيمة)) فان قيل : هذا يدل على أن الجزاء بالثواب ، والعقاب لا يكون الا يوم القيامة ، فكيف نصنع بالأحاديث المروية الصحيحة الصريحة في عذاب القبر ونعيمه ؟ .

قلت : المراد بالآية أن تكميل الجزاء يكون يوم القيامة ، ألا تراه يقول : توفون

---

(١) هشام بن عمار بن نصير السلمى ، أبو الوليد الدمشقي ، امام أهل دمشق وخطيبهم ، ومقرؤهم ، ومحدثهم ، وفقيههم ، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين . طبقات القراء لابن الجزرى (٢ / ٣٥٤) .

(٢) النشر (٢ / ٢٤٥) .

(٣) السجدة (١١) .

(٤) زاد المسير (١ / ٥١٧) .

أجوركم ، وما يكون في القبر من خير وشر فبعض الجزاء ، لا كله (٩٢/أ)

((فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)) يقال لكل من نجا من هلكة وظفر بما يغتبط به فاز . أي تباعد من المكروه .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة أنه قال : لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤا ان شئتم " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متع الغرور (١) — ١٨٥)) .

والمعنى : وما الحياة الدنيا لمن لهى عن طلب الآخرة الا متاع يغتر به ، ثم ينقطع ، وأما من طلب الآخرة فحياة الدنيا له بلاغ يتوصل به الى الآخرة .

قال قتادة : يوشك أن تضمحل بأهلها ، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم (٢) .

وقال الحسن : كخضرة النبات ، ولعب البنات ، لا حاصل له (٣) . يعني الرياء

قوله : ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم)) (٤) الآية .

---

(١) الحديث أصله في الصحيح أخرجه البخاري ، في كتاب الجهاد ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٤٣/٤) ، وبلفظ المؤلف أخرجه الامام أحمد في المسند (٤٣٨/٢) والترمذي في السنن ، كتاب التفسير سورة آل عمران (٢٣٢/٥ - ٢٣٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . اهـ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٢) وذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٦٥/ب) .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٦٥/أ) .

(٤) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادي والعشرين مرة ثانية .

نزلت في الذى جرى بين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبين فنحاص[1] .

وقال كعب بن مالك : نزلت حين استب المسلمون ، والمشركون واليهود ، بسبب المنافق عبد الله بن أبيّ ، وكان من قصته ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم العطار ، السلمي ، وأبو الحسن بن روزبة ، قالا أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن أحمد الحموى (٩٢ / ب) أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر ، حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن أسامة بن زيد ، أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فدكية[2] وأردف أسامة بن زيد وراءه ، يعود سعد بن عبادة ، في بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبيّ ، فاذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، ثم وقف ، فنزل ، فدعاهم الى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبى بن سلول : أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ، ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا ، أرجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : بلى يارسول الله فاغشنا به في مجالسنا

---

(١) تقدم ص (٣٥٦)

(٢) هو كساء غليظ ، منسوب الى فدك ، بفتح الفاء والدال ، وهى بلد مشهور على مرحلتين من المدينة .

فانا نحب ذلك ،فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم (٩٣/أ) حتى سكنوا ،ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته ،فسار حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ألم تسمع ما قال أبو خباب ،يريد عبد الله ابن أبي ، قال : كذا وكذا ،قال سعد بن عبادة : يارسول الله أعف عنه واصفح عنه ،فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد اصطلح أهل هذه البحيرة[1] على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة[2] ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك[3] ، فذلك فعل به ما رأيت ،فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين ،وأهل الكتاب كما أمرهم الله ،ويصبرون على الأذى ، .

قال الله : ((ولتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)) الآية .

وقال الله : " ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم))[4] الى آخر الآية .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ،فلما غزا رسول الله بدرا ،فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ، ومن معه من المشركين ،وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا (٩٣/ب) رسول الله على الاسلام ،فأسلموا .[5]

---

(١) هذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد ،والمراد به هنا المدينة .

(٢) أي يرئسوه عليهم .

(٣) أي غص به ،وهو كناية عن الحسد .

(٤) البقرة (١٠٩) .

(٥) صحيح البخاري ،كتاب التفسير ،سورة آل عمران (٦/ ٤٩ - ٥٠) .

وقال الزهري : نزلت هذه الآية في كعب بن الأشرف ، وكان يحرض المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره [1].

قال الزجاج : ومعنى لتبلون : لتختبرن ، أي توقع عليكم المحن فيعلم المؤمن حقا من غيره ، والنون دخلت مؤكدة مع لام القسم [2].

((في أموالكم)) بالخسران والنقصان ، ((وانفسكم)) بالأمراض ، وموت الأولاد ، والأقارب ، ليتبين المخلص في ايمانه من المنافق .

قال عطاء : هم المهاجرون ، أخذ المشركون أموالهم وباعوا رباعهم [3].

((ولتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم)) وهم اليهود ((ومن الذين أشركوا)) عبدة الأصنام ((أذى كثيرا وان تصبروا)) على أذاهم ((وتتقوا)) الشرك ، والمعاصي ((فان ذلك)) يعني الصبر والتقوى .

((من عزم الأمور — ١٨٦)) أي مما يعزم عليه لظهور رشده ، أو يكون المعنى : فان ذلك مما عزم الله أن يكون . بمعنى أن ذلك عزمة من عزمات الله ، لابد لكم أن تصبروا وتتقوا [4].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧/٤٥٦) ، وابن أبي حاتم ، قاله السيوطي في الدر (٢/٤٠١) .

(٢) معاني القرآن (١/٤٩٥) .

(٣) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٦٧/ب) ، والبغوي (١/٣٨٣) ، وزاد المسير (١/٥٢٠) .

(٤) قال ابن جرير (٧/٤٥٥) ، : " فان ذلك من عزم الأمور " يقول : فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه ، وأمركم به . اهـ

فصل

اختلف العلماء في الأمر بالصبر .

فذهب أكثرهم الى أنه محكم ، وذهب بعضهم الى أنه منسوخ بآية السيف[1] .

قوله عز وجل : ((واذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب)) .

قال الحسن : هذا ميثاق الله على علماء أهل الكتاب أن يبينوا للناس ما في كتابهم ، وفيه ذكر (٩٤/أ) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

((لتبيننه للناس ولا تكتمونه — ١٨٧)) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالياء فيهما ، وقرأ الباقون بالتاء فيهما[2] ، فمن قرأ بالياء حمله على لفظ الغيبة في أول الآية وآخرها ، ومن قرأها بالتاء فعلى الرجوع من المغايبة الى المخاطبة كما في قوله تعالى ((واذ أخذ الله ميثق النبيين لما أتيتكم))[3] أو على الحكاية والضمير فيها يعود الى الكتاب ، وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر ، وأصح ، وباقي الآية سبق تفسيره في البقرة .

والضمير في " فنبذوه " يعود الى الميثاق ، أو الكتاب ، وفي هذه الآية دليل ظاهر على وجوب تبليغ العلم ، قال علي رضي الله عنه : ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلموا[4] .

---

(١) انظر نواسخ القرآن لابن الجوزي ص (٢٤٦) والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص (٦٣ - ٦٤) والصواب أنها محكمة ، ودعوى نسخها لا دليل عليه ، فان الصبر والتقوى لا بد منهما للمسلم في جميع أحواله .

(٢) الحجة للفارسي (٣/١١٦) ، ولابن زنجلة ص (١٨٥) والكشف (١/٣٧١) والنشر (٢/٢٤٦) .

(٣) آل عمران (٨١) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٣٥) : أخرجه الحارث

====

قوله عز وجل : ((لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا)) .

وقرأ أهل الكوفة " لا تحسبن " بالتاء[1] على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، واعرابه على نحو ما تقدم في نظائره .[2]

وقد اختلف العلماء في سبب نزولها على أقوال :

أحدها : ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم ، وأبو الحسن البغدادیان ، قالا أخبرنا عبد الأول ، أخبرنا عبد الرحمن ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أخبرنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا محمد ابن جعفر ، حدثني زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد (٩٤/ب) الخدري أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله فاذا قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتذروا اليه ، وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا " الآية .[3]

القول الثاني : وبالاسناد قال محمد بن اسماعيل البخاري : حدثني ابراهيم

(=) ابن أبي أسامة ، أخبرنا عبد الوهاب الخفافي ، حدثنا الحسن بن عمارة ، حدثني الحكم بن عتيبة ، عن يحي بن الجزار : سمعت عليا يقول فذكره . والحسن متروك . اهـ
قلت : وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٦٨/ب) .

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٠١) ولابن زنجلة ص (١٨٦) ، والكشف (١/ ٣٦٧) ، والنشر (٢/ ٢٤٦) .

(٢) تقدم ص (٣٥٠)

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران (٦/ ٥٠) .

ابن موسى ، أخبرنا هشام ،أن ابن جريج أخبرهم ، قال : أخبرني ابن ابى مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان[1] قال لبوابه : اذهب يا رافع[2] الى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرء فرح بما أتى ،وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون .

فقال ابن عباس : ومالكم ولهذه ،انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه ،وأخبروه بغيره ،فأروه أن قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ،وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ،ثم قرأ ابن عباس" واذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب " كذلك حتى قوله : " يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا " تابعه عبد الرزاق عن ابن جريج[3] .

وهذان الحديثان في الصحيحين .

القول الثالث : أن يهود المدينة كتبت الى يهود العراق ،واليمن ،ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا (٩٥/أ) ليس بنبي ،فاثبتوا على دينكم ، فاجتمعت كلمتهم على الكفر ،ففرحوا بذلك ،وقالوا : نحن أهل الصوم والصلاة ،وأولياء الله ، فنزلت هذه الآية .

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص ،بن أمية ،أبو عبد الملك الأموي ، المدني ،ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ،لا تثبت له صحبة ،مات سنة خمس وستين . التقريب رقم (٦٥٦٧) .

(٢) رافع مولى مروان بن الحكم ،وبوابه ،مقبول من الثالثة . التقريب رقم (١٨٧١) .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب التفسير ،سورة آل عمران (٦/٥١) .

قاله الضحاك ، والسدى .[1]

الرابع : أن يهود خيبر أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فقالوا : نحن على رأيكم ، ونحن لكم رد ؤ ، وهم متمسكون بضلالتهم ، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة .[2]

الخامس : أن قوما من أهل الكتاب دخلوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم خرجوا من عنده ، فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها فحمدوهم ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا ، فنزلت هذه الآية[3] ، ذكره الزجاج[4] .

والذى أتوا - على القول الأول - تخلفهم عن الغزاة ، وعلى القول الثاني كتمانهم الحق الذى سئلوا عنه .

وعلى القول الثالث اجتماعهم على تكذيب النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى الرابع والخامس نفاقهم باظهار ما ليس في قلوبهم .

وهى - على القول الأول - في المنافقين ، وعلى سائر الأقوال في اليهود[5] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٧ / ٤٦٧ - ٤٦٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٤٠٥) نسبته الى عبد بن حميد ، وذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١٣٢) عن الضحاك .

(٢) تفسير ابن جرير (٧ / ٤٧١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٤٠٥) نسبته الى عبد بن حميد ، وعبد الرزاق .

(٣) ذكره مقاتل في تفسيره (١ / ٢١١) ، والثعلبي (٣ / ق ١٦٩ / ب) ، والبغوى (١ / ٣٨٤) ، وابن الجوزى في زاد المسير (١ / ٥٢٣) .

(٤) في معاني القرآن (١ / ٤٩٧) .

(٥) قال ابن جرير (٧ / ٤٧١) : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا " الآية ، قول من قال : عنى

= = = = =

قوله : ((ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا))

قال أبو سعيد الخدري : كانوا يحلفون للمسلمين اذا نصروا أنا قد سررنا بنصركم ، وليس كذلك[1] ، وهذا على قوله : انها نزلت في المنافقين ، وتنزيل المعنى على سائر الأقوال بحسبها[2] ، وهو ظاهر ، فلا حاجة الى تبيينه (٩٥/ب) .

قوله : ((فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو " يحسبنهم " بالياء ، وضم الباء ، وقرأ الباقون بالتاء المعجمة من فوق بنقطتين ، وفتح الباء[3] ، على الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأما ابن كثير وأبو عمرو فانهما أضافا الفعل الى " الذين يفرحون " لتقدم ذكرهم . وقوله " بمفازة " هو المفعول الثاني على القرأتين ، " وتحسبنهم " بدل من " لا تحسبن " اذا قرئ بالتاء ، على المخاطبة ، و " يحسبنهم " - على قراءة أبي عمرو - بدل من " لا يحسبن " اذا قرئ بالياء ، على المغايبة .

والمعنى : لا تحسبنهم بمفازة أي : بمنجاة من العذاب ، وسميت البيداء مفازة على مذهب التفاؤل .

(=) بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا يكتمونه . اهـ

(١) زاد المسير (١/٥٢٥) .

(٢) الحجة للفارسي (٣/١٠٧) ولابن زنجلة ص (١٨٧) ، والكشف (١/٣٧١) ، والنشر (٢/٢٤٦) .

قوله : ((ولله ملك السموات والأرض - ١٨٩)) قال ابن عباس وغيره : كانوا يقترحون على رسول الله الآيات ، حتى قالوا : اجعل لنا الصفا ذهبا فانزل الله هذه الآية[1] ، يرشدهم الى ما هو أعجب مما سألوا .

وفي الحديث أن ابن عمر قال لعائشة رضى الله عنهم أجمعين أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ، فبكت ، فأطالت ، ثم قالت : كل أمر رسول الله عجب أتاني في ليلتي ، فدخل معي في لحافي ، حتى لصق جلده بجلدي ، ثم قال : يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي ؟ فقلت : يا رسول الله والله اني لأحب قربك ، وأهوى هواك ، قد أذنت لك ، فقام الى قربة من ماء في (٩٦/أ) البيت ، فتوضأ ، ولم يكثر صب الماء ، ثم قام ، فصلى ، فقرأ من القرآن وجعل يبكي ، حتى بلغ الدموع حقويه ، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ، وجعل يبكي حتى بلغ الدموع نحره ، ثم رفع يديه ، فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض ، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي ، فقال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ثم قال : ومالي لا أبكي وقد أنزلت على هذه الليلة ((ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيت لأولى الألباب - ١٩٠)) الى آخرها ثم قال : ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها .[2]

---

(١) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٠٧) لكن فيه : فنزلت " ان في خلق السموات والأرض " الآية .
قلت : وأخرجه الثعلبي (٣/ق ١٧٠/ب) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، في التفكر ، وابن المنذر وابن حبان في صحيحه ، وابن مردويه ، والأصبهاني في الترغيب

= = =

قوله : ((الذين يذكرون الله قيما وقعودا وعلى جنوبهـــــــــم))

ذهب قوم الى عمومه في الصلاة وغيرها ، وقال علي ، وابن مسعود ، وابن عباس وقتادة[1] : المراد بالذكر ههنا الذكر في الصلاة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين : صلى قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنب ، أخرجه البخاري[2] .

وفي هذه الآية مستند أحمد ، والشافعي بأن المريض يصلي على حسب حاله[3] ، كما قال النبي لعمران بن حصين ، وقال أبو حنيفة : يصلي مستلقيا علـــى ظهره اذا لم يستطع القعود[4] . (٩٦/ب) ومحل قوله : " وعلى جنوبهم " من الاعراب النصب على الحال ، عطفا على ما قبله .

(=) وابن عساكر ، عن عطاء ، قال : قلت لعائشة . قاله في الدر المنثور (٢/٤٠٩) .
قلت : وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٧٠/أ) عن عطاء قال : دخلت مع ابن عمر على عائشة .
قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص (٣٦) ابن حبان صح من رواية عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، قال : دخلت أنـــا وابن عمر ، وعبيد بن عمير على عائشة ..... الخ .
ورواه عبد بن حميد ، والثعلبي ، وغيرهم ، من رواية أبي جناب الكلبي عن عطاء ، قال : دخلت أنا وابن عمر على عائشة ، فقال لها ابن عمر أخبريني ، فذكره . اهـ

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٠٤) ، وتفسير الثعلبـــي (٣/ق ١٧٠/ب) والبغوي (١/٣٨٥) ، وزاد المسير (١/٥٢٧) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التقصير ، باب اذا لم يطق قاعدا صلى علـــى جنب (٢/٦٠) .

(٣) المغني (٢/٥٧٠) .

(٤) والأظهر أنها عامة في الصلاة وغيرها ، وليس ثمت دليل يخص الصلاة دون غيرها .

قوله : ((ويتفكرون في خلق السموات والأرض))

فيستدلون ببدائع صنعة الله ، وعجائب قدرته على عظمة شأنه ، وجلال سلطانه فيستثمرون من ذلك علما بالله ، وخوفا يبعثهم على مراقبة أمره ونهيه .

قال أبو الدرداء : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .(١)

ونظر سفيان الثورى الى السماء ، فلما رأى الكواكب غشى عليه .(٢)

وقال بعض الحكماء : بترداد الفكر ينجاب العمى ، وما استنارت القلوب بمثل الفكـــــر .

وقال أبو الأحوص(٣) : بلغني أن عابدا تعبد في بنى اسرائيل ثلاثين ســـنة ، وكان الرجل اذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير شيئا ، فشكى ذلك الى والدته . فقالت : يابنى فكر هل أذنبت ذنبا منذ أخذت في العبادة ؟ قال : لا ، ولا أعلم انى هممت به منذ ثلاثين سنة ، فقالت يابنى : بقيت واحدة ، فان نجوت منها رجوت لك أن تظلك الغمامة ، قال : وما بقى هناك ؟

قالت : هل رفعت طرفك الى السماء ، ثم رددته بغير فكر ؟ قال : كثيـــــر .

قالت : فمن هـهنا أتيت .(٤)

---

(١) أخرجه ابن سعد ، قاله السيوطي في الدر المنثور : (٢/ ٤٠٩) .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٧١/ب) .

(٣) هو سلام بن سليم الحنفي ، مولاهم ، أبو الأحوص الكوفي ، ثقة متقـــن ، صاحب حديث ، مات سنة تسع وسبعين ومائة .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٧١/ب) بغير اسناد .

وقال ابن عون : الفكرة تذهب الغفلة ، وتحدث للقلب الخشية (١) .

قوله : ((ربنا)) أي قائلين ربنا .

((ما خلقت (٩٧/أ) هذا)) الخلق ((بطلا)) أي عبثا ، خاليا عن الفائدة ، والحكمة ، وباطلا : نصب على الحال من " هذا " أو صفة مصدر محذوف ، أي خلقا باطلا ، أو بنزع الحرف الخافض ((سبحنك)) تنزهت عن العبث ، ((فقنا عذاب النار — ١٩١)) . ((ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته — ١٩٢)) أي من تدخله دخول تخليد ، فقد أهنته ، وحقرته .

وهذا قول أنس بن مالك ، والسعيدين/ابن المسيب وابن جبير ، وقتادة ، ومقاتل (٢) .

وقال جابر بن عبد الله : المعنى : انك من تدخل النار : على أي حال دخل من أحوال التعذيب (٣) .

وبه قال محمد بن جرير الطبري (٤) .

---

(١) الثعلبي (٣/ق ١٧١/أ) وتمامه : كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ، ولا استنارت بمثل الفكره . اهـ

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٤٧٧) ، ومقاتل (١/٢١٢) ، والثعلبي : (٣/ق ١٧٢/أ) ، والبغوى (١/٣٨٦) ، وانظر زاد المسير (١/٥٢٨) ، وهذا هو الأظهر أن من دخل النار فهو في خزى سواء دخلها تخليدا او تعذيبا . كما هو مذهب جابر واصحاب ابن جرير .

(٣) أخرجه ابن جرير (٧/٤٧٨ - ٤٧٩) والحاكم في المستدرك (٢/٣٠٠) عن الحارث بن مسلم ، عن بحر السقا ، عن عمرو بن دينار عن جابر . وسكت عليه الحاكم ، وقال الذهبي : قلت : بحر هالك . اهـ

(٤) تفسير ابن جرير (٧/٤٧٩) .

قوله : ((ربنا اننا سمعنا منادياً)) قال ابن عباس : هو محمد[١] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال محمد بن كعب القرظي : هو القرآن[٢] . واختاره ابن جرير الطبري[٣] .

((ينادي للايمان)) قال الفراء[٤] : المعنى : ينادي الى الايمان ، ومثله قوله تعالى : ((هدانا لهذا))[٥] ((بأن ربك أوحى لها))[٦] .

وقال أبو عبيدة : فيه تقديم وتأخير ، تقديره : سمعنا منادياً للايمان ينادي[٧] ((أن آمنوا)) أي بأن آمنوا بربكم ((فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا)) يعنون الكبائر ، ((وكفر عنا سيئاتنا)) يعنون الصغائر .

وقيل : انما جمعوا بين طلب المغفرة وتكفير السيئات لان المغفرة لمجرد الفضل (٩٧/ب) والتكفير : بالطاعة .[٨]

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٧٢/ب) ، والبغوي (١/ ٣٨٦) ، وزاد المسير (١/ ٥٢٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ٤٨٠) ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وابن المنذر ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١١) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/ ٤٨١) ، واختار ابن كثير أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٩) .

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٥٠) .

(٥) الأعراف (٤٣) .

(٦) الزلزلة (٥) .

(٧) مجاز القرآن (١/ ١١١) .

(٨) قال ابن جرير (٧/ ٤٨٢) : " فاغفر لنا ذنوبنا " يقول : فاستر علينا خطايانا ، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤس الأشهاد ، بعقوبتك ايانا عليها ، ولكن كفرها عنا ، وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك ايانا . اهـ

((وتوفنا مع الأبرار — ١٩٣))

قال ابن عباس : هم الأنبياء ، والصالحون[١] .

والمعنى : توفنا في جملتهم ، واحشرنا في زمرتهم .

والابرار : جمع برّ ، أو بار ، كرب ، وأرباب ، وصاحب ، وأصحاب .

((ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك)) أى : على ألسنة رسلك ، والذى وعدهم الجنة ، فكأنهم سألوا الله تعالى الثبات على الحالة المفضية بهم اليها .

وقيل : " ما وعدتنا على رسلك " من النصر ، والاستعلاء ، والظفر بالأعداء .

قال ابن جرير : هذه صفة المهاجرين ، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم فكأنهم قالوا : لا صبر لنا على حلمك على الأعداء ، فعجل خزيهم ، وظفرنا بهم[٢] ،

((ولا تخزنا — ١٩٤)) أى : لا تهنا ، وقيل : لا تفضحنا ، ومنه ((ولا تخزون في ضيفي " .[٣]

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه : من قرأ في ليلة " ان في خلق السموات والأرض " الى آخرها كتبت له قيام ليلة .[٤]

قوله ((فاستجاب لهم ربهم)) قال الحسن : مازالوا يقولون : ربنا ، ربنا حتى استجاب لهم ربهم .[٥]

---

(١) زاد المسير (١/ ٥٢٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ٤٨٤) بمعناه .

(٣) هود (٧٨) .

(٤) اخرجه الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٧٣/ب) .

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٧٤/أ) ، والقرطبي (٤/ ٣١٨) .

قال جعفر الصادق رحمه الله : من حزبه أمر فقال - خمس مرات - : ربنا نجاه الله مما يخاف ، وأعطاه ما أراد ، قيل له : كيف ؟ فقرأ " الذين يذكرون الله قياما وقعودا " الى قوله : " انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم "[1] .

وفي الحديث أن أم (٩٨/أ) سلمة رضى الله عنها قالت : يارسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ، ولا يذكر النساء بشيء ، فنزلت هذه الآية[2] .

يقال : استجابه ، واستجاب له ، بمعنى أجابه .

ومنه :

٦٠ - فلم يستجبه عند ذاك مجيب[3]

((انى لا أضيع)) أى بأنى ، أولأنى لا أضيع ((عمل عمل منكم)) ((بعضكم من بعض)) في الدين والاسلام ، وقيل ((بعضكم من بعض)) : أى : يجمع ذكوركم ، واناثكم أصل واحد ، وهو آدم ، فحكمكم حكم واحد ، في الثواب والعقاب. ((فالذين هاجروا)) هجروا أوطانهم ، وعشائرهم ، ((وأخرجوا من ديارهم))

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ق ١٧٤/أ) ، والقرطبي (٤/ ٣١٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/ ٤٨٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وانظر الدر المنثور (٢/ ٤١٢) .

(٣) لم أعثر عليه .

أضطروا الى الخروج بالأذى ، ((وأوذوا في سبيلي)) وهو دين الاسلام ، ((وقتلوا وقتلوا)) وقرأ حمزة والكسائي : وقتلوا وقاتلوا ، بتقديم المفعول على الفاعل هنا[1] ، وفي براءة[2] . وكلهم خفف الا ابن كثير وابن عامر فانهما شددا " وقتلوا "[3] والواو لا تفيد ترتيبا ، فسواء التقديم والتأخير .

قوله : ((ثوابا من عند الله - ١٩٥)) أي : ثوابا مختصا بكونه من عند الله لا يقدر أحد على وصفه ، ولا على قطعه ، ومنعه .

كما يقول الرجل العظيم ، الملىء لما يراد منه لمن دونه ، اذا أراد تحقيق ما يؤمله منه ، وتطييب قلبه ، وطمأنينته : عندي ماتريد .

وهو مصدر مؤكد ، لان معنى " لأكفرن " و " لأدخلنهم " : لأثيبنهم .

وقيل : هو منصوب على القطع[4] .

قوله : ((لا يغرنك تقلب الذين (٩٨/ب) كفروا في البلاد)) كان اليهود يضربون في الأرض ، ويكتسبون الأموال ، والمشركون في خفض ودعة ، والمسلمون في جهد شديد ، فقال قائل من المؤمنين : أعداء الله فيما نرى من الخير ، ونحن في الجهد ، فأنزل الله هذه الآية[5] .

---

(١) الحجة للفارسي (٣/١١٧) ، ولابن زنجلة ص (١٨٧) ، والكشف (١/٣٧٣) ، والنشر (٢/٢٤٦) .

(٢) براءة (١١١) . راجع الله أن يتوب عليهم أجمعين لكرمه

(٣) الحجة للفارسي (٣/١١٦) ، ولابن زنجلة ص (١٨٨) ، والكشف (١/٣٧٣) ، والنشر (٢/٢٤٦) .

(٤) انظر الدر المصون (٣/٥٤٤) .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ق ١٧٥/أ) والبغوى (١/٣٨٧) ، والواحدى في أسباب النزول ص (١٣٤) .

والمعنى : لا يغرنك أيها القائل ،أو السامع ،أو هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد أتباعه ،لان خطاب مقدم القوم ، ولسانهم ،بشيء يقوم مقام خطابهم جميعا .

فكأنه قيل : لا يغرنكم ، وهو بمعنى التثبيت له ، والتأديب لغيره .

وهذا في النهي نظير قوله في الأمر : " اهدنا الصراط المستقيم " .

((تقلب الذين كفروا في البلاد — ١٩٦)) أي ضربهم فيها ، وتقلبهم في نعم الله ، ((متاع قليل)) أي تقلبهم متاع قليل ،ثم ينقطع " ثم " من بعد ذلك ((مأواهم جهنم وبئس المهاد - ١٩٧)) .

قوله تعالى : ((لكن الذين اتقوا ربهم))

وقرأت على شيخنا أبي البقاء اللغوي ، وأبي عمرو الياسري[1] لأبي جعفر ، يزيد ابن القعقاع " لكنّ "[2] بالتشديد هنا ، وفي الزمر .

قال مقاتل : " اتقوا " بمعنى وحدوا ربهم .[3]

---

(١) عثمان بن مقبل بن قاسم الياسري ، ثم البغدادي ، الفقيه ، الواعظ أبو عمرو ، جمال الدين ، الحنبلي ، من أهل الياسرية ، قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى ، صنف كتابا في طبقات الفقهاء ، وتوفي سنة ست عشرة وستمائة .
ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٢٢) ، والتمييز والفصل (٢ / ٨٠١) ، وشذرات الذهب (٥ / ٦٩) .

(٢) النشر (٢ / ٢٤٧) .

(٣) تفسير مقاتل (١ / ٢١٣) .

" نزلا من عند الله " وهو ما يهيىء للنزيل ، وهو الضيف . وانتصابه على المصدر تقديره : أنزلوها نزلا ، أو على الحال من " جنات " لتخصيصها بالوصف والعامل اللام ، وقال الفراء : على التفسير : كما تقول : هو لك صدقة ، هو لك هدية[1]

انتصابها على التفسير

((وما عند الله خير (٩٩/أ) للأبرار - ١٩٨))

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما من بر ولا فاجر الا والموت خير له ، ثم تلا " انما نملى لهم ليزدادوا اثما " وتلا " وما عند الله خير للأبرار "[2] .

ومعنى الآية : وما عند الله من ثواب المتقين الأبرار خير لهم من متاع الكفار في هذه الدار .

قوله ((وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم)) يعنى : القرآن ((وما أنزل اليهم)) يعنى كتابهم ، يعنى بهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كعبد الله بن سلام ، من اليهود ، والنجاشي من النصارى ، قال جابر ابن عبد الله : لما مات النجاشي صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه ، فقال قائل : يصلي على هذا العلج النصراني ، وهو في أرضه ، فنزلت هذه الآية[3].

قوله : ((خاشعين لله)) حال من فاعل " يؤمن " ، .

((لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا - ١٩٩)) كما فعل من لم يؤمن منهم من الأحبار والكبراء .

---

(١) لم أجد هذا النقل في معاني القرآن (١/ ٢٥١) : والذى فيه : كما تقول هو لك هبة وبيعا وصدقة " اهـ .

(٢) أخرجه ابن جرير (٧/ ٤٩٥) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه ابن جرير (٧/ ٤٩٧) بسند ضعيف ، فيه أبو بكر الهذلي ، قال ابن جرير (٧/ ٤٩٩) ذلك خبر في اسناده نظر . اهـ

قوله : ((يـأيها الذين ءامنوا أصبروا وصابروا ورابطوا - ٢٠٠)) .

قال ابن عباس : اصبروا على البلاء ، والجهاد[١] ، وقيل : اصبروا على دينكم وطاعة ربكم ، ((وصابروا)) عدوكم ، ((ورابطوا)) في سبيل الله[٢] ، وهو لزوم الثغر للجهاد ، وأصله من ارتباط الخيل .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم ، وأبو الحسن البغداديان ، قالا : أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا الداودي ، أخبرنا السرخسي ، أخبرنا الفربري ، حدثنا البخاري (٩٩/ب) حدثنا عبد الله بن منير ، سمع أبا النضر ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها[٣] ، وأخرج مسلم منه ذكر الغدوة والروحة فقط[٤] .

---

(١) زاد المسير (١/ ٥٣٣) .

(٢) عن ابن عباس رواه ابن المنذر ، قاله السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٤/ ٤٣) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٣/ ١٥٠٠) .

وفي أفراد مسلم من حديث سلمان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان (١) .

وهذا الذى أشرت اليه ، ودللت عليه قول ابن عباس ، والحسن ، وجمهور العلماء ، وهو المتبادر الى الأفهام ، وقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أنه قال - في هذه الآية : لم يكن في عهد زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة (٢) .

ويوضح هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله .

قال : اسباغ الوضوء على المكاره (١٠٠/أ) وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط ، فذالكم الرباط (٣) .

آخرها ، والحمد لله (٤) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٣ / ١٥٢٠) .

(٢) مستدرك الحاكم (٢ / ٣٠١) ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه . اهـ ، ووافقه الذهبي ، والقائل هو أبو هريرة ، فان أبا سلمة قال : سمعت أبا هريرة يقول فذكره ، وابن جرير في التفسير (٧ / ٥٠٤) وفيه ان أبا سلمة قال ، وانظر الدر المنثور (٢ / ٤١٦) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة (١ / ٢١٩) .

(٤) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي مجلسا عاشرا . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثاني والعشرين مرة ثانية .

﴿ سـورة النسـاء ﴾

* وهي مائة وخمس وسبعون آية في المدني ، وست في الكوفي *

((فصل))

اختلفت الرواية عن ابن عباس هل هي مكية أو مدنية والصحيح أنها مدنية الا قوله تعالى : ((ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمنت الى أهلها))[1] فانها نزلت بمكة[2]، حين أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ينزع مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي[3] فيسلمها الى العباس[4].

وغير بعيد أن تكون مشتملة على آيات نزلت بمكة ، لكن معظمها نزل على أسباب دل النقل والعقل على أن ذلك كان بالمدينة .

فما أدري ما وجه قول الحسن ، ومجاهد ، واحدى الروايتين عن ابن عباس : انها مكية .

أتراه يشك أحد أن تحريم الخمر كان بالمدينة ، وأن قصة طعمة بن[5] أبيرق

---

(١) النساء (٥٨) .

(٢) وهذا على القول بأن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة . أما على قول من قال ان المكي ما نزل قبل الهجرة ، ولو نزل بغيرها والمدني ما نزل بعد الهجرة ، ولو نزل بغيرها ، فالسورة كلها مدنية ولا يستثنى منها شيء البتة وهو الراجح . انظر الاتقان (١/ ٢٣) .

(٣) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار العبدري الحجبي ، صحابي شهير ، مات سنة اثنتين وأربعين . التقريب ٤٤٨٢

(٤) ستأتي قصته مستوفاة - ان شاء الله تعالى - عند تفسير الآية رقم (٥٧)

(٥) طعمة بن أبيرق بن عمير الأنصاري .
قال الحافظ في الاصابة : ذكره أبو اسحاق المستملي في الصحابة . وقال : شهد المشاهد كلها الا بدرا ، وقد تكلم في ايمان طعمة . الاصابة (٢/ ٢٢٤) .

سارق الدرع ، وقد نزلت فيه آيات كثيرة ، في هذه السورة - كانت بالمدينة.(١)

وأن قصة الزبير مع الأنصارى ، حين ترافعا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال للزبير : (اسق ثم أرسل الى جارك ، فقال : (١٠٠/ب) أن كان ابن عمتك - الحديث - . ونزل فيه : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك)) كانت بالمدينة .(٢)

وأن قصة المنافق الذى أراد أن يحاكم اليهودى الى الطاغوت، واليهودى يريد رفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت بالمدينة .(٣)

وقوله : ((ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم : لستَ مؤمنا))(٤) .

وأن الآيات التى نزلت في الجهاد ، والهجرة ، وصلاة الخوف كان ذلك كله بالمدينة .(٥)

وفي أفراد البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : ما نزلت سورة البقرة ، والنساء الا وأنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم -(٦) وكان دخوله بها في المدينة .

---

(١) ستأتي قصته مستوفاة - ان شاء الله تعالى - عند قوله تعالى " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " النساء (١٠٥)

(٢) سيأتي الحديث عنها - ان شاء الله تعالى - عند الآية رقم (٦٥) .

(٣) سيأتي الحديث عنها أيضا - ان شاء الله تعالى - عند قوله تعالى ((ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك)) الآية رقم (٦٠) .

(٤) النساء : (٩٤) .

(٥) بل معظمه نزل بالمدينة ، فقد نزل بعض هذا في مكة .

(٦) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن (٦ / ٢٢٨)

قوله عز وجل ((الذى خلقكم من نفس واحدة)) أى : فرعكم من أصل واحد ، وهو نفس آدم - عليه السلام - .

((وخلق منها زوجها)) يعنى حواء - عليها السلام - .

و " من " للتبعيض ، ان أريد بالنفس جملة آدم ، والا فهى لبيان الجنس أو لابتداء الغاية .

وقال ابن عباس وابن مسعود : خلقت بعد دخوله الجنة .

وقال كعب[(١)] ووهب[(٢)] وابن اسحاق[(٣)] : قبل دخوله الجنة .

قال ابن عباس : خلقت من ضلع من أضلاعه اليسرى[(٤)] .

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استوصوا بالنساء خيرا ، فانهن خلقن من ضلع ، وان أعوج شىء من الضلع أعلاه ، وان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج)[(٥)] .

---

(١) كعب بن ماتع الحميرى ، أبو اسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، مخضرم كان من أهل اليمن ، فسكن الشام ، مات في آخر خلافة عثمان .
التقريب (٥٦٤٨) .

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناوى - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون - مات سنة بضع عشرة ومائة .
التقريب (٧٤٨٥) .

(٣) محمد بن اسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي مولاهم ، المدني ، نزيل العراق ، امام المغازى ، مات سنة خمسين ومائة ، ويقال بعدها .
التقريب (٥٧٢٥) .

(٤) زاد المسير (٢/٢) .

(٥) البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ((واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة)) (٦/١٦١) ، ومسلم كتاب الرضاع (٢/١٠٩١) .

((وبث منهما)) أى : فرق ونشر في الأرض ، من آدم وحواء ((رجالا كثيرا ونساء)) .

ولما ذكّرهم سبحانه وتعالى ما دلهم (١٠١/أ) على عظيم قدرته وحكمته ، أمرهم بالتقوى رغبة في ثوابه ، ورهبة من عقابه .

فقال : ((واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام)) .

قرأ أهل الكوفة : تساءلون " بالتخفيف ، وشدده الباقون (١) .

فمن شدد فلأن أصلها تتساءلون - بتائين - فادغم التاء في السين لأنها من طرف اللسان وأصول الثنايا .

ومن خفف : حذف التاء الثانية .

والمعنى : تسألون به حوائجكم وحقوقكم ، كقول الرجل لأخيه : سألتك بالله ، ونشدتك بالله .

((والأرحام)) أى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، أو يكون عطفا على محل الجار والمجرور ، نحو مررت بزيد وعمرا .

ويؤيده قراءة ابن مسعود : " وبالأرحام " (٢) .

وقرأ حمزة : " والأرحام (٣) بالجر ، فعطف المظهر على المضمر .

قال سيبويه : لا يجوز عطف الظاهر على المكنى المخفوض من غير اعادة الخافض الا في ضرورة الشعر ، وانشد (٤) :

٦١- فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا . . فاذهب فما بك والايام من عجب

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١١٩) ، ولابن زنجلة ص (٨٨) والكشف (١/ ٣٧٥) والسبعة لابن مجاهد ص (٢٢٦) .

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (٢٤) ، والكشاف (١/ ٢٤١) .

(٣) الحجة لابى على (٣/ ١٢١) ولابن زنجلة (١٨٨) ، والسبعة لابن مجاهد (٢٢٦) ، والكشف لمكى (١/ ٣٧٥) .

(٤) البيت في الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٨٣ ، وشرح السيرافي (٢/ ٢٠٧) والانصاف (٢/ ٤٦٤) ، وابن عقيل (٣/ ١١٣) وهو غير منسوب .

وقال الزجاج : اجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم مظهر على اسم مضمر في حال الخفض الا باظهار الخافض[1] ،

كقوله تعالى : ((فخسفنا به وبداره الأرض))[2] .

ويستقبح النحويون : مررت به وزيد ،لأن المكنى المخفوض (١٠١ / ب) حرف متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين في الاسم ، فكره أن يعطف اسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقال أيضا الخفض في ((الارحام)) خطأ في العربية[3] لا يجوز الا في اضطرار الشعر ،وخطأ في الدين ،لأن النبي - صلى الله عليه وسلم -[4] قال : (لا تحلفوا بآبائكم)[5] .

قال ابن الأنباري : انما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت به عادتهم . فالمعنى : الذي كنتم تسألون به وبالأرحام في الجاهلية[6] .

---

(١) معاني القرآن (٢ / ٢) ،وحكاية الاجماع منقوض بما ذكر ابن الأنباري في الانصاف (٢ / ٤٦٣) ،من الخلاف بين البصريين والكوفيين فلا اجماع.

(٢) القصص (٨١) .

(٣) ما جاء في القرآن ليس خطأ في العربية ،فان القرآن هو الذي يحكم اللغة ، وليست اللغة كذلك ، وقراءة حمزة قراءة صحيحة فصيحة لا مطعن فيها ،وليس فيها خطأ في الدين - كما زعم الزجاج - فان معناها : واتقوا الله الذي تسألون به وتسألون بالأرحام .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ،باب السؤال بأسماء الله تعالى (٩ / ١٤٧) ،ومسلم ،كتاب الايمان (٣ / ١٢٦٧) .

(٥) معاني القرآن (٢ / ٢) .

(٦) زاد المسير (٢ / ٣) وهذا قول باطل لان الله تعالى لا يقر أقوال المشركين المخالفة ،وانما يذكرها فيبطل الباطل منها ،ويثبت الصحيح

= = = =

وقال مكى : هو قليل في الاستعمال ، بعيد في القياس لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر ، ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر ، فكما لا يجوز واتقوا الله الذى تسألون بالأرحام و " هـ " فكذلك لا يحسن تسألون به والأرحام " . (١)

قوله ((ان الله كان عليكم رقيبا — ١)) أى : حفيظا يرقب عليكم أعمالكم .

قوله " وءاتوا اليتمى أموالهم "

قال سعيد بن جبير : نزلت في رجل من غطفان ، كان معه مال كثير ، لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه ، فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله هذه الآية ، فلما سمعها العم قال : سمعنا وأطعنا ، نعوذ بالله من الحوب الكبير (٢) ، والخطاب بقوله : " وءاتوا " للأولياء والأوصياء .

(=) نحو قوله تعالى : " واذا فعلوا فحشة قالوا وجدنا عليها ءاباءنا والله أمرنا بها " الأعراف (٢٨) . فذكروا أمرين :
الأول : أنهم وجدوا آباءهم عليها ، والثاني : ان الله أمرهم بها فالأول صحيح ، والثاني : باطل ، ولهذا قال : " قل ان الله لا يأمر بالفحشاء " الآية فعلى هذا لا يصح ما قاله ابن الأنبارى ، وأيضا فان القراءة ليست من عند حمزة بل هى منقولة بالتواتر كغيرها .

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١ / ٣٧٥ - ٣٧٦) ، وهذا أيضا ليس بسديد فان قراءة حمزة قراءة صحيحة ثابتة بنقل العدول ، بل بالتواتر كغيرها من القرآن ، وليست مخالفة للغة العرب ، بل لو كانت مخالفة - كما زعموا - فلا عبرة بخلاف لغة العرب مع ثبوت تواتر القراءة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره (٢ / ق ١٠٣ / أ) ، ومن طريق مقاتل والكلبي ذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١٣٦) ، والثعلبي في تفسيره (٤ / ق ٣ / ب) ، والبغوى (١ / ٣١٠) ، ومقاتل (١ / ٢٢٢) .

وسماهم يتامى بطريق المجاز لقرب عهدهم باليتم ، ويجوز أن يكون المراد باليتامى : الصغار ، والمراد بايتائهم (٢ / ١٠٢ أ) أموالهم حفظها وتنميتها وكف الأيدى الخاطفة من قضاة السوء وولاته عنها الى أن يؤتوها سليمة.[١]

((ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب)) قال السدى : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ، ويجعل مكانها المهزولة ، ويأخذ الدراهم الجياد ويطرح مكانها الزيوف.[٢]

وقال غيره ((ولا تتبدلوا الخبيث)) وهو الحرام الذى يختزلونه من أموال الأيتام.[٣]

((بالطيب)) وهو الحلال من أموالكم .

((ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم)) أى ضامّين لها الى اموالكم .

قال السدى : لا تخلطوها بأموالكم ، ثم تأكلوها جميعا[٤]. انه يعنى أكل اموالهم .

---

(١) وهذا خلاف ظاهر الآية ، فقد صرحت بايتاء اليتامى أموالهم ، وهذا يحتمل أمرين :
أحدهما : أن المراد بالايتاء الانفاق عليهم منها .
الثاني : أن المراد به اعطاؤهم اياها بعد بلوغهم ورشدهم ـ كما سيأتي ـ وسماهم يتامى لقرب عهدهم باليتم ، اشارة الى المبادرة في دفع أموالهم اليهم .

(٢) تفسير ابن جرير (٧ / ٢٥٦) ، وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٠٣ / ب)

(٣) الخبيث يأتي بمعنى الردىء ، ويأتي بمعنى الحرام ، فمن الاول قوله تعالى ((ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)) ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مصلانا) يعنى الثوم والبصل ، وليستا حراما .

(٤) تفسير ابن ابى حاتم (٢ / ق ١٠٣ / ب) .

((كان حوبا كبيرا - ٢)) أى : اثما عظيما .

وقرأ الحسن : " حوبا - بفتح الحاء - . (١)

قال ابن قتيبة (٢) : فيه ثلاث لغات : حوب ، وحوب ، وحـــاب (٣) .

قال الفراء : أهل الحجاز يقولون : حوب - بالضم - ، وتميم يقولونه - بالفتـــح (٤) - .

قوله تعالى : ((وان خفتم ألا تقسطوا في اليتمى)) اختلفوا فـي تنزيلها ، وتأويلها ، فقيل : لما نزلت هذه الآية في اليتامى ، وما في أكـــل اموالهم من الحوب الكبير ، خاف الأولياء ، أن يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى ، وأخذوا يتحرجون من ولايتهم .

وكان الرجل ربما كان تحته العشر من الأزواج أو أكثر ، أو أقل فلا يقـــوم بحقوقهن ، ولا يعدل بينهن ، فقيل (١٠٢/ب) لهم : ان خفتم تـــرك العدل في أموال اليتامى فتحرجتم منها ، فخافوا أيضا ترك العدل في النساء

---

(١) مختصر ابن خالوية في شواذ القرآن (٢٤) ، والكشاف (١/٢٤٤) واتحاف فضلاء البشر (١٨٦) .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الكاتب الدينورى النحـــوى اللغوى ولد ببغداد ونشأ بها ، وتوفى سنة سبع ومائتين .
طبقات الأدباء لابن الأنبارى (١٥٩) ، وانباه الرواة (٢/١٤٣) .

(٣) تفسير غريب القرآن (١١٨) .

(٤) لم أجده في معاني القرآن ، وانما هو في زاد المسير (٢/٥) ، وانظر اللسان (١/٣٤٠) .

وقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرّج من ذنب ،أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تارك لجنس ذلك الاثم .

وهذا المعنى مروى عن ابن عباس ،وسعيد بن جبير ،وقتادة[1] والسدى ومقاتل[2] ،والأكثرين[3].

وقيل : كانوا لا يتحرجون من الزنا ،وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم : ان خفتم الجور في أموال اليتامى فخافوا الزنا ،فانكحوا ما حل لكم من النساء ،ولا تحوموا حول المحرمات .

وهذا المعنى مروى عن مجاهد[4].

وقيل : انهم تحرجوا من نكاح اليتامى ،كما تحرجوا من أموالهم فرخص الله لهم في ذلك ،فقيل لهم : وان خفتم يا أولياء اليتامى ،أن لا تعدلوا فيهن ،اذا تزوجتموهن فانكحوا عدد ايمكنكم العدل فيه .

وهذا مروى عن الحسن البصرى .

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ،أبو الخطاب البصرى ، مات سنة بضع عشرة ومائة . التقريب (٥٥١٨) .

(٢) مقاتل بن سليمان الأزدى الخرساني ،أبو الحسن البلخي ،نزيل مرو كذبوه وهجروه ،مات سنة خمسين ومائة . التقريب (٦٨٦٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (٧/٥٣٥) ،وأسباب النزول للواحدى (١٣٧) ، وتفسير مقاتل (١/٢٢٢ - ٢٢٣) وزاد المسير (٢/٦) .

(٤) تفسير ابن جرير (٧/٥٣٩) ،والثعلبي (٤/ق ٦/أ) والبغوى (١/٣٩١) ،وانظر زاد المسير (٢/٧) ،والدر المنثور (٢/٤٢٨)

وقيل : المعنى : وان خفتم يا أولياء اليتامى أن تجوروا في صدقاتهن ، أو تسيئوا صحبتهن لعدم من يغضب لهن ، ويقوم بنصرهن ، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم .

وهذا المعنى مروى عن عائشة - رضى الله عنها - .

أخبرني الشيخان : أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا : أخبرنا أبو الوقت اخبرنا الداودى ، اخبرنا ابن حمويه ، أخبرنا محمد بن (١٠٣/١ أ) يوسف ، أخبرنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب أخبرني عروة ابن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله عز وجل : ﴿ وان خفتم ألا تقسطوا في اليتمى ﴾ فقالت : يا ابن اختى ! هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها تشركه في ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها ، فيعطيها مثل مايعطيها غيره ، فنهوا عن أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن أعلى سنتهن في الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .(١)(٢)

وقال ابن عباس في رواية عنه : قصر الرجال على أربع من النساء من أجل أموال اليتامى(٣) ، لأن أولياء اليتامى مالوا على أموالهم بسبب كثرة النساء(٤) .

---

(١) في الأصل " بغير " .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير - سورة النساء (٦ / ٥٣ - ٥٤) .

(٣) تفسير ابن جرير ٧ / ٥٣٥ ، وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٠٥ / أ) ، وابن المنذر ، والفريابي ، قاله في الدر المنثور : ٢ / ٤٢٨ .

(٤) والقول الذى يعتمد عليه من هذه الأقوال ، هو قول عائشة ، لموافقته

= = =

قوله : ((وان خفتم)) أي علمتم . ((ألا تقسطوا)) أي : لا تعدلوا ، يقال : أقسط ، يقسط فهو مقسط : اذا عدل ، قال الله : ((ان الله يحب المقسطين)) [1] وقسط يقسط فهو قاسط : اذا جار ، قال الله ((وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)) [2] .

وقرأ ابراهيم [3] النخعي : تقسطوا - بفتح التاء [4] - ، وفيه وجهان :

أحدهما : انه من العدل أيضا ، قال الزجاج : قسط وأقسط واحد ، الا أن الأفصح أقسط اذا عدل [5] .

الوجه الثاني : انه من الجور ، على أن " لا " مزيدة (١٠٣/ب)

(=) لظاهر الآية ، فيكون المعنى ، وان خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صداقهن ونفقتهن ، فاعدلوا عنهن ، وانكحوا ماطاب لكم من النساء سواهن .

(١) الحجرات (٩) .

(٢) الجن (١٥)

(٣) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، أبو عمران الكوفي ، ثقة فقيه ، مات سنة ست وتسعين ومائة . التقريب (٢٧٠) .

(٤) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (٢٤) ، والمحتسب لابن جني (١/ ١٨٠) والكشاف (١/ ٢٤٤) .

(٥) لم أجده في معاني القرآن .

واليتامى : جمع لذكران الايتام واناثهم ، وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى ، والأصل أيائم ويتائم .

((فانكحوا ما طاب لكم من النساء)) أى ما حل ، لأن منهن ما هو حـــــرام .

وقرأ ابن أبى عبلة[1] : " من طاب[2] " على الأصل ، لأن " مـــن " لمن يعقل ، على أن العرب تضع " من " موضع " ما " و " ما " موضع " من " .

قال الله سبحانه ((والسماء وما بناها))[3] وقال : ((فمنهم من يمشى على بطنـــه))[4] .

وحكى ابو عمرو بن العلاء : أن أهل مكة اذا سمعوا الرعد قالـــوا سبحان ما يسبح له الرعد[5] .

وقال ابن جرير : أراد الفعل ولم يرد أعيان النساء ، فلذلك قال " ما " ولم يقل : " من "[6] .

---

(١) شعر بن يقظان بن المرتحل ، أبو اسحاق العقيلي الشامي المقدسي شيخ فلسطين ، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة ، في صحة اسنادها اليه نظر ، توفى سنة احدى ، وقيل اثنتين وقيـــل ثلاث وخمسين ومائة .
طبقات القراء لابن الجزرى (١ / ١٩) وسير اعلام النبلاء (٦ / ٣٢٣) وتهذيب تاريخ دمشق (٢ / ٢١٨) .

(٢) البحر المحيط (٣ / ١٦٢) .

(٣) الشمس (٥)

(٤) النـــور (٤٥)

(٥) تفسير الثعلبي (٤ / ق ٦ / ب) .

(٦) تفسير ابن جرير (٧ / ٥٤٢) وهذا هو الأليق بسياق الآيـــات .

وقال مجاهد : فانكحوا النكاح الذى طاب لكم[1] فـ" ما " علـى هذا عبارة عن النكاح .

وقيل : الاناث يجرين مجرى غير العقلاء ، ومنه ((أو ما ملكت أيمانكم))[2] .

وقيل : " ما " مصدرية ،أى نكاحا طاب لكم .

((مثنى وثلث وربع)) حال من " طاب " أو بدل من " طاب " ومنعهن الصرف ، العدل ، والوصف ،أو العدل عن صيغها ، والعدل عن تكريرها التقدير اثنتين اثنتين ، وثلاثا ثلاثا ،وأربعا أربعا ،كما قال في وصف الملائكة : ((أولى اجنحة مثنى وثلث وربع))[3] ولم يرد بشيء من ذلك العطف ،اذا العدول الى ذلك عن لفظ التسعة هي تأباه فصاحة القرآن وبلاغته (١٠٤/أ) .

قال القاضي ابو يعلى : الواو هاهنا لاباحة أى الأعداد شاء ، لا للجمع[4] ، وهذا العدد انما هو للأحرار لا للعبيد ،في قول الأئمة الثلاثة : أحمد وأبى حنيفة والشافعي ، وقال مالك : هم كالأحرار[5] وسباق الآية وسياقها يوجبان التقيد بالأحرار ،دون العبيد ألا تراه يقول ((أو ما ملكت أيمانكم)) والعبد لا يملك .

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ٥٤٢) ،وابن أبى حاتم (٢/ق ١٠٤/ب)
(٢) النساء (٣) .
(٣) فاطر (١) .
(٤) زاد المسير (٢/ ٨) .
(٥) المغني (٦/ ٥٤٠) ،والهداية (١/ ١٩٤) ،والروضة (٧/ ١٦٣) وبداية المجتهد (٢/ ٤٧) .

قوله " فان خفتم ألا تعدلوا [١] يعنى بين الأربع " فواحدة " أى فانكحوا واحدة ، وقرأ الحسن البصرى ، والأعمش : " فواحدة [٢] " بالرفع على معنى : فواحدة كافية " أو ما ملكت أيمنكم " يعنى من السرارى غير محصورات بعدد اذ لا قسم لهن .

" ذلك " اشارة الى نكاح الأربع أو الواحدة عند خوف الجور في الأربع

" أدنى " أقرب .

" ألا تعولوا - ٣ " أى تميلوا فتجوروا ، ومنه : عال الميزان اذا شال .

قال الفراء : عال الرجل يعول عولا اذا مال وجار .

وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وابراهيم ، وقتادة ، والربيع ، والسدى والزجاج ، وابن الأنبارى ، وجمهور العلماء .

وقال الشافعي رضي الله عنه : تعولوا : تكثر عيالكم .

ورده الزجاج فقال : جميع أهل اللغة يقولون : هذا القول خطأ [٣] . يريد الزجاج بذلك أنه انما يقال : أعال الرجل يعيل : اذا كثر عياله . وأفسده أيضا (١٠٤/ب) من حيث المعنى ، فقال : اباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع .

---

(١) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثالث والعشرين مرة ثانية .

قراءة متواترة (٢) التقريب والبيان (٥٨/خ) ، واعراب القراءات الشواذ (ق ٥١/ب)

(٣) معاني القرآن (٢/٧) .

وقد سلكوا في تصحيح قول الشافعي طرق منها :

انه لغة حمير ، وأنشـــدوا :

٦٢ - وان الموت يأخذ كل حـــي . بلا شك وان أمشى وعـــالا (١)

أى كثرت ماشيته وعياله .

ومنها : انه من عالت الفريضة اذا كثرت سهامها .

ومنها : ما ذكره الزمخشرى : انه من عال الرجل عياله يعولهـــم مثل : ما نهم يمونهم ،لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك مايصعب عليه المحافظة على حدود الورع ، وكسب الحلال ، وكلام مثل الشافعي من أعلام العلم ، ورؤس المجتهدين ، وأئمة الشرع ، حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف " تعيلوا " الى (تعولوا " .

الى أن قال : كان أعلى كعبا ، وأطول باعا في علم كلام العرب ، من أن يخفى عليه هذا .(٢)

قوله " وءاتوا النساء صدقتهن نحلة " الخطاب للأزواج ، وقيل للأولياء ، على وجه الزجر لهم عما ألفوه من حيازة صدقات النساء دونهن ، ردعا لهم عن نكاح

---

(١) البيت في الدر المصون (٣ / ٥٦٩) ، والبحر (٣ / ١٩٥) بغير نسبة .

(٢) الكشاف (١ / ٢٤٥) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ، في كلام مفاده : قد قال الشافعي ذلك ، - يعنى تفسيره تعولوا أى تكثر عيالكم - وخالفه جمهور المفسرين من السلف والخلف ، وهو قول أهل اللغة قاطبة ، وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة ، والربيع والسدى وابن مالك وعكرمة والفراء والزجاج وابن قتيبة وابن الأنبارى ، وروى ذلك مرفوعا ، وان كان ما قالـــه الشافعي صحيحا ، لكن يتعين تفسير الآية بالمعنى الأول لوجـــوه . ثم ذكر عشرة وجوه لتعين تفسير " تعولوا " بمعنى تميلوا وتجـــوروا تحفة المودود (٨ - ١٠) .

الشغار : وهو جعل الابضاع أعواضا في النكاح ، وواحد الصدقات صدقة وهي المهور .

" نحلة " مصدر أوحال من المخاطبين ، على معنى آتوهن ناحلين ، قال ابن عباس : نحلة فريضة وموهبة من الله للنساء (١٠٥/أ) وقيل ملة ودينا ، يقال : فلان ينتحل كذا أى يدين به .

" فان طبن لكم " أيها الأزواج أو الأولياء ، أو يكون الخطاب لجنس الرجال .

" عن شيء منه " الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة ، كأنه قال عن شيء من ذلك ، كقوله " قل أؤنبئكم بخير من ذلكم [1] بعد ذكر الشهوات ، أو يرجع الى معنى الصدقات ، وهو الصداق ، وقوله " نفسا " تمييز ، وهو اسم جنس " فكلوه هنيئا مريئا " وصفا مصدر محذوف ، أى أكلا هنيئا مريئا ، أو حال من الضمير في " كلوه " ، والهنيء : اللذيذ السائغ ، الخالص من شوائب التنغيص . والمريء المحمود العاقبة التام الهضم ، والمقصود المبالغة في الحل ، ونفي التبعة .

قوله : " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم " والسفهاء الجهلة ، وهذا نهى للانسان أن يدفع ماله الذى خوله الله اياه ، وجعله قواما لمعيشته الى من لا يقوم باستصلاحه من النساء والأطفال ، والمبذرين من الأولاد .

وكان السلف يقولون : المال سلاح المؤمن .

وكانوا يقولون : اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم ، كان أول ما يأكل دينه .

وكان سفيان الثورى يقلب بضاعته ويقول : لولاك لتمندل بي بنو العباس .

---

(١) آل عمران (١٥)

وقيل هو خطاب لأولياء الأيتام ، والسفهاء المحجور عليهم ، وأضاف الأموال الى الأولياء لانهم قوامها ، أولأنها الجنس الذى جعله الله أموالا للناس كقوله " من فتياتكم المؤمنات " [1] " التى جعل الله لكم قيما " قرأ الحسن : " اللاتي " [2] وهى بمعنى التى .

قرأ نافع وابن عامر : قيما بغير ألف (١٠٥/ب) .

وقرأ الباقون : بألف [3] .

وقرىء : شاذا " قواما " [4] بفتح القاف وكسرها على الأصل . والأكثرون قلبوا الواو ياءا لانكسار ما قبلها مثل صيام وقيام .

والمعنى في الجميع واحد ، أى تقوم بها أموركم ومعائشكم .

قال ابن قتيبة يقال : هذا قوام أمرك وقيام أمرك أى ما يقوم به [5] .

وقال الأخفش [6] : قياما ، وقواما ، وقيما ، وقوما واحد وجميعها مصادر [7] .

---

(١) النساء (٢٥) .

(٢) اتحاف فضلاء البشر ص (١٨٦) والتقريب والبيان (٥٨ خ) ، واعراب القراءات الشواذ (ق ٥٠/ب) .

(٣) الحجة لأبى على (٣/ ١٣٠) ، ولابن زنجلة (١٩٠ - ١٩١) والكشف (١/ ٣٧٦) ، والنشر (٢/ ٢٤٧) .

(٤) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (٢٤) ، والمحتسب (١/ ١٨٢) واعراب القراءات الشواذ (ق ٥٠/ب) واعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٦) .

(٥) تفسير غريب القرآن (١٢٠) .

(٦) سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، أبو الحسن المجاشعي مولاهم من أئمة النحاة البصريين ، توفى سنة خمس عشرة ومائتين .
طبقات الادباء لابن الأنبارى (١٠٧) وتاريخ العلماء النحويين : ٨٥ وانباه الرواة (٢/ ٣٦) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦) ، ومعجم الأدباء لياقوت (١١/ ٢٢٤) .

(٧) الحجة لابي على (٣/ ١٣٠) ، ومشكل اعراب القرآن لمكى (١/ ١٧٩) .

وقال قوم : القيم جمع قيمة كديمة وديم ، فالد راهم والدنانير قيم الأشياء ، واختار الزجاج هذا القول فقال : من قرأ قيما ، فالمعنى : أموالكم التي جعلها الله قيما للأشياء ، فبها تقوم أموركم[1] .

قال أبو علي[2] : وليس هذا بشيء[3] .

وقال الضحاك[4] في معنى الآية : بها الحج ، والجهاد ، وأعمال البر ، وفك الرقاب من النار[5] ، وهذا يندرج تحت عموم ما قاله غيره .

((وارزقوهم فيها)) أي منها[6] ، والرزق من العباد هو : الاجراء

---

(١) معاني القرآن (٢/١٠) .

(٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، أبو علي الفارسي النحوي ، كان من أكابر أئمة النحو ، صنف كتبا حسنة لم يسبق الى مثلها ، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .
طبقات الأدباء لابن الأنباري (٢٣٢) وانباه الرواة (١/٣٠٨) .

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٣/١٣٠) .

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم الخرساني ، مات بعد المائة . التقريب (٢٩٧٨) .

(٥) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١/ب) والبغوي (١/٣٩٣) .

(٦) عدا الفعل بـ" في " مع أنه في الغالب لا يتعدى الا بمن ، وللنحاة في مثل هذا الاسلوب طريقان : أحدهما : أن يضمن الفعل فعلا يناسب الحرف ، وهذا مذهب البصريين .
الثاني : أن يضمن الحرف حرفا يناسب الفعل ، وهذا مذهب الكوفيين ، فجرى المؤلف على مذهب الكوفيين ، وعلى مذهب البصريين يكون الرزق من الربح ، لا من رأس المال ، ففيه الاشارة الى الاتجار بمال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة والنفقات ، ولهذا آثر التعبير بـ" في" دون " من " وانظر تفسير النسفي (١/٢٠٧) .

الموظـــف [1].

((واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا - ٥)) أى لينا تطيب به قلوبهم من عدة جميلة ،أو رد حسن .

قوله ((وابتلوا اليتمى)) [2] سبب نزولها أن رفاعة قال : يارسول الله ان ابن اخى يتيم في حجرى ،فما يحل لى من ماله ،ومتى ادفعه اليه ، فانـــزل الله هذه الآية والمعنى اختبروا عقول اليتامى بالنظر في تصرفهم قبـــــل (١٠٦/أ) البلوغ .

((حتى اذا بلغوا النكاح)) أى وصلوا الى حال النكاح من الاحتـــــلام وانزال الماء .

((فان ءانستم منهم رشدا)) أى علمتم وأبصرتم ، ومنه ((ءانس من جانـــب الطور نارا)) [3] أى أبصر .

والرشد : الصلاح في العقل ، وحفظ المال ،فمتى بلغ عاقلا مصلحا لماله ،انفك الحجر عنه ،وهو مذهب امامنا وأبى حنيفة وأصحابه .

وذهب قوم الى : أن الرشد : الصلاح في الدين والمال [4].

منهم الحسن وربيعة ومالك والشافعي .
وعن ابن عباس : كالمذهبين .

(١) هذا أحد معاني الرزق ،وله معاني أخر ،والمراد به هنا الانفاق أى وانفقوا عليهم . وانظر المفردات للراغب (١٩٤) .

(٢) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادى عشر .

(٣) القصص (٢٩) .

(٤) المغني (٥١٦/٤ - ٥١٧) والهداية (٢٨٤/٣) ، وبدايـــة المجتهد (٣٤١/٢) وفيها " فان مالكا يرى أن الرشد هو تثمير

= = =

﴿ فصل ﴾

قد دلت هذه الآية على أن لرفع الحجر عن اليتيم شرطين :

أحدهما : البلوغ .

والثاني : الرشد .

فأما البلوغ فانه يكون بواحد من خمسة أسباب : ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء .

أحدها : انزال المني بجماع أو احتلام أو غيرهما بدليل قول الله تعالى : ((واذا بلغ الأطفال منكم الحلم))[1] ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ حين بعثه الى اليمن : " خذ من كل حالم دينارا "[2] .

(=) المال واصلاحه فقط ، والشافعي يشترط مع هذا صلاح الدين . اهـ والمنهاج (٥٩) وتفسير ابن جرير (٧/ ٥٧٦) ، والقول الأول هو الصواب . وصوبه في المغني وانتصر له ، وذكر الحجج على صحته .

(١) النور (٥٩) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٠) وأبو داود ، كتاب الزكاة باب زكاة السائمة (رقم ١٥٧٦ ، ٢/ ١٠١) والترمذي كتاب الزكاة باب ما جاء في زكاة البقر (رقم " ٦٢٣ " ٣/ ٢٠) ، والنسائي كتاب الزكاة ، باب زكاة البقر (٥/ ٢٥ - ٢٦) والحاكم (١/ ٣٩٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
كلهم من طريق الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن معاذ بن جبل وفيه اختلاف على الأعمش ، فمرة عن أبي وائل ، ومرة عن ابراهيم ، وعندي أن مثل هذا لا يسمى اختلافا ، فان الأعمش حافظ كبير ، ويجوز أن يكون الحديث عنده من الطريقين .
قال الترمذي : هذا حديث حسن وروى بعضهم هذا الحديث عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن وهذا اصح . اهـ ===

الثاني : بلوغ خمس عشرة سنة عندنا وعند الشافعي خلافا لابي حنيفة في تحديده سن البلوغ بسبع عشرة سنة في المشهور من الروايتين عنه ، والأخرى بثماني عشرة سنة . وخلافا لمالك في قوله (١٠٦/ب) لا بلوغ بالسن وان طال[1] .

الثالث : نبات الشعر الخشن حول الفرج خلافا لأبي حنيفة وأحد قولي الشافعي[2] .

وشذ مالك فجعل غلظ الصوت وانشقاق الأرنبة بلوغا في حق الغلام .

وسببان يختصان بالنساء وهما : الحيض والحمل[3] .

الشرط الثاني : الرشد وقد ذكرناه .

فان اختل أحد الشرطين لم ينفك عنه الحجر أبدا .

(=) قلت : يعني أنه مرسل ، وهذا فيه نظر ، فان الحديث جاء مسندا عن عدة من الثقات ولا سيما أبو معاوية عن الأعمش ، فقد أسنده ، وهو اثبت الناس في الأعمش ، فاذا اختلف الناس في حديثه فالقول قوله .

(١) المغني (٤/٥٠٩ - ٥١٠) والمنهاج (٥٩) والهداية (٣/٢٨٤) وتفسير القرطبي (٥/٣٥) .

(٢) المغني (٤/٥٠٩) ، والمنهاج (٥٩) وهو مذهب الشافعية .

(٣) كون الحمل علامة في البلوغ فيه نظر ، وذلك أن الحمل مسبوق بعلامتين ، الحيض أو الانزال ، أو هما معا ، فان الجارية الغالب من حالها أنها لا تحمل حتى تحيض ، فان حملت من غير حيض فالحمل مسبوق بالانزال ، الذي ينعقد منه الولد ، وهذا لا محالة ، فيكون البلوغ به لا بالحمل ، والله أعلم .

وقال أبو حنيفة : ينفك عنه الحجر اذا بلغ خمسا وعشرين سنة ، وان كان مفسدا لماله ،انى لا ستحى أن أحجر على من يصلح أن يكون جـــدّا[1]

وقال مالك : ان كانت جارية ،بقى الحجر عليها الى أن تتـــزوج فتكون تصرفاتها معلقة باذن زوجها الى أن تكبر وتجرب فتصير مطلقة التصرف.[2]

---

(١) الهداية (٣/٢٨٢) .

(٢) بداية المجتهد (٢/٣٤٠) ، والصواب من هذا كله أن الحجـــر لا ينفك الا بشرطين هما :

١) الرشد ،وهو الصلاح في المال .

٢) والبلوغ ، ويكون بأربعة أمور : الانزال ،وبلوغ خمس عشرة ســنة ونبات الشعر الخشن حول القبل ، وهذا عام في الغلام والجارية وتزيد الجارية بالحيض ،وأدلة هذه مبسوطة في كتب الأحكـــام. وذلك أن الحكم المشروط بشروط لا يتم الا بتوفر الشروط كلهـــا وقد شرط الله تعالى لفك الحجر عنهم شرطين :ايناس الرشـد وبلوغ النكاح .

فصل

واتفق جماهير الأمة ، ومشاهير الأئمة على شرعية الحجر على السفيه المبذر منهم : علي ، وعثمان ، والزبير ، وعائشة ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وفقهاء المدينة ، وفقهاء الشام ، والأئمة الثلاثة . وصاحبا أبي حنيفة[1] واسحاق امام خراسان[2] ، وأبو ثور[3] .

وادعى بعض العلماء الاجماع في هذه المسألة ، نظرا الى قصة جرت بين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي أن عبد الله بن جعفر اشترى أرضا سبخة بستين ألف درهم (١٠٧/أ) فغبن فيها ، فأراد علي أن يحجر عليه ، فأتى ابن جعفر الى الزبير ، فقال : اني اشتريت كذا ، وان عليا يريد أن يأتي أمير المؤمنين عثمان ، فيسأله أن يحجر علي . فقال الزبير : أنا شريكك في البيع ، فقال علي لعثمان : ان ابن جعفر اشترى كذا وكذا فاحجر عليه ، فقال الزبير : أنا شريكه ، فقال عثمان : كيف احجر على رجل شريكه الزبير[4] ؟

---

(١) وهما محمد بن الحسن الشيباني ، وأبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم الكوفي الأنصاري . انظر سير اعلام النبلاء (٩ / ١٣٤) ، (٨ / ٥٣٥)

(٢) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو محمد ، ابن راهويه المروزي ، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين . التقريب (٣٣٢) .

(٣) ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي ، أبو ثور الفقيه ، صاحب الشافعي ، مات سنة أربعين ومائتين . التقريب (١٧٢) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٦ / ٦١) ، والمغني (٤ / ٥١٨ - ٥١٩) وتفسير الثعلبي (٤ / ق ١٤ / ب) والبغوي (١ / ٣٩٥) .

وشذ ابو حنيفة فقال : لا حجر عليه ، وان كان افسق الناس ، وأشدهم تبذيرا ، وتابعه على ذلك زفر[1] ، ويقال : هو مذهب ابراهيم النخعي[2] .

قوله تبارك وتعالى ((ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا)) هما مصدران في محل الحال ، أي مسرفين ، مبادرين كبرهم .

أو مفعولان على معنى : لا تأكلوها لأجل اسرافكم ومبادرتكم كبرهم أكلا ذريعا .

((ومن كان غنيا فليستعفف)) عن مال اليتيم ((ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)) قال الحسن : أن يأكل بمقدار عمله وأجرته[3] .

وقالت عائشة : بمقدار حاجته .

وعن ابن عباس : كالقوليين[4] .

وقال الشعبي : لا يأكل الا أن يضطر اليه كما يضطر الى أكل الميتة[5] .

---

(١) زفر بن الهذيل العنبري ، الفقيه ، تفقه على أبي حنيفة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة .
سير أعلام النبلاء (٨/٣٨) ، (وأخبار أصبهان ١/٣١٧) .

(٢) الهداية (٣/٢٨١) ، والمغني (٤/٥١٨) وانظر ص :

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٠٨/ب) ، وزاد المسير (٢/١٦) والنكت والعيون (١/٣٦٤)

(٤) تفسير ابن جرير (٧/٥٩٣) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٠٨/ب)

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٥٨٤) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٠٩/أ) ، والثعلبي (٤/ق ١٥/ب) والبغوي (١/٣٩٦) .

وحكم الكسوة حكم الأكل .

واختلفوا في وجوب القضاء عليه اذا أيسر : .

فقال أمير المؤمنين (١٠٧/ب) عمر بن الخطاب : ألا انى أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ، ان استغنيت ، استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف . فاذا أيسرت قضيت .(١)

وأظهر الروايتين عن الامام أحمد : عدم وجوب القضاء ، تنزيلا لما أكله بالمعروف في مقابلة عمله .(٢)

أخبرنا أحمد بن عبد الله وعلى بن ابى بكر البغدادیان ، قالا أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، أخبرنا عبد الله ابن أحمد ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أخبرنا محمد بن اسماعيل حدثني اسحاق أخبرنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة .

في قوله تعالى : ((ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)) ؛ أنها نزلت في والى اليتيم اذا كان فقيرا ، أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بالمعروف . هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم في

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ٥٨٢) ، والسنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٥٤) والناسخ والمنسوخ للنحاس (١١٢) ، وتفسير الثعلبي (٤/ق ١٥/ب) والبغوى (١/ ٣٩٦) ، وانظر : الدر المنثور (٢/ ٤٣٦) .

(٢) حاصل ما تقدم أن لولى اليتيم أن يأكل من مال يتيمه بشرطين :
أحدهما : أن يكون فقيرا .
والثاني : أن يأكل بالمعروف .
وهذا اذا كانت ولايته من غير أجرة ، فان كانت بأجره فلا يأكل لأنه حينئذ يخرج عن حد الفقير .
وحيث أبيح له الأكل ، فالصواب أنه لا يجب عليه القضاء مطلقا ، لأن الشارع أذن له أن يأكل ، ولم يتعرض للقضاء ، فالأخذ باطلاق الآية هو الصواب .

= = = =

الصحيحين .(١)

قوله : ((فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم)) هذا أمر استحباب وارشاد لأولياء الأيتام الى الاشهاد عليهم عند تسليم أموالهم اليهم ، اظهارا للأمانة ، ودفعا للتهمة بالخيانة ، وقطعا لأسباب المخاصمة والتجاحد .

((وكفى بالله حسيبا - ٦)) قال ابن عباس : شهيدا .(٢)

وقيل : كافيا ، من قولك (١٠٨/أ) أحسبني كذا أي كفاني .

قوله تعالى : ((للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون)) .(٣)

قال ابن عباس ، وقتادة ، وجمهور المفسرين : كانوا لا يورثون النساء في الجاهلية ، ولا الصغار ، وانما يورثون من حاز الغنيمة .

وحمى الذمار ، فلما توفي أوس بن ثابت الأنصاري أخذ ابنا عمه ماله دون زوجته وبناته ، فجاءت زوجته الى النبي صلى الله عليه وسلم - فشكت اليه وذكرت له ذلك ، فانزل الله هذه الآية ، فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(=) لكن هل يستحب له القضاء أولا ؟ ربما يحمل خبر عمر رضي الله عنه ومن وافقه على الاستحباب . فالله أعلم .

(١) البخاري ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/ ٥٤) ، ومسلم ، كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٥) ، رقم (١٠) .

(٢) زاد المسير (٢/ ١٧) ، وأخرجه ابن جرير (٧/ ٥٩٦) عن السدي وابن ابي حاتم (٢/ق ١٠٩/ب) عن سعيد بن جبير .

(٣) كتب في الأصل وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الرابع والعشرين مرة ثانية .

الى ابنى العم : (لا تفرقا من مال أوس شيئا ، فان الله جعل لبناته نصيبا) ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل الله فيهن فأنزل الله ((يوصيكم الله في أولادكم)) الى قوله ((الفوز العظيم)) فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنى العم أن ادفعا الى الزوجة الثمن ، والى بناته الثلثين ، ولكما باقي المال[1] .

قوله تعالى : ((نصيبا مفروضا - ٧)) منصوب على الاختصاص باضمار أعنى أو حال .

وقال الأخفش : هو نصب على جعل لهم نصيبا[2] ، والآية تدل عليه ، لأن قوله : ((للرجال نصيب)) ((وللنساء نصيب)) يدل على معنى : جعل لهم نصيبا .

والمفروض : الذى فرضه الله ، وهو آكد من الواجب .

قوله : ((واذا حضر القسمة)) يعنى قسمة المواريث ((أولوا (١٠٨ / ب) القربى)) يريد أقرباء الميت الذين لا يرثون .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٧ / ٥٩٦ - ٥٩٩) وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٠٩ / ب) عن قتادة وعكرمة وابن زيد وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والواحدى في أسباب النزول (١٣٩) والثعلبي (٤ / ق ١٦ / ب) والبغوى (١ / ٣٩٦ - ٣٩٧) ، وذكره الحافظ في الاصابة (٤ / ٤٨٧ - ٤٨٨)

ويقال في اسم ابنى العم : خالد وعرفطة . انظر الخلاف في الاصابة (١ / ٨٠) .

(٢) تفسير القرطبي (٥ / ٤٨) وانظر معاني القرآن للأخفش (١ / ٢٢٧)

((فارزقوهم منه)) خطاب للورثة ، حضهم الله على الرّضخ[1] لأقاربهم تطييبا لقلوبهم . والضمير في ((منه)) لما يقسم ، أو يعود الى قوله : ((مما ترك الوالدان)) ، وغير مستبعد أن يعود الضمير الى ((نصيبا)) ولم أر أحدا ذكره .

والاكثرون على أنه امر استحباب ، اذ لو كان فريضة لحد ، وقدر كما في سائر الحقوق .

وذهب قوم منهم : مجاهد ، وابن سيرين الى أنه أمر ايجاب[2] ثم اختلف القائلون بالوجوب في والى اليتيم هل يرضخ من ماله ؟

فروى عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني[3] : أنه فعله ، وقال : لولا هذه الآية لفعلت ذلك من مالي ، وفعل نحو ذلك ابن سيرين[4] .

(١) الرضخ العطاء اليسير من غير تقدير ، المصباح المنير (٢٢٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٩) وابن أبي حاتم (٢/ق ١١٠/ب) والثعلبي (٤/ق ١٧/ب) ، والبغوى (١/ ٣٩٧) .

(٣) عبيدة بن عمرو السلماني ، بسكون اللام ، ويقال بفتحها ، المرادى أبو عمرو الكوفي ، تابعي كبير ، مخضرم ، فقيه ، كان شريح اذا أشكل عليه شيء يسأله ، الصحيح أنه مات قبل سنة سبعين .
التقريب (٤٤١٢) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ١٧) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١١٠/ ب) والثعلبي (٤/ق ١٨/أ) ، والبغوى (١/ ٣٩٧) .

وذهب قوم الى أنها منسوخة بآية الميراث[1] ، والصحيح أنها محكمة .

وفي الصحيحين عن ابن عباس : أنه قال : هي محكمة وليست بمنسوخة[2] ، ولكنها مما تهاون الناس بها .

وقال سعيد بن جبير : والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس[3].

((وقولوا لهم قولا معروفا - ٨)) قال الحسن والنخعي : أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات ، والمساكين ، واليتامى من العين - يريد ان الذهب والفضة - فاذا صارت القسمة الى الأرض والرقيق ، قالوا لهم قولا معروفا ، كانوا يقولون لهم : بورك (١٠٩/أ) فيكم[4] .

وقال سعيد بن جبير : ان كان الورثة كبارا دعوا لهم وان كانوا صغارا ، قال وليهم : لست أملك هذا المال ، انما هو لهؤلاء الصغار فاذا بلغوا أمرناهم أن يعرفوا حقكم[5].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١١٥) ، والايضاح لمكي (٢١٠) ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٢٥٣) .

(٢) البخاري ، كتاب التفسير ، سورة النساء ، (٦/٥٤) ، ولم أجده في مسلم ، فربما يكون سهوا من المؤلف ، أو قصورا مني .
ورواه ابن جرير أيضا (٨/٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/٨) ، والثعلبي (٤/ق ١٨/أ) وزاد المسير (٢/١٩) .

(٤) زاد المسير (٢/٢٠) .

(٥) تفسير ابن جرير (٨/١٥) وفيه " ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم " وهو اللائق بالمعنى ، وانظر الدر المنثور (٢/٤٤١) وزاد المسير (٢/٢٠) ، والثعلبي (٤/ق ١٧/ب) والبغوي (١/٣٩٧) عن ابن عباس .

قوله : ((وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفا)) .

قال ابن عباس : كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : انظر لنفسك ، فان أولادك لا يغنون عنك من الله شيئا ، فيقدم جل ماله ، وهذا قبل أن تكون الوصية بالثلث ، فكره الله ذلك منهم ، فانزل هذه الآية .(١)

والمعنى : وليخف الذين لو تركوا من خلفهم أولادا صغارا خافوا عليهم الفقر والضياع ، فليتقوا الله اذا حضروا عند الميت ، في ذريته وورثته ((وليقولوا قولا سديدا ـ ٩)) عدلا بين الغلو والتقصير .

والسداد ، والسدد ، والسديد بمعنى .

فانظر الى هذا اللطف كيف هيج سبحانه وتعالى دواعي شفقة الحاضرين عند الموصي على ذريته ، وورثته بتذكرهم موتهم ، وتخليفهم ذرية ضعافا ليبعثهم على القول السديد بباعثي الشرع والطبع .

وقيل : ان هذه الآية متعلقة بقوله : ((ولا تأكلوها اسرافا)) فيكون الخطاب لأولياء الأيتام ، ذكرهم سبحانه مايحبون لذريتهم الضعاف (١٠٩ / ب) بعد موتهم ، وما يخافون عليهم ، ليبعثهم على العدل في أموال الأيتام ، الذين هم تحت ولايتهم ، والنظر في مصالحهم ، والقيام بواجب ما استرعاهم الله عليه .

فعلى هذا يكون المعنى ((وليقولوا قولا سديدا)) للأيتام ، لا يزجروهم ولا ينهروهم ويخاطبونهم كما يخاطبون أولادهم بلطف وشفقة جبرا لكسريتهم وضعفهم .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ١٩) ، وابن ابى حاتم (٢ / ق ١١١ / ب) ، والثعلبي (٤ / ق ١٨ / ب) والبغوى (١ / ٣٩٨) .

قوله تعالى : ((ان الذين يأكلون أموال اليتمى ظلمـــــــــــا))

قال مقاتل : نزلت في رجل من غطفان ، يقال له : مرثد بن زيـــد . أكل مال ابن أخيه اليتيم.(١)

((انما يأكلون في بطونهم نارا)) أى ما يفضى بهم الى النار ، وخص الأكل بالذكر ، وان كان غيره في معناه ، لأنه معظم ما تذهب الأموال فيه . وذكر البطون للتوكيد ، كقوله : ((يطير بجناحيه))(٢) ، ((فويل لهم مما كتبـــت أيديهم))(٣) .

قال السدى : يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه وأذنيـــه وعينيه ، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم .(٤)

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأيت ليلة أسرى بـــي قوما لهم مشافر كمشافر الابل(٥) ، احداهما قالصة(٦) على منخريه ، والأخرى على بطنه ، وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها ، ثم يخرج من أسافلهم ، فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .(٧)

---

(١) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٩/أ) والبغوى (١/ ٣٩٨) .
(٢) الأنعام (٣٨) .
(٣) البقرة (٧٩) .
(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٦) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١١٢/أ) .
(٥) المشافر جمع مشفر ، والمشفر للبعير كالشفة للأنسان . النهاية (٤/ ٣٣٤)
(٦) قلصت شفته انزوت وشمرت . القاموس (٢/ ٣٢٦) .
(٧) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٧) وابن أبى حاتم (٢/ق ١١٢/ب) ، والثعلبي (٤/ق ١٩/ب) والبغوى (١/ ٣٩٨) كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

قوله : ((وسيصلون سعيرا - ١٠)) (١١٠/أ) قرأ ابن عامر ، وأبو بكر : " وسَيصلون " - بضم الياء - .(١)

والسعير : النار المشتعلة ، والمعنى : سيقاسون حر السعير .

قوله تعالى : ((يوصيكم الله في أولادكم)) .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم بن عبد الله العطار ، وعلي بن روزبة الصوفي ، قالا أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا أبو الحسن الداودي ، أخبرنا أبو محمد بن حموية أخبرنا الفربري أخبرنا البخاري ، أخبرنا ابراهيم بن موسى ، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم اخبرني بن المنكدر عن جابر : قال عادني النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني النبي لا أعقل فدعا بماء فتوضأ منه ، ثم رش عليّ ، فأفقت ، فقلت : ما تأمرني أن أصنع في مالي يارسول الله ، فنزلت : ((يوصيكم الله في أولادكم)) .

هذا حديث اتفق أئمة الاسلام على اخراجه في كتبهم ، فأخرجه الامام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو داود في سننه ، والترمذي في جامعه .(٢)

وقد أخرج أبو داود أيضا ، والترمذي من حديث جابر أن امرأة

---

(١) الحجة للفارسي (٣/١٣٦) ، ولابن زنجلة ص (١٩١) ، والكشف (١/٣٧٨) ، والنشر (٢/٢٤٧) .

(٢) المسند (٣/٣٥٢) ، وصحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٥٤) ومسلم ، كتاب الفرائض (٣/١٢٣٤) ، وأبو داود ، كتاب الفرائض ، باب في الكلالة (٣/١١٩) ، والترمذي ، كتاب الفرائض باب ميراث البنين مع البنات (٤/٤١٧) .

سعد بن الربيع جاءت بابنتيها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل أبوهما معك يوم أحد ، وان عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالا ، ووالله لا ينكحان أبدا ، الا ولهما مال فما ترى يارسول الله ؟ قال : يقضي الله في ذلك . فنزلت (١١٠/ب)آية الميراث ، فقال رسول الله : ادعوا لي المرأة وصاحبها ، فقال للعم : اعط ابنتي سعد الثلثين ، واعط أمهما الثمن ، وما بقي فهو لك .[1]

ومعنى ((يوصيكم الله)) يعهد اليكم ويأمركم في أولادكم ، أي في شأن ميراثهم ، ثم فصل ما أجمل فقال : ((للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن))

---

(١) أبو داود ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الصلب (٣/ ١٢١) والترمذي ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث البنات (٤/ ١١٤) وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل ، وهو مختلف في توثيقه .
قال ابن كثير رحمه الله تعالى : والظاهر أن حديث جابر الأول انما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة ، فانه انما كان له اذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وانما يورث كلالة . . . والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية ، والله أعلم اهـ (١/ ٤٥٧) .

يعنى المتروكات ، أو الوارثات ((نساء)) خلصا لا ذكر معهن ((فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك)) . أجمعت الأمة على أن لما فوق الثنتين ، الثلثين وأما الثنتان فكذلك في قول عامة أهل العلم ، الا ابن عباس فانه اعتصم بظاهر الآية ، ولم يعط الثلثين الا لأكثر من ثنتين .

قال القاضي ابو يعلى : انما نص على ما فوق الا ثنتين ، والواحدة ولم ينص على الا ثنتين ، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث كان لها مع الأنثى الثلث أولى .(١)

وقال غيره : ذكر الفوق زائد(٢) كقوله :

---

(١) زاد المسير (٢/٢٦) .

(٢) دعوى الزيادة تفتقر الى دليل ، ولا دليل يدل عليه ، بل الصواب أنها على بابها .
وانما نص الله تعالى على ما فوق الثنتين ، وعلى الواحدة ، وسكت عن ميراث الثنتين ، لأنه معلوم من ظواهر نصوص الكتاب ، وصريح السنة .
أما دلالة الكتاب فمن وجوه : أحدها ما ذكره القاضي .
الثاني : أن الله تعالى نص في آخر السورة على أن للاختين الثلثين وهو تنبيه على أن البنتين أولى به من الأختين لأنهن أمس رحما بالميت .
الوجه الثالث : أنه تعارض عندنا مفهومان ، والقاعدة عند تعارض المفاهيم أنه يقدم الأقوى ، فنقدم مفهوم قوله ((وان كانت واحدة فلها النصف)) لأنه مفهوم شرط محض ، بخلاف مفهوم قوله " وان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك " فانه وان كان مفهوم شرط الا أنه مشوب بظرف ، فضعف به ، على أن بعض الأصوليين يرى أن المفاهيم اذا تعارضت ، تتساقط ويبحث عن دليل آخر .
ومن السنة قصة ابنتي سعد بن الربيع ، وهو حديث حسن .
والله أعلم . وانظر أضواء البيان (١/٣٠٨) .

((فاضربوا فوق الأعناق))[1] . قوله : ((وان كانت واحدة)) وقرأ نافع واحدة بالرفع[2] . فمن نصب فعلى معنى : فان كانت الوارثة أوالمتروكة واحدة . ومن رفع فعلى معنى ،فان وقعت وحدثت واحدة ((فلها النصف)) . قوله ((ولأبويه)) يعنى لأبوى الميت ،فيكون كناية عن غير مذكور ، والمراد ، الأب والأم فغلب أحدهما ،كالقمرين (١١١/ أ) والعمرين .

وقيل : القياس أن يقال : أب وأبة كابن وابنة ،لكنهم اكتفوا بلفظ الأم ،فلما ثنى ،رجع الى القياس ،وغلب الأب للتذكير ،أو للخفة.

---

(١) الأنفال (١٢) .

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٥) ولابن زنجلة ص (١٩٢) والكشف (١/ ٣٧٨) ،والنشر (٢/ ٢٤٧) .

فصـــل

اعلم أن للأب ثلاثة أحوال :

حال : يرث فيها السدس بالفرض . وهي مع ذكور الولد[1] وولـــد الابـــن

وحال : يرث فيها بالتعصيب ، وهي مع عدم الولد .

وحال : يجتمعان له ، وهي مع اناث الولد ، يرث السدس بالفرض ، والباقي بالتعصيب .

فصـــل

وللأم أربعة أحوال :

حال : ترث فيها السدس ، وهي مع اثنين فصاعدا من الاخوة والأخـــوات ، ومع الولد أو ولد الابن . وكان ابن عباس لا يحجبها من الثلث بأقل مـــن ثلاثة من الاخوة والأخوات[2] وهو ظاهر القرآن .

وحال : ترث فيها الثلث . وهو مع عدم هؤلاء .

وحال : ترث فيها ثلث الباقي . وذلك في العمريتين ، وهما : زوج ، وأبوان

---

(١) الولد المراد به الابن والبنت .

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٨ / ٤٠) ، وسنن البيهقي (٦ / ٢٢٧) ومستدرك الحاكم (٤ / ٣٣٥) .
قال العلامة ابن القيم في اعلام الموقعين (١ / ٣٥٩) .
فهذا - يعني حجب الأم بالأخوين - مما تنازع فيه الصحابة فجمهورهم أدخلوا لفظ الاثنين في لفظ الأخوة ، وأبى ذلك ابن عباس ، ونظره أقرب الى ظاهر اللفظ ، ونظر الصحابة أقرب الى المعنى ، وأولى بـــه

====

وامرأة[1] ، وأبوان . للأم ثلث الباقي بعد فرض الزوجين ، وهو قول عامة أهل العلم ، الا ابن عباس ، فانه يجعل لها ثلث جميع المال[2] ، وتابعه شريح ، وداود .

وحال رابعة : وهي اذا نفى ولدها باللعان ، فانه ينقطع نسبه من جهة من نفاه ، فلا يرثه هو ، ولا أحد من عصباته ، وترث هي وذو الفروض منه فروضهم ، فما أبقت الفروض ورثته الأم بالتعصيب (١١١/ب)

(=) فان الأخوة انما حجبوها الى السدس لزيادة ميراثهم على ميراث الواحد ، ولهذا لو كانت واحدة ، أو أخا واحدا لكان لها الثلث معه ، فاذا كان الأخوة ولد أم كان فرضهم الثلث اثنين كانا أو مائة فالاثنان والجماعة في ذلك سواء . . . فحجبها عن الثلث الى السدس باثنين كحجبها بثلاثة سواء لا فرق بينهما البتة . . . . فظهر أن فهم جمهور الصحابة أحسن من فهم ابن عباس في حجب الأم بالاثنين . اهـ

(١) أي زوجه ، لكن المؤلف تجنب التعبير بها ، لأنها لغة قليلة واللغة العربية الفصحى ، اطلاق كلمة زوج على الذكر والأنثى قال الله تعالى : ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)) البقرة (٣٥) .
لكن علماء الفرائض استعملوا كلمة زوجة للتفريق بين الذكر والأنثى

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٢٢٨) ، وعبد الرزاق في المصنف ، قاله في الدر (٢/ ٤٤٦) ، وانظر اعلام الموقعين (١/ ٣٥٧) .

في قول ابن مسعود ، واحدى الروايتين عن الامام أحمد ، وهى اختيار[1] صاحبنا أبى بكر عبد العزيز .[2]

وقال على - رضى الله عنه - عصبته عصبة أمه ، وهى الرواية الأخرى عن الامام أحمد ، وهى اختيار[3] الخرقي .[4]

فان قيل : أى فائدة في قوله : ((وورثه أبواه فلأمه الثلث)) وهلا قال : فان لم يكن له ولد ، فلأمه الثلث ؟ . قلت : المعنى : وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث الباقي كما ذكرته آنفا .

---

(١) انظر المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين : (٢/ ٦٣) والمغني (٦/ ٢٦٠) ؛ والانصاف (٧/ ٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٢) عبد العزيز بن جعفر بن أحمد ، أبو بكر ، المعروف بغلام الخلال أحد مشاهير الحنابلة الأعيان ، صنف وجمع وناظر ، خالف الخرقي في ثمان وتسعين مسألة ، تتبعها ابن أبى يعلى في الطبقات في ترجمة الخرقي ، توفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . طبقات الحنابلة ٢/ ١١٩

(٣) مختصر الخرقي (٧٧) ، والمغني (٦/ ٢٦٠) ، والمسائل الفقهية (٢/ ٦٣) ، والانصاف (٧/ ٣٠٨ - ٣٠٩) ، وهذه الرواية هى المذهب ، والأولى اختيار شيخ الاسلام ابى العباس ابن تيمية النميرى .

(٤) عمر بن الحسين الخرقي ، أبو القاسم ، صاحب المصنفات الكثيرة في مذهب الحنابلة ، من أشهرها المختصر الذى صار معول من أتى بعده عليه ، حتى قيل انه شرح في ثلاثمائة شرح من أشهرها المغني لابن قدامة ، توفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .
طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥) .

قوله " فلأمه الثلث " .

قرأ حمزة والكسائي " فلا مه " بكسر الهمزة ، ومثله " في أمها[1] و " بطون أمهاتكم " [2] ، حيث جاء ،اذا كان قبل الهمزة كسرة ،أو ياء ،اتباعا لما قبلها وتفرد حمزة بكسر الميم أيضا مع الهمزة في الجمع ، وقرأ الباقون بضم الهمزة ،واتفقوا على ضم الهمزة في الابتداء[3] ، ومعنى الكلام : فلأمه الثلث ، والباقي للأب بالتعصيب .

قوله : ((فان كان له اخوة)) يريد من أي جهة كانوا ذكورا أو اناثا ، وقد ذكرنا اختلافهم في حجب الأم من الثلث الى السدس بالأخوين آنفا[4].

قوله ((من بعد وصية)) أي قسم الميراث على الوجه المذكور انما يكون بعد تنفيذ وصية الميت وقضاء دينه .

قرأ ابن كثير وابن عامر ،وعاصم : " يوصى " بفتح الصاد في الموضعين الا حفصا فانه قرأ يوصي الأول (١١٢/أ) بالكسر ،وقرأ الباقون بالكسر فيهما[5] .

قوله : ((آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا)) المعنى :لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا والآخرة ،فتقسموا أموالكم فيهم على حسب علمكم بمقادير نفعهم لكم ،ففرض الله مقادير الأنصباء للأقرباء بحكمته وعلمه .

---

(١) القصص (٥٩) .

(٢) النحل (٧٨) .

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٧) ،ولابن زنجلة ص (١٩٢) والكشف (١/ ٣٧٩) ،والنشر (٢/ ٢٤٨) .

(٤) ص (٤١٧) .

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ١٣٩) ولابن زنجلة ص (١٩٣) ، والكشف (١/ ٣٨٠) ، والنشر (٢/ ٢٤٨) .

((فريضة من الله)) نصب على المصدر .

((ان الله كان عليما حكيما - ١١)) فيما فرض لكم .

قال سيبويه : كأن القوم شاهدوا علما وحكمة ، فقيل لهم : ان الله كان كذلك أي لم يزل على ماشاهدتم ، ليس ذلك بحادث .

حكى الزجاج : ان لفظة " كان " في الخبر عن الله يتساوى ماضيها ومستقبلها ، لأن الأشياء عنده على حالة واحدة .(١)

قوله : (((٢) ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولـــــد))

هذا فرض الزوج من تركة زوجته عند عدم ولدها ، وولد ابنها منه ، أو من غيره .

وفرضه : الربع مع وجود ولدها ، أو ولد ابنها منه أو من غيره .

وفرض الزوجة من الزوج على النصف من ذلك في الحالين ، وللزوجات من الزوج الواحد اذا اجتمعن ما للزوجة اذا انفردت من الربع أو الثمن .

قوله ((وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة)) اعلم أن هذه الآية في شـــرح

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣) ، وزاد المسير (٢/ ٣٠) ، وما ذهب اليه الزجاج هو الصواب وهو أن كان ليست للمضى دائما بل تأتي للاستمرار كما هنا في قوله " ان الله كان عليما حكيمـــا " فهى مسلوبة الدلالة على الزمن ، وانما جيء بها لاتصاف اســـمها بخبرها .

(٢) كتب في الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الخامس والعشرين ، مرة ثانية .

توريث الكلالة ، وهم الذين ينسبون الى الميت بواسطة . وللعلماء (١١٢/ب) في الكلالة اختلاف ، ومقصود الكلام فيها يحصره فصول نظمها بعضهم فقال :

** الفصل الأول **

** كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة **

فاختيار أبي بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - أنها عبارة عمن سوى الوالد والولد ، وهو الصحيح - وبه قال علي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والزهري ، وقتادة والفراء .

وأما عمر - رضى الله عنه - فكان يقول : الكلالة من سوى الولد . وهو قول طاوس .

وقال الحكم : الكلالة ماعدا الولد ، وقيل : بنو العم الأباعد .

وقال عطية : الاخوة من الأم .

وروى عن عمر : أنه قال - لما طعن - : كنت أرى أن الكلالة : من لا ولد له ، وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر ، الكلالة : من عدا الوالد والولد .

وروى عن عمر أيضا : التوقف ، وكان يقول : ثلاثة لأن يكون بيّنهن رسول الله لنا أحب الىّ من الدنيا وما فيها : الكلالة والخلافة والربا .[1]

---

(١) انظر الكلام على هذه الآثار في تفسير ابن جرير (٨ / ٥٣) ومابعدها وابن أبي حاتم (٢/ق ١١٥/أ) ، وسنن البيهقي الكبرى (٦ / ٢٢٤) وما بعدها ، والثعلبي (٤/ق ٢٣/ب ، ٢٤) والبغوى : (١ / ٤٠٣ - ٤٠٤) .

(٤٢٣)

والدليل على صحة قول أبي بكر وجوه :

الأول : التمسك باشتقاق لفظ الكلالة ، وفيه وجوه :

الأول : يقال : كلت الرحم بين فلان وفلان : اذا تباعدت القرابة . وحمل فلان عن فلان ثم كلّ عنه : اذا تباعد . فسمّيت القرابة البعيدة (١١٣/أ) : كلالة من هذا الوجه .

الثاني : يقال : كلّ الرجل كلالة وكلالا : اذا أعي وذهبت قوته ، ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة ، لا من جهة الولاد ، وذلك لأنا بيّنا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير ، فيكون فيها ضعف . وبهذا يظهر أنه يبعد ادخال الوالد في الكلالة ، لأن انتسابه الى الميت بغير واسطة .

الثالث : الكلالة في أصل اللغة : عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل[1] لاحاطته بالرأس ، ومنه الكلّ ، لاحاطته بما يدخل فيه ، ويقال : تكلل السحاب اذا صار محيطا بالجوانب .

اذا عرفت هذا فنقول : من عدا الوالد والولد انما سموا بالكلالة لأنهم كالدائرة المحيطة بالانسان ، وكالاكليل المحيط برأسه ، أما قرابة الولاد فليست كذلك ، فان فيها يتفرع البعض عن البعض ، ويتولد البعض من البعض

---

(١) الاكليل شبه عصابة مزينة بالجواهر ، والجمع أكاليل على القياس ، ويسمى التاج اكليلا ، وكلله أي ألبسه الاكليل . قاله في اللسان (١١/٥٩٥)

كالشيء الواحد الذى يتزايد على نسق واحد ، ولهذا قال الشـــــاعر :

٦٣ - نسب تتابع كابرا عن كابر . ° . كالرمـــح أنبوبا علـى أنبـــوب[1]

فأما القرابة المغايرة لقرابة الولاد ، وهى كالاخوة والأخوات والاعمام والعمات ، فانما يحصل لنسبهم اتصال ، واحاطة ، بالمنسوب (١١٣ / ب) اليـــه فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية : أن الكلالة عبارة عمن عـــــدا الوالد والولـد .

الحجة الثانية : أنه ـ تعالى ـ ما ذكر لفظ الكلالة في كتابه الا في هذه السورة في موضعين : أحدهما في هذه الآية ، والثاني في آخر السورة وهو قوله : ((قل الله يفتيكم في الكللة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخـت فلها نصف ما ترك))[2] . واحتج عمر بن الخطاب بهذه الآية على أن الكلالة من لا ولد له فقط ، قال : لأن المذكور هنا في تفسير الكلالة هو : أنه ليس له ولد ، الا أنا نقول : هذه الآية تدل على أن الكلالة من لا والد لـــه ، ولا ولد ، وذلك لان الله حكم بتوريث الاخوة والأخوات حال كون الميت كلالة ولا شك أن الاخوة والأخوات لا يرثون حال وجود الأبوين ، فوجب أن لا يكون الميت كلالة ، حال وجود الأبوين .

الحجة الثالثة : أنه تعالى ذكر حكم الولد والوالد في الآيات المتقدمة ثم أتبعها بذكر الكلالة . وهذا الترتيب يقتضى أن تكون الكلالة من عدا الوالد والولـــد .

---

(١) لم أستطع العثور عليه .

(٢) النساء (١٧٦) .

الحجة الرابعة : قول الفرزدق [1] :

٦٤ - ورثتم قناة المجد ،لا عن كلالة . ° . عن ابني مناف عبد شمس وهاشم [2] / ١١٤

د ل هذا البيت على أنهم ما ورثوا الملك عن الكلالة ، ود ل على أنهم ورثوه عن آبائهم . وهذا يوجب أن لا يكون الأب داخلا في الكلالة .

الفصل الثاني

اعلم أن الكلالة قد تجعل وصفا للوارث ، وللموروث ، فاذا جعلناها وصفا للوارث ، فالمراد : من سوى الولد ، والوالد . واذا جعلناها وصفا للموروث فالمراد : الذى يرثه من سوى الوالد والولد .

أما بيان أن هذا اللفظ مستعمل في الوارث . فالد ليل عليه ما روى جابر بن عبد الله قال : مرضت مرضا ، أشفيت منه على الموت ، فأتاني النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة [3] " وأراد به : أنه ليس له لا والد ولا ولد .

---

(١) همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، أبو فراس البصرى ، شاعر عصره أرسل عن علي ، وروى عن أبي هريرة ، والحسن ، وابن عمر ، وأبي سعيد وطائفة . توفي سنة عشرومائة . معجم الشعراء (٤٨٦) ، وسير أعلام النبلاء (٥ / ٥٩٠) ، ومرآت الجنان (١ / ٢٦٥) .

(٢) لم أجده في ديوانه ، وهو في القرطبي (٥ / ٧٦) والدر المصون : (٣ / ٦٠٧) .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الفرائض (٣ / ١٢٣٥) .
ومعنى " أشفيت " أى اشرفت ، يقال أشفى المريض على الموت ، أى أشرف عليه . قاله في الصحاح (٦ / ١٣٩٤) .

وقال بعض الأعراب : مالي كثير ويرثني كلالة متراخـــــي نســـــــــبهم.[1]

وأما أنه مستعمل في الموروث ، فالبيت الذي رويناه عن الفـــرزدق فان معناه : انكم ماورثتم الملك عن الأعمام ،بل عن الآباء فسمّى العم كلالة وهو هاهنا موروث لا وارث .

اذا عرفت هذا فنقول : المراد من الكلالة في هذه الآية الميـــت الذي لايخلّف الوالد والولد ،لأن هذا الوصف انما كان معتبرا في الميّـــت الذي هو الموروث لا في الوارث الذي لا تختلف حاله بسبب أن له ولـــــدا أو والدا أولا.[2] (١١٤/ب) .

** الفصل الثالث **

يقال : رجل كلالة ، وامرأة كلالة ، وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع ،لأنـــه مصدر كالدلالة ، والوكالة .

اذا عرفت هذا فنقول : اذا جعلناها صفة للوارث أو الموروث كـــان بمعنى ذي كلالة ، كما تقول فلان من قرابتي : تريد من ذوي قرابتي .

وقيل : يجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٦١) ، وزاد المسير (٢/ ٣٢) .

(٢) أي لا والدا ولا ولدا .

﴿ الفصل الرابـــع ﴾

قوله : ((يورث)) فيه احتمالان :

(الأول) : أن يكون ذلك مأخوذا من ورث الرجل يورث وعلى هذا التقدير يكون الرجل هو الموروث منه .

وفي انتصاب ((كلالة)) وجوه :

أحدها : النصب على الحال ، والتقدير : يورث حال كونه كلالـــة[1] فالكلالة مصدر وقع موقع الحال ، والتقدير : يورث متكلل النسب .

وثانيها : أن يكون قوله : ((يورث)) صفة لرجل و ((كلالة)) خبر كـان والتقدير : وان كان رجل موروث منه كلالة .

والثالث : أن يكون مفعولا له أي يورث لأجل كونه كلالـــة .

(والاحتمال الثاني) : قوله : ((يورث)) يحتمل أن يكون مأخوذا من ورث يرث ، وعلى هذا التقدير يكون الرجل هو الوارث .

وانتصاب ((كلالة)) على هذا التقدير ايضا يكون على الوجوه المذكـــورة .

---

(١) فيكون حالا من الضمير في يورث ، وليس حالا من رجل ، لأن الحـال لا تأتي من النكرة .
ويصح مجيء المصدر المنكر حالا . قال ابن مالك في الخلاصـــة :
ومصدر منكر حالا يقع . بكثـــرة كبغتـــة زيـــد طلـــع
وهذا الوجه هو أحسن الوجوه .

﴿ الفصل الخامس ﴾

قرأ الحسن البصري ، وأبو رجاء العطاردي[1] : " يورّث " بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل[2].

قوله تعالى : ((وله أخ أو اخت)) يعني من الأم بالاجماع ، وقد صرحت بذلك قراءة سعد بن أبي وقاص ، وأبي بن كعب[3].

((فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث)) ذكرهم وانثاهم فيه سواء ، ولا يسقط ولد الام[4] أخا كان أو اختا الا بأربعة : الأب ، والجد وان علا ، والولد ، وولد الابن وان نزل .

قوله ((غير مضار)) حال ، والمعنى غير مدخل للضرر على ورثته بوصية لم يأذن الشرع فيها ، أو اقرار بدين لا يلزمه ((والله عليم)) بالعادل في وصيته

---

(١) عمران بن ملحان ، بكسر الميم وسكون اللام بعدها مهملة ، ويقال ابن تيم ، أبو رجاء العطاردي ، مشهور بكنيته ، مخضرم معمّر توفي سنة خمس ومائة ، وله مائة وعشرون سنة . التقريب (٥١٧١) .

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (٢٥) واعراب القراءات الشواذ (ق ٥١/ب) واتحاف فضلاء البشر (١٨٧) ، والقراءات الشواذ للقاضي (٣٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٦٢) وابن أبي حاتم (٢/ق ١١٥/أ) ، وسنن البيهقي (٦/ ٢٢٣) ، ولفظها " وله أخ أو أخت لام "

(٤) المراد به الأخ لام .

(حليم) عن الجائر ، اذ لم يعاجله بالعقوبة .

قوله ((تلك))[1] اشارة الى ما شرع من الأحكام في اليتامى ، والميراث ، والوصايا

((حدود الله)) سبق تفسيرها .

((ومن يطع الله ورسوله)) فيما أمر به ونهى عنه من هذه الأحكام وغيرهـــا .

((يدخله جنات - ١٣ ، ١٤)) ، وقرأ نافع، وابن عامر، " ندخله " بالنـــون في الموضعين[2] .

وانتصب " خالدين " و " خالدا " على الحال من الهاء في " يدخله " والتقدير : ندخله مقدرين الخلود فيها ، تقول مررت برجل معه بازى[3] صائدا به غـــدا . أى مقدرا للصيد (١١٥/ب) غدا ، وانما جمع " خالدين " حملا على معنـــى " مَن " ، ووحد " خالدا " حملا على لفظها .

وانما أوجب له الخلود لتعديه الحدود بالجحـــود .

وقد أخرج الامام أحمد في مسنده ، من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخيـــر سبعين سنة فاذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله ، وان الرجل ليعمل

---

(١) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلـــس الثاني عشر .

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٠) لابن زنجلة ص (١٩٣) والكشـــف (١/ ٣٨٠) ، والنشر (٢/ ٢٤٨) .

(٣) البازى طائر من فصيلة الصقر حياة الحيوان للدميري (١/ ١٠٨) .

بعمل أهل الشر سبعين سنة ، فيعدل في وصيته ، فيختم له بخير عمله ، فيدخل الجنة) . قال : ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا ان شئتم : ((تلك حدود الله)) الى قوله : ((عذاب مهين)) (١) .

قوله تعالى ((والتي يأتين الفاحشة من نسائكم)) .

قال الزجاج : التي تجمع اللاتي واللواتي ، قال الشاعر :

٦٥ - من اللواتي والتي واللاتي . زعمن أني كبرت لداتي

ويجمع اللاتي باثبات التاء وحذفها .

قال الشاعر :

٦٦- من اللائي لم يحججن يبغين حسبة . ولكن لتقتلن البريء المغفلا (٢)

والفاحشة : الزنا ، سمي بذلك لظهور قبحه .

((فاستشهدوا عليهن)) خطاب للحكام ((أربعة منكم)) يعني من المسلمين

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إنما جعل الله الشهود أربعة سترا ستركم به دون (١١٦/أ) فواحشكم (٣) .

---

(١) المسند (١٤/١٦٢ - ١٦٤ رقم ٧٧٢٨) وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه ، لكن يشهد له ما في المسند (٢/٤٨٤ - ٤٨٥) من حديث أبي هريرة أيضا ومن حديث أنس (٣/٢٥٧) .

(٢) معاني القرآن (٢/٢٦ - ٢٧) ، وانظر على البيت الأول . خزانة الأدب (٦/٨٠) ، وزاد المسير (٢/٣٤) ، والقرطبي (٥/٨٣) ، والبيت الثاني لعمرو بن أبي ربيعة ولم أجده في ديوانه المطبوع ، وانظر مجاز القرآن (١/١٢٠) ، وزاد المسير (٢/٣٤) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧/٣٧٤ - ٣٧٥) والبيهقي في الكبرى (٨/٣٣٠) بسند صحيح .

((فأمسكوهن في البيوت)) أى : احبسوهن ((حتى يتوفاهن الموت)) فان قيل : التوفى والموت واحد فكيف نسب الفعل اليه ؟

قلت : فيه اضمار ، تقديره : حتى يتوفاهن ملك الموت ،أو يكون المعنى : حتى يأخذهن الموت .

((أو يجعل الله لهن سبيلا ـ ١٥))

قوله : ((والّذان يأتيانها منكم فآذوهما)) اللذان تثنية الذى ويريد : الزاني والزانية .

وابن كثير يشدد النون هنا ،وفي " هذان " في طه[٢] والحج[٣] و" هاتين " في القصص[٤] " فذانك "[٥] في القصص أيضا و" اللذين " في السجدة[٦] . وافقه أبو عمرو في " فذانك " وقرأ الباقي كالباقين بالتخفيف على الأصل[٧] .

وحجة من شدد النون في هذه المواضع . الفرق بالتشديد بين النون التى تحذف للاضافة ،وبين النون التى لا تحذف للاضافة ، لأن المبهم معرفة فهو لا يضاف ألبتة .

---

(١) كتب في الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السادس والعشرين مرة ثانية .

(٢) طه (٦٣)

(٣) الحج (١٩)

(٤) القصص (٢٧)

(٥) القصص (٣٢)

(٦) فصلت (٢٩)

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٤١) لابن زنجلة ص (١٩٣ - ١٩٥) والكشف (١/ ٣٨١ - ٣٨٢) والنشر (٢/ ٢٤٨) .

وقيل : التشديد لهذه النون . للفرق بين النون التى هى عوض من تنوين ملفوظ به في الواحد ، نحو : زيد وعمرو ، والتي لا تنوين في الواحد ملفوظ به تكون النون عوضا منه .

وقيل : جعل التشديد عوضا من الحذف الذى لحق الكلمة ، ألا ترى أن قولهم : " ذا " . قد حذف لامها ، وقد حذفت الياء من اللذان وهذان وكان حقهما في التثنية : اللذيان (١١٦/ب) وهاذيان ، فجعل التشديد فيه عوضا من المحذوف عنه في التثنية .

((فئآذوهما)) قال ابن عباس : بالتوبيخ ، والتعيير ، والضرب بالنعال (١) .

((فإن تابا)) من الفاحشة ((وأصلحا)) العمل بعد ذلك ((فاعرضوا عنهما - ١٦)) أى عن أذاهما .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/٨٥) وابن أبى حاتم (٢/ق ١١٧/ ب) والثعلبي (٤/ق ٢٥/أ) والبغوى (٢/٤٠٦) .

فصـــــل

كان حكم الزانية في صدر الاسلام أن تحبس في البيت حتى تموت ، وحكم الزاني أن يؤذى كما قال ابن عباس . فنسخ الحكمان في حقهما . واختلفوا في الناسخ :

فذهب جماعة من المفسرين الى أنه نسخ بحديث عبادة بن الصامت ، وهو ما أخبرنا به الشيخان شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق ، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن[1] ببغداد قال كل واحد منهما أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي[2] ، أخبرنا ابو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي[3]

---

(١) محمد بن سعيد بن الخازن النيسابوري ، ثم البغدادي ، سمع أبا زرعة المقدسي ، وهو أحد رواة مسند الشافعي ، توفي سنة ثلاث وأربعين وست مائة .

سير أعلام النبلاء (٢٣ / ١٢٤) ، وشذرات الذهب (٥ / ٢٢٦) .

(٢) طاهر بن محمد المقدسي ، ثم الرازي ، أبو زرعة الشيباني ، سمع مكي بن منصور الكرجي ، توفي سنة ست وستين وخمسمائة .

سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٥٠٣) ، وشذرات الذهب (٤ / ٢١٧) .

(٣) مكي بن منصور بن محمد بن علان ، أبو الحسن الكرجي ، سمع بنيسابور من أبي بكر الحيري ، توفي سنة احدى وتسعين وأربعمائة .

سير أعلام النبلاء (١٩ / ٧١) ، وشذرات الذهب : (٣ / ٣٩٧) .

(٤٣٤)

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى[١] ، أخبرنا ابو العباس الأصم[٢] ، اخبرنا الربيع[٣] ، اخبرنا الشافعي اخبرنا عبد الوهاب[٤] عن يونس[٥] عن الحسن عن عبادة بن الصامت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر ، جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم "[٦].

---

(١) أحمد بن الحسن النيسابوري ، أبو بكر الحيري ، الشافعي ، حدث عن أبي بكر الأصم ، توفي سنة احدى وعشرين وأربعمائة .
سير أعلام النبلاء (١٧/٣٥٦) ، وشذرات الذهب (٣/٢١٧) .

(٢) محمد بن يعقوب النيسابوري ، أبو العباس الوراق ، المعروف بالأصم أخذ عن الربيع كتب الشافعي ، توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة طبقات الشافعية للأسنوي (١/٧٦) ، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٨٦٠) .

(٣) الربيع بن سليمان ، أبو محمد المرادي ، المؤذن بجامع مصر ، وخادم الشافعي ، روى الأم وغيرها ، توفي سنة سبعين ومائتين .
طبقات الشافعية للأسنوي (١/٣٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٨٧)

(٤) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي ، أبو محمد البصري مات سنة أربع وتسعين ومائة . التقريب (٤٢٦١) .

(٥) يونس بن عبيد بن دينار العبدي ، أبو عبيد البصري ، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . التقريب (٧٩٠٩) .

(٦) مسند الشافعي ص (١٦٤) .

قال الشافعي : وقد حدثني الثقة[1] أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة ، حطان الرقاشي[2] ، ولا أدري (١١٧/أ) أدخله عبد الوهاب فزل من كتابي أولا .[3]

قلت : الحديث صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه[4] عن يحى بن يحى عن هشام عن منصور عن الحسن عن حِطّان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة .

وهذا القول ليس بسديد ، لأن أخبار الآحاد ، لا تنسخ القرآن الثابت بالتواتر .

وقد اختلفوا في خبر التواتر هل ينسخ القرآن ؟

فذهب اكثر الفقهاء من الشافعية ، والحنابلة وأهل الظاهر الى امتناع ذلك[5] .

---

(١) هو يحى بن حسان ، كما صرح به في المسند ص (١٦٤) ، فقال : أخبرنا الثقة ، وهو يحى بن حسان . اهـ من تدريب الراوى (١ / ٣١٣)

(٢) حطان بن عبد الله الرقاشي ، عن على ، وأبى الدرداء ، وقرأ على أبى موسى ، قرأ عليه الحسن ، وروى عنه يونس بن جبير ، وأبو مجلز ثقة . الكاشف (١ / ٢٣٩) .

(٣) مسند الشافعي ص (١٦٤) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحدود (٣/ ١٣١٦) .

(٥) الرسالة للشافعي (١٠٦) والاحكام للآمدى (٤/ ١٣٩) والمحصول للرازى (٣/ ٥١٩) ، والتمهيد لأبى الخطاب (٢/ ٣٦٩) والاحكام لابن حزم (٤/ ٦١٧) .

قال الامام أحمد : لا ينسخ القرآن الا قرآن يجيء بعـــــــده.[1]

والى هذا أشار عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندرى أصدقت أم كذبت ، وكانت روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثا يخالف ظاهر القرآن .[2]

وذهب أبو حنيفة ومالك الى جواز ذلك .[3]

والصحيح أن حديث عبادة مبيّن للسبيل لا ناسخ .

وقال قوم : المراد بقوله : ((والذان يأتيانها منكم فآذوهما)) البكران ثم نسخ بقوله : ((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهمـــــا مائة جلدة)) .[4]

والذى يقتضيه البحث الصحيح : ظهور العموم في الثيّب والأبكار ، فنسخ في حق البكر بقوله : ((الزانية والزاني)) ونسخ في حق الثيّـــب بوحي رفع رسمه ، وبقي حكمه .

---

(١) العدة لأبى يعلى (٢/ ٦٨١) ، والتمهيد لأبى الخطاب ٢/ ٣٦٩

(٢) يعني بهذا حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها طلاقـــا بائنا ، فذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطالب زوجهـــا بالنفقة ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (ليس لك عليه نفقة) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق (٢/ ١١١٤) .

(٣) المغنى للخبازى (٢٥٥) ، وشرح تنقيح الفصول (٣١٣) والتمهيد لأبي الخطاب (٢/ ٣٦٩) .

(٤) النـــــور (٢) .

والى هذا أشار عمر بن الخطاب بقوله على المنبر يوم الجمعة (١١٧/ب) مع توافر المهاجرين والأنصار : " ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ، ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس زمان ، أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله " .

والرجم في كتاب الله حق على من زنا ، اذا أحصن من الرجال والنساء[1] ، والذى يدلك على أن هذا هو الصحيح ، وأن الحبس والأذى كان حكما للبكر والثيب قوله عليه السلام : " خذوا عني ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا " فبيّن السبيل في حق البكر والثيب ، فدل على أن الحكم المنسوخ كان متناولا لهما .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنا (٨/٢٠٨ - ٢١١) ، ومسلم ، كتاب الحدود (٣/١٣١٧) .

فصـــل

وقد دل قوله : ((فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما)) أن التوبة تسقط ما كان واجبا عليهما بسبب الفاحشة ، وهذا كان مخصوصا بذلك الحكم وفرعا عليه ، فزال بزوال أصله .

وأما الحكم اليوم ، فان الزاني ، لا يسقط عنه الحد اذا وجب عليه بالتوبة على الصحيح من أقاويل العلماء .[1]

---

(١) في هذه المسألة قولان :

أحدها : أن التوبة تسقط عنه الحد ، وهو احدى الروايتين عن الامام أحمد ، واحتجوا بعمومات الكتاب والسنة كقوله تعالى : ((قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

وفي الصحيحين أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبت حدا فأقمه عليّ ، فحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضيت الصلاة ، أعاد الرجل مقالته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أصليت معنا ؟ قال : نعم ، فقال ان الله قد غفر لك ذنبك) .

وقال الله تعالى - بعد حد السرقة - : " فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم " المائدة .

وصوب هذا القول ابن القيم في اعلام الموقعين .

الثاني : لا يسقط الحد بالتوبة وهو الرواية الثانية عن الامام أحمد واحتج أصحابه بقصة ماعز والغامدية . ====

فصـــل

قال صاحب الكشاف : يجوز أن تكون الآية غير منسوخة ، بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوماً بالكتاب والسنة ، ويوصى بامساكهن في البيوت بعد أن يحد دنا صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت (١١٨/أ) " أو يجعل الله لهن سبيلا " هو النكاح الذى يستعففن به عن السفاح (١).

قلت : وهذا قول ظاهر البطلان لوجهين :

أحدهما : أنه على خلاف ما عليه علماء التفسير من الصحابة فمن بعدهم

الثاني : أنه فسر السبيل بالنكاح ، وهذا مصادم لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة ، فيكون مُطَّرَحاً لمناقضته تفسير النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : إنما التوبة على الله)) أى إنما قبول التوبة على الله أو يكون المعنى : إنما التوبة المقبولة عند الله .

((((للذين يعملون السوء بجهالة)) ليس المراد بالجهالة ههنا عدم العلم بكون ما أتى به من المعصية ذنبا ، فان من كان بهذه المثابة معذور بسبب جهله .

وانما المعنى : يعملون السوء جاهلين سفهاء ، فيكون موضع قوله ((بجهالة)) النصب على الحال .

(=) قال ابن القيم وسألت شيخنا - يعنى شيخ الاسلام ابن تيمية - عن ذلك فأجاب بما مضمونه بأن الحد مطهر ، وأن التوبة مطهرة . . . والامام مخير بين أن يتركه ، كما قال لصاحب الحد الذى اعترف به " اذهب فقد غفر الله لك " وبين أن يقيمه ، كما أقامه على ماعز والغامدية . اهـ بتصرف .

(١) الكشاف (١/٢٥٦) .

قال مجاهد : كل عاص فهو جاهل حين معصيته .[1]

وقال الزجاج : آثروا العاجل بالآجل فسموا جهالا .[2]

((ثم يتوبون من قريب - ١٧)) قال ابن عباس : قبل أن ينزل به سلطان الموت[3] ، وذلك بمعاينة الملك .

وقد اخرج الامام أحمد رضي الله عنه في مسنده ، باسناده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "تقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه"[4] (١١٨ / ب)

((فأولئك يتوب الله عليهم)) وعد من الله الكريم بقبول التوبة .

قوله : ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات))

قال ابن عباس : يريد الشرك .[5]

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ٨٩) ، وابن أبي حاتم (٢ / ق ١١٨ / أ) ، وعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب ، قاله في الدر المنثور (٢ / ٤٥٩) .

(٢) معاني القرآن (٢ / ٢٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨ / ٦٤) وابن أبي حاتم (٢ / ق ١١٨ / ب) .

(٤) المسند (٩ / ١٧ - ١٨) رقم (٦١٦٠) وأخرجه أيضا الترمذي ، في كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة (٥ / ٥٤٧) وابن ماجه ، كتاب الزهد باب ذكر التوبة (٢ / ١٤٢٠) ، والحاكم في المستدرك ، كتاب التوبة (٤ / ٢٥٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في التعليق على المسند .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ق ١١٩ / ب) ونسبه في الدر المنثور (٢ / ٤٦١) الى ابن جرير ، ولم أجده فيه وانظر زاد المسير (٢ / ٣٨) .

وقال أبو العالية[1] ، وسعيد بن جبير : النفاق .[2]

والأظهر في نظرى : أنها سيئات المسلمين ،لأن الكلام في الزانيين والاعراض عنهما . وهو قول سفيان الثورى[3] . واحتج بقوله : ((ولا الذين يموتون وهم كفار)) .

قوله : ((حتى إذا حضر أحدهم الموت)) أى نزل به سلطانه ، وعاين الملائكة ((قال إنى تبت الآن)) فحينئذ لا تقبل توبته ،لأنه يصير مضطرا .

والقبول يتوقف على الايمان الاختيارى ، والتوبة الاختيارية .

وقد روى أن لقمان - عليه السلام - قال لابنه : يا بنى لا تؤخر التوبة ، فان ملك الموت يأتى بغتة .

((أولئك أعتدنا - ١٨))

قال أبو عبيدة : أفعلنا من العتاد .[4]

وقيل : ان التاء بدل من الدال .

---

(١) رفيع - بالتصغير - ابن مهران الرياحى ،بكسر الراء والتحتانية، مشهور بكنيته ،توفي سنة تسعين . التقريب (١٩٥٣) .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١١٩/ب) وانظر زاد المسير (٢/ ٣٨)

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ١٠١) وانظر زاد المسير (٢/ ٣٨) ،وهذا هو الأظهر ،لان السيئات تشمل جميع المعاصي ، الشرك وماد ونه .

(٤) مجاز القرآن (١/ ١٢٠) .

والمعنى : هيأنا لهم (عذابا أليما).

قوله عز وجل : ((يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها))

قرأ حمزة والكسائي " كُـرْها " بضم الكاف ،هنا وفي التوبة[1] ، والأحقاف[2] وفتحه الباقون ،غير أن ابن ذكوان[3] وعاصما وافقاهما على الضم في الأحقاف خاصة[4] ، وهما لغتان مشهورتان كالفَقْر والفُقْر والضَعْف والضُعْف (١١٩/أ)

وقد أخرج البخاري في صحيحه باسناده عن ابن عباس في قوله ((يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)) قال : كانوا اذا مات الرجل ، كان أولياؤه أحقَّ بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ،وان شاؤا زوجوها ،وان شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية .[5]

قال السدي : انما كان ذلك للأولياء ، ما لم تسبق المرأة فتذهب الى أهلها ،فان ذهبت فهي أحق بنفسها .[6]

---

(١) التوبة (٥٣) .

(٢) الاحقاف (١٥)

(٣) محمد بن سليمان بن ذكوان ،أبو طاهر ، البعلبكي ، مقرئ معمر ، نزل صيدا ،توفي سنة أربع وخمسين ومائتين ،وقيل سنة ستين . طبقات القراء لابن الجزري (٢/١٤٨) ،.

(٤) الحجة للفارسي (٣/١٤٤) ،ولابن زنجله ص (١٩٥ - ١٩٦) والكشف (١/٣٨٢) ، والنشر (٢/٢٤٨) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٥٥) .

(٦) تفسير ابن جرير (٨/١٠٧) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٢٠/أ - ب)

فعلى هذا القول ، المعنى : لا يحل لكم أن ترثوا نكاح النساء ، وهو قول جمهور العلماء والمفسرين .

وقد روى عن ابن عباس أيضا ، قال : كان يُلقِي حميم الميت على الجارية ثوبا ، فان كانت جميلة تزوجها ، وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها ، فأنزل الله هذه الآية . (١)

فيكون المعنى : لا يحل لكم أن ترثوا اموال النساء كرها (٢).

((ولا تعضلوهن)) نهى للأزواج عن امساك النساء على وجه الاضرار بهن ، ليفتدين أنفسهن .

واعراب ((ولا تعضلوهن)) النصب أى ولا أن تعضلوهن أو الجزم على النهي .

((الا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة)) قرأ ابن كثير ، وابو بكر : مبيَّنة بفتح الياء وكسرها الباقون (٣).

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/١٠٨) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١٢٠/أ)

(٢) الصحيح الثابت في سبب نزول هذه الآية هو ما أخرجه البخارى فلا يلتفت الى ما سواه ، الا أن الذى عليه المحققون ، أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فعلى هذا تشمل الآية النهى عن ارث نكاح النساء ، وأموالهن كرها ، وهو اختيار ابن كثير في التفسير .

(٣) الحجة للفارسي (٣/١٤٥) ، ولابن زنجلة ص (١١٩) ، والكشف (١/٣٨٣) والنشر (٢/٢٤٨ - ٢٤٩) .

والفاحشة (١١٩/ب) هي : النشوز ، وسوء الخلق ، وقيل : الزنا . فأيها وجد فللزوج عضلها ، والتضييق عليها حتى تفتدي .

((وعاشروهن بالمعروف)) أي صاحبوهن بالنصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ، والفعال .

((فإن كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا - ١٩)) قال ابن عباس هو الولد يرزقه الله منها فيجعل الله فيه خيرا كثيرا (١).

قال : الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي - رضي الله عنه - : فقد ندبت الآية الى امساك الزوجة مع الكراهة ، ونبّهت على معنيين : أحدهما : أن الانسان لا يعلم وجوه الصلاح فرب مكروه عاد محمودا ، ومحمودٍ عاد مذموما .

والثاني : أن الانسان لا يكاد يجد محبوبا ، ليس فيه ما يكره ، فليصبر على ما يكره لما يحب . وأنشدوا في هذا المعنى :

٦٧ - ومن لم يغمض عينه عن صديقه . . ومن بعض ما فيه يمت ، وهو عاتب

٦٨ - ومن يتبع جاهدا كل عثرة . . يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب (٢)

قوله تعالى : ((وان أردتم استبدال زوج مكان زوج)) أي امرأة مكان امرأة ((وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا)) سبق بيانه في أوائل آل عمران (٣) ((فلا تأخذوا منه)) أي من القنطار ((شيئا)) .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ١٢٣) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٢١/ب) .

(٢) زاد المسير (٢/ ٤٢) .

(٣) تقدم ص (٨٩)

وانما خص حال الاستبدال (١٢٠/أ) بالنهي ، لئلا يتوهم جواز الاسترجاع فيما بذل في مقابلة الابضاع ،عند انقطاع ،الانتفاع وهذا في حق المدخول بها ، والتي خلا بها تتنزل منزلة المدخول بها في تكميل المهر وايجاب العدة ،قضى به الخلفاء الراشدون الأربعة ،وذهب اليه الأئمة الأربعة خلا الشافعي في قوله الجديد .(١)

وفي هذا دليل على جواز استكثار الصداق .

وقد روى أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام خطيبا ،فقال : أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء ،فلو كانت مكرمة في الدنيا ،أو تقوى عند الله ،لكان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية ،فقامت اليه امرأة ،فقالت: يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا ،والله يقول : ((وءاتيتم احداهن قنطارا)) . فقال عمر : كل أحد أعلم من عمر .(٢)

---

(١) المغني (٦/ ٧٢٤) ،والهداية (١/ ٢٠٦) ، وبداية المجتهد : (٢/ ٢٦) والروضة (٧/ ٢٦٣) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (١/ ٢٧٧ رقم ٢٨٥) ،وأبو داود ، كتاب النكاح ،باب الصداق (٢/ ٢٣٥) ، والنسائي ،كتاب النكاح باب القسط في الصداق (٦/ ١١٧ - ١١٩) وابن ماجه ،كتاب النكاح باب صداق النساء (١/ ٦٠٧) وليس فيه فقامت اليه امرأة. وأخرجه أيضا عبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨٠) وسعيد بن منصور في السنن (١/ ١٥٠ - ١٥٤) بمعناه ،وانظر علل الدارقطني (٢/ ٢٣٢ - ٢٤٠) .

قوله تعالى : ((أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا - ٢٠)) البهتان : الباطل الذى يبهت منه ، وهو مصدر في موضع الحال ، والمبين الظاهر .

((وكيف تأخذونه)) استفهام في معنى التعجب والانكار .

((وقد أفضى)) أى وصل ((بعضكم إلى بعض)) ولا بسه .

وقال الفراء : هو الخلوة .(١)

((وأخذن منكم ميثقا غليظا - ٢١)) قال ابن عباس : هو الميثاق الذى (١٢٠/ب) أخذه الله للنساء على الرجال من الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان .(٢)

وقال الربيع : هو أمانة الله .(٣)

قال - صلى الله عليه وسلم - : استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .(٤)

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٥٩) .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ، وابن المنذر قاله في الدر المنثور (٢/ ٤٦٧) وانظر : زاد المسير (٢/ ٤٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٠) ، وانظر : زاد المسير (٢/ ٤٤)

(٤) قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف (٤٠) : هذا مركب من حديثين الأول أخرجه الترمذى - كتاب التفسير - (٥/ ٢٧٤) ، والنسائي - قال في تحفة الاشراف : في الكبرى - ، وابن ماجه - كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج - (١/ ٥٩٤) من حديث عمرو بن الأحوص ، قال : شهدت حجة الوداع فذكر حديثا وفيه واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم . ====

وقد أخرج الامام أحمد في مسنده ، من حديث صهيب بن سنان قال : قال رسول الله : " أيما رجل أصدق امرأة صداقا ، والله يعلم منه أنه لا يريد أداءه اليها ، فغرّها بالله ، واستحل فرجها بالباطل لقي الله يوم يلقاه ، وهو زان ، وأيما رجل إدّان من رجل دينا ، والله يعلم منه ، أنه لا يريد أداءه اليه ، فغرّه بالله ، واستحل ماله بالباطل ، لقي الله يوم يلقاه وهو سارق " .(١)

قوله تعالى : ((ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء))(٢) نزلت ناهية عما كانوا يفعلونه من نكاح الأبناء حلائل الآباء ، وذهب به مذهب الجنس ثم فسره بـ " من " .

وسواء في التحريم من دخل بها الأب أو لم يدخل بها اذا عقد عليها .

وقال القاضي أبو يعلى : قد يطلق النكاح على العقد ، قال الله تعالى ((إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن))(٣)

(=) والثاني - يعني قوله أخذتموهن بأمانة الله الحديث - أخرجه مسلم كتاب الحج (٢ / ٨٨٩ رقم ١٢١٨) من حديث جابر الطويل في صفة الحج فقال فيه " واتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " اهـ .

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤ / ٣٣٢) وفيه راوي مبهم .

(٢) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثالث عشر . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السابع والعشرين مرة ثانية .

(٣) الأحزاب (٤٩) .

وهو حقيقة في الوطء مجاز في العقد ،لأنه اسم للجمع ، والجمع انما يكون بالوطء ،فسمي العقد نكاحا لأنه سبب اليه[1].

قوله تعالى : ((إلا ما قد سلف)) قال الأخفش : المعنى : فانكم تعذبون به ،الا ما قد سلف فان الله وضعه (١٢١/أ) عنكم[2].

وقال قطرب : لكن ما قد سلف فدعوه[3].

قال الزمخشري : ان قلت : كيف استثنى " ما قد سلف " من ((ما نكح آباؤكم)) .

قلت : كما استثنى " غير أن سيوفهم " من قوله :

٦٩ - ولا عيب فيهم[4]

يعني إنْ أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف ، فانكحوه ،فلا يحل لكم غيره ،وذلك غير ممكن ،والغرض : المبالغة في تحريمه ،وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم : حتى يبيّض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط[5].

---

(١) زاد المسير (٢/٤٤) .

(٢) معاني القرآن (١/٢٣٢) .

(٣) زاد المسير (٢/٤٥) .

(٤) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه (٥١) .

(٥) الكشاف (١/٢٥٩) وتفسيره للآية فيه نظر ،لأنه مخالف لما عليه جمهور المفسرين من الخلف والسلف ، من تفسير قوله تعالى : ((الا ما قد سلف)) فمعفو عنه ،فهو بيان من الله تعالى أنه رفع الجناح عنكم لما وقع منكم في الجاهلية من نكاح زوجات الآباء .

وقال بعض أهل المعاني : ((إلا)) بمعنى الواو ، فالتقدير : ولا ماقد سلف فيكون المعنى : اقطعوا ما أنتم عليه من نكاح حلائل الآباء ولا تبتدأوا نكاحهن . ومنه قول الشاعر :

٧٠ - وكل أخ مفارقه أخوه . لعمر أبيك الا الفرقدان[1]

أى والفرقدان أيضا .

وعدل ابن جرير الطبرى بها عن ظاهرها فقال : المعنى ((ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم)) : أى مثل مانكحوا في الجاهلية ، على الوجه الفاسد الذى لا يجوز مثله في الاسلام . الا ما قد سلف في جاهليتكم من نكاح ، لا يجوز ابتداؤه في الاسلام ، فانه معفو لكم عنه . وهذا كقول القائل : لا تفعل ما فعلت ، يريد مثل ما فعلت[2] . (١٢١/ب) .

((انه كان فاحشة ومقتا)) يعنى نكاح حلائل الآباء .

والمقت ، هو : أشد البغض . فالمعنى : ان هذا النكاح يوجب المقت لفاعله عند الله .

وقال الزجاج : كانوا يسمون نكاح امرأة الأب في الجاهلية مقتا ،

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب ، وقيل لسوار بن المضرب ، وقيل لحضرمي ابن عامر وهو في سيبويه (٢/ ٣٣٤) ، وخزانة الأدب (٣/ ٤٢١) والانصاف (١/ ٢٦٨) ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (١/ ١١٦)

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ١٣٧) .

ويسمون الولد منه المقتى ، فاعلموا أن هذا الذى حرّم عليهم لم يزل منكرا عندهم معقوتا .[1]

((وساء سبيلا - ٢٢)) أى قبح هذا الفعل طريقا .

قوله تعالى : ((حرمت عليكم أمهاتكم)) قال الزجاج : الأصل في أمهات : أمّات ، ولكن الهاء زيدت مؤكدة ، كما زادوها في أهرقت الماء وانما أصله : أرقت .[2]

وقيل : الأصل في أم : أمهه ،قال قصى بن كلاب :[3]

٧١ - أمهتى خندف والياس أبى .[4]

والمراد : تحريم نكاحهن ،لأنه المتبادر الى الأفهام عند الاطلاق خصوصا وقد احتفت به قرائن في سباق الآية وسياقها ، ومن له أنس بعرف اللغة يعلم أنهم يريدون بقوله : ((حرّمت عليكم الميتة))[5] أكلها ، وحرم

---

(١) معاني القرآن (٢/٣٢) .

(٢) زاد المسير (٢/٤٦) .

(٣) هو جد النبي صلى الله عليه وسلم الرابع . جمهرة أنساب العرب ص (١٤) ، والاشتقاق ص (١٩) .

(٤) البيت في اللسان (١٣/٤٧٢) وشطره ،

عبد يناديهم بهال وهب

وفي القرطبي (٥/١٠٧) والدر المصون (٣/٦٣٩) ، والأمالي لأبى على القالى (٢/٣٠١) .

(٥) المائدة (٣) .

الطعام أى أكله ، دون لمسه " وتقبيله "[1] وحرمت عليكم الجاريـــــــة ، أى وطؤها ، فيذهبون في تحريم كل عين الى ما هى معدة له .

وذهب جماعة من الأصوليين الى أنها مجملة ، لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم حقيقة ، وانما يحرم فعل يتعلق بها ، فلا يدرى (١٢٢/أ) ماذا لك الفعل ؟ في الأمهات ؟ مثلا ، أو فى الميتة ؟ هل هو نظر أو لمس أو وطىء ؟ وقد أشرنا الى ابطال هذا من الوجه الذى ذكرناه .

ولأن المجمل : ما تردد بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر ، كالألفاظ المشتركة ، كالقرء للحيض والطهر ، والشفق للبياض والحمرة ، واعتقاد الاجمال في هذه الآية بالمعنى المذكور المحدود فرية بلا مرية .

وأمهات الرجل : النساء اللاتى ينسب اليهن بجهة الولاد ، من الذكور والاناث كأم الأم ، وأم الأب ، وأم أبى الأم ، وأم أبى الأب .

وبناته : كل أنثى ترجع اليه بالولادة من جهة الذكور والاناث كبنت البنت ، وبنت الابن ، وبنت ابن البنت - وأخواته من جميع الجهات محرمات عليـــــه .

والعمات ، والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخت على نحو ما ذكرناه من الانتساب بجهة الذكور ، والاناث ، فهؤلاء المحرمات بالنسب .

ثم إن الله ذكر المحرمات بالسبب فقال : ((وأمهاتكم التى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)) .

---

(١) كتب في الهامش : صوابه وتقليبه .

اتفق العلماء على أن الرضاع ينعقد سببا لتحريم النكاح لهذه الآية ولقوله - صلى الله عليه وسلم - : " يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب " . (١)

وهذا الضابط لا ينخرم الا في مسألتين :

احداهما : يحرم على الرجل (١٢٢/ب) أخت ابنه من النسب لأنها بنت حليلة التي دخل بها (٢) ، ولا تحرم عليه من الرضاع .

المسألة الثانية : تحرم عليه أم أخيه من النسب ، لانها موطوءة أبيه ، ولا تحرم عليه من الرضاع . (٣)

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب الشهادة على الأنساب (٣/٢٢٢) .
ومسلم ، كتاب الرضاع (٢/١٠٧٢) من طريق همام عن قتادة عن جابر ابن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) يعني أنها ربيبته ، وسيأتي الكلام على حكم الربيبة ان شاء الله تعالى .

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (١/٤٦٩) : والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك ، لأنه يوجد مثل بعضها بالنسب ، وبعضها انما يحرم من جهة الصهر ، فلا يرد على الحديث شيء أصلا البتة ، ولله الحمد وبه الثقة . اهـ

قلت : هو كما ذكره رحمه الله فان هاتين الصورتين اللتين استثناهما المؤلف انما حرمتا بطريق المصاهرة لا النسب فلا تدخل في الحديث اصلا حتى تستثنى منه ، لان الحديث انما هو في النسب خاصة .

فصل

اختلفت الرواية عن الامام أحمد - رضى الله عنه - في مقدار الرضاع المحرم ، فنقل عنه حنبل [١] : أنها رضعة واحدة ، وهو قول عمر ، وعلى ، وابن عمر وابن عباس ، والحسن ، والنخعي ، والزهرى ، والثورى ، وأبي حنيفة [٢] ، ومالك [٣] لعموم الأدلة .

ونقل عنه محمد بن العباس [٤] : أنه ثلاث رضعات ، لما أخرج مسلم في صحيحه باسناده عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تُحَرِّم المصة ولا المصتان " [٥] فمد لوله تحريم ما فوقهما

ونقل عنه أبو الحارث [٦] : أنه خمس رضعات متفرقات .

---

(١) حنبل بن اسحاق ، أبو على الشيباني ابن عم الامام أحمد .
قال الخلال : قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية .
توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين . طبقات الحنابلة (١ / ١٤٣)

(٢) الهداية (١ / ٢٢٣) .

(٣) بداية المجتهد (٢ / ٤١) .

(٤) قال في طبقات الحنابلة (١ / ٣١٥) : محمد بن العباس النسائي نقل عن امامنا أشياء . اهـ

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع (٢ / ١٠٧٥) .

(٦) أحمد بن محمد ، أبو الحارث الصائغ .
قال الخلال : كان أبو عبد الله يأنس به ، وكان يقدمه ويكرمه ، وكان عنده بموضع جليل . طبقات الحنابلة (١ / ٧٤) .

وهو المنصور في المذهب[1] ، وبه قال الشافعي[2] - رضي الله عنه - لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة ، قالت : أنزل في القرآن عشر رضعات يحرّمن ، فنسخ من ذلك خمس ، وصار الى خمس رضعات يحرمن فتوفي رسول الله والأمر على ذلك .[3]

وهذا الحديث أدل من الذى قبله ، لأن هذا دل بمنطوقه ، ودل ذاك بمفهومه .[4]

قوله تعالى : ((وأمهات نسائكم)) ذهب الأئمة الأربعة (١٢٣/أ) وجمهور العلماء الى تحريم أمهات النساء بمجرد العقد .

ونقل عن علي - رضي الله عنه - وابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير أنه يتوقف تحريم نكاحهن على الدخول ببناتهن .[5]

---

(١) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٣) والمغني (٧/ ٥٣٥ - ٥٣٦) وانظر الإقناع (٤/ ١٢٦) والمنتهى (٢/ ٣٦٢) .

(٢) المنهاج : (١١٧) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع (٢/ ١٠٧٥) .

(٤) وذلك أن القاعدة " اذا تعارض المفهوم والمنطوق قدم المنطوق " لأن المفهوم لا عموم له ، فيكون المعتمد على حديث عائشة المصرح بخمس رضعات ، وما جاء من نصوص الكتاب والسنة التى ذكر فيها مطلق الرضاع ، فانه من المعلوم أن المطلق يحمل على المقيد .

(٥) المغني : (٦/ ٥٦٩) وتفسير ابن جرير (٨/ ١٤٥) .

وكان ابن عباس يقرأ " وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهـــــن "
ويقول : والله ما أنزلت الا هكذا [1].

والذي يثبت كونه قرآنا ، ما نقل على لسان التواتر . وذلك مبهم في أمهات النساء .

قال مسروق [2]: هي مرسلة ، فارسلوا ما أرسل الله [3].

وسواء في التحريم أمهات النساء من النسب والرضاع [4].

قوله ((وربائبكم)) وهن بنات الزوجات ، وذكر الحجور خارج مخرج الغالب ، لا مخرج الشرط في تحريمهن ، حتى لو كانت ربيبته في بلدة أخرى لم يرهـــا ، ولم يحضنها في حجره ، فانها تحرم عليه . الا ما روى عن علي - رضي الله عنه - أنه شرط في تحريم الربائب كونهن في الحجور [5] ، وبه قال داوود [6].

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ١٤٧) ، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة قالـــه في الدر (٢ / ٤٧٣) .

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبو عائشة الكوفـــي ، فقيه عابد مخضرم ، مات سنة اثنتين - ويقال ثلاث - وستين . التقريب (٦٦٠١) .

(٣) اخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦ / ٢٧٤) ، والبيهقي في الكبرى (٧ / ١٦٠) .

(٤) هذا مذهب جمهور أهل العلم ، وذهب شيخ الاسلام أبو العبـــاس ابن تيمية الى جواز نكاح أم الزوجة من الرضاع وبنتها من الرضـــاع لان الرضاع لا يؤثر في المصاهرة . الاختيارات الفقهية (٢١٣)

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩) وابن أبي حاتم (٢ / ق ١٢٣ / ب) .

(٦) المحلى (١١ / ١٥٥) ، والمغني (٦ / ٥٦٩) .

قوله ((من نسائكم التي دخلتم بهن)) متعلق بـ ((ربائبكم))

ومعناه : أن الربيبة من المرأة المدخول بها ، محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : هل يصح أن يتعلق بقوله : ((وامهات نسائكم)) .

قلت : لا يخلو اما أن يتعلق بهن وبالربائب ، فتكون حرمتهن (١٢٣/ب) وحرمة الربائب ،غير مبهمتين جميعا .

واما أن يتعلق بهن دون الربائب ، فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة .

فلا يجوز الأول لأن معنى ((من)) مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر . ألا تراك اذا قلت : وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فقد جعلت " من " لبيان النساء ، وتمييز المدخول بهن (من غير المدخول بهن)[1] واذا قلت : وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ،فانك جاعل " من " لابتداء الغاية ،كما تقول : بنات رسول الله من خديجة ، وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني ،لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به فان قلت : ما فائدة قوله في حجوركم ؟

---

(١) ما بين القوسين ليس بالأصل فاستدرك من الكشاف .

قلت : فائدة : التعليل للتحريم[1] وانهن لا حتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بأمهاتهن ، وتمكن بدخولكم حكم الزواج ، وثبتت الخلطة والألفة ، وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مُجرى أولادكم .

فان قلت : ما معنى ((دخلتم بهن)) قلت : هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب ، يعني أدخلتموهن الستر .[2]

والباء للتعدية .

واللمس ونحوه يقوم (١٢٤/أ) مقام الدخول .

وعن عمر - رضي الله عنه - : أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له ، فقال : انها لا تحل لك .

وعن مسروق : أنه أمر أن تباع جاريته وقال : أما اني لم أصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر .

وهذا مذهب الحسن البصري وعطاء وحماد ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة[3]

---

(١) قلت : هذا لا يصح ، اذ لو كان ذكر الحجور علة في التحريم لكان نكاح الربيبة جائزا اذا لم تكن في حجره ، لان الحكم يدور مع علته وجودا وعدما ، والصحيح خلافه ، كما ذكره المؤلف آنفا .

(٢) الكشاف (١/ ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٣) انظر مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٧٧) ، وما بعدها ، وتفسير ابن جرير (٨/ ١٤٨) ، والقرطبي (٥/ ١١٣) .

وأحمـــــد .

وذهب ابن عباس وطاووس وعمرو بن دينار إلى أن التحريم لا يقـــع الا بالجماع وحده ، وهو مذهب الشافعي[1] .

قوله : ((وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم)) الحلائل : الزوجات واشتقاقهن من الحل أو من الحلول . كأنها تحل مع الزوج أين حـــــل .

وفي قوله : ((من أصلابكم)) بيان لحل زوجات الأدعياء . وقـد تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش امرأة دعيه زيـــد ابن حارثة .

((وأن تجمعوا)) في موضع رفع أى وحرم الجمع بين الأختيـــن ، وحكم الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين ، كالنكاح في مذهب الأئمـــة الاربعة ، وأكثر العلماء وقد روى عن امير المؤمنين عثمان وعلى رضى الله عنهما أنهما قالا : أحلتهما آية ، وحرمتهما آيـــة[2] ، يشيران الى هذه الآيـــة

---

(١) وفصل الخطاب في هذا أن معنى قوله : " من نسائكم التى دخلتم بهن " أى خلوتم بهن خلوة تتمكنون معها الجماع ، وقد تقـــدم الكلام على التضمين والخلاف فيه بين البصريين والكوفيين ، ففى هذه الآية معنى دخلتم بهن ، خلوتم بهن ، فلا يكفى فى التحريم مجرد التقبيل واللمس من غير خلوة ، ولا يشترط الجماع ، وذلك أن الخلوة مقدمة الجماع . وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٤٧١) .

(٢) أثر عثمان أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٥٣٨) بسند صحيـــــح . وأما أثر على فأخرجه ابن أبى شيبة في المصنف (٤ / ١٦٩) والبزار (كشف الأستار ٢ / ١٦٦) .
قال في مجمع الزوائد (٤ / ٢٦٩) ورجاله رجال الصحيح . اهـ

والى قوله : ((أو ما ملكت أيمانكم)) فرجح عثمان التحليل ، وعلى التحريم[1] والقول على قوله : ((إلا ما قد سلف)) كما قد سلف (١٢٤/ب) الا أن قول ابن جرير ثمّ لا يصلح هنا ((إن الله كان غفورا رحيما - ٢٣)) رحمكم وغفر لكم ما كان منكم قبل التحريم .

قوله تعالى : ((والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم))[2] سبب نزولها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سبى أهل أوطاس[3] قيل له يارسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن ؟ فنزلت هذه الآية ، ونادى منادى رسول الله : ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تستبرأ بحيضة .[4]

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤١) : أما عثمان فلم أجد عنه التصريح بالتحليل ، وانما توقف ، وأما على ففي رواية الموطأ (٥٣٩/٢) فخرج من عنده - يعني عثمان - فلقي رجلا من الصحابة - قال الزهري : أراه عليا - فسأله ، فقال : لو كان لي من الأمر شيء ، ثم وجدت أحدا فعل ذلك لجعلته نكالا . اهـ بتصرف . قلت : وهو في مسند الشافعي ص (٢٨٩) من طريق مالك .

(٢) كتب في الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثامن والعشرين مرة ثانية .

(٣) أوطاس واد في ديار هوازن ، فيه كانت وقعة حنين . اهـ من معجم البلدان (٢٨١/١) .

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الرضاع (١٠٧٩/٢) .

واتفق القراء السبعة على فتح الصاد من " المحصنات " هنا ، وكسرها الكسائي فيما عدا هذا الموضع من المحصنات ، ومُحصِنَات من أحصنّ أنفسهن بالعفاف ، فهن مُحصِنات .

ومن فتح الصاد ، أجرى الفعل على ما لم يسم فاعله ، أى أحصنهن غيرهن من زوج أو ولى . ولذلك فتح الكسائي الصاد هٰهنا ، لأن الآية نزلت في تحريم ذوات الأزواج (١) .

وأصل الاحصان : المنع ومنه : الحصن ، والحصان ، ويطلق على ذوات الأزواج ، والعفائف (٢) ، والحرائر (٣) ، وكل ذلك مذكور في تفسير " المحصنات " هاهنا .

فان كان المراد : ذوات الأزواج - وهو الأظهر في التأويل لما ذكرناه من سبب التنزيل - فيكون المعنى : وحرمت عليكم (١٢٥/أ) المحصنات الا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب فانهن حلال بعد الوضع ان كنّ

---

(١) الحجة لأبى على (٣/ ١٤٦ - ١٥٠) ، ولابن زنجلة ص (١٩٦ - ١٩٧) والكشف (١/ ٣٨٤) والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) مثاله قوله تعالى : " ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم " النور (٢٣) .

(٣) مثاله قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم " الآية . النساء (٢٥) .

حوامل ، أو بعد الاستبراء ان كن حوائل ، وان لم يطلقن لاختلاف الدار

والى هذا المعنى نظر الفرزدق في قوله :

٧٢ - وذات حليل انكحتها رماحنا . حلال لمن يبنى بها لم تطلق (١)

فان اشترى أمة محصنة بزوج ففي انقطاع النكاح بذلك اختلاف بين الصحابة . والصحيح المشهور : أنه لا ينقطع .

وان كان المراد : العفايف ، فالمعنى : هن حرام عليكم الا ما ملكت أيمانكم منهن بالنكاح أو غيره .

وان كان المراد : الحرايز ، فالمعنى : وحرمت عليكم الحرايز بعد الأربع الا ما ملكت أيمانكم فانهن غير محصورات بعدد .

قوله تعالى : ((كتب الله عليكم)) قال الزجاج : هو مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم كتابا (٢) ، وقال نحاة الكوفه : هو منصوب على الاغراء بـ " عليكم " وفيه ضعف ، لأن مانتصب بالاغراء لا يتقدم على ما قام مقام الفعل .

قوله ((وأحل لكم)) عطفه على الفعل المضمر الذى نصب ((كتب الله)) تقديره : كتب الله عليكم تحريم ذلك ، وأحل لكم .

---

(١) ديوانه (٣٩٨) .

(٢) معاني القرآن (٢/٣٥ - ٣٦) .

وقرأ أهل الكوفة . الا ابا بكر : " وأحل لكم (١٢٥/ب) بضم الهمزة وكسر الحاء ،عطفا على قوله : ((حرمت عليكم)) .[1]

((ما وراء ذلكم)) أى ما بعد هذه الأشياء المحرمة .

وعموم التحليل مخصوص بالسنة ،فانها حرّمت الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها .[2]

((أن تبتغوا)) في موضع نصب أو رفع على البدل من " ما " على حسب اختلاف القراءتين في ((وأحل لكم)) .

((أن تبتغوا باموالكم)) اما نكاحا بالصداق واما شراء بالثمن

وقيل : هو مفعول له ،بتقدير : بيّن لكم ما يحل مما يحرم ارادة

((أن تبتغوا بأموالكم محصنين)) عاقدين للتزويج ،أو متعففين .

((غير مسافحين)) أى زانين ،وسمى الزنا سفاحا ،لسفح الماء ضائعا ، لا في نكاح ،ولا ملك .

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٤٦) ولابن زنجله ص (١٩٨) والكشف (١/ ٣٨٥) والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب لا تنكح المرأة على عمتها (٧/ ١٥) ومسلم ،كتاب النكاح (٢/ ١٠٢٨) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ولفظه " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها " ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يجمع بين المرأة وخالتها ولا بين المرأة وعمتها " .

وهما حالان من المضمر في " تبتغـــوا "

قوله ((فما استمتعتم به منهن)) الضمير في " به " راجع الى لفظ " مـــا "

والمعنى : فما تلذذتم ، وانتفعتم من النساء بالنكاح الصحيح .

((فـآتوهن أجورهن)) أى أعطوهن مهورهن ((فريضة)) حال أو مصدر في موضع الحال .

((ولا جناح عليكم)) أى لا اثم عليكم ((فيما تراضيتم به من بعـــــــــد الفريضة - ٢٤)) من وفاق أو افتراق ، أو زيادة أو نقصان في الصداق .

فصـــل

قد ذهب جماعة الى أن هذه الآية نزلت في المتعة (١٢٦/أ) واباحتها ثم نسخت بعد[١].

والصحيح أنها محكمة ، وأن المتعة انما أبيحت بالسنة ، ثم نسخت بالسنة ، والأحاديث الناسخة لا باحتها مخرّجة في الصحيحين[٢].

وقد روى أن ابن عباس : كان يفتي باباحتها ، ويقرأ " فما استمعتم به منهن الى أجل مسمى[٣] " فرجع عن ذلك عند موته ، وقال : اللهم انـــي أتوب اليك من قولي بالمتعة ، وقولي في الصرف[٤].

---

(١) انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٢٦) ومكى بن أبي طالب: ٢٢١ وابن الجوزى (٢٦٩) .

(٢) انظر مسند الامام أحمد (٣٢/٢ رقم ٥٩٢) وصحيح البخـــارى ، كتاب النكاح ، باب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكـــاح المتعة (١٦/٧) ومسلم ، كتاب النكاح (١٠٢٢/٢) وما بعدها .

(٣) المصاحف لابن أبى داود (٨٧) .

(٤) أما رجوعه عن المتعة فرواه الترمذى ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في نكاح المتعة (٤٣٠/٣) .
قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤١) رواه الترمذى بسند ضعيف عنه ، وأما قوله " اللهم انى أتوب اليك من قولي بالمتعة " فلم أجده . اهـ
وأما رجوعه عن الصرف فرواه ابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب من قال لا ربا الا في نسيئة (٧٥٩/٢) عن أبى الجوزاء وفيه " ثم بلغني أنه رجع عن ذلك ، فلقيته بمكه فقلت : انه بلغني أنك رجعت ، قال نعـــم . انما كان ذلك رأيا منى . وهذا أبو سعيد يحدث عن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الصرف . ====

قوله تعالى : ((ومن لم يستطع منكم طولا)) أى فضلا وسعة ((أن ينكح المحصنت)) يريد الحرائر المؤمنات ((فمما ملكت أيمنكم من فتيتكم المؤمنت)) أى من اماكم المؤمنات ، واحدتهن : فتاة ، والعبد : فتى وقد يطلق الفتى على الحر أيضا ، فيقال للجارية الشابة : فتاة ، وللغلام فتى ، والكامل من الرجال : فتى ، وان لم يكن شابا ، قال النابغة الجعدى[1] :

٧٣ - فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

٧٤- فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا[2]

(=) وفي مصنف عبد الرزاق (٨/ ١١٨) ، عن زياد قال : كنت مع ابن عباس بالطائف ، فرجع عن الصرف قبل أن يموت بسبعين يوما .
وروى رجوعه أيضا ابن عدى في الكامل في ترجمة داود بن على (٣/ ٩٥٨) وانظر تلخيص الحبير (٣/ ١٨١) .

(١) قيس بن عبد الله بن عدس العامرى ، الشاعر المشهور ، عاش في الجاهلية والاسلام دهرا ، وأنشد بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وعاش الى فتنة بن الزبير . المؤتلف والمختلف (١٩١) ومعجم الشعراء (٣٢١) .

(٢) ديوانه (١٧٤ - ١٧٥) والخزانة (٣/ ٣٣٦) وهو في ديوان النابغة الذبياني (١٠٢) .

فصل

ذهب الامامان : أحمد والشافعي الى : أن القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الأمة ، لما يستلزم من استرقاق الولد تبعا للأم .

وقال أبو حنيفة : يجوز له ذلك .

فأما (١٢٦/ب) العاجز عن طول الحرة فيباح له نكاح الأمة المؤمنة للآية ، وهو مذهب الأكثرين .

وقال أبو حنيفة وبعض فقهاء العراق : لا يشترط كونها مؤمنه ، وحملوا الآية على الفضيلة والاستحباب ، ألا تراه قال في أول الآية ((المحصنات المؤمنات)) فوصف الحرائر بالايمان ، وليس بشرط في جواز نكاح الحرائر بالاجماع .(١)

((والله أعلم بإيمانكم)) اعلم أنه لما كان نكاح الأمة مقيدا بايمانها اما ايجابا أو استحبابا على اختلاف المذهبين ، وكان مجرد الاعتراف بالايمان كافيا في ترتيب الأحكام الدنيوية عليه بالاجماع أشار بقوله : ((والله أعلم بإيمانكم)) الى أن الجزاء على ما أضمره الجنان ، لا على ما أظهره اللسان .

وفي قوله ((بعضكم من بعض)) تأنيس لذوي النفرة من نكاح الاماء تشرفا وتعظما عليهن ، حيث ذكّرهم الله ما بينهم من الاشتراك في السبب والاشتباك في النسب .

---

(١) المغني (٦/٥٩٧) والروضة (٧/١٢٩) ، والهداية (١/١٩٤) .

قال - صلى الله عليه وسلم - كلكم بنو آدم طفّ الصاع لم تملؤه ليس لأحد على أحد فضل الا بالتقوى [1].

قوله : ((فانكحوهن باذن أهلهن)) أى باذن ساداتهن ، ((وآتوهن أجورهن)) أى مهورهن ((بالمعروف)) من غير مماطلة ومماتعة .

والأمر باعطائهن المهور لا ينافى كونها مملوكة لمواليهن ، وأضيفت المهور اليهن ، لأنها من كسبهن .

وقيل : هو على حذف المضاف تقديره : فآتوا مواليهن (١٢٧/أ) أجورهـــن .

قوله : ((محصنات غير مسافحات)) حالان من الضمير المنصوب في ((فانكحوهن)) على معنى تزوجوهن عفائف غير زوان .

((ولا متخذات أخدان)) وهو جمع خِدْن ، وهو الصديق ، وكانت الواحدة منهن تأخذ لها خدنا ، تزانيه سرا ، ولا يعتقدونه حراما ، فالمعنى : غير مجاهرات بالزنا ، ولا مسرات به .

قوله : ((فإذا أحصن)) أى زوّجن يعنى الفتيات .

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤/١٤٥) عن عقبة بن عامر ، وفيه عبد الله بن لهيعة ، مختلف فيه .
ومعنى طف الصاع ، أى قريب بعضكم من بعض ، يقال هذا طف المكيال ، وطفافه ، أى ما قرب من ملئه .

وقرأ أهل الكوفة الا حفصا " أحصن " [1] بفتح الهمزة والصاد .

وقال ابن جرير : أسلمن . [2]

وقيل : أحصن بالتزويج .

((فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب))

أى نصف ما على الحرائر البالغات العاقلات الأبكار ((من العذاب)) وهو الجلد ،لأن القتل لا يتنصف ، فيجب على الأمة اذا أتت بالفاحشة وهي الزنا ، خمسون جلدة . [3]

قوله : ((ذلك)) اشارة الى نكاح الفتيات عند عدم الطول ((لمن خشى العنت منكم)) أى خاف الزنا بسبب ما عنده من الغلمة وشدة الشبق فأباح الله نكاح الاماء بشرطين : أحدهما : عدم طول الحرة ، والثاني : خوف الزنا قال الخرقي - رحمه الله - : وله أن ينكح من الاماء أربعا ،اذا كان الشرطان فيه قائمين . [4]

ونص عليه امامنا احمد - رضى الله عنه - في أحدى الروايتين [5]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٥١) ولابن زنجلة ص (١٩٨) والكشف (١/ ٣٨٥) ، والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ١٩٥) .

(٣) هذا هو حد الأمة الثيب ،وأما البكر فاختلف في حدها فقيل : حدها مائة كحد الحرة ،وهذا ليس بجيد .
وقيل : حدها خمسون كحد الثيب .
وقيل : لا حد عليها ، وانما تعزر .

(٤) مختصر الخرقي ص (٨٥) .

(٥) نص عليه في رواية أبى طالب .

والرواية الأخرى[1] : ليس له أن يتزوج الا أمة واحدة ،لأن خوف العنت يزول بها ،فيختل أحد شرطي الحل فينتفي الحل[2] . (١٢٧/ب)

((وأن تصبروا)) يعني عن نكاح الفتيات تعففا ((خير لكم)) من التسبب الى استرقاق أولادكم .

قوله تعالى : ((يريد الله ليبين لكم)) قال الزمخشري أصله : أن يبين فزيدت اللام للتوكيد ، كما زيدت في أبالك لتأكيد اضافة الأب .

وقال الزجاج : قال الكوفيون : معنى اللام هنا معنى " أن " وهذا غلط أن تكون لام الخفض تقوم مقام " أن " وتؤدي معناها ،لأن ما كان في معنى " أن " اذا دخلت عليه اللام تقول : جئتك كي تفعل كذا وكذا ، وجئتك لكي تفعل كذا وكذا ، فاللام في قوله " يريد الله ليبين لكم " كاللام في : " كي " .

---

(١) وهي رواية حرب . انظر المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين (١٠٢/٢) ، والمغني (٦٠٠/٦) .

(٢) وهذا هو الصواب أنه اذا اندفع العنت بأمة واحدة حرمت عليه الثانية ،فان لم يندفع الا باثنتين حل له من الأربع ما يندفع به العنت عنه ،لان خوف العنت علة في اباحة نكاح الأمة . والحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

أنشد محمد بن يزيد :

٧٥ - أردت لكيما يعلم الناس أنها . . سراويل قيس والوفود شهود .

فادخل هذه اللام على كي ، ولو كانت بمعنى " أن " لم يدخل اللام عليها .

والمعنى : يريد الله ليبين لكم شرائع دينكم ، ومصالح دنياكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، من الأنبياء والأولياء ، لتهتدوا بأنوارهم ، وتقتدوا بآثارهم ، ((ويتوب عليكم)) أي يرشدكم الى ما يكون سببا لتوبتكم من أعمال الطاعات ، ويرجعكم عما كنتم فيه قبل هذا من السيئات .

((والله عليم)) بما يصلحكم ((حكيم - ٢٦)) في تدبيره فيكم ،

((والله يريد أن يتوب عليكم)) أي ان تفعلوا فعلا يتوب به عليكم ، ويكفر عنكم تلك الآثام والفواحش .

((ويريد الذين يتبعون الشهوات)) وهم الكفرة والفجرة ((ان تميلوا)) عن الحق الذي جاءكم به نبي الرحمة . ((ميلا عظيما - ٢٧)) فالمجوس يدعونكم الى ما يستحلونه من نكاح ذوات المحارم ، ويجادلونكم في ذلك واليهود والنصارى يدعونكم الى ضلالهم ، وأهل الفجور الى شهواتهم .

((يريد الله أن يخفف عنكم)) أي ييسر عليكم ، فلذلك أرسل اليكم محمدا بالحنيفية السهلة السمحة ، وأباح لكم نكاح الاماء عند عدم الطول الى الحرائر من النساء .

((وخلق الانسان ضعيفا - ٢٨)) قال ابن عباس وجمهور المفسرين : لا يصبر عن النساء ، وعلى مشاق الطاعات (١٢٨/أ) .

قال سعيد بن المسيب : ما أيس الشيطان من بني آدم الا أتاهم من

قبل النساء ، فقد أتى عليَّ ثمانون سنة ، وذهبت إحدى عيني . وأنا أعشو بالأخرى ، وان أخوف ما أخاف عليّ فتنة النساء .[1]

وقال معاذ بن جبل : أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء اذا تسوّرن الذهب ، ولبسن رياط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلفن الفقير مالا يجد .

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما تركت في الناس بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء "[2] .

وقال الحسن في قوله : ((وخلق الإنسان ضعيفا)) قال : هو خلقه من ماء مهين .[3]

وقال الزجاج : ضعيف العزم عن قهر الهوى .[4]

قوله تعالى ((إلا أن تكون تجارة)) قرأ أهل الكوفة : ((تجارة)) بالنصب والباقون :بالرفع[5] وتعليلهما ما أسلفناه في آية الدين .[6]

---

(١) تفسير الثعلبي (٤ / ق ٤١ / ب) والقرطبي (٥ / ١٤٩) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٧ / ١١) ، ومسلم ، كتاب الرقاق (٤ / ٢٠٩٧) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤ / ق ٤١ / ب) ، والبغوى (١ / ٤١٧) .

(٤) في معاني القرآن للزجاج قال : ضعيفا ، أى يستميله هواه . اهـ (٢ / ٤٤) وانظر زاد المسير (٢ / ٦٠) .

(٥) الحجة للفارسي (٣ / ١٥١) لابن زنجلة ص (١٩٩) والكشف (١ / ٣٨٦) ، والنشر (٢ / ٢٤٩) .

(٦) وهى قوله تعالى : " يايها الذين ءامنوا اذا تدايتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه " الآية (٢٨٢) البقرة .

(٤٧٢)

فصـــل

أخرج ابو داود في سننه باسناده عن ابن عباس قال : كان الرجـــل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية ((يأيهـــا الذين آمنوا : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل)) فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في النور[1] ، فقال : ((ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم))[2] .

وهذا عند الفقهاء ليس من باب (١٢٨/ب) الناسخ والمنســـوخ كما قررناه فيما مضى[3] .

قوله ((ولا تقتلوا أنفسكم)) .

قال ابن عباس : لا يقتل بعضكم بعضاً[4] ، وهذا مثل قوله : ((فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم))[5] .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب نسخ الضيف يأكل من مال غيره (٣/٣٤٣) .

(٢) كذا هنا وفي سنن أبي داود . ولفظ الآية في سورة النور (٦١) " ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حـــرج ولا على أنفسكم " أن تأكلوا من بيوتكم " الآية .

(٣) وانما هو من باب تخصيص العام ، فالآية عامة ، خص منها ما ذكر في سورة النور ، ولكن بعض المتقدمين يسمون التخصيص نســـخا فالتبس على من اتى بعدهم ، وبين التخصيص والنسخ فوارق كثيرة ذكرها الحازمي في الاعتبار ص (٢٣)

(٤) زاد المسير (٢/٦١) .

(٥) البقرة (٥٤) .

وقيل : هو على ظاهره نهاهم سبحانه وتعالى ان يقتلوا أنفسهم بطريق المباشرة أو السبب . ويؤيد هذا حديث عمرو بن العاص قال :

احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل[1] ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذُكِر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب !! فقلت : يارسول الله اني سمعت الله يقول : ((ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما)) فضحك رسول الله ، ولم يقل شيئا .[2]

وفي الحديث أحكام منها :

١) جواز التيمم في البرد في السفر .

٢) وعدم وجوب القضاء في الحضر .

٣) وجواز اقتداء المتوضيء بالمتيمم .

٤) وأن التيمم لا يرفع الحدث ، لقوله : " وأنت جنب " .[3]

---

(١) غزوة ذات السلاسل : هي وراء وادي القرى غزاها عمرو بن العاص سنة ثمان . اهـ من القاموس (٣ / ٤٠٨) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (٤ / ٢٠٣ - ٢٠٤) ، وأبو داود كتاب الطهارة باب اذا خاف الجنب البرد أيتيمم ؟ (١ / ٩٢) والحاكم في المستدرك (١ / ١٧٧) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

(٣) في صحة الاستدلال بهذا الحديث على هذه المسألة نظر ، بل ان التيمم يرفع الحدث ، على القول الراجح لقوله تعالى بعد ذكر التيمم : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم " الآية (٦) سورة المائدة .

====

(٤٧٤)

وقال بعض أهل المعاني : ((ولاتقتلوا أنفسكم)) بارتكاب المعاصي .

وقال الفضيل بن عياض[1] : لا تغفلوا عن حظ أنفسكم ، فان من غفل عن حظ نفسه فقد قتلها[2] .

((إن الله كان بكم)) يا أمة محمد ((رحيما - ٢٩)) حيث حرّم عليكم ما أوجبه على بني اسرائيل من قتل الأنفس ، وغيره من الأعمال الشاقة والتكاليف الشديدة .

((ومن يفعل ذلك)) اشارة الى القتل ، أو القتل مع انضمام أكل الأموال بالباطل .

(=) والجواب عن هذا الحديث من وجوه :
أحدها : أن قول النبي صلى الله عليه وسلم : أصليت بأصحابك وأنت جنب ؟ على سبيل الاستفهام والاستعلام .
الثاني : أن ذكر التيمم مختلف فيه ، ففي بعض الروايات لم يذكر التيمم ، وأنه غسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، كما في سنن أبي داود ١/٩٢ وعبد الرزاق في المصنف (١/٢٢٦ - ٢٢٧) .
الثالث : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستعلم فقه عمرو في ترك الاغتسال . اهـ من زاد المعاد (٣/٣٨٨ - ٣٨٩)

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي ، أبو علي الزاهد المشهور ، أصله من خراسان ، وسكن مكه ، مات سنة سبع وثمانين ومائتين .
التقريب (٥٤٣١) .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ٤٢/ب) والذي يعتد به من هذا كله هو ماقتضاه سبب النزول ، وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال (١٢٩/أ) ابن عباس : الاشارة الى جميع ما نهى عنه من أول السورة الى هاهنا .[1]

((عدوانا وظلما)) مصدران في موضع الحال .

((فسوف نصليه)) وقرىء : نَصْليه " بفتح النون[2] ، وقرىء بالتشديد .[3]

((نارا)) يريد نارا مخصومة شديدة العذاب .

((وكان ذلك على الله يسيرا - ٣٠)) هيّنا .

قوله تعالى : ((إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم))

أخرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " اجتنبوا السبع الموبقات " قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : " الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله الا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " .[4]

---

(١) زاد المسير (٢/ ٦٢) .

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (٢٥) ، والتقريب والبيان (٥٨ خ) واتحاف فضلاء البشر (١٨٩) والمحتسب (١/ ١٨٦)

(٣) الكشاف (١/ ٢٦٤) والبحر (٣/ ٢٣٣) وهما قراءتان شاذتان .

(٤) البخاري ، كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (٤/ ١٢) ومسلم كتاب الايمان (١/ ٩٢) .

٣٩٠

وفي حديث آخر : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن الكبائر فقال : هي تسع ، فعد السبع وزاد : " عقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت الحرام " .(١)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه عد في الكبائر : " واليمين الغموس " .(٢)

وفيهما أيضا من حديث أبي بكرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا : بلى يارسول الله فقال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين (١٢٩/ب) ـ وكان متكئا فجلس ، وقال : ـ وشهادة الزور وشهادة الزور " فمازال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت.(٣)

وفيهما أيضا من حديث ابن مسعود ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أكبر؟(٤) . وقد سبق الحديث في أوائل البقرة.

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم . (٣/ ١١٥ - ١١٦) من حديث عمير بن قتادة الليثي .

(٢) البخاري ، كتاب الايمان ، باب اليمين الغموس (٨/ ١٧١) ، ولم أجده في مسلم .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر (٨/ ٤) ومسلم ، كتاب الايمان (١/ ٩١) .

(٤) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : " فلا تجعلوا لله أندادا " (٩/ ١٨٦) ، ومسلم ، كتاب الايمان (١/ ٩٠) .

وروى عن ابن مسعود ، وابن عباس : أن الكبائر مذكورة من أول سورة النساء الى هاهنا .(١)

وروى عن ابن عباس : أنها كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب، أو لعنة أو عذاب .(٢)

وفي رواية عنه : أنها كل ذنب أوجب الله عليه النار في الآخرة ، والحد في الدنيا .(٣)

وقال سعيد بن جبير : قال رجل لابن عباس : كم الكبائر ، سبع هي قال : هي الى سبعمائة أقرب منها الى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار .(٤)

فهذا مجموع ما صحت به الأخبار ، والآثار في الكبائر اعاذنا الله منها .(٥)

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ٢٣٣ - ٢٣٤) ، والثعلبي (٤/ق ٤٥/أ - ب) وأخرجه البزار (كشف الاستار ٣ / ٤٤) قال في مجمع الزوائد (٧ / ٤) : رجاله رجال الصحيح .

(٢) تفسير ابن جرير (٨ / ٢٤٦) ، والثعلبي (٤/ق ٤٦/ب) وشعب الايمان للبيهقي (١٩٧) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ٤٥/ب) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨ / ٢٤٥) والثعلبي (٤/ق ٤٥/ب) وشعب الايمان للبيهقي (١٩٩) .

(٥) الأولى أن يقول المؤلف : فهذا بعض ما صحت به الأخبار ، والآثار في الكبائر ، فهناك أخبار وآثار صحيحة لم يذكرها المؤلف .

فان قيل : لا شبهة أن ترك الصلاة أعظم جرما من كثير من الكبائر المعدودة في الأحاديث ، لا سيما وقد صار علم العلماء أحمد - رضى الله عنه - الى تكفير تاركها ، وهو قول للشافعي[1] - رضى الله عنه - وكذلك منع الزكاة ، وترك صوم رمضان ، وترك الحج ، فما بالها لم تذكر في الكبائر؟!

قلت : هذه مباني الاسلام وأركانه ، فتركها مؤثر في وهن الاسلام وضعفه ، ومخرج للمتلبس بمجانبتها عن أن يكون راسخ (١٣٠/أ) القدم في الاسلام فيدخل في حيز الكفر ، وهو أعظم الكبائر المعدودة في الأحاديث فكان ترك ذكرها في الكبائر مشعرا بكونها مضارعة للكفر .

ويحقق هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - " بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة " .[2]

وقوله في تارك الحج : " فليمت ان شاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا[3]

---

(١) مراده بتكفير تاركها تهاونا وكسلا .
وانظر المغني (٢/ ٤٤٢) والروضة (٢/ ١٤٦) والمنهاج (٢٦)

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الايمان (١/ ٨٨ رقم ١٣٤) من حديث جابر

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب الحج ، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج ، (٣/ ١٧٦) من حديث علي ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفي اسناده مقال ، وهلال بن عبد الله مجهول ، والحارث يضعف في الحديث . اهـ
والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) .

وقتال أبي بكر والصحابة - رضى الله عنهم - مانعي الزكاة ، حتى ألحقوهم بالمرتدين بذلك .

قال السدى : ((نكفر عنكم سيئاتكم)) يريد الصغائر ((وندخلكم مدخلا كريما - ٣١)) .

قرأ نافع : " مَدخلا " بفتح الميم ، هنا وفي الحج [1] : وضمهما الباقون [2] .

واتفقوا على الضم في قوله : ((مُدخل صدق)) [3] لقوله ((أدخلني))

قال أبو علي : يجوز أن يكون المدخل مصدرا ، ويجوز أن يكون مكانا سواء ضم أو فتح [4] .

قال الواحدى : الأولى أن يكون مكانا ، لأن المفسرين قالوا : هو الجنة [5] .

وقال مكى : حجة من فتح الميم ، أنه جعله مصدرا لفعل ثلاثي مضمر ، دل عليه الرباعي الظاهر ، وهو قوله : ((يدخلكم)) أى يدخلكم فتدخلون مدخلا أى دخولا ، فدخول ومُدخل مصدران .

ويجوز أن يكون مكانا ، فيتعدى اليه ((يدخلكم)) على المفعول به وحسن ذلك لأنه قد وصف بالكريم .

---

(١) الحج (٥٩) .

(٢) الحجة للفارسي (٣ / ١٥٣) لابن زنجلة ص (١٩٩ - ٢٠٠) ، والكشف (١ / ٣٨٦ - ٣٨٧) والنشر (٢ / ٢٤٩) .

(٣) الاسراء (٨٠) .

(٤) الحجة للقراء السبعة (٣ / ١٥٣ - ١٥٤) .

(٥) الوجيز (ق ٢٥ / ب) .

وحجة من ضم الميم : أنه أجراه مصدرا على ما قبله وهو ((يدخلكم)) ولم يحتج الى اضمار (١٣٠/ب) ثلاثي ، فالميم في حركتها كحرف المضارعة في حركته ، ان كان مفتوحا فتحت الميم ، وان كان مضموما ضممت الميم .[1]

والكريم : الشريف .

وقيل : الحسن ، ومنه : ((من كل زوج كريم))[2] .

قوله : ((ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض))[3] .

اخرج الترمذي من حديث أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله يغزو الرجال ، ولا تغزو النساء ، وانما لنا نصف الميراث . وفي رواية أخرى : فياليتنا كنا رجالا ، فانزل الله : ((ولا تتمنوا)) .

قال مجاهد : وأُنزل فيها : ((ان المسلمين والمسلمات))[4] .

وكانت أم سلمة أولَ ظعينة قدمت المدينة مهاجرة .[5]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٣٨٦ - ٣٨٧) .

(٢) الشعراء (٧) .

(٣) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الرابع عشر . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس التاسع والعشرين مرة ثانية .

(٤) الأحزاب (٣٥) .

(٥) أخرجه الامام أحمد في المسند (٦/ ٣٢٢) ، والترمذي ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٥/ ٢٣٧) وقال : هذا حديث مرسل . اهـ والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ان كان سمع مجاهد من أم سلمة . اهـ وابن جرير (٨/ ٢٦١ - ٢٦٢) وانظر تفسير ابن عيينة (٢٣٤) .

وهذا نهى للانسان أن يتمنى مال غيره ،أو جاهه أو نعمة من النعم التي أنعم الله بها عليه ، فانه الحسد المذموم.[1]

قال الحسن : لا تتمن مال فلان ، ولا مال فلان ، فلا تدري لعل هلاكك في ذلك المال.[2]

((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)) .

قال قتادة ومقاتل : يعني من الثواب والعقاب ، فالمرأة تثاب كثواب الرجل ، وتأثم كاثمه . فان الرجال قالوا حين رأوا ما فضلوا به حين أضعف لهم الميراث : انا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا في الميراث وقال النساء : انا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال ، كما لنا من الميراث على النصف (١٣١/أ) من نصيبهم.[3]

((واسئالوا الله من فضله)) وقرأ ابن كثير ، والكسائي " وسلوا " بطرح الهمز في كل موضع جاء الأمر مواجها به ،وقبله واو ،أو فاء ، نحو: " فسلوا أهل الذكر "[4] و " سل من أرسلنا "[5]

والمعنى : لا تتمنوا ما فضل الله به غيركم ،واسألوا الله من فضله وأن يرزقكم كما رزق غيركم ،فان خزائنه لا تنفد .

---

(١) الحسد المذموم أن يتمنى المرأ نعمة أخيه المسلم مع زوالها ، أما اذا تمنى مثلها فيما هو ممكن فلا بأس .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٦٣) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ٤٨/ أ - ب) والبغوي (١/ ٤٢٠) ، وتفسير مقاتل (١/ ٢٣٤) .

(٤) الأنبياء (٧)

(٥) الزخرف (٤٥) .

وفي قوله : ((أن الله كان بكل شيء عليما - ٣٢)) تنبيه على أنه قسم نعمه بين عباده على حسب ما اقتضته الحكمة الالهية .

وفي ما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن الله - عز وجل - أنه قال : " اني أدبر عبادي بعلمي فيهم ، انى عليم خبير " (١)

قوله تعالى : ((ولكل جعلنا موالى مما ترك)) الآية .

قال صاحب الكشاف ((مما ترك)) تبيين لـ ((كل)) أى ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال ((جعلنا موالى)) : وراثا يلونه ويحرزونه . أو ولكل قوم ((جعلنا)) هم ((موالى)) نصيب ((مما ترك الوالدان والأقربون)) على أن ((جعلنا موالى)) صفة لـ ((كل)) والضمير الراجع الى ((كل)) محذوف ، والكلام مبتدأ وخبر . كما تقول : لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله ، أى حظ من رزق الله .

أو ولكل أحد ((جعلنا موالى مما ترك)) أى وراثا مما ترك على أن " من " صلة موال ، لأنهم في معنى الوراث ، وفي ((ترك)) ضمير " كل " ثم فسر الموالى بقوله : ((الوالدان (١٣١/ب) والأقربون)) كأنه قيل من هم ؟ فقيل : الوالدان والأقربون (٢) .

---

(١) لم أجده فيما لدى من كتب السنة .

(٢) الكشاف (١/٢٦٥) .

قلت : فعلى الوجهين الأولين ارتفع ((الوالدان)) باسناد الفعل اليه و ((الوالدان)) هم الموروثون .

وعلى الوجه الثالث : ارتفع على معنى : هم الوالدان كما ذكروهم الوارث . ((والذين عقدت أيمنكم)) مبتدأ تضمن معنى الشرط ولذلك وقع في خبره الفاء . ويجوز أن يكون معطوفا على " الوالدان " .

قرأ أهل الكوفة " عقدت " بغير ألف ، وقرأ الباقون بالألف[1] ، فمن أثبت الألف فلوجود المعاقدة ، فهو من باب المفاعلة ، ومن نفاها اكتفى باسناد العقد الى الأيمان ، ولم يحتج الى المفاعلة ، المعنى : والذين عقدت أيمانكم حلفهم . والمراد بهم الحلفاء ، وكان الرجل اذا عاقد الرجل قال : دمي دمك ، وثأري ثأرك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ، وترثني وأرثك ، وتعقل عني واعقل عنك فأقرهم الاسلام على ذلك ، وجعل ميراث الحليف السدس ، فان كان المراد بقوله : ((فئاتوهم نصيبهم - ٣٣)) الميراث فهو منسوخ عند الأكثرين ، واليه ذهب الأئمة الثلاثة[2] ، وقال أبو حنيفة ، وأصحابه : هذا الحكم باق .

غير أنهم جعلوا ذوى الأرحام أولى بقوله : ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض))[3] .

---

(١) والحجة للفارسي (٣/ ١٥٦) ، ولابن زنجلة ص (٢٠١) والكشف (١/ ٣٨٨) والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص (١٢٨ - ١٢٩) ومكى بن أبي طالب ص (٢٢٦) وابن الجوزى ص (٢٧٣ - ٢٧٨) .

(٣) الأنفال (٧٥) .

وان كان المراد به المعاضدة والمناصرة فحكمة باق لم ينسخ لقوله صلى الله عليه وسلم : لا حلف في الاسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة .(١) (١٣٢/أ)

وقيل :(٢) المراد بقوله : ((الذين عقدت أيمانكم)) الذين آخا رسول الله بينهم ، وهم المهاجرون والأنصار ، كانوا يتوارثون بالأخوة دون ذوى أرحامهم فنسخ عند الأكثرين بالآية المذكورة .

قوله : ((الرجال قوامون على النساء)) نزلت حين لطم سعد بن الربيع زوجته ، فذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص .(٣)

والمعني : الرجال قائمون ، مسيطرون ، ومسلطون على تأديب النساء وتهذيبهن بالحق .

روى هشام بن محمد(٤) عن أبيه في قوله ((الرجال قوامون على النساء))

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص : (٤٢) : هو مركب من حديثين أخرجهما الطبرى . اهـ تفسير ابن جرير (٨ / ٢٨٢ - ٢٨٣) ، والثعلبي (٤/ق ٤٩/ب) .(٢)

(٢) الأظهر عمومه في جميع العقود والعهود ، وأنه يجب الوفاء بها واتيان أصحابها ما ترتب عليها .

(٣) أخرجه ابن جرير (٨ / ٢٩١) ، والواحدى في أسباب النزول ص (١٤٤ - ١٤٥) ، وذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ق ٥٠/أ) والبغوى (١ / ٤٢٢) ، وانظر المراسيل لأبي داود ص (١٥٥) .

(٤) هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، أبو المنذر ، الأخبارى ، النسابة العلامة ، توفي سنة أربع ومائتين . تاريخ بغداد (١٤ / ٤٥) ولسان الميزان (٦ / ١٩٦) ، وأبوه هو محمد بن السائب الكلبي ، أبو النضر ، المفسر المعروف .

قال : اذا كانوا رجالا ، وأنشد :

٧٦ - أكل امرء تحسبين امرأ . ونارٍ توقد بالليل نارا[1]

قوله : ((بما فضل الله)) أى بسبب تفضيل الله ((بعضهم)) يعنى الرجال ((على بعض)) يعنى النساء ، وذلك بزيادة العقل ، والعلم ، والفضل ، والحزم ، والجهاد ، وحفظ الذمار ، والصلاحية للخلافة ، والقضاء ، والامامة والشهادة .

((وبما أنفقوا من أموالهم)) أى بما أخرجوا من المهور ، والنفقات ((فالصالحات قانتات)) مطيعات لله ((حافظات للغيب بما حفظ)) يعنى ما غاب عنه الأزواج من (١٣٢/ب) الفروج والأموال ، وفي الحديث : خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك ، وان أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك[2] .

((بما حفظ الله)) أى بحفظ الله إياهن حين أوصى الأزواجَ بهن في كتابه وعلى لسان رسوله ، أو بما حفظ الله مهورهن .

---

(١) البيت لأبي داود الايادي ، وهو في الكتاب لسيبويه (١/٦٦) والأصمعيات ص (١٩١) ، وخزانة الأدب (٩/٥٩٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب حقوق المال (٢/١٢٦) من حديث ابن عباس .
وابن ماجه كتاب النكاح ، باب أفضل النساء (١/٥٩٦) من حديث أبي أمامة .
والحاكم في المستدرك (٢/١٦١ - ١٦٢) ، من حديث أبي هريرة وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .

وقرأت على الشيخين أبى البقاء النحوى ، وأبى عمرو الياسرى لأبى جعفر ابن القعقاع : " بما حفظ الله " بالنصب ، على أن " ما " موصولة أى حافظات للغيب بالأمر الذى يحفظ حق الله ، وأمانة الله ، وهو التعفف ، والتحصن ، والنصيحة للرجال .

قوله : ((والتى تخافون نشوزهن)) قال ابن عباس : الخوف ههنا بمعنى العلم ، وقيل بمعنى الظن[1] ، والنشوز والنشوص بمعنى واحد . وهو ترفع المرأة عن طاعة زوجها ، مأخوذ من النشز وهو ما ارتفع من الأرض ((فعظوهن)) أى ذكروهن بما وجب عليهن لأزواجهن ، ((واهجروهن في المضاجع)) أى في الفرش ، وقيل في البيوت . فان قلنا : في الفرش فيكون كناية عن ترك الجماع وهو قول سعيد بن جبير ، ومقاتل[2] ، أو يكون أمرا بهجر الفراش ، والمضاجعة فيه ، وهو قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وهذان القولان عن ابن عباس[3] . وان قلنا : في البيوت فالمعنى : (١٣٣/أ) لا تبايتوهن في البيوت التى يضطجعن فيها .

وقيل : في للسببية لا للظرفية ، فالمعنى : اهجروهن بسبب تخلفهن عن المضاجع اذا دعوتموهن اليها ، والأول أشهر وأظهر .

قال ابن عباس : تهجرها في المضجع فان أقبلت والا فقد اذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرّح[4] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٩٨) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١٣٤/ ب) وانظر زاد المسير (٢/ ٥٧) .
(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٣٥) انظر تفسير ابن جرير (٨/ ٣٠٣) .
(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٠٤ - ٣٠٥) .
(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ٣١٤) .

قوله : ((واضربوهن)) يعني ضربا غير شائن ، ولا كاسر ، ولا مبـــــــرح . لان المقصود التأديب ، لا الاتلاف والتعذيب .

قال جماعة من العلماء منهم الامام أحمد رضي الله عنه : " الآية على الترتيب فالوعظ عند خوف النشوز ، والهجر عند ظهور النشوز ، والضرب عنـــد تكـرره واللجاج فيه ، ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز .

وقال الشافعي رضي الله عنه : يجوز .(١)

((فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)) قال ابن عباس : لا تتجنوا عليهن العلل .(٢) وقال سفيان بن عيينة : لا تكلفها الحب ، فان قلبها ليس في يدها .(٣) والمعنى : لا تطلبوا سبيلا الى أذاهن بما ليس لكم عليهن ، ولا يحملنكم علـــى ذلك كونكم أكثر اقتدارا ، وأكبر اقدارا .

((إن الله كان عليا كبيرا - ٣٤)) يصغر في جلاله كل كبيرة ، وقيل يكبر عن شبه المخلوقين ، والمعنى : ان الله كان كبيرا فاحذروه . أيها الأقويـــاء الأشداء (٣٣/ب) المستطيلون على من في قبضتهم ، وتحت تصرفهم .

---

(١) المغني (٤٦/٧) والمنهاج ص (١٠٤) وما ذكره الله تعالى هنـا هو علاج المرأة اذا نشزت ، والذي يتولى ذلك هو الزوج فهو ينظـر ما هو الاصلح ، فان اندفع النشوز بالموعظة فحسن ، فان علم أن الموعظة لا تنفع فينتقل الى الهجر فان علم أنه لا ينفع فله الضرب حينئذ .

(٢) تفسير ابن جرير (٣١٧/٨) ، وزاد المسير (٧٦/٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (٣١٧/٨) ، وزاد المسير (٧٦/٢) .

قوله تعالى : ((وإن خفتم شقاق بينهما)) أى علمتم شقاقا بينهما ، فأضيف ذلك الى الظرف اتساعا ، كقوله : ((بل مكر الليل والنهار)) [1] .

والشقاق : الخلاف والعداوة .

والضمير في " بينهما " للزوجين ((فابعثوا)) أيها الحكام وولاة الأحكام ((حكما من أهله وحكما من أهلها)) لأنهما اذا كانا من أهلهما عرفا باطن أمرهما ، وحرصا على صلاح حالهما .

والضميران في قوله : " ان يريدا اصلحا يوفق الله بينهما " للحكمين [2]

وقيل : للزوجين .

---

(١) سبأ (٣٣) .

(٢) وهذا أظهر ، لأن الضمير يعود على أقرب مذكور الا بقرينة ، وأقرب مذكور له هما الحكمان .

فصل

اذا وقع الشقاق بين الزوجين ، وادعى كل واحد منهما تعدى صاحبه عليه أسكنهما الحاكم الى جانب عدل يطلع على حالهما ، فيرفع الأمر اليه ، ليأخذ على يد الظالم ، فان التبس الأمر واتصل الشقاق بينهما ، وأفضى الى مايحرم من القول والفعل بعث الحاكم الحكمين ليفعلا ما رأيا المصلحة فيه من التفريق بعوض ، أو غيره ، والأولى أن يكونا من أهلهما ، لما ذكرناه .

ويجوز أن يكونا أجنبيين[1] ، لأنهما اما حاكمان واما وكيلان ، وأيّما كان فلا يشترط له القرابة .

وقد اختلفت الرواية عن الامام أحمد رضى الله عنه في الحكمين ، فروى عنه أنهما وكيلان ، (١٣٤/أ) فعلى هذا يعتبر رضى الزوجين فيما يحكمان به ، وهو قول أبى حنيفة ، وأصحابه ، لان بذل المال حق للزوجة ، والطلاق حق للزوج فاعتبر رضاهما فيه كسائر حقوقهما .

وروى عنه أنهما حكمان ، وهو قول مالك ، والشافعي ، في أحد قوليه .[2] لأن الله سماهما حكمين ، ولان اعتبار رضاهما ربما أفضى الى دوام الشقاق فتنتفى الحكمة المطلوبة من شرعية التحكيم ، فعلى هذه الرواية للحكمين أن يجمعا ان رأيا ، أو يفرقا ، فما فعلا من ذلك لزمهما ، وان لم يرضيا .

---

(١) الصواب أنه لا يجوز ، بل لا بد أن يكونا من الأهل ، كما نطقت به الآية .

(٢) المغني (٤٩/٧) والانصاف (٣٧٩/٨) والمنهاج ص : (١٠٤) وبداية المجتهد (١١٦/٢ - ١١٧) وبدائع الصنائع : (٣٣٤/٢)

وتشترط عدالة الحكمين ، على الروايتين معا ،لأن المقصود الاصـــــلاح . والفاسق غير مأمون ، فانه بعرضية[1] الافساد جريا مع هواه وأغراضه الفاسدة .

ويجوز أن يكونا عبدين وعاميين ،اذا قلنا هما وكيلان ،وان قلنـا : هما حكمان[2] ، اشترط فيهما ما يشترط في الحاكم من الحرية والعلم وغير ذلك .

((ان الله كان عليما)) بتدبير الحكمين ، ((خبيرا - ٣٥)) بأمر الزوجين .

قوله : ((واعبدوا الله ،ولا تشركوا به شيئا)) اخرجا في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل قال : بينا أنا رديف رسول الله - صلى اللـــــه عليه وسلم - ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل ،قال : يا معاذ فقلت : لبيـــك يارسول الله قال : ثم سار (١٣٤/ب) ساعة ،ثم قال : يامعاذ قلـــت: لبيك يارسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يامعاذ قلت : لبيـــــــك يارسول الله وسعديك قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت:الله ورسوله أعلم ،قال : حق الله على عباده ،أن يعبدوه فلا يشركوا به شـــيئا ثم سار ساعة ،ثم قال : يا معاذ : قلت : لبيك يارسول الله وســـعديـــك

---

(١) هكذا بالأصل ، ولم أتبين معناها .

(٢) قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية : والأول أصح - يعني أنهما حكمان - لأن الوكيل ليس بحكم .
ولا يحتاج فيه الى أمر الأئمـــة .
ولا يشترط أن يكون من الأهـــل .
ولا يختص بحال الشقاق .
ولا يحتاج في ذلك الى نص خاص . اهـ من المسائل الماردينيـــة (١٠٩) .

قال : هل تدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله ان لا يعذبهم فقلت : يارسول الله ألا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا ، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما[1] .

قوله ((والجار ذى القربى)) الظاهر أنه يريد به قرابة النسب ، وهو قول ابن عباس ، والأكثرين[2] .

أوصى سبحانه بذى القربى ثم أكد الوصية به اذا كان جارا لتأكيد حقه بالجوار منضما الى القرابة .

وقيل : المراد به : الجار القريب ، وقيل : الجار المسلم .

قوله ((والجار الجنب)) وهو البعيد النسب على قول ابن عباس[3] ، أو الجار البعيد ، أو غير المسلم على القولين الآخرين[4] .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب اللباس ، باب ارداف الرجل خلف الرجل (٧/ ٢١٨) ، ومسلم ، كتاب الايمان (١/ ٥٨ - ٥٩) .
وقوله : فأخبر بها معاذ عند موته تأثما . عند البخارى في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم (١/ ٤٤) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٣٥) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١٣٧/أ) وزاد في الدر المنثور (٢/ ٥٢٩) ، نسبته الى ابن المنذر والبيهقي في الشعب .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٣٨) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١٣٧/أ) وانظر الدر المنثور (٢/ ٥٢٩) .

(٤) انظر زاد المسير (٢/ ٧٩) والنكت والعيون (١/ ٣٨٨ - ٣٨٩) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة - رضى الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " مازال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت (١٣٥/أ) أنه سيورثه " . (١)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر ، أن رسول الله قال له يا أبا ذر اذا طبخت قدرا فأكثر المرقة ، وتعاهد جيرانك " . (٢)

وفي صحيح البخارى ، أن عائشة - رضى الله عنها - قالت : يارسول الله ان لي جارين فإلى أيهما أهدى ؟ قال : " الى أقربهما منك بابا " . (٣)

قوله : ((والصاحب بالجنب)) قال على - رضى الله عنه - هو الزوجة (٤)

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - الرفيق . (٥)

وقال ابن زيد (٦) : هو الذى يلصق بك رجاء خيرك . (٧)

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار (٨/ ١٢) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة (٤/ ٢٠٢٥) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة (٤/ ٢٠٢٥) .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب حق الجار في قرب الأبواب (٨/ ١٣) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٤٢) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٣٧/ب) وزاد نسبته في الدر المنثور (٢/ ٥٣٢) الى عبد بن حميد وابن المنذر

(٥) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٤١) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٣٧/ب) وزاد نسبته في الدر المنثور (٢/ ٥٣١) الى ابن المنذر والبيهقي في الشعب .

(٦) جابر بن زيد ، أبو الشعثاء الأزدى ، ثم الجوفي ، بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء ، البصرى ، مشهور بكنيته ، مات سنة ثلاث وتسعين . التقريب (٨٦٥) .

(٧) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٤٤) .

قوله : ((وما ملكت أيمانكم)) يريد من الأرقـــاء .

وقيل : يدخل فيه أيضا الحيوان البهيم .

قال أنس بن مالك : كانت وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حضره الموت : الصلاة وما ملكت أيمانكم .[1]

قوله تعالى : ((إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا - ٣٦))

يحمله اختياله وفخره على مجانبة من أوصى الله بهم في هذه الآيـــة ، والازدراء بهم اذا كانوا فقراء .

قال ابن عباس : المختال : البطر في مشيته ، والفخور المفتخر على الناس بكبره .[2]

وقال الزجاج : المختال : الصلف التياه الجهول .[3]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قـــال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" قال الله - عز وجل - : العز إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني شيئا منهما عذبته " .[4]

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند (٣/ ١١٧) من حديث أنـــس ، وأخرجه أيضا (٦/ ٣١٥) من حديث أم سلمة ، وابن ماجـــه كتاب الجنائز ، باب ما جاء في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٥١٩) قال في الزوائد (٢/ ٥٦) ، هذا اسناد صحيح على شرط الشيخين . اهـ

(٢) زاد المسير (٢/ ٨٠) .

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٢) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة (٤/ ٢٠٢٣) .

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (١٣٥/ب) أنه قال : " لا ينظر الله الى من جرّ ثوبه خيلاء " . (١)

قوله : ((الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)) .

((الذين)) نصب على الذم ، أو على البدل من قوله : ((من كان مختالا فخورا)) . أو رفع بالابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : الذين يبخلون ملومون أو معذبون ، أو على معنى : هم الذين يبخلون .

قال المفسرون : نزلت في اليهود . (٢)

وفي الذى بخلوا به قولان :

أحدهما : أنه التصديق بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واظهار صفته للناس حسدا ، وبغيا ، وتكبرا ، ونفاسة عليه ، حيث لم يكن منهم .

قال ابن السائب : بخلوا أن يصدقوه ، فكتموه ، وأمروا قومهم بكتمان أمره .

وبهذا الاعتبار يصح النصب على البدل .

والقول الثاني : انهم بخلوا بالأموال ، وأمروا الناس أن يبخلوا بها . (٣)

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب اللباس ، أول حديث فيه (٧/ ١٨٢) ، ومسلم كتاب اللباس (٣/ ١٦٥١) ، من حديث ابن عمر .

(٢) أسباب النزول للواحدى (١٤٥) ، ولباب النقول (٦٨) .

(٣) زاد المسير (٢/ ٨٢) ، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠)
والقول الثاني هو الراجح ، لأنه هو الذى يبخل به في العادة وقد ذكره ابن كثير ، ولم يذكر غيره .

قال ابن عباس : كان كردم بن زيد ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ونافع بن أبي نافع ، وحيي بن أخطب ، في آخرين ياتون رجالا من الأنصار من أصحاب رسول الله ، وكانوا يخالطونهم ، وينتصحون لهم ، فيقولون لا تنفقوا أموالكم ، فانا نخشى عليكم الفقر ولا تسارعوا فانكم لا تدرون ما يكون فنزلت هذه الآية[1] .

قرأ حمزة والكسائي : " بالبَخَل " بفتح الباء والخاء هنا وفي الحديد[2] .

وقرأ الباقون : بضم الباء وسكون الخاء فيهما[3] ، وهما لغتان كالرُشْد والرَشَد .

((ويكتمون ماءاتاهم الله من فضله - ٣٧)) (١٣٦/أ) قال ابن عباس والأكثرون : يريد العلم مما في التوراة مما عظم الله به أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته[4] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/٣٥٣) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٣٨/ب) وابن اسحاق وابن المنذر ، قاله في الدر المنثور (٢/٥٣٨) وتفسير الثعلبي (٤/ق ٥٤/ب) والبغوى (١/٤٢٧) .

(٢) الحديد (٢٤) .

(٣) الحجة للفارسي (٣/١٦٠) ولا بن زنجلة ص (٢٠٣) ، والكشف (١/٣٨٩) ، والنشر (٢/٢٤٩) .

(٤) زاد المسير (٢/٨٢) ، وتفسير ابن كثير (١/٤٩٦) .

وان قلنا :المراد به البخل بالأموال ، فالأليق أن يكون المعنى هاهنا : ((ويكتمون ما آتاهم الله من فضله)) أى يخفون نعم الله عليهم على ما هو المتعاهد من عادة البخلاء .

وفي الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " اذا أنعم الله على عبده نعمة ،أحب أن ترى . (١)

ويروى أن بعض عمال الرشيد بنى قصرا الى جانب قصره ،فنُمّ به اليه فقال : يا أمير المؤمنين : ان الكريم يسرّه أن يرى أثر نعمته ،فأحببت أن أسرّك بالنظر الى آثار نعمتك ، فأعجبه كلامه .(٢)

وقال بعضهم : الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالمقال .

ويروى أن جعفر بن يحى البرمكى(٣) ـ رحمهما الله ـ ركب لحاجة وكان طريقه على بيت الأصمعي(٤) ، فدفع الى غلام له كيسا فيه ألف دينار ، وقال :

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب اللباس ،باب في غسل الثوب وفي الخلقان (٤/ ٥١) والترمذى ، كتاب الأدب باب ما جاء ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥/ ١٢٣ - ١٢٤) وقال هذا حديث حسن . اهـ وابن عدى في الكامل (٥/ ٢٠٠٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٥) .
وقال هذا حديث صحيح الاسناد . اهـ . ووافقه الذهبي .

(٢) الكشاف (١/ ٢٦٨) .

(٣) جعفر بن يحى بن خالد أبو الفضل البرمكى ،كان مقدما عند الرشيد قتل مع البرامكه في وقعة الرشيد بهم سنة سبع وثمانين ومائة . تاريخ الطبرى (١٠/ ٧٩) وتاريخ بغداد (٧/ ١٥٢) والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٩) .

(٤) عبد الملك بن قريب الأصمعي ،أبو سعيد الباهلى البصرى اللغوى المشهور ،توفى سنة ست عشرة ومائتين . التقريب (٤٢٠٥) .

انى سأنزل في رجعتى الى الأصمعي ، ثم سيحدثني ، ويضحكنى ، فاذا ضحكت ، فضع الكيس بين يديه ، فلما دخل جعفر على الأصمعي ، رأى عنده حُبا مكسور الرأس[1] ، وجرة ملتوية العنق ، وقصعة مشعبة ، ورآه على مصلى بال وعليه بُرْكَان[2] أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه ، فلم يدع الأصمعي شيئا مما (١٣٦/ب) يضحك الثكلان الا أورده عليه ، فما تبسم ، وخرج فقال لرجل يسايره : من استرعى الذئب ظلم ، ومن زرع سبخة حصد الفقر ، انى والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حفلت بنشره باللسان واين يقع مديح اللسان من آثار العيان ، ان اللسان قد يكذب ، والحال لا يكذب . لله در نصيب[3] حيث يقول :

٧٧ - فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله

ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب .[4]

---

(١) الحب : بالضم الجرة الضخمة قاله في تاج العروس (٢ / ٢٢٤)

(٢) البركان : هو ضرب من الثياب قال الفراء : كساء من صوف له علمان . وقيل بركان على وزن زعفران . قاله في اللسان (١٠ / ٤٠٠) ، والصحاح (٤ / ١٥٧٥) .

(٣) كان عبدا أسود لرجل من أهل وادى القرى فكاتب على نفسه ثم أتى عبد العزيز بن مروان فقال فيه مدحة فوصله واشترى ولاءه . الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٦٠) .

(٤) البيت في الشعر والشعراء (٢٦٠) وذيل الأمالي (٤٠) ورسالة الصاهل والشاحج للمعرى (٣٤٨) .

قوله عز وجل : ((والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس))[1] قال ابن عباس ، ومجاهد[2] : نزلت في اليهود .

وقال السدى : نزلت في المنافقين .

وقيل : في مشركي مكة[3] .

فان قيل : كيف قال ابن عباس : نزلت في اليهود ، وهم أهل كتاب يصدقون بالله وبالبعث .

قلت : المعنى : لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ايمانا كاملا ، فانهم كفروا بالقرآن ، وبما جاءت به الرسل من عند الله ، وكذبوا بالبعث على الوجه الذى اخبرت به رسل الله ، وجاءت به كتبه ، وقالوا : لا تبعث الأجساد ، ولا ينعم أهل الجنة بالأكل ، والشرب ، والنكاح . فكأنهم لم يؤمنوا .

فان قيل : قد نطقت الآية التى قبلها أنهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، فكيف وصفهم في هذه الآية بأنهم ينفقون أموالهم ؟

---

(١) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثلاثين ، مرة ثانية .

(٢) تفسير ابن جرير (٨ / ٣٥٣) ، وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٣٨ / ب) والثعلبي (٤ / ق ٥٤ / ب) والبغوى (١ / ٤٢٧) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤ / ق ٥٤ / ب) ، وزاد المسير (٢ / ٨٣) . والأظهر أنها في المنافقين ، لأن اليهود يؤمنون باليوم الآخر وهؤلاء المذكورون في الآية لا يؤمنون باليوم الآخر .

قلت : ليجمع لهم الذم بكل طريق (١٣٧/أ) فأخبر عنهم بأنهم جمدوا في الحق حتى بخلوا ، وأمروا بالبخل غيرهم ، فكانوا كما قيل :

٧٨ — وان امرأ ضنّت يداه على امرئ
بنيل يد من غيره لبخيل[1] .

ودأبوا في الباطل حتى انفقوا أموالهم فيه رياء . وسمعة ، واستمالة للناس عن اتباع الهدى .

فان قيل : ما اعراب قوله : ((والذين ينفقون)) ؟

قلت : ان كان معطوفا على ((الذين يبخلون)) فاعرابه النصب ، أو الرفع ، وان كان معطوفا على قوله : ((وللكافرين)) فاعرابه الجر[2] .

وبهذا البيان يتضح لك مقاطع الكلام ومواضع الوقف ، فتَفَهَّم ذلك .

قوله : ((ومن يكن الشيطٰن له قرينا)) هو من قولك : قرنت الشيء بالشيء اذا وصلته به . فالقرين هو : المواصل ، المؤالف .

والمعنى : من يكن الشيطان له قرينا في الفعل ((فساء قرينا)) .

وقال ابن السائب : هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان ، ويقول الله : ((ومن يكن الشيطٰن له قرينا فساء قرينا - ٣٨)) يقول : بئس المصاحب الشيطان .

---

(١) الكشاف (١/٢٦٨) ، والبيت لأبي تمام وقيل للبحتري .

(٢) ويحتمل وجها ثالثا وهو أن لا تكون الواو حرف عطف ، وانما تكون للاستئناف ، وما بعدها مبتدأ خبره محذوف ، تقديره معذبون . انظر الدر المصون (٣/٦٧٨) .

قوله : ((وماذا عليهم)) تقريع لهم كما يقال للرجل الفاجر العاق ما ضرك لو اطعت ربك ، وبررت أباك . وكما يقال للمنتقم : ما يضرك لو عفوت.

ومنه قول قتيلة بنت النضر بن الحارث في أبياتها السائرة ، حين قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - أباها بالصفراء مقفله من بدر ، وكان شديد الشكيمة في كفره ، وتكذيبه ، وأذاه للنبي ، ومعاداته له :

٧٩ - أمحمد أو لست صنو نجيبة

في قومها ، والفحل فحل معرق (١٣٧/ب)

٨٠ - ما كان ضرك لو مننت فربما

منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لو بلغني شعرها قبل أن اقتله لتركته لها " . (١)

والمعنى : أى شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رياء الناس لا يؤمنون ، لو آمنوا ((وانفقوا)) قال ابن عباس : يعني الصدقة . (٢)

وقيل : الزكاة .

---

(١) ذكر هذه الأبيات ابن هشام في السيرة (٢/٨٠٣) ، وفيها " أمحمد ياخير ضنء كريمة .

والحافظ ابن حجر في الاصابة (٤/٣٨٩) ، وفيها : أمحمد ولدتك خير نجيبة .

(٢) زاد المسير (٢/٨٣) .

((وكان الله بهم عليما - ٣٩)) فهو يعلم ما هم عليه من الكفر والنفاق ، ويعلم قصدهم بالانفاق .

قوله : ((ان الله لا يظلم مثقال ذرة))[1] قال ابن عباس :لا ينقص مثقال ذرة من عمل منافق الا جازاه بها .

ومثقال كل شيء وزنه . قال الأصمعي : اذا قلت للرجل : ناولني مثقالا فاعطاك صنجة ألف أو حبة ، كان ممتثلا .[2]

والذرة في اللغة : أصغر النمل .

وفي قراءة عبد الله : " مثقال نملة " .[3]

وروى عن ابن عباس : أنه أدخل يده في التراب ، ثم رفعها ، ثم نفخ فيه ،ثم قال : كل واحد من هؤلاء ذرة .

وروى عنه أنها رأس النملة .[4]

وقيل : الواحدة مما يتطاير من الهباء في ضوء الشمس .

وقيل : الخردلة .

والمراد أنه لا يظلم قليلا ولا كثيرا ،لكنه ذكر الذرة لأنها غاية ما يضرب به المثل في القلة .

---

(١) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الخامس عشر .

(٢) زاد المسير (٢/ ٨٤) .

(٣) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص (٦٤) ومختصر ابن خالويه في شواذ القرآن ص (٢٦) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٦٠) ، والثعلبي (٤/ق ٥٥/أ) .

((وان تك حسنة يضاعفها)) أى ان تك فعلته حسنة ، أو مثقال الذرة حسنة . وأنثه لكونه مضافا الى مؤنث .

قرأ ابن كثير ، ونافع " حسنةً " على (١٣٨/أ) معنى : ان تحدث أو توجد حسنة ، وقرأ ابن عامر وابن كثير " يُضَعِّفها " بالتشديد من غير ألف وقرأ الباقون بألف ، مع التخفيف .(١)

قال ابن عباس : وان تك حسنة من مؤمن يضاعفها بعشرة أضعافها .

وقال السدى : هذا عند الحساب ، والقصاص . فمن بقى له من الحساب مثقال ذرة ضاعفها الله الى سبع مائة ضعف ، والى الأجر العظيم وهو قوله : ((ويؤت من لدنه أجرا عظيما .)) يعنى يتفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف .

وقال الكلبي : الأجر العظيم : الجنة .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك في قوله : ((ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها)) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ، ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها " .(٢)

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦٠) لابن زنجلة ص (٢٠٣) ، والكشف (١/ ٣٨٩- ٣٩٠) ، والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين (٤/ ٢١٦٢) .

قوله : ((فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد)) هذا استفهام في معنى التوبيخ ، أى كيف تكون حالهم يوم القيامة ((اذا جئنا من كل أمة بشهيد)) وهو نبيها يشهد لها ،وعليها .

((وجئنا بك)) يا محمد ((على هؤلاء)) المكذبين ((شهيدا)) .

أخبرنا القاضي أبو القاسم ،عبد الصمد (بن)[1] محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستاني ،قرأة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق ،أخبرنا (١٣٨/ب) أبوالحسن على بن المسلم بن محمد السلمى ،أخبرنا أبو نصر ،الحسين بن محمد بن أحمد ،أخبرنا أبو الحسين ،محمد بن أحمد بن جميع الغساني ، الصَيْداوى قراءة عليه في داره بصيدا ،سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الواعظ ببغداد ، حدثنا حميد بن الربيع ،حدثنا حفص بن غياث حدثنا الأعمش ، عن ابراهيم ،عن عَبِيْدة ، عن عبد الله ، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأ على من سورة النساء .

قال : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ !!!

قال : إنى أشتهى أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه ،حتى انتهيت الى قوله : ((فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)) فسألت عيناه ،فسَكَتُّ . هذا حديث صحيح .

أخرجه البخارى في صحيحه عن صدقة عن يحيى عن سفيان عن سليمان الأعمش[2] فكأنى سمعته من طريق البخارى ، عن الداودى ،شيخ شيخ شيخنا .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٢) صحيح البخارى ،كتاب فضائل القرآن ،باب البكاء عند قراءة القرآن : (٦/٢٤٣) .

قوله تعالى : ((يومئذ يود الذين كفروا)) العامل في " يومئذ " " يود " وتنوين اذن عوض عن الجملة المحذوفة ، تقديره : يوم اذ شهدت على هؤلاء ((يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى)) قرأ نافع ، وابن عامر " تسوى " بفتح التاء وتشديد السين ، أصلها تتسوى فادغمت التاء في السين .

وكذلك قرأ حمزة والكسائي الا أنهما حققا السين (١٣٩/أ) وأمالا على أصلهما .

وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين[1] على معنى :

لو تسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى ، قال قتادة : ودوا لو تخرقت بهم الأرض فساخوا فيها[2] . قال الزجاج : يودون أنهم كانوا والأرضُ سواء .[3]

وقال ابن كيسان وغيره : ودوا أنهم لم يبعثوا ، وأنهم كانوا والأرضُ سواء[4] .

وقال الفراء وغيره : المعنى : ودوا لو جعلوا ترابا ، وكانوا هم والأرضُ سواء .[5]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ١٦١) لابن زنجلة ص (٣٠٣ - ٣٠٤) والكشف (١/ ٣٩٠ - ٣٩١) والنشر (٢/ ٢٤٩) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٠/أ) ، والثعلبي (٤/ق ٥٧/ب - ٥٨/أ) ، والبغوي (١/ ٤٣٠) ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر قاله في الدر المنثور (٢/ ٥٤٢) .

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٦) .

(٤) تفسير الثعلبي (٤/ق ٥٨/أ) ، وزاد المسير (٢/ ٨٧) .

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٦٩) بتصرف . وزاد المسير (٢/ ٨٧) .

قال أبو هريرة : اذا حشر الله الخلائق قال للبهائم ، والـــد واب والطير : كوني ترابا ، فعندها يقول الكافر : ياليتني كنت ترابا [١].

((ولا يكتمون الله حديثا - ٤٢)) كلام مستأنف على معنى :لا يقدرون على كتمانه ،لأن جوارحهم تشهد عليهم ،فتقول اليد : بطشت ، وتقول الرجل : مشيت ، وتقول العين : نظرت .

قال ابن عباس : هذا حين يختم على أفواههم ، وتتكلم أيديهـــم وأرجلهم ، فحينئذ ((لا يكتمون الله حديثا)) [٢].

وقيل : الواو في قوله : ((ولا يكتمون)) واو الحال ، فيكون متعلقا بـ ((ـيود)) على معنى : يودون لو تسوى بهم الأرض ، وأنهم لا يكتمون الله حديثا ، ولا يكذبون في قولهم : والله ربنا ما كنا مشركين اذا فضحتهم جوارحهم بالشهادة عليهم . وهذا المعنى مروى عن ابن عباس [٢].

وقال عطاء : ودوا (١٣٩/ب) يوم القيامة لو تسوى بهم الأرض وانهم لم يكونوا كتموا صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا [٣].

قوله : ((يأيها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكرى حتـــى تعلموا ما تقولون)) .

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/٢٦) ط/ الحلبي ، وابن أبي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد والبيهقي في البعث والنشور (٣٤١) قاله في الـــدر المنثور (٨/٤٠١) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٣٧٣) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٠/أ) والثعلبي (٤/ق٥٨/ب) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٠٦-٣٠٧) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ٥٨/ب) ، والبغوى (١/٤٣٠) .

اخرج ابو داود في سننه ، والترمذى في جامعه - واللفظ لـــــه - باسنادهما عن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : صنع لنا ابن عوف طعاما ، فدعانا ، فأكلنا وسقانا خمرا ، قبل أن تُحرَّم ، فأخذت منا ، وحضرت الصلاة ، فقدموني ، فقرأت : ((قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون)) (١) ونحن نعبد ما تعبدون " قال : فخلطت فنزلت : ((لا تقربوا الصلوٰة وانتـــم سكرٰى حتى تعلموا ما تقولون)) (٢) .

والمراد من الآية زجرهم عن الشرب في الاوقات القريبة من الصلـوات ثم نسخ ذلك بما ذكرناه في البقرة (٣) .

وقيل : ((لا تقربوا الصلوة)) أى مواضع الصلاة (٤) وهى المساجد كأنه نزه المساجد من السكارى ، لأنه لا يؤمن تلويثهم للمساجد ، كما قال - عليـــه السلام - : " جنبوا مساجدكم الصبيان والمجانين " (٥) .

---

(١) الكافرون (١ ، ٢) .

(٢) أبو داود ، كتاب الأشربه ، باب في تحريم الخمر (٣ / ٣٢٥) والترمذى كتاب التفسير ، سورة النساء (٥ / ٢٣٨) ، من طريق سفيان الثورى عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على .
وعطاء اختلط بأخره ، لكن سماع سفيان منه قديم قبل اختلاطه فيكون حديثا حسنا . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .
ولم يذكر المؤلف الغرابة ، فلعلها في بعض النسخ دون بعض .

(٣) نسخ حكم هذه الآية بآية المائدة (٩٠) " يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبـــوه لعلكم تفلحون " .

(٤) وهذا صحيح فان أماكن الصلاة ، وهى المساجد ، داخلة في النهى ، ويشهد لهذا قوله : ((الا عابرى سبيل)) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ، كتاب المساجد ، باب ما يكره في المساجد (١ / ٢٤٧) عن واثله بن الأسقع الليثي .

= = = =

وقيل : ((لا تقربوا الصلوٰة وانتم سكٰرى)) من النعاس ، فانكم لا تعقلون ما تصلّون .

قال بعض أرباب الاشارات : ((وانتم سكٰرى)) من حب الدنيا .

قال يحيى بن معاذ الرازى[1] : الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لا يفيق الا في عسكر الموتى .

وكل (١٤٠/أ) هذا محتمل[2] غير أن التفسير الذى يعتمد عليه ما اقتضاه سبب النزول وهو السكر المعروف ، وهو المتبادر الى الأفهام عند الاطلاق .

والسكارى جمع سكران : وهو الذى سدّ عليه طريق الادراك ، ومتى بلغ الى هذه الحالة ، كان بيعه وشراؤه ملغي ، وأخذ بالقتل وسائر الاستهلاكات[3]

(=) والطبراني في الكبير (٨/ ١٥٦) من حديث أبى أمامة وواثلة وأبى الدرداء بلفظ جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم " .
وابن عدى في الكامل (٤/ ١٤٥٤) من حديث أبى هريرة .
وضعفه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤٤) السخاوى في المقاصد (١٧٥ - ١٧٦) .

(١) يحيى بن معاذ الرازى ، الواعظ من كبار المشايخ ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة ، توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين .
الحلية (١٠/ ٥١) ، وتاريخ بغداد (١٤/ ٢٠٨) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥) .

(٢) الا ما قاله أهل الاشارات فانه ليس داخلا في الآية ، ولا يحتمله لفظها ولا كرامة .

(٣) وذلك أن السكران الذى لا يدرى ما يقول لا يؤاخذ فيما يتعلق بجانب الله تعالى ، وأما ما يتعلق بالخلق من الأقوال - كالقذف - أوالافعال - كالقتل وسائر الاتلافات - فانه يؤاخذ به . ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح أن حمزة رضى الله عنه سكر قبل تحريم الخمر ، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة فوجدوه قد ثمل من الخمر ، فاقبل عليهم وقال : هل أنتم الا عبيد آبائي . ولم يكفر بهذه المقاله ، مع أنه لو قالها للنبي صلى الله عليه وسلم أحد في حال افاقته كفر . أما حقوق الخلق فانها مبنية على المشاحة فلا تسقط .

وفي وقوع طلاقه وعتاقه اختلاف بين الصحابة ، والأئمة الأربعة .(١)

((ولا جنبا)) قال الزمخشري : هو عطف على قوله : ((وانتم سكارى)) لأن محل الجملة مع الواو ، النصب على الحال . كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا .

والجنب يستوى فيه الواحد ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب .

((الا عابرى سبيل)) استثناء من عامة أحوال المخاطبين ، وانتصابه على الحال . فان قلت : كيف جمع بين هذه الحال والحال التى قبلها ؟

قلت : كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها ، وهى حال السفر ، وعبور السبيل عبارة عنه .

ويجوز أن لا يكون حالا ، ولكن صفة لقوله : ((جنبا)) أى ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير معذورين .

قال : فان قلت : كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر ؟(٢) (١٤٠/ب)

---

(١) انظر المغني (٧/ ١١٤ - ١١٥) ، والافصاح (٢/ ١٥٣ - ١٥٤)

(٢) ما ذهب اليه الزمخشري توهم لا حقيقة له ، فان لفظه الصلاة تحتمل معنيين : العبادة المعروفة ، والمساجد التى هى أماكن الصلاة وقد نهى الله تعالى السكران عن قربان الصلاة ، وهو عام للنهى عن الدخول في العبادة ، وفي اماكنها ، ولهذا آثر التعبير بالقربان دون غيره ، لان السكران اذا دخل المسجد قرب من الصلاة .
ثم نهى الله تعالى الجنب بقوله " ولا جنبا " أى لا تقربوا الصلاة في حالة الجنابة ، ثم استثنى منه المار في المسجد والمجتاز فيه ، وهذا الاستثناء ليس متعلقا بكلا المعنيين للصلاة وانما هو متعلق بمعنى

====

قلت : اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا ، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا ، الا أن تكونوا مسافرين .

وقال من فسر الصلاة بالمسجد : معناه : لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه .

((وان كنتم مرضى أو على سفر))[1] نزل في رجل أنصارى أعجزه المرض عن القيام الى الوضوء ، ولم يكن له خادم .[2]

وقيل : في الجرحى حين شكوا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مايصيبهم من الجنابة .

وظاهر الآية يقتضى جواز التيمم مع حصول المرض الذى يستضر معه باستعمال الماء سواء كان يخاف التلف أو لا يخاف وهو مذهب امامنا[3] .

(=) واحد ، وهو المساجد قطعا ، وقد أبطل الله تعالى ما توهمه الزمخشرى بقوله : " وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا" الآية فقطع الله هذا الوهم بأن الصلاة لا تصح من الجنب ، لا عابر سبيل ولا غيره ، وانما يجب عليه الغسل ، فان لم يجد تيمم . والله أعلم .

(١) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس السادس عشر .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٤١/ب) ، والثعلبي (٤/ق ٦٠/أ) وزاد في الدر المنثور (٢/ ٥٤٨) نسبته الى ابن المنذر .

(٣) وهو الصواب ، ويشهد له حديث عمرو بن العاص المتقدم لما تيمم في غزوة ذات السلاسل .

وقال الشافعي - رحمه الله - في أحد قوليه : لا يجوز التيمم الا اذا خاف التلـــف (١).

وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء ، قصيرا كان ، أو طويـــلا .

والحضر كالسفر عند عدم الماء ، وخصه بالذكر ، لأن الماء لا يعدم الا فيه غالبـــا .

فان حبس في المصر ، ولم يقدر على الماء ، وحضرت الصلاة ، صلى بالتيمم خلافا لأبي حنيفة في احدى روايتيه ، وداوود ، في قولهما : لا يصلي .

ولا اعادة عليه عندنا ، وقال الشافعي يعيد (٢).

((أو جاء أحد منكم من الغائط)) قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه : ((أو)) بمعنى الواو لأنها لو لم تكن كذلك ، لكان وجـــوب الطهارة (١٤١/أ) على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث (٣).

والغايط أصله : المكان المطمئن من الأرض ، كانوا يتوارون فيه عند الحدث فاستعير له .

وكذلك العذرة ، أصله : فناء الدار ، ثم غلب على الحدث لأنهم كانـــوا يلقونه بافنيتهم .

---

(١) المغني (٢٥٨/١) ، والمنهاج ص (٦ - ٧) .

(٢) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٩١/١) وانظـــر المحلى (١٥٩/٢) ، والهداية (٢٧/١) ، وبدائع الصنائع (٤٨/١) وفيهما : هو قول لمحمد بن الحسن ، ولم أجد عن أبي حنيفة ما ذكره المؤلف .

(٣) زاد المسير (٩١/٢) .

والراوية البعير الذى يستقى عليه ، والظعينة الهودج الذى تحمل المرأة فيه ، فهذا وأمثاله مما صارت الحقيقة فيه مهجورة ، والمجاز مشهورا .

قوله : ((أو لمستم النساء)) قرأ حمزة والكسائي " لمستم " وقرأ الباقون " لا مستم " بألف[1] ، وكذلك في المائدة .[2]

فمن قرأ " لا مستم " قال : الفعل من اثنين ، فجرى على المفاعلة ، ويتجه على هذه القراءة قول على وابن عباس ان المراد به الجماع[3] ، ومن قرأ " لمستم " جعل الفعل من واحد ، وهو الافضاء باليد ، أو ببعض الجسد الى جسد المرأة ، وهو قول ابن مسعود وابن عمر ومنصور والشعبي والنخعي[4] ، وفي هذه الآية على هذا التفسير مستدل لمن حكم بنقض الوضوء من لمس النساء وقد اختلف العلماء في ذلك ، وفيه عن الامام أحمد ثلاث روايات :

أحدها : لا ينقض بكل حال ، وهو قول ابن عباس والحسن البصرى ، ومحمد ابن الحسن وسفيان الثورى ، في احدى الروايتين عنه .

الثانية : ينقض بكل حال ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر والزهرى وربيعة والشافعي .

---

(١) الحجة للفارسي (٣ / ١٦٣) ، ولابن زنجلة ص : (٢٠٤) ، والكشف (١ / ٣٩١) والنشر (٢ / ٢٥٠) .

(٢) المائدة (٦) .

(٣) أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير (٨ / ٣٨٩) ، وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٤٢ / أ) ، والبيهقي في الكبرى (١ / ١٢٥) .
وأما أثر على فعند ابن جرير (٨ / ٣٩٢) وحده .

(٤) أخرج هذه الآثار ابن جرير (٨ / ٣٩٣) ، وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٤٢ / أ) ، وابن أبى شيبة في المصنف (١ / ٤٦) .

الثالثة : التفصيل ، ان كان لشهوة نقض (١٤١/ب) وان كان لغير شهوة لم ينقض ، وهو الصحيح من المذهب ، واختيار عامة الأصحاب ، وهو قول مالك . والليث بن سعد ، واسحاق بن راهويه .

وقال الأوزاعي : ان كان اللمس باليد ، نقض والا فلا .(١)

وقال أبو حنيفة ، وأبو يوسف : ان كانت ملامسة فاحشة تنشر الآلة نقضت ، والا فلا .(٢)

((فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا))(٣) أخرجا في الصحيحين : أن عائشة - رضى الله عنها - كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره فانقطع عِقد لها ، فأقام النبي على التماسه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت هذه الآية ، فقال أسيد بن حضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .(٤)

---

(١) المغني (١/ ١٩٢ - ١٩٣) ، والانصاف (١/ ٢١١) ، والمنهاج (٤) وبداية المجتهد (١/ ٥٣ - ٥٤) .

(٢) واظهر هذه الأقوال وأقواها دليلا من قال ان مس المرأة لا ينقض مطلقا ، لأن هذا مما تعم به البلوى ، ولو كان ناقضا لبينه الشارع بيانا عاما ، يزيل الالتباس والخلاف ، قال ابن عباس : كل مس في القرآن أضيف للنساء فهو الجماع ، فالمراد به هنا الجماع .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية : اذا مس المرأة لغير شهوة فهذا مما علم بالضرورة أن الشارع لم يوجب منه وضوء ، ولا يستحب الوضوء منه . اهـ الاختيارات (١٦) .

(٣) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادى والثلاثين مرة ثانية .

(٤) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/ ٦٣ - ٦٤) ، ومسلم كتاب الحيض (١/ ٢٧٩) .

واختلف العلماء في وجوب طلب الماء .

فذهب الامام أحمد - في أصح الروايتين عنه - الى أن طلب الماء شرط ، لقوله تعالى : ((فلم تجدوا ماءا فتيمموا)) ولا يقال : لم يجد الا اذا طلب.

وذهب أبو حنيفة الى أنه ليس بواجب ولا شرط ، وهو الرواية الأخرى.[1]

والتيمم : القصد ، كما ذكرناه في البقرة .

والصعيد : التراب في قول علي ، وابن مسعود ، والفراء[2] ، والزجاج ، وقال الشافعي : لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار ، فلذلك قال : لا يجوز التيمم الا بما كان بهذه الصفة . وهو الصحيح من مذهب امامنا[3] (١٤٢/أ) .

وقال الزجاج ، وأبو حنيفة ، وأصحابه : الصعيد : وجه الأرض ترابا كان أو غيره . حتى لو ضربت عندهم على صخرة ، لا غبار عليها ، كان ذلك طهورا[4].

---

(١) المغني (١/ ٢٣٦) والانصاف (١/ ٢٧٥) ، وبدائع الصنائع : (١/ ٤٦ - ٤٧) وهذه المسألة على ثلاثة أحول : أن يغلب على ظنه وجود الماء فيجب الطلب بالاجماع ، الثانيه : أن يغلب على ظنه عدم الماء فلا يجب الطلب بالاجماع ، والثالثة : ألا يغلب على ظنه لا هذا ولا هذا ، فهذا هو الذي اختلف فيه أهل العلم ، والصواب الوجوب لعموم الآية .

(٢) زاد المسير (٢/ ٩٤) والبغوي (١/ ٤٣٥) .

(٣) المغني (١/ ٢٤٧ - ٢٤٨) والمنهاج (٧)

(٤) وهو مذهب مالك أيضا ، وانظر معاني القرآن للزجاج : (٢/ ٥٨) والهداية (١/ ٢٥) .

وفي قوله في المائدة : ((فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه))[1] دليل على صحة مذهبنا ،لأن المعنى : امسحوا بوجوهكم ، وأيديكم ببعضه ، وهذا مستحيل في الصخر الذى لا تراب عليه .

قالوا : " من " لابتداء الغاية .

قال الزمخشرى : فان قلت : قولهم : انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ، ومن الماء ،ومن التراب الا معنى التبعيض .

قلت : هو كما تقول ،والاذعان للحق أحق من المراء .[2]

---

(١) المائدة (٦)

(٢) الكشاف (١ / ٢٧٠) .

فصل

ذهب الامام أحمد الى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين ، وهو قول علي ، وابن عباس ، وعمار ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وعكرمة ، والاوزاعي ، واسحاق ، لأن اليد عند الاطلاق الى الكوع بدليل قوله : ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما))[1] والقطع من الكوع بالاجماع.[2]

وفي الصحيحين من حديث عمار بن ياسر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " يكفيك الوجه والكفين " .[3]

ورواه ايضا عمار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلا فقال : فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - بكفيه الأرض (١٤٢/ب) ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه.[4]

وذهب جماعة منهم ابن عمر ، والحسن ، وأبو حنيفة ، والثوري ، والشافعي الى أنه ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة لليدين الى المرفقين.[4]

وذهب ابن سيرين الى أنه ثلاث ضربات : ضربة للوجه ، وضربة للكفين ، وضربة للذراعين .

---

(١) المائدة (٣٨) .

(٢) وهذا هو الصواب ، لأن اليد عند الاطلاق تنصرف الى الكف ، فاذا أراد الشارع خلاف ذلك قيده كما في آية الوضوء قال : " وأيديكم الى المرافق " .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب التيمم للوجه والكفين (١/ ٩٣ ، ٩٦) ومسلم كتاب الحيض (١/ ٢٨٠) .

(٤) خبر ابن عمر أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٨٠) ، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨) .

(٥١٦)

وذهب الزهري الى أنه يمسح الى الآباط ، لأن عمارا قال : ضربنا ضربة لوجوهنا ، وضربة لايدينا الى المناكب .(١)

ولا حجة فيه ،لأنه حكى فعلهم ، ولم يقل : ان النبي فعله ، ولا أمر به ، ولا رآه ، أو بلغه فسكت .(٢)

قوله : ((ان الله كان عفوا غفورا - ٤٣)) يصفح ويتجاوز عنكم ، ويغفر لكم ما كان منكم .

قوله : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب " .

قال قتادة : هم اليهود .(٣)

والنصيب الذى أوتوه علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وغيره .

---

(١) المغني (١/ ٢٤٤) والروضة (١/ ١١٢) والهداية (١/ ٢٥) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٣٩ - ٢٤٠) ، وتفسير ابن جرير (٨/ ٤١٤ - ٤١٨) والثعلبي (٤/ق ٦٦/ب - ٦٧/أ) .

(٢) والصواب أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين لإطلاق الآية ، ولحديث عمار ، وفيه " فضرب بيديه الأرض ضربة واحدة " وهذا مقام تعليم ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، فلو كان أكثر من ضربة لبينه النبي صلى الله عليه وسلم .
وأما حديث ابن عمر فهو ضعيف لا يحتج به ، ولو صح موقوفا ، فلا حجة فيه . لان قول الصحابي اذا عارض ظاهر الكتاب أو السنة فلا يلتفت اليه .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٢٧) .

" يشترون الضللة " يؤثرونها ، ويرفضون ما كانوا عليه من الهدى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه .

قال الزجاج : يؤثرون التكذيب بالنبي عليه السلام ، ليأخذوا على ذلك الرشى[1] .

" ويريدون أن تضلوا السبيل - ٤٤ " أى أن تخطئوا أيها المؤمنون طريق الهدى

" والله أعلم بأعدائكم " أى هو أعرف بهم منكم ، فهو يطلعكم عليهم ، فجانبوهم (١٤٣/أ) ولا تناصحوهم ، ولا تصاحبوهم ، ((وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا - ٤٥)) فثقوا بولايته ، ونصره لكم .

قوله تعالى : ((من الذين هادوا)) قال الزجاج : " مِنْ " صلة " الذين أوتوا الكتٰب " فيكون المعنى : ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا ، أو جملة مستأنفة ، المعنى : من الذين هادوا قوم يحرفون ، فيكون قوله : " يحرفون " صفة ، ويكون الموصوف محذوفا .

وأنشد سيبويه :

٨١ - وما الدهر الا تارتان فمنهما . أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح[2]

المعنى : فمنهما تارة أموت فيها[3] .

وقال صاحب الكشاف هذا المعنى فأجاد ، وزاد ، " من الذين هادوا " بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب .

---

(١) معاني القرآن (٢ / ٥٧) .

(٢) البيت لتميم بن عقيل وهو في الكتاب لسيبويه (٢ / ٣٤٦) ، والخزانة (٢ / ٣٠٨) ، ومعاني القرآن للفراء (٢ / ١٤٢) .

(٣) معاني القرآن (٢ / ٥٨) .

قوله : " والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله . . . وكفى بالله " جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعواض ، أو بيان لـ" أعدائكم" ، وما بينهما اعتراض ،أو صلة لـ" نصيرا " أى ينصركم من الذين هادوا ،كقوله :" ونصرناه من القوم الذين كذبوا بئياتنا " [1] ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ ، على أن " يحرفون " صفة مبتدأ محذوف تقديره : من الذين هادوا قوم يحرفون .[2]

كقوله : - وأنشد[3] البيت - وما الدهر[4]

ومعنى " يحرفون الكلم عن مواضعه " يميلونه ويزيلونه عنها كما كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم (١٤٣/ب) راعنا ، والسام عليك ، وما حرفوه أيضا من التوراة ، وغيروه من صفة النبي - صلى الله عليه وسلم -

" ويقولون سمعنا وعصينا " أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ، وكانوا يجاهرون بالكفر ، ويعرضون بالسب ، فلذلك صرحوا بالعصيان ولوحوا بالسب في قولهم :" واسمع غير مسمع وراعنا " فقوله " غير مسمع " حال من المخاطب ، قال ابن عباس: معناه لا سمعت .

كأنهم قالوا : اسمع منا مدعوا عليك بالصم .[5]

---

(١) الأنبياء (٧٧) .

(٢) انظر البيان للعكبرى (١/ ٣٦٢) .

(٣) أى الزمخشرى في الكشاف (١/ ٢٧١) .

(٤) تقدم برقم (٨١)

(٥) والى هذا ذهب ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تفسيره (٨/ ٤٣٣) ووافقه ابن كثير في التفسير (١/ ٥٠٧) .

وقال الحسن : المعنى : اسمع غير مقبول منك.[1]

فهذا مقصودهم ، وباطن كلامهم ، وظاهره اسمع غير مسمع مكروها ، فهو كلام ذو وجهين ، وقيل كانوا يقولون بألسنتهم : اسمع وفي نفوسهم : لا سمعت. وهذا القول يأباه قوله " ليا بألسنتهم " وقولهم : راعنا ، ودلالة الحال ، وقد سبق في البقرة الكلام على " راعنا " .

قوله : ((ليا بألسنتهم)) مصدر أصله لويا فأدغمت الواو في الياء .

وقيل : ان رفاعة بن زيد كان اذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وطعن في الاسلام ، فأنزل الله فيه هذه الآية[2] ، والمعنى : تحريفا للمدح الى الذم ، ((ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا)) بدل قولهم : سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا ((لكان خيرا لهم)) مما أظهروا وأضمروا ، ((وأقوم)) أي أعدل ((ولكن لعنهم الله)) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب (١٤٤/أ) كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ((فلا يؤمنون الا قليلا - ٤٦)) أي ايمانا ، قليلا ضعيفا[3] ، والمنقول عن ابن عباس : فلا يؤمن منهم الا قليل كعبد الله بن سلام .

---

(١) زاد المسير (٢ / ١٠٠) وتفسير ابن كثير (١ / ٥٠٧) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨ / ٤٢٨) وابن أبي حاتم (٢ / ق ٤٢ / ب) ، وأخرجه ابن اسحاق ، وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل ، قاله في الدر المنثور (٢ / ٥٥٣) وذكره الثعلبي في تفسيره (٤ / ق ٦٩ / أ) والبغوي (١ / ٤٣٧) .

(٣) وصوب هذا ابن جرير (٨ / ٤٣٩) وانتصر لهذا المعنى في البقرة (٢ / ٣٢٩) .

ثم ان الله أمرهم بالايمان وهددهم فقال : ((يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها)) .

قال ابن عباس وقتادة وجمهور المفسرين نطمس ما فيها من عين وحاجب وأنف فنجعلها كخف البعير ، وحافر الفرس ، كما طمسنا أموال القبط .فجعلناها حجارة ، ونحولها الى الأدبار .

وقال قتادة : نحول وجوههم قبل ظهورهم ونطمس عيونهم (١) .

وقيل : هو استعارة عن اعماء بصائرهم عن الحق ، وردهم عن الهدى بكل وجه .

وروى أن كعبا لما سمع هذه الآية قال :يارب آمنت يارب اسلمت خشية أن يصيبه هذا الوعيد (٢) .

((أو نلعنهم)) يعنى أصحاب الوجوه .

وقيل : الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات من المخاطبة الى المغايبة .

والمراد بلعنهم : مسخهم قردة وخنازير بدليل قوله : ((كما لعنا أصحب السبت)) .

وقيل : طردهم في التيه ، وفيه بعد (٣) .

---

(١) تفسير الثعلبي (٤ / ق ٦٩/ب- ٧٠/ أ) ، والبغوى (١/ ٤٣٩) وزاد المسير (٢/ ١٠١ - ١٠٢) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٤٦) ،وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٣ / ب) .

(٣) اللعن معروف ، وهو الطرد والابعاد عن رحمة الله تعالى ، كما يبينه المؤلف بعد قليل .

فان قيل : لم يوجد فيهم طمس ولا مسخ .

قلت : هو مرتقب لهم ، ألا تراه يقول : ((وكان أمر الله مفعولا - ٤٧))

وجائز أن يراد بالطمس اعماء قلوبهم عن الهدى (١٤٤/ب) وباللعن طردهم عن رحمة الله أو عن بلادهم ، أو اللعن المتعارف ، وكل ذلك قد وجد فيهم ، فانهم نفوا الى أذرعات[1] ، وطردوا عن رحمة الله ، ولعنوا بكل لسان .

وجائز أن يكون ذلك مشروطا باتفاقهم على ترك الايمان فانتفى التعذيب عنهم في الدنيا لايمان بعضهم والله أعلم .

قوله عز وجل : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به)) قال ابن عمر : لما نزلت ((قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم))[2] الآية ، قالوا : يارسول الله والشرك ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فأنزل الله هذه الآية[3] قال علي رضي الله عنه : " ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء))[4] .

---

(١) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتاء ، بلد في أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمان . معجم البلدان (١/ ١٣٠)

(٢) الزمر (٥٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٤٩) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٤/أ) ، والثعلبي (٤/ق ٧١/أ) ، والبغوى (١/ ٤٣٩) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٥/ ٢٢٧) ، وقال : هذا حديث حسن غريب . اهـ قلت فيه ثوير بن أبي فاختة ضعيف ، ورمي بالرفض . والثعلبي (٤/ق ٧١/أ) ، والبغوى (١/ ٤٤٠) وانظر الدر المنثور (٢/ ٥٥٨) .

(٥٢٢)

وقال ابن عمر : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا يقول : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (١) .

وفي هذه الآية دليل على أن من مات على الايمان من أهل الكبائر لا يخلد في النار ، وبرهان قاطع على بطلان ما انتحلته القدرية (٢) من قولهم لا يجوز أن يغفر الله الكبيرة ، ولا أن يعفو عن المعاصي .

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من عبد قال : لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا (١٤٥/أ) دخل الجنة ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : " وان زنى وان سرق " قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : " وان زنى وان سرق " قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : " وان زنى وان سرق " ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : " وان زنى وان سرق ، ثم قال في الرابعة : " على رغم أنف أبي ذر " . فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : " وان رغم أنف أبي ذر " (٣) .

وفي تعليق المغفرة بالمشيئة ، تعديل لخوف المؤمن ورجائه .

---

(١) أخرجه ابن الضريس ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، وابن عدى ، بسند صحيح ، قاله في الدر المنثور (٢/٥٥٧) .

(٢) القدرية هم الذين يقولون لا قدر ، وأن الأمر انف وهم قدرية في الأفعال ، معتزلية في الصفات ، وعيدية في الايمان .

(٣) البخارى ، كتاب اللباس ، باب الثياب البيض (٧/١٩٢ - ١٩٣) ومسلم ، كتاب الايمان (١/٩٥) .

قوله : ((ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم)) قال ابن عباس: نزلت في رجال من اليهود أتوا باطفالهم الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا محمد : هل على هؤلاء من ذنب ، فقال : لا . فقالوا : والله مانحن الا كهيئتهم وما عملناه بالنهار ، كفر عنا بالليل ، وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار ، فنزلت هذه الآية.(١)

وقال غيره : كانت اليهود والنصارى يثنون على أنفسهم ويقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى(٢) . ويمنون بأنهم أهل الكتاب وأوعية العلم ، وأولاد الأنبياء ، ووراث الحكمة الى غير ذلك من الأماني الكاذبة ، والخدع ، ويركبون رؤسهم في الجهل ، والاجتراء على أنبياء الله وأوليائه فيكذبون فريقا ويقتلون فريقا (١٤٥/ب) فرد الله عليهم وكذبهم فقال : ((بل الله يزكي من يشاء)) فيجعله زاكيا ، مرضيا ، مطهرا من دنس الاثم والرذائل .

قال ابن عباس : هم أهل التوحيد .

---

(١) الواحدي في أسباب النزول (١٤٨) من طريق الكلبي ، والثعلبي (٤/ق ٧١/ب) ، والبغوي (١/ ٤٤٠) وابن أبي حاتم (٢/ ق ١٤٤/ب) عن ابن عباس بمعناه .

(٢) رواه ابن جرير (٨/ ٤٥٢) ، وابن أبي حاتم (٢/ ١٤٤/ب) عن الحسن ، ونسب الثعلبي (٤/ق ٧١/ب) هذا القول الى الحسن والضحاك ومقاتل وقتادة والسدي .
وانظر البغوي (١/ ٤٤٠) وزاد المسير (٢/ ١٠٤) والدر المنثور (٢/ ٥٦٠) .

((ولا يظلمون)) يعنى لا ينقص من ثواب أعمالهم ((فتيلا - ٤٩)) قال مجاهد وعطاء ، وجمهور المفسرين[١] ، وابن قتيبة[٢] ، والزجاج[٣] : الفتيل : مافي شق النواة .

وقال سعيد بن جبير ، والسدى : هو ما يخرج من بين الأصابع من الوسخ عند الدلك .

والقولان عن ابن عباس[٤] .

قال ابن السكيت[٥] : القطمير : القشرة الرقيقة على النواة .

والفتيل : ما في شق النواة .

والنقير : النكتة في ظهر النواة .

قال الأزهرى[٦] : هذه الأشياء كلها تضرب أمثالا للشيء التافه ، الحقير

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/٤٥٨ - ٤٥٩) .

(٢) تفسير غريب القرآن (١٢٩) .

(٣) معاني القرآن (٢/٦٣) .

(٤) تفسير ابن جرير (٨/٤٥٧ - ٤٥٨) .

(٥) يعقوب بن اسحاق بن السكيت البغدادى ، النحوى ، المؤدب، شيخ العربية كان دينا خيرا ، حجة في العربية ، توفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .
طبقات الادباء لابن الأنبارى (١٣٨) ، وانباه الرواة (٤/٥٦) .

(٦) محمد بن أحمد الأزهرى ، أبو منصور اللغوى ، الشافعي ، صاحب كتاب تهذيب اللغة المشهور . توفى سنة سبعين وثلاثمائة .
طبقات الأدباء (٢٣٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥) .

القدر أي لا يظلمون قدرها[1] . قال النابغة :[2]

٨٢ - يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو . ثم لا يرزأ العـــــد وفتيـــلا[3].

((انظر)) يا محمد : ((كيف يفترون على الله الكذب)) وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم : لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقولهم : لا ذنوب لنا .

((وكفى به)) أي حسبهم بافترائهم على الله الكذب ((اثما مبينا - ٥٠)) أي ظاهرا .

قوله[4] تعالى : ((يؤمنون بالجبت والطاغوت)) .

قال المفسرون : خرج كعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب في جماعة من اليهود الى مكة يحالفون (١٤٦/أ) قريشا على محاربة رسول اللـــــه - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا : أنتم أقرب الى محمد منا ، وأنتم وهو مـــن أهل الكتاب ، ونحن أميون ، فلا نأمن مكركم بنا ، فاسجدوا لصنمنا حتى نطمئن اليكم ، فسجدوا ، فعيّرهم الله بذلك[5].

---

(١) تهذيب اللغة : (١٤/ ٢٩٠) .

(٢) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، الشاعر المقدم ، صحب النعمان ابن المنذر ، معجم الشعراء (١٩١) والشعر والشعراء (٨٧)

(٣) البيت للنابغة الذبياني كما في ديوانه (١٣٥) .

(٤) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثاني والثلاثين مرة ثانية .

(٥) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦٧ - ٤٦٨) والدر المنثور (٢/ ٥٦٣) .

قال ابن عباس : قالت لهم كفار قريش : أدين محمد خير، أم ديننا ؟ فقالوا : بل دينكم.[١]

قال أهل اللغة : كل ما عبد من دون الله من حجر، أو صورة، أو شيطان فهو جبت وطاغوت .

فعلى هذا ايمان اليهود بالجبت والطاغوت، سجودهم للصنم وطاعتهم للشيطان في ذلك . قال ابن عباس : الجبت الأصنام.[٢] قال عمر بن الخطاب : الطاغوت الشيطان.[٣]

((ويقولون)) يعني كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأصحابهما ((للذين كفروا هؤلاء)) يعنون كفار قريش ((أهدى من الذين آمنوا)) يعني أصحاب محمد ((سبيلا - ٥١)) أي طريقا في الديانة والاعتقاد وكان كفار قريش قالوا لهم : أنحن أهدى طريقا أم محمد وأصحابه ؟ فقالوا : انتم.

((أولئك الذين لعنهم الله - ٥٢)) يعني : الذين أوتوا نصيبا من الكتاب .

قوله : ((أم لهم نصيب من الملك)) ((أم)) منقطعة، والاستفهام بمعنى الانكار والتقدير : بل ألهم نصيب من الملك " أي ليس لهم ذلك .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦٩ - ٤٧٠) ، والدر المنثور (٢/ ٥٦٣) .
(٢) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦١) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٥ / ب)
(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦٢) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٦/أ) .

((فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا - ٥٣)) قال الفراء : هذا جـــواب لجزاء مضمر ، كأنك قلت (١٤٦/ب) ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون النـــاس نقيـــــرا .(١)

قال الزجاج : وتأويل " إذاً " إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت يقول القائل : زيد يصير اليك ، فتقول : إذاً أكرمه ، أي ان كان الأمر علـــى ما تصف وقع اكرامه .(٢)

((أم يحسدون)) أي بل أيحسدون الناس يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - في قول ابن عباس وجمهور المفسرين .

وقال علي - رضي الله عنه - في قوله : ((أم يحسدون الناس)) قال : يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر .

وقال قتادة : يريد العرب .(٣)

((على ماءاتيهم الله من فضله)) وهو النبوة ، والحكمة ، واستفحال أمر الاسلام .

((فقد ءاتينا ءال إبراهيم)) وهم سنخ محمد(٤) ((الكتب)) يريـــد جنس الكتب التوراة ، والانجيل ، والزبور ، ((والحكمة)) وهي النبوة .

---

(١) معاني القرآن (١/٢٧٣) .
(٢) معاني للقرآن (٢/٦٦) .
(٣) تفسير ابن جرير (٨/٤٧٦ - ٤٧٧) والثعلبي (٤/ق ٢٦٤/أ-ب) والبغوى (١/٤٤٢) .
(٤) السنخ من كل شيء أصله ، والجمع أسناخ . المصباح المنير ص: (٢٩١)

وقيل : الفقه في الدين ، فغير بِدْعٍ أن يسلك بسليلهم[1] واضح سبيلهم .

((وءاتيناهم ملكا عظيما - ٥٤)) قال ابن عباس : هو ملك يوسف ، وداوود ، وسليمان[2] ، وقيل : الجمع بين سياسة الدنيا ، وشرع الدين .

وقد أخرج الامام أحمد في كتاب الزهد باسناده عن عمرو بن ميمون[3] قال : رأى موسى - عليه السلام - رجلا عند العرش ، فغبطه بمكانه ، فسأل عنه ، فقيل : سأخبرك بعمله لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يمشي بالنميمة ، ولا يعق والدية[4] .

قوله : ((فمنهم من ءامن به)) أى فمن اليهود من آمن (١٤٧/أ) بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كعبد الله بن سلام ، ((ومنهم من صد)) أعرض ((عنه - ٥٥)) هذا قول ابن عباس ، والأكثرين[5] .

وقال مجاهد : ((ءامن به)) أى بالذى أنزل على محمد[6] ، فيكون الكلام مبنيا على قوله : ((ماءاتهم الله من فضله)) .

وقيل : الضمير في قوله : ((فمنهم)) يعود الى آل ابراهيم .

قال السدى : المعنى : فمن آل ابراهيم من آمن بابراهيم[7] .

وقال مقاتل : المعنى : فمن آل ابراهيم من آمن بالكتاب ، ومنهم من صد عنه[8] .

---

(١) السليل الولد ، سمي سليلا لأنه خلق من السلالة . اللسان : ١١ / ٣٣٩

(٢) النكت والعيون (١/ ٣٩٨) ، وزاد المسير (٢/ ١١١) .

(٣) عمرو بن ميمون بن مهران الاودى ، أبو عبد الله ، مخضرم مشهور ، نزل الكوفة ، توفى سنة أربع وسبعين ، وقيل بعدها . التقريب (٥١٢٢) .

(٤) الزهد (٨٥)

(٥) زاد المسير (٢/ ١١٢) .

(٦) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٨٢) ، وابن أبى حاتم (٢/ق ١٤٨/أ) .

(٧) زاد المسير (٢/ ١١٢) .

(٨) تفسير مقاتل (١/ ٢٤٤) .

قوله تعالى : ((كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها)) قال الحسن : بلغنا أنها تأكلهم كل يوم سبعين ألف مرة ، تأكل جلودهم ولحومهم ، كلما أكلتهم قيل لهم : عودوا فعادوا .[1]

واختلفوا هل تعود الجلود التي احترقت بأعيانها :

فذهب قوم : الى أنها تعود بأعيانها ، كما أعيدت يوم النشور ، فتكون الغيرية عائدة الى الصفات ، لا الى الذوات ، كما تقول : صغت من خاتمي خاتما آخر . والمعنى : بدلناهم جلودا غير محترقة .

قال ابن عباس : يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس .[2]

وذهب قوم : الى أنهم يجدد لهم جلود غير الجلود التي احترقت . وقالوا : لا يلزم عليه أن يقال : كيف عذبت مكان الجلود العاصية ، جلود لم تعصي لأن النعيم والعذاب انما هو للجملة الحساسة ، والجسد آلة (١٤٧/ب) موصلة لذلك اليها .[3]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٨/ب) ، والثعلبي (٤/٢٦٦/أ) ، والبغوي (١/٤٤٣) ، وانظر الدر المنثور (٢/٥٦٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٤٨٤) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٨/ب) والثعلبي (٤/٢٦٦/أ) ، والبغوي (١/٤٤٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٨/٤٨٦) ، وزاد المسير (٢/١١٢ - ١١٣) والواجب التصديق والقبول عند مثل هذه الأحوال ، لان أمور الآخرة لا تدرك .

((ليذوقوا العذاب)) أى : ليدوم لهم ذوقه .

وفي مسند الامام أحمد من حديث ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " يعظم أهل النار ، حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه ، مسيرة سبع مائة عام ، وان غلظ جلده سبعون ذراعا ، وان ضرسه مثل أحد " . (١)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " ضرس الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث " . (٢)

((ان الله كان عزيزا)) لا يمتنع عليه الانتقام ممن عصاه ((حكيما - ٥٦)) فيما قدّره وقضاه .

ثم ذكر الله مآل أهل الايمان ، وما أعد لهم في الجنان فقال : ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات)) . الى قوله : ((ظلا ظليلا - ٥٧)) أى دائما ، لا تنسخه الشمس ، ومعتدلا ، لا حر فيه ولا قر .

وقال الزجاج : الظليل : الذى يظلهم من الحر والريح ، وليس كل ظل كذلك فأعلم الله أن ظل الجنة ظليل لا حر معه ولا برد . (٣)

فان قيل : كيف سماه ظلا ، وليس في الجنة شمس ؟ .

---

(١) المسند (١٨/٧ ، رقم ٤٨٠٠) ، وحسن اسناده أحمد شاكر . وفي تحسينه نظر لان فيه أبو يحيى القتات . لكن يشهد له ما ذكره المؤلف في صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٨٩/٤) .

(٣) معاني القرآن (٦٩/٢) .

قلت : نعيم الجنة لا تهتدى العقول الى كنه معرفتـــــــــه .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " .(١)

وانما يقرب الى العقول عند الوصف للتعريف بذكر أمثاله في أسمائه مما يعرف كون مثله نعيما في الدنيا (١٤٨/أ) مع فرط التفاوت، واختلاف الذوات والحقائق بين نعيم الدارين .

وقيل : خاطبهم بما يعقلون مثله ، كقوله : ((ولهم رزقهم فيهـــا بكرة وعشيا))(٢) .

وقيل : هو اشارة الى كمال وصفها وتمكين بنائها ، فلو كان الحرّ، أو البرد يتسلط عليها لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل .(٣)

---

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفـــة نعيمها (٤/ ٢١٧٥) من حديث سهل بن سعد الساعدى ، وهو من حديث أبي هريرة في المسند (١٦/ ٤٦ رقم ٨١٢٨) ، وصحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة (٤/ ١٤٣) ومسلم (٤/ ٢١٧٥) بلفظ : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت . الحديث .

(٢) مريم (٦٢)

(٣) الله عز وجل أخبر أن في الجنة ظلا في هذه الآية وغيرها كقولـــه تعالى : ((أكلها دائم وظلها)) فالواجب عدم تأويله أو محاولة تفسيره فان أحوال الآخرة مخالفة لأحوال الدنيا ، ولا يلزم من وجود الظل الشمس فالذى أوجد الظل ـ في الدنيا ـ من الشمس قـــادر على ايجاده في الآخرة من غيرها .

قوله تعالى : ((إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات الى أهلها))

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والزهري ، ومقاتل ، وجمهور العلماء : السبب في نزول هذه الآية ، أنه لما فتح النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة ، طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة الحجبي - وكانت له السدانة - فذهب ليعطيه اياه . فقال العباس : بابي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فلف عثمان يده مخافة أن يعطيه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - هات المفتاح فأعاد العباس قوله ، فلف عثمان ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أرني المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، فقال : هاكه يارسول الله بأمانة الله فأخذ المفتاح ، ففتح البيت .(١)

وروى أنه لما امتنع من تسليم المفتاح ، لوى علي يده فأخذ المفتاح منه ، وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل بهذه الآية ، فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان فدفع اليه المفتاح (١٤٨/ب) وقال : خذوها يابني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ."(٢)

ويروى أن جبريل قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : انه مادام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في أولاد عثمان .(٣)

---

(١) رواه ابن مردويه قاله في الدر المنثور (٢/ ٥٧٠) ، وانظر زاد المسير (٢/ ١١٤) .

(٢) أسباب النزول للواحدي ص (١٥١) ، وتفسير الثعلبي (٤/ق/ ٢٦٧/ب - ٢٦٨/أ) .

(٣) أسباب النزول للواحدي (١٥١) وتفسير الثعلبي (٤/ ٢٦٧/ ب - ٢٦٨ / أ) .

وروى عن ابن عباس والحسن : أنها عامة في كل أمانة[1].

قال ابن مسعود : الأمانة في كل شيء ، في الوضوء ، والصلاة والزكاة ، والصوم ، والحديث ، والجنابة ، وفي الوزن ، والكيل ، وأعظم من ذلك الودائع . ولا ايمان لمن لا أمانة له[2].

وقال ابن عمر : الفرج أمانة ، والبصر أمانة .

وقال أبيّ بن كعب : أمر الله الأمراء أن يودوا الأمانة في أموال المسلمين ، ويؤيد هذا القول قوله : ((وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) .

((إن الله نعمّا يعظكم به - ٥٨)) من أداء الأمانة والحكم بالعدل . وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمٰن " وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم ، وأهليهم ، وما ولوا[3].

قوله تعالى : ((يأيها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)) طاعة الله العمل بكتابه ، وطاعة الرسول : امتثال أمره والعمل بسنته ، وأولوا الأمر : الولاة كالخلفاء (١٤٩/أ) والملوك ، والقضاة .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٤٩/أ) وزاد المسير (٢/ ١١٤) وتفسير ابن كثير (٢/ ٥١٦) ، والدر المنثور (٢/ ٥٧١) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الايمان قاله في الدر المنثور (٢/ ٥٧١ - ٥٧٢) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٠ - ٣١) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٤/ ١٤٥٨) .

وفي أفراد مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ألا من وُلِّي عليه وال ، فرآه يأتي شيئا من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة .[1]

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله ."[2]

وقال جابر ، والحسن ، وأبو العالية ، وعطاء : هم العلماء العاملون بعلمهم[3] ، ودليل هذا التأويل قوله : ((ولو ردوه إلى الرسول ، وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم))[4] .

قال أبو الأسود الديلي[5] : ليس شيء أعز من العلماء ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٣ / ١٤٨٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام (٩ / ٧٧) ، ومسلم ، كتاب الامارة (٣ / ١٤٦٦ - ١٤٦٧) من حديث أبي هريرة .

(٣) تفسير ابن جرير (٨ / ٥٠٠ - ٥٠١) وابن أبي حاتم (٢ / ق ١٥١ / أ) ، والدر المنثور (٢ / ٥٧٤ - ٥٧٥) .

(٤) النساء (٨٣) .

(٥) ظالم بن عمرو بن سفيان ، ويقال عمرو بن سفيان ، ويقال غير ذلك ، مخضرم ، مات سنة تسع وستين . التقريب (٧٩٤٠) .

وقال عكرمة : أولوا الأمر ابو بكر وعمر - رضى الله عنهما -[1] .

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي[2] في كتابه ،أخبرنا جدى لأمي أبو محمد العباس بن محمد بن العباس ، المعروف بعبّاسة الطوسي[3] ، ثنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن فَرْخَزادا ثنا أبو اسحاق الثعلبي[4] ، أخبرنا أبو بكر الحِمْشاذى ، أخبرنا أبو ظهير العمرى ، البلخي ، حدثنا محمد بن منصور[5] حدثنا القعنبي[6] عن مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي شريح الكعبي ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر ،وعمر ،وان لي وزيرين في السماء ،ووزيرين في الأرض

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ٥٠٢) ،وابن أبى حاتم (٢ / ق ١٥١ / أ) وانظر الدر المنثور (٢ / ٥٧٥) .

(٢) المؤيد بن محمد الطوسي ، أبو الحسن النيسابورى ،رضى الدين الشيخ المقرى المعمر ،مسند خراسان ،سمع الصحيحين ،وموطأ مالك ،وتفسير الثعلبي وغيرها ،توفى سنة سبع عشرة وستمائة . السير (٢٢ / ١٠٤) والشذرات (٥ / ٧٨) .

(٣) الواعظ العالم ،أبو محمد العباس بن محمد الطوسي ،العصارى راوى الكشف والبيان في التفسير ،للثعلبي عن محمد بن سعيد الفرخزادى ، عن مؤلفه ، توفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٢٨٨) .

(٤) أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى ،أبو اسحاق الثعلبي صاحب التفسير ، كان أوحد زمانه في علم القرآن ،توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، طبقات المفسرين للداوودى (١ / ٦٦) وسير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٣٥) .

(٥) أبو بكر الحمشاذى ، وأبو ظهير العمرى ، ومحمد بن منصور لم أعرفهم.

(٦) هو عبد الله بن مسلمة القعنبي .

فأما في السماء فجبرئيل وميكائيل ، وأما في الأرض فأبو بكر وعمر ، وهما عندي (١٤٩/ب) بمنزلة الرأس والجسد " . (١)

---

(١) هذا الحديث مروى من حديث حذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك .

أما حديث حذيفة فيرويه سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد في المسند (٣٨٢/٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٢/٥) والحميدي في مسنده (٢١٤/١) والترمذي في جامعه (٦٠٩/٥) وقال : وكان سفيان بن عيينة يدلس في هذا الحديث فربما ذكره عن زائدة عن عبد الملك بن عمير وربما لم يذكر فيه زائدة قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . اهـ . وفي العلل الكبرى له (٩٣٣/٢) والبغوي في شرح السنة (١٠١/١٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢٠٩/٨) ومن طريق الثوري عن عبد الملك عن مولى ربعي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أحمد في المسند : (٣٨٥/٥ ، ٤٠٢) ، والحاكم في المستدرك (٧٥/٣) وقال الذهبي صحيح وابن أبي عاصم في السنة (٥٤٥/٢) وصححه صاحب ظلال الجنة ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٠٩/٨) وأبو نعيم في الحلية (١٠٩/٩) وابن ماجه في السنن (٣٧/١) وابن أبي حاتم في العلل (٣٨١/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٣/٨) والترمذي في الجامع (٦١٠/٥) وقال في العلل الكبرى (٩٣٤/٢) وهو الصحيح يعني رواية الثوري ، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٠/١٢) عن مسعر عن عبد الملك به وفي بعض هذه الطرق تسمية مولى ربعي هلال قال الحافظ في التقريب مقبول ، وقال الذهبي في الميزان

= = = = =

. . . . . .

(=) ما حدث عنه سوى عبد الملك بن عمير . اهـ . يعني أنه مجهول لكن تابعه عمرو بن هرم أخرجها أحمد في المسند (٥ / ٣٩٩) ، والترمذي (٥ / ٦١٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩ / ٤٠٢) وابن حبان في صحيحه (الاحسان : ٩ / ٢٤ - ٢٥) وابن عدي في الكامل (٢ / ٦٦٦) فالحديث بهذه الطريق حسن كما قال الترمذي

وأما حديث ابن مسعود فيرويه ابراهيم بن اسماعيل بن يحيى بن سلمة ابن كهيل حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود وفي آخره زيادة أخرجه الترمذي في جامعه (٥ / ٦٤٢) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه الا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث . اهـ . والبغوي في شرح السنة (١٤ / ١٠٢) وقال : غريب لا يعرف الا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٧٥ - ٧٦) وقال اسناده صحيح وتعقبه الذهبي بقوله سنده واه . والطبراني في الكبير (٩ / ٦٧ - ٦٨) وزاد بعد أبيه جده .

وأما حديث أبي الدرداء فأخرجه الطبراني قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٥٣) وقال : وفيه من لم أعرفهم . اهـ

وأما حديث ابن عمر فيرويه محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال : (٣ / ٦١٠ - ٦١١) وقال فهذا لا أصل له من حديث مالك بل هو معروف من حديث حذيفة بن اليمان وقال الدارقطني : العمري هذا يحدث عن مالك بأباطيل وقال ابن منده له مناكير . اهـ ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ٩٥) وقال حديث منكر لا أصل له من حديث مالك

= = = =

. . . . . .

(=) وهذا يروى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد ثابت اهـ وصححه في صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٧٢) وقوله لا أصل له من حديث مالك فيه نظر فقد رواه عنه القعنبي وهو الطريق الخامس عن أبي شريح الكعبي فيرويه القعنبي عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره أخرجه مالك في الموطأ برواية القعنبي ، والمطبوع منها قطعة صغيرة ليس هو فيها وزاد في آخره وان لي وزيرين وهذه الزيادة أخرجها الترمذى في الجامع (٥/ ٦١٦) وقال هذا حديث حسن غريب .

وأما حديث أنس فاخرجه ابن عدى في الكامل (٢/ ٦٦٦) حدثنا على بن الحسين بن سليمان ثنا أحمد بن محمد بن العلاء الآدمي ثنا مسلم بن صالح أبو رجاء ثنا حماد بن دليل عن عمر بن نافع عن عمرو بن هرم قال دخلت أنا وجابر بن زيد على أنس بن مالك فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قال ابن عدى وحماد بن دليل قليل الرواية وهذا الحديث قد روى له حماد بن دليل اسنادين ولا يروى هذين الاسنادين غير حماد بن دليل .اهـ قلت : قال الحافظ : صدوق نقموا عليه الرأى . اهـ . وهذا ليس بجرح . فالحديث بهذه الطرق صحيح ثابت .

قرأت على أبي المجد محمد بن بهرام[١] ، أخبركم محمد بن أسعد[٢] ، فأقر به ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان[٣] ، أخبرنا خيثمة بن سليمان[٤] ، حدثنا أبو عمرو بن أبي غرزة بالكوفة[٥] حدثنا ثابت بن موسى العابد[٦] ، عن سفيان ابن عيينة ،عن عبد الملك بن عمير ،عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر " .[٧]

---

(١) هو محمد بن الحسين القزويني ، تقدمت ترجمته .

(٢) هو محمد بن أسعد الطوسي ،أبو منصور العطاري ، " حفدة " تقدمت ترجمته .

(٣) الشيخ الامام المعدل ،الرئيس ، مسند الشام ،أبو محمد ،عبد الرحمن ابن عثمان التيمي ، الدمشقي ، توفي سنة عشرين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء (١٧ / ٣٦٦) ، وشذرات الذهب (٣ / ٢١٥)

(٤) الامام الثقة ، محدث الشام ، خيثمة بن سليمان القرشي ، أبو الحسن الشامي ،الأطرابلسي ، مصنف فضائل الصحابة ، توفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . السير (١٥ / ٤١٢) والشذرات (٢ / ٣٦٥)

(٥) الامام الحافظ الصدوق ،أحمد بن حازم ،بن أبي غرزة ، الكوفي أبو عمرو الغفاري ، صاحب المسند ، توفي سنة ست وسبعين ومائتين الجرح والتعديل (٢ / ٤٨) ، والسير (١٣ / ٢٣٩) .

(٦) ثابت بن موسى بن عبد الرحمن بن سلمة الضبي ،أبو يزيد الكوفي ، الضرير العابد ضعيف الحديث ، مات سنة تسع وعشرين ومائتين . التقريب (٨٣١) .

(٧) أخرجه الامام أحمد في المسند (٥ / ٣٨٢) والترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٥ / ٦٠٩)

= = = =

ورواه أيضا خيثمة عن يحيى بن أبي ميسرة عن عبد الله بن الزبير الحميدي ، عن سفيان الا أنه قال : حدثنا زائدة بن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير (١) .

قال الترمذي : كان سفيان يدلس في هذا الحديث فربما يذكر عن زائدة عن عبد الملك ، وربما لم يذكر زائدة (٢) .

قلت : وغير ممتنع أن يكون سمعه من زائدة ومن (عبد الملك) (٣) على أن للراوي

(=) عن سفيان بن عيينة ، عن زائدة بن قدامة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة به .
واختلف فيه على سفيان ، فقد رواه ابن ماجه ، في المقدمة (١ / ٣٧) عن مؤمل عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي عن ربعي عن حذيفة . وكذلك هو عند البيهقي في الكبرى (٨ / ١٥٣) .
قال الترمذي : هذا حديث حسن .
وقد أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ص ٥٣٩) من طريق أبي بكر ابن أبي شيبة عن سالم المرادي عن عمرو بن مرة عن ربعي بن حراش عن حذيفة .
قال الحاكم في المستدرك : فثبت بما ذكرنا صحة هذا الحديث وان لم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .
وذكر له الحاكم (٣ / ٧٥) شاهدا باسناد صحيح عن عبد الله ابن مسعود .

(١) مسند الحميدي (١ / ٢١٤) .
(٢) سنن الترمذي (٥ / ٦١٠) .
(٣) في الأصل سفيان ، وهو خطأ بين .

أن يرفع الحديث وأن يقفه ، وأن يقطعه ويصله ، وأن يسنده ويرسله .

ورواه ابن مسعود كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .[١]

وقال أبو بكر الوراق :[٢] أولوا الأمر الخلفاء الراشدون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى - رضى الله تعالى عنهم - .[٣]

قوله : ((فان تنازعتم في شيء)) أى اختلفت آراؤكم فيه ، وأصله من النزع ، كأن المتنازعين يتجاذبان ، ويتمانعان (١٥٠/أ) ومنه قيل للمناولة : منازعة ، قال الأعشى :

٨٣ - نازعته قضب الريحان متكئاً . وقهوةً مزةً راووقها خضل .[٤]

((فردوه الى الله والرسول)) أى ردوا المتنازع فيه الى كتاب الله والى رسوله في حياته والى سنته بعد مماته نصا واستدلالا .

والرد عند الجهل تفويض علم ذلك الشيء الى الله والى رسوله .

---

(١) عند الحاكم في المستدرك من طريق الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسماعيل بن يحى بن سلمة بن كهيل ثنا أبى عن أبيه عن جده عن أبى الزعراء ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، رفعه .
مستدرك الحاكم (٧٥/٣) وقد أشار الترمذى الى رواية ابن مسعود هذه .

(٢) الامام المحدث ، محمد بن اسماعيل البغدادى المستملى الوراق ، مات سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء (٣٨٨/١٦) وتاريخ بغداد (٥٣/٢) ، وميزان الاعتدال (٤٨٤/٣) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ٧٩/أ) .

(٤) ديوانه (١٣٣) .

((ذلك)) اشارة الى الرد الى الله والرسول ، ((خير ، وأحسن تأويلا -٥٩))

أى : أحمد عاقبة ، وسميت العاقبة : تأويلا لانها مآل الأمر .

وقيل : المعنى : أحسن تأويلا من تأويلكم .

قوله : ((ألم تر الى الذين يزعمون [1])) الآية .

قال ابن عباس : نزلت في منافق خاصم يهوديا ، فقال اليهودى : انطلق بنا الى محمد ، فقال المنافق : بل ننطلق الى كعب بن الأشرف - وهو الذى سماه الله الطاغوت - فأبى اليهودى أن يخاصمه الا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى المنافق ذلك رافعه الى رسول الله ، فقضى لليهودى ، فلما خرجا من عنده ، لزمه المنافق ، وقال : انطلق بنا الى عمر بن الخطاب ، فاقبلا اليه ، وقصا القصة عليه فقال للمنافق : أكذلك هو ؟ قال : نعم ، فقال عمر : رويدا حتى أخرج اليكما ، فدخل البيت ، فاشتمل على سيفه ، ثم خرج ، فضرب به المنافق ، حتى برد ، فقال : هكذا (١٥٠/ب) اقضى لمن لم يرض بقضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهرب اليهودى . فنزل جبريل بهذه الآية وقال : يا محمد ان عمر فرّق بين الحق والباطل فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أنت الفاروق " [2] .

---

(١) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى ، المجلس السابع عشر .

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ ٥١٢) ولم يذكر فيه قصة تحاكمهما الى عمر ، وذكره الواحدى في أسباب النزول ص (١٥٥) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

= = = =

والزعم : بضم الزاى وفتحها لغتان ، وأكثر ما يستعمل فيما لا تتحقق صحته .

((يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت)) وهو كعب بن الأشرف سمى بذلك لافراطه في الطغيان ، وعداوة الاسلام .

((وقد أمروا أن يكفروا به - ٦٠)) قال مقاتل : أمروا أن يتبرأوا من الكهنة .(١)

قوله :(٢) ((فكيف اذا أصابتهم مصيبة)) أى كيف يكون حالهم اذا أصابتهم عقوبة من الله .

قيل : هى قتل المنافق ((بما قدمت أيديهم)) من النفاق والتحاكم الى الطاغوت ((ثم جاؤك)) يعنى أولياء(٣) المنافق ، وكانوا قد طلبوا القصاص من عمر رضى الله عنه ((يحلفون بالله ان أردنا)) بطلب

(=) ومثله عند الثعلبي (٤/ق ٧١/أ) وانظر البغوى (١/ ٤٤٦) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٩) - بعد أن ذكر الخلاف في سبب نزولها - : والآية أعم من ذلك كله ، فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة . وتحاكموا إلى ماسواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هنا . اهـ

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٤٨) .

(٢) كتب في الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس الثالث والثلاثين مرة ثانية .

(٣) المؤلف بنى تفسير الآية على السبب الذى ذكره ، والأظهر أن المعنى : ثم جاؤك أى الذين تحاكموا الى الطاغوت ، "ان اردنا " بتحاكمنا الى الطاغوت " الا احسانا وتوفيقا " وهو قول ابن جرير رحمه الله تعالى .

القصاص ((إلا إحسانا وتوفيقا - ٦٢)) أى خيرا وطلبا لما يوافق الحق .

وقيل : ما أردنا بالتحاكم الى غيرك الا احسانا وتوفيقا بين الخصمين ، لا مخالفة حكمك ، وعدم الرضى بقضائك ، وذلك كذب منهم . ألا تراه يقول :

((أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم)) يعنى من الكفر والنفاق واضمارهم خلاف ما يقولون ((فأعرض عنهم)) أى دع عقوبتهم .

ذهب جماعة من المفسرين الى أن الأمر بالاعراض منسوخ (١٥١/أ) بآية السيف .

وهذا ليس بصحيح ، لأن آية السيف[1] اقتضت اباحة دم المشركين ، وحضت على قتلهم ، والمنافق معصوم الدم لاظهاره كلمة الحق .

((وعظهم)) خوفهم أن يعودوا لمثلها ، وحذرهم من النفاق .

((وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا - ٦٣)) أى قل لهم وبالغ في وعظهم مبالغة تؤثر في نفوسهم وتبلغ كنه قلوبهم .

قال الحسن البصرى - رحمه الله - : المعنى : قل لهم : ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم .[2]

وقيل : المعنى : قل لهم خاليا بهم ، لأن القول في السر انجع وأدخل في النصيحة .

---

(١) وهى قوله تعالى ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)) التوبة (٥)

(٢) النكت والعيون (١/ ٤٠٣) وتفسير القرطبي (٥/ ٢٦٤) .

وقد تكلم الفصحاء في " البلاغة" فأحسنوا :

قال الزجاج : يقال : بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ ، اذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه .(١)

وقد قيل : البلاغة : ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . وقيل : حسن العبارة مع صحة المعنى .

وقال خالد بن صفوان(٢) : ان أحسن الكلام : ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه . وخير الكلام : ما شوق أوله الى سماع آخره .

وقال غيره : انما يستحق الكلام اسم البلاغة ، اذا سابق لفظه معناه ، ومعناه لفظه .(٣)

قوله تعالى : ((وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)) دخلت " من " هٰهنا للتوكيد ، والمعنى : (١٥١/ب) وما أرسلنا رسولا قط الا ليطاع بتوفيق الله وقال الزجاج :المعنى : الا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك .(٤)

---

(١) معاني القرآن (٢ / ٧٣) .

(٢) خالد بن صفوان المنقرى ،أبو صفوان البصرى ، فصيح زمانه،لا تعلم وفاته ،الا أنه في زمن التابعين .
سير اعلام النبلاء (٦ / ٢٢٦) ، ونكت الهميان (١٤٨) .

(٣) زاد المسير (٢ / ١٢٢) .

(٤) معاني القرآن (٢ / ٧٠) .

((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم)) بإيذائك والتحاكم الى غيرك خوفا من تجريعهم مر الحق ، وطمعا في تحريفه على يد الطاغوت بما يبذلونه له من الرشوة . ((جاؤك)) تائبين نادمين .

((فاستغفروا الله)) بألسنة صادقة ، وقلوب صافية من كدر النفاق .

ثم عدل عن المخاطبة الى المغايبة ، منوها باسم الرسالة ، مفخما لشأن القائم بأعبائها الناهض بأثقالها فقال :

((واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما - ٦٤)) .

وقد روى الامام ابو الفرج ابن الجوزى - رضى الله عنه - في مواضع من كتبه(١) باسناده عن محمد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء أعرابي فزاره ، ثم قال : يا خير الرسل ان الله عز وجل أنزل عليك كتابا صادقا ، قال فيه : ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ، جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)) وانى جئتك مستغفرا الى ربك من ذنوبي ، مستشفعا بك ثم بكى وأنشأ يقول :

٨٤ - يا خير من دفنت بالقاع أعظمه . . فطاب من طيبهن القاع والأكم (٢/١٥٢)

٨٥ - نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه . . فيه العفاف وفيه الجود والكرم

---

(١) ذكرها في " مثير العزم الساكن " قاله ابن عبد الهادى في الصارم المنكى (٣٣٦) .

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت ، فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في نومي وهو يقول : الحق الرجل فبشره أن الله تعالى قد غفر له بشفاعتي .(١)

---

(١) هذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتبي بلا اسناد ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي .

وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الايمان باسناد مظلم عن محمد ابن زوح بن يزيد البصرى حدثني أبو حرب الهلالي قال : حج أعرابي ، فذكرها . اهـ من الصارم المنكى في الرد على السبكي (٣٣٧ - ٣٣٨) .

فهذه الحكاية لا تثبت من جهة السند ، ولو ثبتت فانه لا يجوز تفسير كلام الله تعالى بالرؤا والمنامات ، فلا حجة فيها مطلقا .

وليس في الآية حجة لمن أجاز التوسل بالأموات لوجوه منها :

الوجه الأول : أن الله تعالى قال : ((ولو أنهم اذ)) ومن المعلوم من اللغة العربية أن " اذ " ظرف لما مضى من الزمن فلا يستقيم المعنى الذى ذكروا الا لو كانت الآية " اذا " فانه لما يستقبل من الزمان وليس هو كذلك .

الوجه الثاني : أن قوله " جاؤك " يفصح أن المجيء كان الى شخصه في حياته ، لا الى قبره بعد وفاته ، ولو كان ذلك مقصودا لبينه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأرشد الأمة اليه ، ثم انه لم ينقل فعله عن أحد من الخلفاء الراشدين ، ولا الصحابة المهديين ، ولا من بعدهم من فضلاء التابعين .

====

قوله تعالى : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)) أخبرنا الشيخ أبو القاسم ابن عبد الرزاق العطار قراءة عليه وأنا اسمع ، في سنة ست وستمائة ، والشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر الصوفي بقرأتى عليه ، قالا أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن أعين ، أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شراج[1] من الحرة . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :

(=) الوجه الثالث : أن هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها في قصة المنافق واليهودى - فيفسرها سبب النزول ، وذلك أنها تخبر عن ذنوب قوم أذنبوا فطلب منهم التوبة والاعتذار بالمجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صيانة الانسان ص (٢٨ - ٣١) مجلة رابطة العالم الاسلامي العدد السابع ، رجب ، سنة ١٤٠١هـ (١٣ - ١٤) من مقال بعنوان : " شبهة تناهض الحقيقة " لفضيلة الشيخ عبد الله خياط .

(١) الشراج : جمع شرجة ، وهى مسيل الماء من الحرة الى السهل النهاية (٢/٤٥٦) .

اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك ،فقال الأنصارى : يارسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم أرسل الماء الى جارك .

فاستوعى النبي - صلى الله عليه وسلم - للزبير حقه في صريح (١٥٢ / ب) الحكم حين أحفظه الأنصارى وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة .

قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما - ٦٥)) .

هذا حديث صحيح ،أخرجه البخارى ومسلم في الصحيحين (١) .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في قصة المنافق واليهودى (٢) . فعلى هذا هى متصلة بما قبلها .

قوله : ((فلا)) رد لزعمهم أنهم مؤمنون ،أى ليس الأمر كما زعمتم ، ثم استأنف فقال : " وربك لا يؤمنون " .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦ / ٥٨) ، وظاهره الارسال فان عروة بن الزبير لم يشهد هذه الواقعة ،الا ان هذا زال برواية مسلم في كتاب الفضائل (٤ / ١٨٢٩ - ١٨٣٠) وفيه عن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير حدثه .

(٢) تفسير ابن جرير (٨ / ٥٢٣) والثعلبي (٤ / ق ٨٣ / ب) والبغوى (١ / ٤٤٩) وما في الصحيحين مقدم على قول مجاهد .

وقيل : ان " لا " توطئة للنفى الذى يأتي ، فانه اذا ذكر في صدر الكلام وآخره كان أوكد وأحسن .

وقيل زيدت لتوكيد معنى القسم ، كما تقول : لا والله لا أفعل كذا . والتقدير فوربك و" لا يؤمنون " جواب القسم .(١)

((فيما شجر بينهم)) أى فيما اختلط ، ومنه الشجر ، لالتفاف اغصانه .

ويقال لعصى الهودج : شِجَار .

" ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا " أى : ضيقا .

وقال ابن عباس ، ومجاهد(٢) وقتادة : شكا . وهو يؤول الى معنى الضيق .

((ويسلموا تسليما)) أى : يذعنون وينقادون لأحكامك المضية ، وأقضيتك المرضية .

قوله : ((ولو أنا كتبنا عليهم)) أى فرضنا عليهم ((أن اقتلوا أنفسكم)) (١٥٣/أ) كما فرضنا على بني اسرائيل ((أو اخرجوا من دياركم)) كما فرضنا عليهم الخروج من مصر ، أو كما فرضنا على المهاجرين ((ما فعلوه الا قليل منهم)) وقرأ ابن عامر " قليلا " وكذلك هو في مصاحف أهل الشام(٣)

---

(١) وقيل " لا " الأولى رد لكلام تقدمها ، تقديره : فلا يعقلون ، أو ليس الامر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أنزل اليك ثم استأنف قسما بعد ذلك قاله ابن جرير .
وقيل : ان " لا " الأولى قدمت على القسم اهتماما بالنفي ، ثم كررت توكيدا . وقيل : ان الثانية زائدة والقسم معترض بين النفي وحرفه . وكأن التقدير : فلا يؤمنون وربك . الدر المصون (٤/١٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٥١٨) .

(٣) الحجة للفارسي (٣/١٦٨) ولابن زنجلة ص (٢٠٦) والكشف (١/٣٩٢) والنشر (٢/٢٥٠) .

فمن رفع فعلى البدل من الواو في " فعلوه " ومن نصب فعلى الاستثناء ، وفيه ضعف ، أو على معنى : ما فعلوه الا فعلا قليلا .

ولما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب : والله لو أمرنا ربنا بذلك لفعلنا ، والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك .

وقال ثابت بن قيس : أما والله ان الله ليعلم منى الصدق ، والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا ، ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها .

وقال ابن مسعود وعمار بن ياسر مثل ذلك ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " والذى نفسي بيده ان من أمتي رجالا ، الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي "[1].

((ولو أنهم)) يعنى المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا ، وهم في غضون ذلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ((فعلوا ما يوعظون به)) أى يذكرون به من طاعة الله وطاعة رسوله ((لكان خيرا لهم)) في الحال والمآل ((وأشد تثبيتا - ٦٦)) لايمانهم وأمانهم .

((وإذاً لآتيناهم)) دخلت اذا لتدل على الجزاء ، كأنه قيل : ولو أنهم فعلوا إذاً لفعل بهم .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ٥٢٦) ، والثعلبي (٤ / ق ٨٣ / ب - ٨٤ / أ) ، والبغوى (١ / ٤٤٩) وانظر الدر المنثور (٢ / ٥٨٧ - ٥٨٨) .

(٥٥٢)

قوله : ((ومن يطع الله (١٥٣/ب) والرسول)) قال ابن عباس كان ثوبان مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شديد المحبة لرسول الله فعرف النبي في وجه ثوبان الحزن يوما ، فقال : يا ثوبان ما غير وجهك ؟ فقال : يارسول الله مابى من وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت اليك ، فاذكر الآخرة ، فأخاف أن لا اراك فنزلت هذه الآية . (١)

وقال الشعبي : جاء رجل من الأنصار الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله والله الذى لا اله الا هو ، لأنت أحب الىّ من نفسي ، وأهلي ، ومالي ، وولدى ، واني لأذكرك ، وأنا في أهلي ، فيأخذني مثل الجنون حتى أراك ، وذكرت موتى ، وأنك ترفع مع النبيين ، واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك فأنزل الله هذه الآية . (٢)

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " والذى نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه ، وأبويه ، وأهله

---

(١) أسباب النزول للواحدى (١٥٨) وتفسير الثعلبي (٤/ق ٨٤/ب) والبغوى (١/ ٤٥٠) وانظر زاد المسير (٢/ ١٢٦) ، وأخرجه ابن جرير (٨/ ٥٣٤) ، ولم يسم الصحابي ، ونسبه لسعيد بن جبير قال ابن كثير (١/ ٥٢٢) ، وهو من أحسنها سندا . اهـ

(٢) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن الشعبي ، قاله في الدر المنثور (٢/ ٥٨٨) ، وانظر زاد المسير (٢/ ١٢٦) .
وأخرجه ابن مردويه عن الشعبي عن ابن عباس . قاله ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٣) .
وأخرجه ابن مردويه أيضا عن عائشة ، وهكذا رواه الحافظ ====

وولـده ، والناس أجمعيـــن .[1]

((فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين)) كمحمـــد -صلى الله عليه وسلم- ((والصديقين)) كأبي بكر ((والشهداء)) كعمر ، وعثمان ، وعلى ((والصالحين)) من الصحابة وغيرهم .

فالصديق : الكثير الصدق ومثله : سكيت ، وسكير ، وشريب ، وفسيق وضليل ، وظليم ، للذي يكثر منه ذلك ، ولا يطلق على من فعل شيئا من ذلك مرة أو مرتين .

والشهيد : سمي بذلك ، لأن الله شهد له بالجنة ، أولأن ملائكة الرحمة تشهده ، أو لقيامه (١٥٤/أ) بشهادة الحق حتى قتل ، أولأنـه يشهد ما أعد الله له من الكرامة في دار المقامة .

والصالح : من حسنت سيرته ، وصلحت سريرته .

((وحسن أولئك رفيقا - ٦٩)) قال الزجاج : ((رفيقا)) منصوب على التمييز ، وهو ينوب عن رفقاء[2] . قال الشاعر :

(=) أبو عبد الله المقدسي في كتابه في صفة الجنة . . . . ثم قال : لا أرى باسناده بأسا والله أعلم . تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٣) .

(١) الحديث أصله في الصحيحين ، البخاري ، كتاب الايمان ، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ١٠) ومسلم ، كتاب الايمان (١/ ٦٦ - ٦٧) ، وبهذا اللفظ ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ق ٨٤/ب) .

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧٨) .

٨٦- بها جيف الحسرى ، فأما عظامها . فبيض ، وأما جلدها فصليب[1]

قوله : ((ذلك الفضل من الله)) ((ذلك)) مبتدأ ((الفضل)) خبره أو ((ذلك)) مبتدأ ((الفضل)) صفته ، ((من الله)) خبره .

((وكفى بالله عليما - ٧٠)) بمن أطاعه وأطاع رسوله .

قوله : ((يأيها الذين ءامنوا خذوا حذركم)) الحِذْر والحَذَر لغتان كالمثل والمثل ، والشبه والشبه ، والمعنى : خذوا حذركم من عدوكم وذلك بالتيقظ واعداد آلة الحرب ، ونصب رأية الجهاد ، ألا تراه يقول :

((فانفروا ثبات)) أى انفروا الى الجهاد ثبات هو جمع ثبة ، وهى الجماعة

قال زهير[2] :

٨٧- وقد أغدوا على ثبة كرام . نشاوى واجدين لما نشاء[3]

والمعنى : انفروا للجهاد سرية بعد سرية .

((أو انفروا جميعا - ٧١)) على حسب مايقتضيه الرأى ، وتوجبه الحكمة .

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة المعروف بالفحل وهو في ديوانه (١٣٢) والكتاب (١/٢٠٩) ، والمفضليات (٣٩٤) ، وتفسير ابن جرير (٧/٥٥٨) .

(٢) زهير بن أبى سلمى ، ربيعة المزني ، شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات . الشعر والشعراء ص (٦٩) .

(٣) البيت لزهير بن أبى سلمى ، كما في ديوانه (١١) ، ومجاز القرآن (١/١٣٢) ، وتفسير الطبرى (٨/٥٣٦) ، والنكت والعيون (١/٤٠٥) .

((وانَّ منكم لمن ليبطئن)) وهم المنافقون (١٥٤/ب) وأضيفوا اليهم لجريان أحكام الاسلام عليهم .

وقيل : هم الذين قلّت بصائرهم من المؤمنين .

ومعنى ((ليبطئن)) ليتثاقلنّ ويتخلّفنّ من بطأ وأبطأ ، ويجوز أن يكون المعنى : ليبطئن غيره .

واللام في ((لمن)) للابتداء ، وفي ((ليبطئن)) جواب قسم محذوف والتقدير : وان منكم لمن أقسم بالله ((ليبطئن)) والقسم وجوابه صلة " مَن " والعائد ما استكن في ((ليبطئن)) .

والمصيبة قتل أو هزيمة ، والفضل فتح وغنيمة .

قال صاحب الكشاف : " ((كأن لم تكن بينكم وبينه مودة)) اعتراض بين الفعل الذى هو ((ليقولن)) وبين مفعوله وهو ((ياليتني)) .

والظاهر أنه تهكم بالمنافقين ،لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين فكيف يوصفون بالمودة ،الا على وجه العكس .(١)

وقال الواحدى : قوله : ((كأن لم تكن بينكم وبينه مودة)) متصل بقوله : ((قال قد أنعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا)) ، ((كأن لم تكن بينكم وبينه مودة)) .(٢)

---

(١) الكشاف (١/ ٢٨٠) واعتراضه فيه نظر ، فانه يجوز أن تكون الآية في ضعفاء الايمان من المؤمنين .

(٢) الوجيز (ق ٢٧/ب) .

(٥٥٦)

قال ابن الأنباري : المعنى : كأن لم يعاقدكم على الاسلام ، ولم يبايعكم على الصبر والثبات فيه ، بما ساء وسرّ .

قرأ ابن كثير ، وحفص : ((كأن لم تكن)) بالتاء لتأنيث المودة وقرأ الباقون : بالياء[1] ، للفصل ، أولأن المودّة بمعنى الود ، أولأن التأنيث غير حقيقي .

((فأفوز - ٧٣)) جواب التمنى بالفاء .

وقرئ شاذا : " فأفوز "[2] بالرفع (١٥٥/أ) على معنى : فأنا أفوز .

تمنوا ذلك ميلا الى المال ، لا رغبة في المآل .

قوله تعالى : ((فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون))[3] أي يبيعون ((الحياة الدنيا بالآخرة)) كقول ابن مفرّغ الحميري :[4]

٨٨ - وشربت بردا ليتنـــي . من بعد برد كنت هامـــه[5]

---

(١) الحجة للفارسي (٣ / ٧٠) ولابن زنجلة ص (٢٠٨) ، والكشف (١ / ٣٩٢) ، والنشر (٢ / ٢٥٠) .

(٢) مختصر ابن خالويه في شواذ القرآن (٢٧) ، والمحتسب (١ / ١٩٢) والكشاف (١ / ٢٨٠) ، والبحر (٣ / ٢٩٢) .

(٣) كتب في هامش الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الرابع والثلاثين ، مرة ثانية .

(٤) يزيد بن مفرغ الحميري ، كان حليفا لقريش ، ويقال انه كان عبدا للضحاك بن عبد عوف الهلالي ، فأنعم عليه ، الشعر والشعراء ص (٢٢٦)

(٥) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري كما في ديوانه (٢١٣) ، والخزانة (٦ / ٤٧) والأضداد لابن السكيت (١٨٥) .

قوله ((فيقتل أو يغلب - ٧٤)) خارج مخرج الغالب اذ كل مجاهد في سبيل الله ، واعلاء كلمة الله ، له أجر عظيم وان لم يقتل ولم يغلب ((والمستضعفين)) فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون مجرورا عطفا على ((سبيل الله)) أى في سبيل الله وسبيل خلاص المستضعفين .

والثاني : أن يكون منصوبا على الاختصاص بمعنى : وأختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدى الكفرة من أعظم الخير وأخصه . هذا قول صاحب الكشاف[1] ((والمستضعفين)) قوم أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فلم يستطيعوا الخروج .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية فقال : كنت أنا وأمى من المستضعفين[2] .

وفي ذكر الولدان تسجيل على الكفرة بالافراط في التعدى والبغى حيث (١٥٥/ب) تعدى ظلمهم وأذاهم الى الأطفال .

((الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية)) يعنون مكة ((الظالم أهلها)) بالشرك والعدوان .

قال الزجاج : " الظالم أهلها " نعت للقرية . ووحد الظالم لانه صفة

---

(١) الكشاف (١/ ٢٨١) .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦/ ٥٨) .

تقع موقع الفعل ، يقال : مررت بالقرية الصالح أهلها ،أى : التى صلح أهلهـا[1] . ((واجعل لنا من لدنك وليا)) أى ول علينا رجلا مؤمنـا يتولى أمورنا .

((واجعل لنا من لدنك نصيرا - ٧٥)) ينصرنا على عدونا ، ويمنعنـا منهم فاستجاب الله دعاءهم ، فهاجر من هاجر منهم ،وأزال أذى الكفر عنهـم .

قال ابن عباس : فلما فتح رسول الله مكة جعله الله وليهـم ، واستعمل عليهم عتاب بن أسيد[2] فكان نصيرا لهم ،ينصف الضعيف من القوى[3] .

والمراد بقوله : " يقتلون في سبيل الطغوت" الشيطان .

وهو اسم جنس" إن كيد الشيطن " يعنى مكره وتدبيره ((كان ضعيفا-٧٦)) بالنسبة الى كيد الله ومكره .

قوله تعالى : ((ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم)) قال قتادة وجمهور المفسرين : نزلت في رجال من المؤمنين منهـم

---

(١) معاني القرآن (٢/٧٧) .

(٢) عتاب بن أسيد بن أبى العيص ، الأموى ، أبو عبد الرحمن ،أسلم يوم الفتح ،واستعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على مكة لما سار الى حنين . الاصابة (٢/٤٥١) .

(٣) نسبه ابن الجوزى في زاد المسير (٢/١٣٣) الى أبى سليمان الدمشقي ، والكشاف (١/٢٨١) .

عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وقدامة بن مظعون ، وسعد ابن أبي وقاص كانوا يقولون :يارسول الله إئذن لنا في قتال المشركين ، لما يلقون من الشدة والعناء ، فيقول (١٥٦/أ) لهم : كفوا أيديكم،فاني لم أومر بقتالهم ، فلما أُذن في القتال بعد الهجرة ،وأمر رسول الله بالمسير الى العير والنفير ،فلما عرفوا أنه القتال كرهه بعضهم وشق عليهم ،فأنزل الله هذه الآية . أخرجه أبو داوود ،والنسائي بمعناه من حديث ابن عباس.(١)

وروى عطية(٢) عن ابن عباس : أنها نزلت واصفة حال أقوام كانوا في الزمان المتقدم ،يحذر هذه الأمة مثل حالهم .

قال ابو سليمان الدمشقي : كأنه يومئ الى قصة الذين قالوا :ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله .(٣)

ومعنى : ((كفوا أيديكم)) امتنعوا من القتال .

((فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم)) وهم قوم لم ترسخ أقدامهم في العلم .

---

(١) سنن النسائي ، كتاب الجهاد ،باب وجوب الجهاد (٦/ ٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . اهـ . ووافقه الذهبي ، والبيهقي (٩/ ١١) ، والطبري (٨/ ٥٤٩) ، والثعلبي (٤/ق/ ٨٧/ب) والبغوي (١/ ٤٥٣) .

(٢) عطيه بن سعيد العوفي .

(٣) زاد المسير (٢/ ١٣٤) ، والبحر (٣/ ٢٩٧) .

((يخشون الناس كخشية الله)) قال الحسن البصرى : هذا كان منهم لما في طبع البشر من المخافة ،لا على كراهة أمر الله بالقتال .(١)

وقيل : هم قوم نافقوا عند الأمر بالقتال ،كأن ما ركب في الطبع من حب الحياة وكراهية الموت ، وماخامر قلوبهم من الخوف حملهم على أقوال وأفعال سلبتهم الايمان ، وكسبتهم النفاق .

((يخشون الناس)) أى يخافون الكفار ((كخشية الله)) محله من الاعراب النصب على الحال من الضمير في ((يخشون)) أى يخشون الناس مشبهين أهل خشية الله .

((أو أشد خشية)) عطف على الحال يعنى : أو أشد خشية من أهل خشية الله .(٢)

(١٥٦/ب) ((وقالوا :)) حرصا على الحياة ((ربنا لم كتبت علينا القتال لولا)) أى هلا .

((أخرتنا الى أجل قريب)) بحيث نتقوى ونكثر ، ((قل متاع الدنيا)) أى نفعها والبقاء فيها ((قليل ، والآخرة خير لمن اتقى)) الشرك والشك ((ولا تظلمون)) من ثواب جهادكم لأعداء الله ((فتيلا - ٧٧)) سبق تفسيره آنفا . (٣)

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٨١) ، والبحر (٣/ ٢٩٧) .

(٢) كرر السطر الأخير في ورقة (١٥٦) فأعيد في أول ورقة (١٥٧) وهو سهو من الناسخ .

(٣) ص (٥٢٤) .

قوله : ((أينما تكونوا يدرككم الموت)) أين ظرف مكان فيه معنى الاستفهام والشرط .

قال ابن عباس[1] : نزلت في قول المنافقين يوم أحد : ((لو كانوا عندنا ما ماتوا وماقتلوا))[2] . وغير مستبعد ارتباطها بما قبلها فتكون من تمام ما أمر الله به رسوله أن يقوله لكارهي القتال حبا للحياة وحذرا من الممات .

((ولو كنتم في بروج مشيدة)) أى في حصون منيعة رفيعة من قولهم : شاد بناءه ، وأشاده ، وشيده : اذا رفعه .

وقيل : المشيدة المبنية بالشيد ، وهو الجص .

قال قتادة ، والربيع بن أنس ، وسفيان الثورى ، والسدى : هى بروج السماء الاثنا عشر .[3]

---

(١) أسباب النزول للواحدى (١٦٠) وتفسير الثعلبي (٤/ق ٨٨/ب) والبغوى (١/ ٤٥٣) .

(٢) آل عمران (١٥٦) .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٥٩/أ) ، وزاد المسير (٢/ ١٣٧) قال ابن كثير رحمه الله (١/ ٥٢٦) : وقيل هى بروج في السماء قاله السدى ، وهو ضعيف ، والصحيح أنها المنيعة ،أى لا يغنى حذر وتحصن من الموت . اهـ

(٥٦٢)

قوله تعالى : ((وان تصبهم)) يعنى اليهود والمنافقين ((حسنة)) أى : نعمة من خصب ورخاء وغير ذلك ((يقولوا : هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة)) بلية من قحط وشدة ((يقولوا : هذه من (١٥٧/أ) عندك)) أى : بشؤمك تطيرا بمقدم رسول الله الى المدينة كما قيل لموسى - عليه السلام - ((اطيرنا بك وبمن معك)) (١) .

((قل كلٌّ من عند الله)) قبض الأرزاق وبسطها ، ورفع الأسعار وحطها ، ((فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)) أى : يفهمون حديثا فيعلموا أن الله الحكيم في تدبيره ، هو القابض الباسط بعلمه وتقديره .

قوله : ((ما أصابك من حسنة فمن الله)) أى ما أصابك أيها الانسان أو أيها السامع ، أو هو خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد غيره .

قال ابن عباس : ((ما أصابك)) يوم بدر من نصر وغنيمة ((فمن الله)) ، ((وما أصابك)) يوم أحد من قتل وهزيمة ((فمن نفسك)) أى بذنبك .

قال قتادة : عقوبة لذنبك يا ابن آدم (٢) .

فان قيل : ظاهر هذا يناقض قوله : ((قل كل من عند الله)) (٣) .

---

(١) هذه الآية قالها قوم صالح لصالح . كما في سورة النمل (٤٧) . وقول المؤلف كما قيل لموسى ، سهو ، والذى قيل لموسى هو قوله " فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه " الآية ، الأعراف (١٣١) .

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٥٥٨ - ٥٥٩) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٥٩/ب - ١٦٠/أ) . وانظر الدر المنثور (٢/٥٩٧) .

(٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وليس في الآية تناقض ، لا في ظاهرها ولا في باطنها لا في لفظها ولا في معناها ... الخ .
دقائق التفسير (٢/١٤٩) .

قلت : لا مناقضة لأوجـــــه :

أحدهـا : أن المعنى كما ذكر ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما ، أنه أضافه اليه اضافة الشيء الى سببه ، ومثله قوله ـ عليه السلام ـ فيما يحكيـــه عن ربه ـ عز وجل ـ أنه قال : " ياعبادى إنما هى أعمالكم أحفظها عليكـــم فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه " . (١)

فالمعنى على هذا ((فمن نفسك)) بسبب خطيئتك ، وأنا قضيتها عليـــك .

الثاني : (١٥٧/ب) أن التقدير : أفمن نفسك ؟ وقد يحذف حـــــرف الاستفهام كثيرا ومثله ((فظن أن لن نقدر عليه)) (٢) ((أفإن مت فهـــــم الخالدون)) (٣) ، ((وتلك نعمة تمنها علىّ)) (٤) تقديره : أفظن، أفهـــم ، أو تلك نعمة ، فعلى هذا يكون الاستفهام بمعنى الانكار عليهم ، حيث نسبوا الفعل الى غير فاعله ، فانه لا يقع في الكون أمر من رخص وغلاء ، ونعمة وبلاء ، الا بقضاء الله وقدره . (٥)

---

(١) قطعة من حديث أبى ذر الطويل ، أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة (٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥) .

(٢) الأنبياء (٨٧) .

(٣) الأنبياء (٣٤) .

(٤) الشعراء (٢٢) .

(٥) قال شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية النميرى رحمه الله تعالـــى وهذا القول يباين معنى الآية ، فان الآية بينت أن السيئات مـــن نفس الانسان ، أى بذنوبه ، وهؤلاء يقولون : ليست السيئات من نفسه . ومن ذكر ذلك : أبو بكر بن فورك .
ثم قال : وهؤلاء استشهدوا بقوله " أفان مت فهم الخالـــدون "

= = =

الثالث : ان هذا من تمام ما حكاه الله عنهم منكرا عليهم ، التقدير : ((فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)) يقولون : ((ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك)) والمضمر المقدر كثير في القرآن وكلام العرب ، ومنه قوله تعالى : ((أو على سفر فعدة))[1] أى : فأفطر فعدة ، وقوله : ((وبه أذى من رأسه ففدية))[2] أى فحلق ففدية ((ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم))[3] أى : لولا فضل الله عليكم لعذبكم . وقال النمر بن تولب :[4]

٨٩ - فإن المنية من يخشها . . فسوف تصادفه أينما[5]

(=) وهذا لا حجة فيه ، لانه قد تقدم الاستفهام في أول الجملة ، في الجملة الشرطية " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " فلم يحتج الى ذكره ثانية ، بل ذكره يفسد الكلام . اهـ من دقائق التفسير (٢/ ٣١٧ - ٣١٨) .

(١) البقرة (١٨٤) .

(٢) البقرة (١٩٦) .

(٣) النور (١٠) .

(٤) النمر بن تولب العكلي ، كان شاعرا جوادا ، يسمى الكيس لحسن شعره ، وهو جاهلي أدرك الاسلام فأسلم . الشعر والشعراء : ص (١٩١) .

(٥) المعاني الكبير (٣/ ١٢٦٤) ، ومشكل القرآن (٢١٧) ، وزاد المسير (٢/ ١٤١) .

أراد أينما ذهب . وقال غيره .[1]

٩٠ - فأقسم لو شيء أتانا رسوله . . سواك ولكن لم نجد لك مدفعا[2]

قوله تعالى : ((وارسلناك للناس رسولا)) أي لجميع الناس الموجودين (١٥٨/أ) في زمانك والذين يوجدون الى يوم القيامة ، ومثله ((وماارسلناك الا كافة للناس))[3] .

وقوله - عليه السلام - : " بعثت الى الأحمر والأسود "[4] أي الى العجم والعرب .

وقيل : الى الانس والجن .

قال الزجاج : ذكر الرسول توكيدا لقوله : ((وارسلناك))[5] .

((وكفى بالله شهيدا - ٧٩)) الباء مؤكدة ، وشهيدا نصب على التمييز ، والمعنى : كفى الله شهيدا لك بالرسالة . وعليهم بالضلالة .

---

(١) البيت لامرء القيس كما في ديوانه (٢٤٢) .

(٢) انظر الكلام على هذه الآية مفصلا في دقائق التفسير (٢/ ١٢٠-٣٢٩)

(٣) سبأ (٢٨) .

(٤) هذا قطعة من حديث طويل ، فيما فضل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، أخرجه الامام أحمد (٤/ ٢٦١ رقم ٢٧٤٢) من حديث ابن عباس ، ومسلم ، كتاب المساجد (١/ ٣٧٠ - ٣٧١) من حديث جابر .

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٥) .

(٥٦٦)

قوله : ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) قال مقاتل : السبب في نزولها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أحبني فقد أحب الله ، فقال المنافقون : ألا تسمعون ما يقول ، لقد قارب هذا الرجل الشرك . فنزلت هذه الآية .(١)

((ومن تولى)) أعرض عن طاعتك ((فما أرسلناك عليهم حفيظا - ٨٠))

أى رقيبا تحفظ عليهم أعمالهم ، وتحاسبهم عليها .

قال المفسرون : وهذا كان قبل الأمر بالقتال ، ثم نسخ بآية السيف .(٢)

قوله : ((ويقولون : طاعة)) أى ويقول المنافقون لك اذا أمرتهم أو نهيتهم : شأننا أو أمرنا طاعة .

((فإذا برزوا من عندك)) أى خرجوا ((بيت طائفة منهم غير الذى تقول)) قرأ ابو عمرو ، وحمزة : " بيت طائفة " بادغام التاء ، في الطاء لأنهما من حيز واحد . (١٥٨/ب)

---

(١) تفسير مقاتل (١/٢٥٤) .

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزى (٢٨٣) ودعوى نسخ هذه الآية وما كان على نحوها من الأمر بالاعراض والصفح والصبر ، بآية السيف لا يصح ألبته ، فان النسخ لا يثبت الا بشروط :

١) تعذر الجمع بين النصين أو النصوص . والجمع هنا ممكن .

٢) معرفة التاريخ .

وقرأ الباقون : بالاظهار وفتح التاء[1] ، لانفصال الحرفين ، واختلاف المخرجين .

والطائفة بمعنى الفريق ، والتأنيث فيه غير حقيقي ، فلذلك ذكّر الفعل .

قال الزجاج : وكل أمر فُكِّر فيه بليل فقد بيت ومنه قوله تعالى : ((إذ يبيتون مالا يرضى من القول))[2] . والمعنى : زوّرت وسوّت خلاف ما قُلتَ وما أمرت به .

وقيل : المعنى : غير الذى تقول الطائفة ، وتظهرمن الطاعة .

((والله يكتب مايبيتون)) أى يثبته في صحائف أعمالهم ،أو يكتبه فيما يوحيه اليك وينزله عليك ليعلمك أسرارهم ، وإضرارهم .

((فأعرض عنهم)) أى عن الانتقام منهم .

قال ابن عباس : نسخ هذا بالأمر بقتالهم[3] .

((وتوكل على الله - ٨١)) فهو يكفيك شأنهم ، وينتقم لك منهم اذا استفحل أمرك ، وعظم سلطانك ، وكثر أعوانك .

---

(١) السبعة لابن مجاهد ص (٢٣٥) ، والحجة للفارسي (٣/ ١٧٣) والكشف (١/ ٣٩٣) ، والاقناع (٢/ ٦٣١) .

(٢) انظر معاني القرآن (٢/ ٨١) .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن الجوزى (٢٨٤) ، وابن حزم (٣٤) ، وابن سلامة (٧٦) .
ودعوى النسخ في هذا وأمثاله ضعيف ، لأن الآية في المنافقين ، ولم يؤمر بقتالهم .

قوله عز وجل : ((أفلا يتدبرون القرآن)) يتأملونه ، ويتفكرون فيه ، فيستدلوا برصانة مبانيه عن المناقضة ، وصيانة معانيه عن المعارضة ، وكثرة حكمه وأحكامه مع ايجازه واعجازه ، وتشويق هواديه الى أعجازه ، على أنه كلام من تنزهت ذاته عن مشاكلة الذوات ، وصفاته عن مماثلة الصفات .

((ولو كان من عند غير الله)) كما زعم حاسدوك ومعاندوك ((لوجدوا فيه اختلافا (١٥٩/أ) كثيرا - ٨٢)) تفاوتا في النظم والمعنى على نحو كلام البشر ما بين بديع مستحسن ، ومرذول مستهجن ، وكلام الله تعالى جار على سنن واحد من البلاغة والبراعة وصحة اللفظ والمعنى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قوله : ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به)) أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اعتزل نساءه ، دخل عمر المسجد ، فسمع الناس يقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، فدخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله أطلقت نساءك ؟ قال : لا ، فخرج ، فنادى : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فنزلت هذه الآية ، فكان عمر هو الذي استنبط الأمر.(١)

وروى أبو صالح(٢) عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اذا بعث سرية فغلبت أو غُلِبت ، تحدثوا بذلك ، وأذاعوه قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكبراء أصحابه وعلمائهم فأنزل

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق (٢/١١٠٥ - ١١٠٨) .

(٢) باذام - بالذال المعجمة ، ويقال آخره نون - أبو صالح ، مولى أم هانى . التقريب (٦٣٤) .

الله هذه الآية [1].

والمشار اليهم بقوله : ((واذا جاءهم)) المنافقون .

وقيل : ضعفة المسلمين الذين لا اطلاع لهم على بواطن الأمور وجلايا القضايا .

والأمن : الظفر والغنيمة .

والخوف : القتل والهزيمة .

((أذاعوا به)) أظهره وأشاعوه يقال : أذاع السر وأذاع (١٥٩/ب) به ((ولو ردوه)) يعني الأمر ((الى الرسول)) ليكون هو المخبر به ((والى أولى الأمر منهم)) وهم أصحاب البصائر المضيئة بنور العلم والايمان .

قال ابن عباس : كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى - رضى الله عنهم - [2].

وقيل : هم ذوو الآراء من الأمراء .

((لعلمه الذين يستنبطونه منهم)) أى يستخرجونه من أولى الأمر وقال مجاهد : من المذيعين [3].

(=) قال الكلبي : قال لي أبو صالح : كلما حدثتك كذب . اهـ من أحوال الرجال للجوزجاني (٦٣) وقال ابن الجوزى في الضعفاء (١٣٥/١) كوفي يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه . اهـ

(١) تفسير الثعلبي (٤/ق ٩٢/أ) والبغوى (٤٥٦/١) وانظر : زاد المسير (١٤٥/٢ - ١٤٦) .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ٩٢/أ) والبغوى (٤٥٦/١) وزاد المسير (١٤٧/٢) والبحر (٣٠٥/٣) .

(٣) زاد المسير (١٤٧/٢) .

فالمعنى على القول الأول : ولو ردوه الى أرباب العلم ، وكبراء الصحابة لاستنبطوه بآرائهم السليمة ، وأفهامهم المستقيمه ، فعلموا منهم صحة ذلك الأمر من بطلانه ، وهل المصلحة في اذاعته ، أو في كتمانه .

والمعنى على قول مجاهد : ولو ردوه الى أولى الأمر منهم ، وهم الكبراء والأمراء لعلمه المستنبطون من المذيعين .[1] (فضلاء الصحابة لعلموه منهم ، وأخذوه عنهم)[2] .

((ولولا فضل الله عليكم ورحمته)) قال ابن عباس : فضل الله الاسلام ورحمته القرآن .[3]

((لاتبعتم الشيطان)) قال ابن عباس : هنا تم الكلام[4] ، ثم استثنى القليل من قوله : ((أذاعوا به)) تقديره : أذاعوا به (الا قليلا - ٨٣) ممن عصم الله منهم فانهم لا يذيعون . وهذا اختيار الكسائي ، والفراء[5] ، وابن جرير .[6]

---

(١) والوجه الأول أشهر وأظهر ، وعليه الأكثر ، ويؤيده سبب نزول الآية المتقدم .

(٢) ما بين القوسين لا ينسجم مع ما قبله .

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ٩٢/ب) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٦٢/أ) .

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٧٩) ، والبحر (٣/ ٣٠٨) .

(٦) تفسير ابن جرير (٨/ ٥٧٧ - ٥٧٨) ، وصوب هذا القول ، ونصره .

وقال الحسن : الا ستثناء من المستنبطين ، تقديره : لعلمه الذين يستنبطونه الا القليل . وهذا اختيار ابن قتيبة .[1]

وقال الضحاك وغيره (١٦٠/أ) المعنى : لا تبعتم الشيطان فبقيتم على كفركم الا قليلا . اختاره الزجاج .[2]

وقال بعض العلماء : المعنى : ولولا فضل الله عليكم بارسال محمد اليكم لضللتم الا قليلا منكم ، وهم الذين اهتدوا بنور عقولهم الى عبادة الرحمن ، ورفض الأوثان ، كقُس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة ابن نوفل .

قوله تعالى : ((فقاتل في سبيل الله)) قال ابن عباس : لما ندب النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس لموعد أبي سفيان ببدر الصغرى[3] بعد أحد كره بعضهم ذلك ، فأنزل الله هذه الآية .[4]

والفاء في قوله ((فقاتل)) متعلقة بقوله : ((ومن يقاتل)) أو بقوله : ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله)) على معنى : ان لم يقاتلوا في سبيل الله فقاتل أنت وان بقيت وحدك .

---

(١) تفسير غريب القرآن (١٣٢) .

(٢) معاني القرآن (٢ / ٨٩) وهذا هو الأقرب الى لفظ الآية ومعناها ويشهد له قوله تعالى عن ابليس : " لاحتنكن ذريته الا قليلا " الاسراء (٦٢) .

(٣) المراد بها خروج النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان صبيحة أحد بحمراء الأسد ، وتقدم ذكر القصة في آل عمران ص :

(٤) تفسير الثعلبي (٤/ق ٩٣/أ) والبغوى (١ / ٤٥٧) ، وزاد المسير (٢ / ١٤٨ - ١٤٩) .

(٥٧٢)

((لا تكلف الا نفسك)) الا الجهاد بنفسك .

((وحرض المؤمنين)) أى ليس عليك الا تحريضهم ، وحضهم على الجهاد ،

((عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)) أى : شدتهم .

قد سبق الكلام على عسى ، وفي الجملة اطماع الكريم واجب واقع ، فحقق الله ذلك فكف بأس الذين كفروا ، أبو سفيان وأصحابه ، كما ذكرناه في آل عمران (١) .

((والله أشد بأسا وأشد تنكيلا - ٨٤)) عقوبة .

قوله ((من يشفع شفاعة حسنة)) الآية ، قال الحسن : ما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة (١٦٠/ب) ومالا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة .

فيدخل في الشفاعة الحسنة كل شفاعة جلبت للانسان خيرا ، ونفت عنه ضيرا ، والاصلاح بين الناس والدعاء للمؤمنين .

والسيئة بخلاف ذلك .

وهذه الجملة تشتمل على تفاصيل أقوال المفسرين في الشفاعتين .

والنصيب والكفل بمعنى واحد .

والمعنى : أن لهذا نصيبا من الأجر ، ولهذا كفلا من الوزر .

وفي الصحيحين من حديث أبى موسى : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " اشفعوا تؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب " (٢) .

---

(١) تقدم في آل عمران ص : (٣٤٣)

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (٢/ ١٤٠) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة (٤/ ٢٠٢٦) .

وثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث ابن عمر أنه قال : " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حاد الله في ملكه " .[1]

قوله : ((وكان الله على كل شيء مقتيا ـ ٨٥)) أي مقتدرا ، يقال : أقات على الشيء يقيت اقاتة : اذا اقتدر عليه ، وأنشدوا :

٩١ ـ وذي ضغن كففت النفس عنه . وكنت على مساءته مقتيا .[2]

وقال قتادة : المقيت : الحفيظ .[3]

قال الزجاج : هو بهذا أشبه ، لأنه مشتق من القوت يقال : قت الرجل أقوته قوتا ، اذا حفظت عليه نفسه بما يقوته ، واسم الشيء الذي يحفظ نفسه : القوت ، فمعنى المقيت : الحافظ (١٦١/أ) الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ قال الشاعر :[4]

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند (٧/ ٢٠٤ ، رقم ٥٣٨٥) ، وأبو داود كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٣/ ٣٠٥) وفيهما " ضاد الله في أمره " بدل " حاد الله في ملكه " قال أحمد شاكر : اسناده صحيح . اهـ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (١٣٢) وتفسير الطبري (٨/ ٥٨٤) والقرطبي (٥/ ٢٩٦) ، والبحر (٣/ ٣٠٣) والبيت للزبير بن عبد المطلب .

(٣) زاد المسير (٣/ ١٥٠) .

(٤) البيت للسموأل بن عاديا ، كما في ديوانه (٨١) ومجاز القرآن (١/ ١٣٥) ، وغريب القرآن لابن قتيبة (١٣٣) ، والاصمعيات : ٨٦ والسموأل هو ابن عريض بن عاديا ـ وقد ينسب الى جده ـ الأزدي شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر . الأعلام (٣/ ١٤٠) .

٩٢ـ إليَّ الفضل وأم عليَّ إذا حو سبت إنّي على الحساب مقيت (١)

والقولان عن ابن عباس .

قوله : ((واذا حييتم بتحية)) التفسير المشهور الذى عليه الجمهور أن التحية السلام ، ((فحيوا بأحسن منها)) مثل أن يقول لك أخوك المسلم : السلام عليكم ، فتقول : وعليكم السلام ورحمة الله ، ((أو ردوها)) قولوا مثلها ، ندب سبحانه الى الفضل في الرد ، وأوجب العدل ((إن الله كان على كل شيء)) من الفضل في الرد ، والعدل فيه ((حسيبا - ٨٦)) مجازيا مكافيا .

قوله : ((ليجمعنكم)) هذه لام القسم ، تقديره : والله ليجمعنكم ، يعني في الموت ، أو في القبور ((الى يوم القيامة)) ويحتمل أن يكون المعنى ليجمعنكم في يوم القيامة . (٢)

وهو يوم قيام الناس من قبورهم ، فالقيامة والقيام بمعنى ، كالطلابة والطلاب ((ومن أصدق من الله حديثا - ٨٧)) أى : قولا ووعدا .

---

(١) معاني القرآن (٢ / ٩١) .

(٢) قال ابن جرير في تفسيره (٨ / ٥٩٢) : ليبعثنكم من بعد مماتكم ، وليحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذى يجازى الناس فيه بأعمالهم ويقضى فيه بين أهل طاعته ومعصيته ، وأهل الايمان والكفر . اهـ وقال ابن كثير (١ / ٥٣٢) : وأقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيجازى كل عامل بعمله . اهـ

قوله : ((فما لكم في المنٰفقين فئتين)) .[1]

أخبرنا الشيخان أبو القاسم ، وأبو الحسن البغدادیان ، قالا : أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا الداودی ، أخبرنا السرخسي ، أخبرنا الفربری ، حدثنا البخاری ، حدثني محمد بن بشار ، حدثنا غندر وعبد الرحمن ، قالا : حدثنا شعبة ، عن عدی عن عبد الله (١٦١/ب) بن يزيد ، عن زيد بن ثابت ((فمالكم في المنٰفقين فئتين)) رجع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أحد ، وكان الناس فيهم فرقتين ، فريق يقول : أقتلهم ، وفريق يقول : لا ، فنزلت ((فمالكم في المنٰفقين فئتين)) وقال : انها طيبة تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة[2] . وأخرجه مسلم[3] أيضا .

وقال عبد الرحمن بن عوف : نزلت في قوم أسلموا فأصابهم وباء المدينة وحماها ، فخرجوا ، فاستقبلهم نفر من المسلمين ، فقالوا : ما لكم خرجتم ؟ قالوا : أصابنا وباء المدينة ، فاجتوبناها ، فقالوا : أمالكم في رسول الله أسوة ؟ فقال بعضهم : نافقوا وقال بعضهم : لم ينافقوا ، فنزلت هذه الآية[4].

---

(١) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثامن عشر . وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الخامس والثلاثين ، مرة ثانية .

(٢) صحيح البخاری ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/ ٥٩) .

(٣) صحيح مسلم ، صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٢) .

(٤) أخرجه الامام أحمد في المسند (٣/ ١٣١ - ١٣٢ رقم ١٦٦٧) ، والواحدی في أسباب النزول - من طريق المسند - (١٦١) ، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦١٠) ، وقال : في سنده انقطاع .

= = = = =

(٥٧٦)

وقيل : نزلت في العُرَنيين الذين أغاروا على سرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقيل : نزلت في الذين لم يهاجروا من مكة .(١)

والمعنى : مالكم اختلفتم في شأن قوم ظهر نفاقهم ، وتفرقتم فيهم فئتين أي فرقتين .

ونصبهما على الحال ، ومالكم لم تجتمعوا على كفرهم .

((والله أركسهم)) ردهم الى الشرك كما كانوا ، يقال : أركس الشيء وركسه ((بما كسبوا)) من الفعل القبيح الدال على كفرهم ونفاقهم .

((أتريدون)) أيها المؤمنون ((أن تهدوا من أضل الله)) لأنهم قالوا : هم اخواننا ، وتكلموا بكلمتنا ، فأنكر الله عليهم نسبة المنافقين (١٦٢/أ) اليهم .

(=) وقال في اللباب (٧٦) : في سنده تدليس وانقطاع . اهـ
وصحح الشيخ أحمد شاكر اسناده ، ورد قول السيوطي ، واثبت سماع أبي سلمة من أبيه .
ومعنى قوله " فأجتويناها " أي كرهناها .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/١٠ - ١١) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٦٤/ب) وانظر الدر المنثور (٢/٦٠٩ - ٦١٠) .
وفيه عطية بن سعيد العوفي متروك بالاتفاق .

والسبب الأول هو الصواب لقوة دليله ، وما سواه فلا يسلم دليله من كلام قادح .

((ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا - ٨٨)) الى الحجة ، ولا دليلا على المحجة .

ثم أخبر الله المؤمنين بما تنطوى عليه ضمائرهم لهم لئلا يحسنوا الظن بهم فقال : ((ودوا لو تكفرون كما كفروا ، فتكونون)) عطف على " تكفرون" اذ لو كان جوابا لحذفت النون ، والمعنى : أحبوا كفركم وكونكم مثلهم .

((فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله)) أى يرجعوا الى رسول الله بنية خالصة من شوائب النفاق .

((فان تولوا)) عن التوحيد والهجرة ((فخذوهم)) أسراء ((واقتلوهم حيث وجدتموهم)) في حل أو حرم ((ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا - ٨٩)) .

قوله : ((الا الذين يصلون)) استثناهم الله عز وجل من قوله : ((فخذوهم واقتلوهم)) التقدير : خذوهم واقتلوهم الا الذين يتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فيكون بينهم رابطة حلف أو جوار فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم .

قال ابن عباس : والمراد بالقوم : هلال بن عويمر الاسلمى وقومه ، وكان وادع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (على أن لا يعينه)[1] ، ولا يعين عليه ، وكان من وصل الى هلال من قومه وغيرهم ، فلهم من الجوار مثل ما لهلال[2] .

---

(١) في الأصل : على أن يعينه ، وهو سهو .

(٢) تفسير ابن جرير (٩ / ١٩) ، وابن أبي حاتم (٢ / ق ١٦٧ / أ) وانظر : زاد المسير (٢ / ١٥٧) .

وقال الحسن : بنو مدلج .[1]

وقال مقاتل : خزاعة وبنو مدلج .[2]

قال ابن عباس . (١٦٢/ب) : والميثاق : العهد .[1]

((أو جاؤكم)) معطوف على صفة ((قوم)) أي يصلون الى قـــوم معاهدين ،أو قوم ممسكين عن قتالكم .

وقال الزجاج : المعنى : يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ،أو يصلون الى قوم جاؤكم .[3]

وقرأ أبيّ : " بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم " باسقاط " أو "[4] فعلى هذا ، " جاؤكم " بيان ليصلون ،أو بدل منه ،أو استئناف ، أو صفة بعد صفة لقـوم .

((حصرت صدورهم)) أي : ضاقت صدورهم عن ((أن يقتلوكـــم)) للعهد الذي بينكم وبينهم ((أو يقتلوا قومهم)) يعني قريشا .

قال مجاهد : هلال بن عويمر هو الذي حَصِر صدره أن يقاتلكـــم ، أو يقاتل قومه .[5]

---

(١) زاد المسير (٢/١٥٨) .

(٢) تفسير مقاتل (١/٢٥٨) .

(٣) ليس في معاني القرآن ، وانظر زاد المسير (٢/١٥٨) .

(٤) انظر: الدر المصون (٤/٦٥) .

(٥) تفسير ابن جرير (٩/١٠) ،وابن أبي حاتم (٢/ق ١٦٧/أ) .

وقيل : أو يقاتلوا قومهم الذين آمنوا ، وصاروا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - . فان قيل : ما اعراب : ((حصرت صدورهم)) ؟

قلت : فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه في محل الحال باضمار قد ، والدليل عليه قراءة الحسن وبها قرأت على أبي البقاء اللغوي ، وأبي عمرو الياسري ليعقوب، والمفضل عن عاصم : " حصرة صدورهم " [(١)] على الحال ، وهذا قول الأخفش [(٢)] .

الثاني : أنه صفة في موضع نصب ، تقديره : أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم قاله سيبويه .

الثالث : أنه دعاء عليهم ،لا موضع له من الاعراب ، تقديره : ضيق الله (١٦٣/أ) صدورهم عن قتالكم . قاله المبرد [(٣)] .

ورده أبو علي لقوله : ((أو يقاتلوا قومهم)) ونحن لا ندعوا عليهم بأن يضيق الله صدورهم عن قتال قومهم .

قال القاضي ابو يعلى - رحمه الله - : فلما أعز الله الاسلام أمروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب الا الاسلام أو السيف [(٤)] .

---

(١) مختصر ابن خالويه (٢٧ - ٢٨) ، والتقريب والبيان (٥٨خ) واتحاف فضلاء البشر (١٩٣) .

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٤٤) ، وفي الأصل : وهذا قول الفش .

(٣) المقتضب (٤/ ١٢٤) .

(٤) زاد المسير (٢/ ١٥٩) .

((ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقتلوكم)) فيه اشارة الى أنه هو الذى حصر صدورهم عن قتال المؤمنين بما قذف في قلوبهم من الرعب .

قوله : ((وألقوا إليكم السلم)) قال الحسن : يعنى الاسلام، وقال غيره : الصلح[1] ((فما جعل الله لكم عليهم سبيلا - ٩٠)) الى القتل والأخذ ، ثم نسخ بآية السيف .

قوله : ((ستجدون آخرين)) قال ابن عباس : هم أسد وغطفان[2] وكانوا حاضرى المدينة[3] .

وروى عنه : أنهم بنو عبد الدار ، أظهروا الايمان ليأمنوا المؤمنين بما أظهروا ((ويأمنوا قومهم)) الكفار بما أضمروا[4] ، فاعلم الله نبيه أن هذه الموافقة منافقة ، وأن مقصودهم من اظهار الايمان الأمان .

((كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها)) أى كلما سنح لهم الشرك عادوا اليه لما عندهم من الشك في الاسلام ، ((فان لم يعتزلوكم)) فيتركوا قتالكم ((ويلقوا إليكم السلم)) وهو الانقياد والاستسلام للصلح .

---

(١) زاد المسير (٢/١٥٩) ، والبحر (٣/٣١٨) وهو الاستسلام والانقياد ، اختاره ابن جرير ، وابن كثير .

(٢) أسد وغطفان : قبيلتان عدنانيتان أما أسد فمن ولد ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان ، وأما غطفان فمن ولد سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ويقال لهما الحليفين .

(٣) زاد المسير (٢/١٦٠) ، وتفسير القرطبي (٥/٣١١) وتفسير مقاتل (١/٢٥٨) .

(٤) زاد المسير (٢/١٦٠) ، وتفسير الثعلبي (٤/ق ٩٧/ب) والبغوى (١/٤٦١) .

((ويكفوا (١٦٣/ب) أيديهم)) عنكم ((فخذوهم)) أسرى ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم)) أي حيث وجدتموهم قسرا .

((وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا - ٩١)) أي : حجة مضيئة بيّنة في قتلهم لظهور مُحالهم في غدرهم ، وانكشاف حالهم في كفرهم ، ثم نسخ الكف عنهم بآية السيف .(١)

قوله تعالى : ((وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطئا)) السبب في نزول هذه الآية ان عياش بن أبي ربيعة أسلم قبل أن يهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخاف أن يظهر اسلامه لقومه ، فخرج الى المدينة ، فقالت أمه لابنيها : أبي جهل والحارث إبني هشام - وكانا أخويه لأمه - : والله لا يظلني سقف ، ولا أذوق طعاما ، ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه ، ومعهما الحارث بن يزيد ، حتى أتوا عياشا وهو متحصن في أُطُم(٢) ، فقالوا له : انزل - وأخبروه خبر أمه - ، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك فنزل ، فأوثقوه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ، فقدموا به على أمه ، فقالت : والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد ، فطرح موثقا في الشمس ، حتى أعطاهم ما أرادوا ، فقال له الحارث بن يزيد : ياعياش(٣) ان كان ما كنت عليه

---

(١) تقدم رد هذه الدعوى مرارا .

(٢) الاطم : بضمتين يخفف ويثقل حصون لأهل المدينة . اهـ من الصحاح (٥/ ١٨٦٢) .

(٣) عياش بن أبي ربيعة القرشي . المخزومي ، أسلم قديما ، وهاجر الهجرتين وكان أحد من يدعو له النبي صلى الله عليه وسلم من المستضعفين في القنوت ، استشهد باليمامة ، وقيل باليرموك ، وقيل

= = = =

هدى لقد تركته ، وان كان ضلالا لقد ركبته فغضب وقال : والله لا ألقاك خاليا الا قتلتك (١٦٤/أ) ثم أفلت عياش بعد ذلك وهاجر الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أسلم الحارث بعده ، وهاجر ، ولم يعلم عياش، فلقيه يوما فقتله . فقيل له : انه قد أسلم ، فجاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بما كان ، وقال : لم أشعر باسلامه فنزلت هذه الآية .(١)

قوله : ((وما كان لمؤمن)) أى ما ينبغي ، ولا يليق بحال من اتصف بالايمان ((أن يقتل مؤمنا)) ابتداء من غير سبب يوجب قتله .

وقوله : ((إلا خطئا)) حال ، أو صفة مصدر محذوف ، أو مفعول له على معنى : ما ينبغي أن يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده .

والمعنى : الا على وجه الخطأ بأن يظنه كافرا ، أو يرمى كافرا فيصيبه

وروى أبو عبيدة عن يونس(٢) أنه سأل رؤبة عن هذه الآية فقال : ليس له

(=) مات سنة خمس عشرة . التقريب (٥٢٦٨) .
والحارث بن هشام المخزومي ، أبو عبد الرحمن المكى ، من مسلمة الفتح ، استشهد بالشام في خلافة عمر رضى الله عنهما . التقريب : (١٠٥٥) .
والحارث بن يزيد بن أنيسه ، ويقال ابن أبى انيسه ، من بنى معيص ابن عامر بن لؤى ، القرشي العامرى ، قتله عياش جهلا باسلامه . الاصابة (١/ ٢٩٥) .

(١) أسباب النزول للواحدى (١٦٢ - ١٦٣) ، وتفسير الثعلبي (٤/ق ٩٧/ب - ٩٨) والبغوى (١/ ٤٦٢) ، وانظر ابن جرير (٩/ ٣٣) ، والدر المنثور (٢/ ٦١٦) .

(٢) يونس بن حبيب البصرى ، من أكابر علماء النحو ، كان له حلقة بالبصرة ،
= = = =

أن يقتله عمدا ، ولا خطأ ، ولكنه أقام ((إلا)) مُقام الواو[1] ، قال الشاعر :

٩٣ - وكل أخ مفارقه أخوه . لعمر أبيك الا الفرقدان[2]

أراد والفرقدان .

وقيل : وقع الاستثناء على ماتضمنته الآية من استحقاق الاثم وايجاب القتل .

وقيل : الاستثناء منقطع ، التقدير : لكن قد يقتله خطأ .

((فتحرير رقبة)) أي فعليه تحرير رقبة ((مؤمنة)) واشترط (١٦٤/ب) الامام أحمد - في احدى الروايتين عنه - أن تكون قد صامت وصلت . وهو قول ابن عباس في رواية عنه ، والحسن وقتادة وعامة المفسرين .[3]

((ودية مسلمة الى أهله)) وهم روثة المقتول ((إلا أن يصدقوا)) أي الا أن يتصدق الورثة بالدية على القاتل فتسقط .

(=) توفي سنة ثلاث وثمانين ومائه . طبقات الأدباء لابن الأنباري (٤٧)

(١) زاد المسير (٢/ ١٦٢) ، والبحر (٣/ ٣٢١) ، والدر المصون (٤/ ٧٠)

(٢) تقدم برقم (٧٠)

(٣) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٥ - ٣٦) ، والقرطبي (٥/ ٣١٤ - ٣١٥) ، والمغني (٨/ ٧٦٤) .

(٥٨٤)

فصـــل

لا نعلم خلافا أن اعتاق الرقبة متعلق بمال القاتل ، وأن الدية على عاقلته ، تحملها عنه على طريق المواساة منجمة أثلاثا في ثلاث سنين ، ولا يلزم الجاني منها شيء . وعند أبي حنيفة : هو كأحدهم .(١)

وعاقلته : عصباته ، وان لم تكن له عاقلة ففي بيت المال .

---

(١) المغني (٧/ ٧٧١) ، والهداية (٤/ ١٧٧) .

فصـــــل

ودية الحر المسلم : مائة من الابل أو ألف دينار ، أو اثنا عشر ألـــف درهم من الورق ، أو ألفا شاة ، أو مائتا بقرة .

واختلفت الرواية عن الامام أحمد ــ رضى الله عنه ــ فى الحُلـل هل هى أصل فى الدية ؟ فان قلنا : هى أصل ــ وبه قال أبو يوسف ومحمد ــ فقدرها مائتا حلة . (١)

ودية الحرة المسلمة : على النصف من ذلك .

ودية الذمي اذا قتله مسلم عمداً : مثل دية المسلم ، وان قتله خطأ ، ففيه عن الامام أحمد روايتان : إحداهما : نصف دية المسلم ، والأخـــرى : ثلثها . (٢)

ودية المجوسى : ثمان مائة درهم .

وقال أبو حنيفة : دية الكافر(١٦٥/أ) مثل دية المسلم فى العمـــد والخطأ . (٣)

---

(١) المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين (٢/ ٢٧٢) والمغـــنى (٧/ ٧٦٠) والهداية (٤/ ١٧٨) والفروع (٦/ ١٦) وقال : الحلة : بردان ، ازار ورداء ، وفى المذهب جديدان من جنس اهـ.
والمحرر (٢/ ١٤٤) قال فى الانصاف (١٠/ ٥٩) على قولـــه : " وفى الحلل روايتان " : احداهما ليست أصلا فى الدية ، وهـــو المذهب اهـ .
قلت : ونص عليه فى الاقناع والمنتهى .

(٢) المسائل الفقهية (٢/ ٢٨٢) والمغنى (٧/ ٧٩٣) والمحـــــرر (٢/ ١٤٥) والفروع (٦/ ١٧) .

(٣) الهداية (٤/ ١٧٨) .

وقال مالك : نصف دية المسلم .[1]

وقال الشافعي : ثلث الدية في الحالين ، وقال في المجوسي كقولنا .[2]

قوله : ﴿ فإن كان من قوم عدو لكم ﴾ أي : ان كان المؤمن المقتول خطأ من أعدائكم الكفار[3] مقيما بين أظهرهم ، أو ليس منهم ، ولكنه مقيم بين أظهرهم ، فقتله من لا يعلم بايمانه ((فتحرير رقبة مؤمنة)) أي : فعليه عتق نسمة مؤمنة ولا دية في قتله ، لأنه ضيع نفسه باقامته في دار الحرب ، فان علم به أنه مسلم وجبت الدية .

وقال أبو حنيفة : ان كان المسلم المقتول قد هاجر لزم القاتل الدية والكفارة بكل حال ، وان لم يكن هاجر الينا لم يلزمه غير الكفارة في العمد والخطأ .

قوله : ﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ أي عهد ، وهم أهل الذمة ﴿ فدية مسلمة الى أهله ﴾ وقد ذكرنا مقدارها ((وتحرير رقبة مؤمنة)) .

وقيل : هو المؤمن يقتل خطأ ، وقومه مشركون ، ولهم عهد ، فديته لقومه وميراثه للمسلمين .

قوله : ((فمن لم يجد)) يعني رقبة[4] ((فصيام شهرين متتابعين)) بدلا عن الرقبة في قول عامة أهل العلم ، الا ما يروى عن مسروق ومجاهد

---

(١) بداية المجتهد (٢/٥٠٦) .

(٢) الروضة (٩/٢٥٨) والمنهاج (١٢٦) .

(٣) يعني أنه آمن وبقي في بلد أعدائكم الكفار .

(٤) أو لم يجد ما يشترى به رقبة ، فيعدل الى البدل ، وهو الصيام .

وابن سيرين فانهم قالوا : الصوم بدل عن التحرير (١٦٥/ب) والدية [1] ، ولا ينقطع التتابع بالحيض والمرض .

وقال أبو حنيفة : ينقطع بالمرض. [2] وان تخللهما الافطار لغير عذر انقطع التتابع ، ولزمه الابتداء . [3]

((توبة من الله ــ ٩٢)) مصدر ، أو مفعول لأجله ، والمعنى : شرع الله ذلك توبة منه .

قوله تعالى : ((ومن يقتل مؤمنا متعمدا ــ ٩٣)) الآية .

السبب في نزولها أن مقيس بن صُبابة كان قد أسلم هو ، وأخوه هشام [4] فوجد مقيس أخاه قتيلا في بني النجار ، فأتى رسول الله ، فذكر له ذلك ، فأرسله ، وأرسل معه زهير بن عياض الفِهْرى ــ وكان من المهاجرين من أهل بدر ــ [5] الى بني النجار ليدفعوا الى مقيس قاتل أخيه ان علموه ، أو ديته

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/ ٥٥) وابن أبي حاتم (٢/ق ١٧٠/أ) وانظر زاد المسير (٢/ ١٦٥) .

(٢) الهداية (٢/ ٢١) .

(٣) أي انه اذا أفطر من عذر ــ لحيض أو مرض أو سفر ــ فانه لا يقطع التتابع ، بل يبني على ما مضى ، لأن مثل هذه الاعذار ليست باختيار المكلف ، فلا تؤثر في التتابع ، كما هو مذهب أحمد ومالك . وان أفطر لغير عذر انقطع .

(٤) مقيس وهشام ابنى صبابة ــ بضم الصاد ــ بن حزن الكناني .
قال ابن اسحاق ــ في المغازي عن أبي بكر بن عمرو بن حزم : ان هشاما قاتل يوم المريسيع مع المسلمين اهـ
الاصابة (٣/ ٦٠٣) .

(٥) انظر : الاصابة (١/ ٥٥٥) .

ان لم يعلموه ، فأبلغهم الفهرى رسالة رسول الله فقالوا : والله ما نعلم قاتله ولكنا نعطيه ديته ، فأعطوه مائة من الابل ، ثم انصرفا راجعين الى المدينة فأتى الشيطان مقيسا ، فقال : تقبل دية أخيك فتكون عليك سبه ما بقيت ، أقتل الفهرى ، وافضل بالدية ، فرمى الفهرى بصخرة ، فشدخ رأسه فقتله ولحق بمكة مشركا وهو يقول :

٩٤ــ قتلت به فهرا وحملت عقله * سَرَاة بنى النجار أرباب فارع

٩٥ــ وأدركت ثأرى واضطجعت مُوَسَّدا * وكنت الى الأوثان أول راجع (١٦٦/أ)

فنزلت هذه الآية فأهدر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دمه يوم الفتح . (١)

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/ ٦١ــ٦٢) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٧٠/ب ــ ١٧١/أ) عن سعيد بن جبير ، والواحدى فى أسباب النزول (١٦٣ ــ ١٦٤) والثعلبى (٤/ق ٩٩/ب ــ ١٠٠/أ) والبغوى (٢/ ٤٦٤) عن أبى صالح عن ابن عباس .

والطبرانى عن عطاء عن ابن عباس ، بسند ضعيف ، قاله الحافظ ابن حجر فى الاصابة (١/ ٥٥٥) .

فصـــــل
فى حكم هـذه الآيـــــة

ذهب أعلام الأمة وجمهور الأمة الى أن المؤمن اذا قتل مؤمنا عمـدا ، لا يكفر بقتله ، وأنه يستتاب كما يستتاب من سائر الذنوب ، وناهيك بقبول التوبة من أكبر الكبائر وهو الشرك دليلا على قبول التوبة من ذنب يتقاصر عنه فى الجناية .

وقال ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ : أنى له التوبة ثم تلا هذه الآية[1]

وطريق الانفصال عنها بادعاء كونها منسوخة تارة ، وبالتأويل أخـرى أما نسخها :

فذهب جماعة من المفسرين الى أنها منسوخة[2] بقوله تعـــــالىٰ : ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ماد ون ذلك لمن يشاء))[3]

وأما التأويل فمن ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المعنى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا لأجل ايمانـــه ، فحينئذ يكفر باستحلاله دمه فيخلد . وهذا قول سعيد بن جبير .[4]

---

(١) أخرجه الامام أحمد فى المسند (٤/ ١٤ــ١٥ رقم ٢١٤٢) وقـــال أحمد شاكر : اسناده صحيح اهـ.
والنسائى كتاب القصاص (٨/ ٦٣) وابن جرير (٩/ ٦٣) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٣٣) وابن الجوزى (٢٨٨) .

(٣) النساء (٤٨)
ودعوى النسخ لا تستقيم ، لأن الآية خرجت مخرج الخبر ، والخـــبر لا يدخله النسخ .
انظر تفسير القرطبى (٥/ ٣٣٥) .

(٤) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٧١/أ) .

الثانى : أن المعنى : فجزاؤه جهنم ان جازاه ، وهذا التأويل قد روى مرفوعا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ [1] وروى عن جماعة من العلماء [2] منهم : أبو صالح ، وأبو مِجْلَز. [3]

الثالث : أن المراد بتخليده فى النار ، طول مكثه ، والعرب تسمى الجبال (١٦٦/ب) خوالد ، لطول مكثها ، وتقول : لاخلدن فلانا فى السجن . [4]

على أننا نحمل كلام ابن عباس ، وما شاكله من ذلك على التغليظ ، فان رجلا سأله : ألقاتل المؤمن توبة ؟ قال : لا ، وسأله آخر ، فقال : نعم ، فقيل له فى ذلك ، فقال : جاء فى ذلك ، ولم يكن قتل فقلت : لا توبة لك ، لكى لا يقتل ، وجاءنى هذا وقد قتل ، فقلت له : لك توبة لئلا يلقى بيده الى التهلكة

---

(١) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٧١/أ) والثعلبى (٤/ق ١٠٢/ب) قال ابن كثير (١/٥٣٧) : لكن لا يصح .

(٢) تفسير ابن جرير (٩/ ٦١) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٧١/ب) .

(٣) أبو صالح هو ذكوان السمان الزيات ، المدنى ، من ثقات التابعين وأبو مجلز هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى ، مشهور بكنيته .

(٤) تفسير القرطبى (٥/ ٣٣٥) وابن كثير (١/٥٣٧)
وما ذكره المؤلف من تأويل الآية لا يسلم بعضها من نظر :
أما الأول فلا يصح أن تفسر به الآية ، لأن من استحل قتل مؤمن كفر ، سواء قتله أم لم يقتله ، وانما يكفر بمجرد استحلال دمه .
وأما الثانى : فحسن لكن يشكل عليه قوله " وغضب الله عليه ولعنه " على أننا قد نقول ان الآية تنزل على التأولين الثانى أو الثالث ، ويحتمل أن يقال هذه من نصوص الوعيد ، والله أعلم .

وحكى سفيان الثورى هذا المعنى عن أهل العلم. [1]

وصح عن ابن عباس أيضا : أنه أتاه رجل فقال : انى خطبت امرأة فأبت أن تنكحنى ، وخطبها غيرى ، فأجيب ، فغرت فقتلتها ، فهل لى من توبة ؟ فقال : أمك حية ؟ قال : لا ، قال : تب الى الله وتقرب اليه ما استطعت ، فقيل له : لم سألته عن حياة أمه ؟ فقال : انى لا أعلم عملا أقرب الى الله من بر الوالدة . [2]

---

(١) الدر المنثور (٦٢٩/٢) .

(٢) لم أجد أثر ابن عباس هذا .

فصـــــل

فان مات من غير توبة فمذهب أهل الحق أنه تحت مشيئة الله تعالـــى ان شاء غفر له ، وأرضى خصمه ، وان شاء عذبه على فعله ثم يدخله الجنة بايمانه فضلا منه ورحمة .

وتحجرت المعتزلة واسعا ، فقالت : لا يغفر الله لمن لم يتب مـــن الكبائـــر.(١)

قال الزمخشري : ما أبين الدليل في هذه الآية على خلود من لم يتب من أهل الكبائر ، والعجب من قوم يقرأون (١٦٧/أ) هذه الآية ، ويطمعـــون في العفو من غير توبة ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها .(٢)

قلت : ولو تلا هذه الآية على طائفته ، لكانت تلاوتها عليهم بهـــذا الاعتبار أليق وبحالهم أشبه ، وليته اعتبر بما جرى لطاغيتهم وقائدهم في الضلالة عمرو بن عبيد(٣) مع قريش بن أنس(٤) حين قال : يؤتى بي يوم القيامـــــــة

---

(١) ووافقهم الخوارج ، الا أن المعتزلة يقولون ليس مؤمنا ولا كافرا ، بل في منزلة بين الايمان والكفر ، والخوارج يقولون هو كافر ، مع اتفاقهم على تخليده في النار ، فهم متفقون على حكمه في الآخرة ، مختلفون في حكمه في الدنيا ، فالمعتزلة لا يستحلون دمه وماله وعرضه ، والخوارج يستحلون منه ذلك .

(٢) الكشاف (١/ ٢٩٠) .

(٣) عمرو بن عبيد بن باب ،أبو عثمان البصري ، المعتزلي القدري ، كـــان من أصحاب الحسن ، ثم عارضه في القدر فاعتزل مجلسه ، وتبعه مـــن تبعه ، فسموا المعتزلة ، مات في طريق مكة سنة اثنتين أو ثـــــلاث وأربعين ومائة .
البداية والنهاية (١٠/ ٧٨) والميزان (٣/ ٢٧٣) .

(٤) قريش بن أنس الأنصاري ، ويقال الأموي ، أبو أنس البصري ، توفي سنة ثمان ومائتين . التقريب (٥٥٤٣) .

فأقام بين يدى الله تعالى فيقال : قلت ان القاتل يخلد فى النار . فأقـــول : أنت قلت : ثم تلا : ((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم)) حتى فـــرغ من الآية .

قال قريش : فقلت له : ـ وما فى البيت أصغر منى ـ أرايت ان قال لك : فانى قلت : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) [1] من أين علمت أنى لا أشاء أن أغفر لهذا ؟ قال : فما استطاع أن يرد على شـيئا . [2]

ثم انه أكثر ما يقدر أن الله توعد القاتل ، وأصحاب الكبائر بالنار ، والخلود فيها ، غير أن الدلائل النقلية ، والبراهين العقلية توجب العلم بأن العفو بعد الوعيد والتهديد الشديد من نفائس المكارم ، وغرائس الأكارم ، قال كعب بن زهير :

٩٦ ـ نبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول [3]

وقال الأصمعى : جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو ، يخلف (١٦٧/ب) الله ما وعد ؟ قال : لا ، قال : أرايت من أوعده على عمل عقابا أيخلف الله وعيده فيه ؟

فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت يا أبا عثمان ، ان الوعد غير الوعيد

---

(١) النساء (٤٨) .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٧٧) والخطيب فى تاريخ بغداد (١٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣) .

(٣) هذا البيت من قصيدة كعب ـ المشهورة ـ ومطلعها :
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبـــــول
شرح القصيدة للحموى (٥٤) وجمهرة أشعار العرب للقرشـــــى (١/ ١٥١) .

ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا ، أن تعد شرا ، ثم لا تفعله ، ترى ذلك كرما وفضلا ، وانما الخلف أن تعد خيرا ، ثم لا تفعله ، قال : فأوجدنى هذا فى كلام العرب قال : نعم أما سمعت قول الأول :

٩٧ ــ وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى (١)

قوله تعالى : (٢) ((يأيها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا)) أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث ابن عباس قال : لقى ناس من المسلمين رجلا فى غنيمة له ، فقال : السلام عليكم ، فأخذوه ، فقتلوه وأخذوا تلك الغنيمات ، فنزلت : ((ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم : لست مؤمنا)) (٣) وقرأها ابن عباس : السلم (٤) وروى عن ابن عباس أن قوما من أهل مكة سمعوا بسرية لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تريدهم ، فهربوا ، وأقام رجل منهم ، يقال له : مرداس بن نهيك (٥) من أهل فدك (٦) ثقة باسلامه ، فلما رأى مرداس الخيل كبر وقال : لا اله الا الله محمد رسول الله

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل كما فى ديوانه (٥٨) .

(٢) كتب فى هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس السادس والثلاثين ، مرة ثانية .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٥٩) ومسلم ، كتاب التفسير (٤/٢٣١٩) .

(٤) وقرأ بها نافع وابن عامر وحمزة من السبعة . حجة القراءات (ص ٢٠٩)

(٥) مرداس بن عمرو الفدكى ، وقيل مرداس بن نهيك ، هو الذى قتله أسامة وهو يتشهد . تجريد اسماء الصحابة (٢/٦٨) .

(٦) فدك بفتح أوله وثانيه ، قرية معروفة بينها وبين خيبر يومان . معجم البلدان (٤/٢٣٨) ومعجم ما استعجم (٣/١٠١٥) .

فقتله أسامة بن زيد ظنا منه أنه قالها تعوذا واستاق غنمه ، فلما رجعوا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١٦٨/أ) وأخبروه الخبر ، وجد من ذلك وَجْدا شديدا وقال : قتلتموه ارادة ما معه ، فقال أسامة : استغفر لى يارسول الله ، قال : فكيف بلا اله الا الله ؟ فما زال يقولها حتى ودت أنى لم أكن أسلمت الا يومئذ ، ثم استغفر لى ، وقال : اعتق رقبه ، ونزلت هذه الآية .[1]

ومعنى " ضربتم " : سرتم وغزوتم ، " فتبينوا " من البيان .

وقرأ حمزة والكسائى " فتثبتوا " من الثبات ، فى الموضعين[2] وكذلك فى الحجرات[3] ((ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم)) وهو التحية المعروفة .

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة " السلم " بغير ألف[4] وهو الانقياد والاستسلام

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٣٥) مختصرا ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه اهـ . ووافقه الذهبى .
قلت : وأصل القصة فى الصحيح ، من غير ذكر سبب النزول فهل وقع هذا من أسامة مرتين ، أو هى قصة واحدة ؟
وانظر ابن جرير (٩/ ٧٧) وذكر القصة بكاملها الواحدى فى أسباب النزول (ص ١٦٧) والثعلبى فى التفسير (٤/ق ١٠٤/ب) والبغوى (١/ ٤٦٦) ولا منافات بين الخبرين ، فان القصة ذكرت فى الأول مختصرة ، وفى الثانى مطولة .

(٢) الحجة للفارسى (٣/ ٧٣) ولابن زنجله (ص ٢٠٩) والكشف (١/ ٣٩٤) والنشر (٢/ ٢٥١) .

(٣) الحجرات (٦) .

(٤) الحجة للفارسى (٣/ ٧٦) ولابن زنجلة (ص ٢٠٩) والكشف (١/ ٣٩٥) والنشر (٢/ ٢٥١) .

" لست مؤمنا ". وقرأت على شيخنا أبى البقاء لابى جعفر " مُؤمنا " بفتح الميم من الامان ، وهى قراءة على وابن عباس رضى الله عنهم .(١)

((تبتغون عرض الحيوة الدنيا)) وهو متاعها ، يشير الى غنيمة : الغنيمة ، فهو الذى دعاكم الى عدم التثبت عن حال من تقتلونه .

((فعند الله مغانم كثيرة)) قال مقاتل : ثواب الجنة .(٢)
وقال أبو سليمان الدمشقى : ابواب الرزق .(٣)

وعندى : أن هذا الكلام خارج مخرج البشارة بما سيفتح من البلاد عليهم ، ويجبى من الأموال اليهم ، فيكون المعنى : لا يحملنكم حب احراز الغنائم على المسارعة الى القتل من غير تثبت ، فلكم عند الله مغانم (١٦٨/ب) كثيرة .

((كذلك كنتم من قبل)) تخفون ايمانكم بمكة ، كما أن هذا يخفى ايمانه بين ظهرانى قومه ، فمن الله عليكم بالهجرة واعلان الايمان .(٤)

وقال قتادة : ((كذلك كنتم من قبل)) ضلالا ، فمن الله عليكم بالاسلام.(٥)

ثم أكد الأمر بالتثبيت أو التبيين فقال : ((فتثبتوا ـ٩٤))

---

(١) الكامل فى القراءات (ق ١٨١/ب) واتحاف فضلاء البشر (ص١٩٣)

(٢) تفسير مقاتل (١/٢٦٢) .

(٣) انظر زاد المسير (٢/١٧٢) .

(٤) ويحتمل أن يكون المعنى : كذلك كنتم من قبل كفارا فمن الله عليكم بالايمان . كما قال قتادة .

(٥) تفسير البغوى (١/٤٦٧) وزاد المسير (٢/١٧٢) .

ثم نفى المساواة بين المجاهدين والقاعدين مع اشتراكهم فى وصف الايمـــان ، ليحرك همم ذوى الأنفـة ، والنفوس الشريفة المتطلعة الى معالى الأمـــور كما نفى المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال عز وجـــل :

((لا يستوى القـٰعدون من المؤمنين)) قرأت على قاضى القضاة شرقا وغربـا ، أبى صالح عماد الدين ، نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلى ، الحنبلى[1] أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة[2] بقراءة والدك عليها ، فأقربـه ، أخبرنا أبو الفضل ، محمد بن عبد السلام الأنصارى[3] أخبرنا الحافظ أبو بكـــر البرقانى[4] قرأت على أبى العباس بن حمدان[5] حد ثكـــــــــــــــم

---

(١) نصر بن عبد الرزاق بن شيخ الاسلام عبد القادر الجيلى ، ثم البغدادى الآزجى ، الحنبلى سمع الحديث على جماعة ، وكان فقيها كريم النفس توفى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة .
سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٩٦) وشذرات الذهب (٥ / ١٦١) .

(٢) شهدة بنت المحدث أبى نصر أحمد بن الفرج الدينورى ، ثم البغدادى المعمرة الكاتبة ، مسندة العراق فخر النساء ، توفيت سنة أربـــع وسبعين وخمسمائة .
المنتظم (١٠ / ٢٢٨) والسير (٢٠ / ٥٤٢) .

(٣) لم أستطع العثور له على ترجمة ، فيما لدى من كتب التراجم ، لكـــن ذكره الذهبى فى بعض أسانيده .
انظر سير أعلام النبلاء على سبيل المثال (٤ / ٤٤٠ ، ١٦ / ١٦٨) .

(٤) الامام العلامة الفقيه ، الحافظ الثبت ، شيخ الفقهاء والمحدثين ، أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمى ، ثم البرقانى ، الشافعى ، صاحب التصانيف ، توفى سنة خمس وعشرين وأربعمائة .
تاريخ بغداد (٤ / ٣٧٣) وسير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٦٤) .

(٥) محمد بن أحمد بن حمدان ، الامام الحافظ ، أبو العباس ، الحيرى النيسابورى محدث خوارزم ، توفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .
سير اعلام النبلاء (١٦ / ١٩٣) وشذرات الذهب (٣ / ٣٨) .

محمد بن أيوب [١] أخبرنا عمر بن مرزوق [٢] أخبرنا شعبة ، عن أبي اسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : لما نزلت ((لا يستوى القٰعدون من المؤمنين والمجٰهدون فى سبيل الله)) دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيدا قال : فجاء بكتف فكتبها ، قال : فجاء ابن أم مكتوم فشكى ضرارته الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١٦٩/أ) قال : فنزلت ((غيرُ أولى الضرر)) .

أخرجه مسلم من بندار عن غندر عن شعبة [٣] فكانى سمعته من طريق مسلم على الفراوى . [٤]

وأخرجه البخارى [٥] من حفص بن عمر عن شعبة ، وأخرجه أيضا عن محمد ابن يوسف عن اسرائيل عن أبي اسحاق .

---

(١) محمد بن أيوب ، هو ابن الضريس ، الحافظ المحدث ، الثقة ، أبو عبد الله البجلى ، الرازى ، صاحب كتاب " فضائل القرآن " توفى سنة أربع وتسعين ومائتين بالرى .
الجرح والتعديل (٧/ ١٩٨) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٩) .

(٢) عمرو بن مرزوق الباهلى ، أبو عثمان البصرى ، ثقة فاضل ، له أوهام ، مات فى خلافة عبد الملك بن مروان .
التقريب رقم (٥١١٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الامارة (٣/ ١٥٠٨) .

(٤) الشيخ الامام ، الفقيه المفتى ، مسند خرسان ، فقيه الحرم ، أبو عبد الله محمد بن الفضل ، ابن أحمد الصاعدى ، الفراوى النيسابورى الشافعى ، راوى صحيح مسلم ، توفى سنة ثلاثين وخمسمائة .
المنتظم (١٠/ ٦٥) والسير (١٩/ ٦١٥) .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/ ٦٠) .

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن ، أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا محمد بن يوسف [1] حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى ، حدثنا اسماعيل بن عبد الله ، حدثنى ابراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن بن شهاب ، قال : حدثنى سهل بن سعد الساعدى أنه رأى مروان بن الحكم فى المسجد ، فأقبلت حتى جلست الى جنبه ، فاخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أملى عليه ((لا يستوى القاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون فى سبيل الله)) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علىّ ، قال : يارسول الله . والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت — وكان أعمى — فأنزل الله على رسوله — وفخذه على فخذى ، فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى — ثم سُرّى عنه ، فأنزل الله : ((غيرُ أولى الضرر)) . [2]

وفى حديث آخر : فكان بعد ذلك ابن أم مكتوم يغزو ويقول : أعطونى اللواء وأقيمونى (١٦٩/ب) بين الصفين ، فانى لا استطيع أن أفر . [3]

وبالاسناد قال البخارى : حدثنا ابراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم ، قال البخارى : وحدثنى اسحق ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جريج ، أخبرنى عبد الكريم أن مقسما [4] — مولى

---

(١) تقدم هذا الاسناد مرارا .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦/٥٩ — ٦٠) .

(٣) تفسير الثعلبى (٤/ق ١٠٦/ب) .

(٤) مقسم ، بكسر أوله ، ابن بجرة ، بضم الموحدة وسكون الجيم ، ويقال نجدة بفتح النون وبدال ، أبو القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، ويقال له مولى ابن عباس للزومه له ، مات سنة احدى ومائة . التقريب (٦٨٧٣) .

عبد الله بن الحارث ــ أخبره أن ابن عباس أخبره :

((لا يستوى القاعدون من المؤمنين)) عن بدر ، والخارجون الى بدر .[1]

وأعلم أن الآية على عمومها فى جميع المجاهدين والقاعدين ، وان نزلت على سبب خاص .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة[2] " غير " بالرفع صفة لـ " لقاعدون " وقرأ الباقون بالنصب[3] على الاستثناء من القاعدين ، أو على الحال منهم ، وأولوا الضرر : الأضراء والزمنى والمرضى ، ونحو ذلك .

قال ابن عباس : أولوا العذر .[4]

((فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)) قال ابن عباس ومقاتل : على القاعدين بالضرر .[5]

قال أبو سليمان الدمشقى : على القاعدين بغير عذر درجة .[6]

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/ ٦٠) .

(٢) قال فى الهامش : صوابه ، وعاصم اهـ . قلت : وهو كما قال .

(٣) الحجة للفارسى (٣/ ١٧٨) ولابن زنجلة (ص ٢١٠) والكشف (١/ ٣٩٦) والنشر (٢/ ٢٥١) .

(٤) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٧٣/أ) والثعلبى (٤/ق ١٠٧/أ) وزاد المسير (٢/ ١٧٤) .

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٣) .

(٦) زاد المسير (٢/ ١٧٤) وقوله مخالف لسبب نزول الآية المتقدم ، وخلاف ما عليه أئمة التفسير من أن التفضيل بين المجاهد والقاعد بعذر .

كأنه ـ والله أعلم ـ لحظ المساواة بين المجاهد والقاعد المحبوس بالعذر ، نظرا الى ما أخبرنا الشيخ المعتمد أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز [1] بقرأتي عليه ، أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه (١٧٠/أ) السرخسي ، أخبرنا ابراهيم بن خريم الشاشي [2] أخبرنا أبو محمد عبد بن حميد بن نصر ، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس قال : لما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة ، قال : ان بالمدينة لقوما ، ما سرتم من مسير ، ولا قطعتم من واد ، الا كانوا معكم فيه قالوا : يارسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حبسهم العذر .

هذا حديث صحيح ، أخرجه الامام أحمد عن ابن أبي عدي عن حميد وانفرد باخراجه البخاري ، فرواه عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن حميد . [3]

---

(١) الشيخ الفاضل ، المسند ، المعمر ، الطبيب ، أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .
سير اعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠) وشذرات الذهب (٥/ ١٧٣) .

(٢) ابراهيم بن خريم بن قمير بن خاقات ، المحدث الصدوق ، أبو اسحاق الشاشي ، المروزي الأصل ، سمع من عبد بن حميد تفسيره ، ومسنده ، وتوفي عن تسعين سنة .
سير اعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٦) .

(٣) مسند الامام أحمد (٣/ ١٠٣) وصحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب غزوة تبوك (٦/ ١٠) .

((وكلاً وعد الله الحسنى)) يعنى الجنة ((وفضل الله المجاهدين على القاعدين)) قال ابن عباس : يعنى على القاعدين بغير عذر ((أجرا عظيما ـ ٩٥)) لا يعلمه الا الله .

((درجات منه)) بدل من ((أجرا عظيما)) والدرجات : منازل الجنة ، وبعضها أعلى من بعض .

أخرج البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان فى الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ".[1]

قوله عز وجل :[2] ((إن الذين توفاهم الملائكة)) .

وبالاسناد السالف[3] حدثنا البخارى ، حدثنا عبدالله (١٧٠/ب) ابن يزيد المقرى ، حدثنا حيوة بن شريح وغيره ، قالا : حدثنا محمد بن عبدالرحمن ، أبو الأسود قال : قُطِع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته ، فنهانى عن ذلك أشد النهى ثم قال : أخبرنى ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتى السهم يرمى به ، فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب فيقتل ، فأنزل الله ((إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم)) الآية .[4]

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب فضل الجهاد ، باب درجات المجاهدين فى سبيل الله (٤/١٩) .

(٢) كتب فى الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقى المجلس التاسع عشر .

(٣) ص (٦٠١) .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٦١) .

وقوله : ((توفـاهم)) يصلح أن يكون ماضيا ، ومستقبلا والمـراد بتوفيهم : قبض أرواحهم .

و ((الملـائكة)) ملك الموت وأعوانه .

قال مقاتل : وهم ستة : ثلاثة يلون أرواح المؤمنين ، وثلاثة يلون أرواح الكافرين .(١)

((ظالمى أنفسهم)) بترك الهجرة مع القدرة .

وقيل : بالشك فى دين الحق .

وهو نصب على الحال من الهاء والميم فى ((توفاهم)) والتقدير : تتوفاهم فى حال ظلمهم أنفسهم .

وقد روى أنهم شكوا يوم بدر فى الدين ، حين رأوا قلة المسلمين وقالوا : غر هؤلاء دينهم ، فانتقم الله منهم بما أخبر به عنهم(٢) فى قوله : ((ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا ، الملـائكة يضربون وجوههم وأدبـارهم ، وذوقوا عذاب الحريق))(٣)

((قالوا فيم كنتم ؟)) أى قالت الملائكة لهم توبخهم وتقرعهم فيم كنتم ، المعنى : فى أى شىء كنتم من الدين اذ لم تهاجروا (١٧١/ أ) فعرجوا عن سنن الجواب رجاء النفع بتوجيه العذر فـ((قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض)) أى مقهورين فى أرض مكة ، لا نستطيع اظهار الدين ،

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٣) وما ذكره غير مسلم ، لعدم ثبوته عن صاحب الشرع ، والذى فى الكتاب أنهم جمع ، والله أعلم بعددهم .

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٣) والثعلبى (٤/ق ١٠٧/ب) وانظر زاد المسير (٢/ ١٧٧) .

(٣) الأنفال (٥٠) .

ولا التخلف عن الخروج مع المشركين ، فسدت عليهم الملائكة محجة الاعتذار بحجة لا يمكن تلافيها فـ((قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)) ثم أخبر الله بمآ لهم تحذيرا لمن هو فى مثل حالهم وتبصيرا فقال : ((فأولئك مأوىٰهم جهنم وساءت مصيرا — ٩٧)) .

ثم استثنى من هذا الايعاد ، العاجزين عن الاصعاد ، جهلا بالمسالك وخوفا من المهالك فقال : ((إلا المستضعفين)) ثم نعتهم ، ونصب لمن أراد معرفتهم دليلا فقال : ((لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا — ٩٨)) .

ولعمرى ان الولدان ليسوا من جملة المكلفين ، ولكن حسن استثناؤهم لانتظامهم فى سلك المستضعفين .

وان أريد بالولدان العبيد زال الاشكال فى جواز استثنائهم من الوعيد

وبالاسناد السالف[1] حدثنا البخارى ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبى مليكة أن ابن عباس تلا ((إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان)) قال : كنت أنا وأمى ممن عذر الله .[2]

وما بعده سبق تفسيره الى قوله : ((يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة)) .

قال ابن قتيبة : المراغم (١٧١/ب) والمهاجر واحد ، وأصله : أن الرجل كان اذا أسلم خرج عن قومه مراغما لهم ، أى مغاضبا ومهاجرا أى مقاطعا من الهجران ، فقيل للمذهب : مراغم ، وللمصير الى

---

(١) ص (٦٠١) .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٥٨) .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هجرة ، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه .[1]

وقال غيره : هو مأخوذ من الرغام ، وهو التراب ، فمعنى راغمته هاجرته وان رغم أنفه ، أى لصق بالتراب .

وأما السعة فقال ابن عباس والجمهور : يريد سعة فى الرزق .[2]

وقال قتادة : سعة وتمكنا من اظهار الدين .[3]

قال ابن عباس : كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن ، فلما نزلت : ((إن الذين توفاهم الملائكة)) الآية ، كتب بها عبد الرحمن اليهم ، فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثى ـ وقيل اسمه : ضمرة ، وقيل : سبرة[4] ـ لبنيه ـ وكان شيخا كبيرا ـ : احملونى فانى لست من المستضعفين ، وانى لاهتدى الطريق ، فحملوه على سريره متوجها الى المدينة ، فلما بلغ التنعيم ، أشرف على الموت ، فصفق بيمينه على شماله وقال : اللهم هذه لك وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايعك به رسول الله ، فمات حميدا ، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : لو وافى المدينة لكان أتم له أجرا ، فأنزل الله هذه الآية .[5]

---

(١) غريب القرآن (ص ١٣٤) .

(٢) تفسير ابن جرير (٩ / ١٢١) وابن أبى حاتم (٢/ق ١٧٥/ب) .

(٣) النكت والعيون (١ / ٤١٨) وزاد المسير (٢ / ١٧٩) .

(٤) انظر ترجمته والخلاف فى اسمه فى : أسد الغابة (١ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠) والاصابة (١ / ٢٥١ ـ ٢٥٢) وسماه جندع بالعين المهملة والجيم .

(٥) أسباب النزول للواحدى (١٧٠ ـ ١٧١) وتفسير الثعلبى (٤/ ق ١٠٩/ أ) والدر المنثور (٢ / ٦٥٠ ـ ٦٥١) .

قوله : ((فقد وقع أجره على الله ـ ١٠٠)) أى وجب (١٧٢/أ)

قوله : ((واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة)) سبب نزولها ماروى عن أبى عياش الزرقى [١] قال : صلينا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهر بعسفان ، وعلى المشركين خالد ابن الوليد ، فقالوا : لقد أصبنا منهم غرة لو كنا حملنا عليهم وهم فى الصلاة . ثم قالوا تأتى عليهم صلاة العصر وهى أحب عليهم من آبائهم وأبنائهم ، قال فنزل جبريل بهؤلاء الآيات بين الظهر والعصر بعسفان . [٢]

وظاهر الآية يدل على أن القصر رخصة ، وهو مذهب جماعة منهم مجاهد وطاووس ، وأحمد والشافعى [٣] واحتجوا بما أخبرنا به الشيخان ، شيخ الاسلام موفق الدين ، أبو محمد ، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى بدمشق ، والشيخ النجيب ، محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابورى [٤] ببغداد قالا : أخبرنا أبو زرعة

---

(١) صحابى مشهور ، اختلف فى اسمه ، عاش الى زمن معاوية ، ومات بعد الأربعين ، وقيل بعد الخمسين .
أسد الغابة (٦/ ٢٣٥ـ٢٣٦) والاصابة (٤/ ١٤٢ـ١٤٣) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ١١ـ١٢) والنسائى (٣/ ١٧٦ـ١٧٩) والحاكم (١/ ٣٣٧ـ٣٣٨) كلهم فى كتاب صلاة الخوف ، من طريق منصور ابن المعتمر عن مجاهد ، عن أبى عياش .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه اهـ ووافقه الذهبى .
وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : أخرجه أبو داود والنسائى بسند جيد اهـ .

(٣) انظر المغنى (٢/ ٢٦٧) والروضة (١/ ٣٨٩) .

(٤) محمد بن سعيد بن الخازن النيسابورى ، ثم البغدادى ، سمع أبا زرعة المقدسى ، وهو أحد رواة مسند الشافعى ، توفى سنة

===

طاهر بن محمد المقدسي . [1] اخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن عـــلان الكرجي ، اخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ، أخبرنا أبو العبـــاس محمد بن يعقوب الأصم ، أخبرنا الربيع ، أخبرنا الشافعي ، أخبرنا مسلم ابن خالد [2] وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد [3] عن ابن جريج حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار [4] عن عبد الله بن باباه [5] عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب (١٧٢/ب) فيم إقصار الناس الصلاة اليوم ، وانما قال الله : ((إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)) وقد ذهب ذلـــك اليوم ، فقال : عجبت مما عجبت منه ، فذكرت ذلك لرسول اللـــــــه — صلى الله عليه وسلم — فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلـــوا صدقته " . هذا حديث صحيح أخرجه مسلم [6] عن اسحاق بن ابراهـــــيم

= = = ثلاث وأربعين وستمائة .
سير اعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٤) وشذرات الذهب (٥/ ٢٢٦) .

(١) طاهر بن محمد المقدسي ، ثم الرازي ، أبو زرعة الشيباني ، سمع مكي ابن منصور ، وتوفي سنة ست وستين وخمسمائة .
سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٠٣) وشذرات الذهب (٤/ ٢١٧) .

(٢) مسلم بن خالد المخزومي ، مولاهم ، المكي ، المعروف بالزنجي ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين .
التقريب (٦٦٢٥) .

(٣) عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، توفي سنة ست ومائتين .
التقريب (٤١٦٠) .

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار المكي ، حليف بني جمح ، الملقب بالقس ، بفتح القاف وتشديد المهملة .
التقريب (٣٩٢١) .

(٥) عبد الله بن باباه ، بموحدتين بينهما ألف ساكنة ، ويقال بتحتانية بدل الألف ، ويقال بحذف الهاء ، المكي ، التقريب (٣٢٢٠) .

(٦) مسند الامام الشافعي (٤٨) وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين (١/٤٧٨).

عن عبد الله بن ادريس عن ابن جريج .

ففي هذا الحديث دليل على أن القصر رخصة ، وأن الاتمام هو الأصل ألا ترى أنهما قد تعجبا من القصر مع عدم الخوف . وقوله : " صدقة تصدق الله بها عليكم " دليل على أن القصر رخصة واباحة ، لا عزيمة .

وذهب اكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم الى أن القصر واجب ، وهو قول عمر ، وعلى ، وابن عمر ، وجابر ، وابن عباس ، وعمر ابن عبد العزيز ، والحسن وقتادة وهو مذهب مالك وأبي حنيفة .(١)

وقد تكافئت الأدلة في نظر الامام أحمد — رضي الله عنه — يوما فقال : — وقد سئل عن هذه المسألة — أنا أحب العافية في هذه المسألة ، وجزم مرة بالفتيا على ما حكيناه أوّلاً من مذهبه .(٢)

وذهب بعض أهل العلم الى أن ركعتي المسافر ليس بقصر ، انما القصر أن يصلي ركعة واحدة عند الخوف والقتال ، يروى ذلك عن جابر(٣) وجعل شرط الخوف المذكور (١٧٣/أ) في الآية باقيا ، وهذا محتمل لولا خبر عمر — رضي الله عنه — .

---

(١) المغني (٢٦٧/٢) وبداية المجتهد (١٩٩/١) والهداية (٨٠/١) والمشهور عن مالك أن القصر في السفر رخصة .

(٢) المغني (٢٦٧/٢) والانصاف (٣٢١/٢) .

(٣) تفسير ابن جرير (١٣٤/٩) فيكون القصر المذكور في الآية هو قصر صلاة الخوف كمية وكيفية ، لأن سياق الآيات في صلاة الخوف وأما قصر الصلاة في السفر فثابت بالسنة وقد رجح هذا القول العلامة الشنقيطي في تفسيره (٣٤٣/١) .

قوله : ((أن تقصروا من الصلـوة)) يقال : قصر الصلاة ، وأقصرها وقصرهـا .

((إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ـ ١٠١)) قال ابن عباس : معناه أن يقتلكم .

كقوله : ((على خوف من فرعون وملائه أن يفتنهم)) [١] وهذا الكلام خارج مخرج الغالب لا مخرج الشرط ، فان الغالب من أسفار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها لا تخلو من الخوف من العدو ، فيكون القصر في حال الخوف ، والأمن ، مستفادا من الآية بهذا التقرير المذكور.[٢]

قوله : ((وإذا كنت فيهم)) خطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلُّ قائم بالأمر من بعده على أمته بمنزلته،كقوله : ((خذ من أموالهم صدقة)) [٣]

وكان الحسن وأبو يوسف لا يريان صلاة الخوف بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمسكا بظاهر هذه الآية .[٤]

والضمير في ((فيهم)) يعود الى الخائفين .

((فلتقم طائفة منهم معك)) أي فرقهم طائفتين ((فلتقم طائفة منهم معك)) في صف الصلاة ، وطائفة بازاء العدو تحرس ((وليأخذوا أسلحتهم)) يعني الحارسين ، وقيل : المصلين ، فانه يشرع لهم أن يحملوا

---

(١) يونس (٨٣) .

(٢) هذا اذا كانت الآية عامة في قصر الصلاة في السفر وفي الخوف وأما على ما رجحناه فلا يستقيم هذا التقرير ، ولا موجب له .

(٣) التوبة (١٠٣) .

(٤) المغني (٢/ ٤٠٠) والهداية (١/ ٨٩) وبداية المجتهد (١/ ٢٠٩) والنكت والعيون (١/ ٤٢٠) .

من السلاح مالا يثقلهم كالسيف والسكين ((فإذا سجدوا)) يعنى المصلين ((فليكونوا)) يعنى الحارسين ((من ورائكم)) وقيل : ((فليكونوا)) يعنى المصلين أيضا ، على معنى : فاذا قضوا السجود فلينصرفوا (١٧٣/ب) الى العدو .

واختلفوا فى كيفية ذلك :

فقيل : اذا صلوا مع الامام ركعة أتموا لأنفسهم أخرى ، ثم سلموا وانصرفوا الى الحرس ، وقد تمت صلاتهم ، ثم تأتى الطائفة الأخرى ، فتصلى الركعة الأخرى مع الامام ، ثم يركد الامام فى التشهد . حتى تأتى بالركعة الفائتة ، ثم يسلم بهم .

وهذا اختيار الامامين أحمد والشافعى — رضى الله عنهما — ويروى نحوه عن مالك .(١)

وقيل : يثبت الامام قائما اذا صلوا معه ركعة ، ثم ينصرفون الى الحرس وتأتى الطائفة الأخرى التى كانت تحرس ، فتصلى مع الامام ركعة ، ويسلم الامام وحده ثم ترجع الى العدو ثم تجىء الأولى فتتم صلاتها ، وتسلم ، ثم تنصرف الى العدو ثم تأتى الأخرى فتتم صلاتها وتسلم ، وهذا اختيار أبى حنيفة .(٢)

فان صلى على هذا الوجه الذى اختاره أبو حنيفة فصلاته صحيحة عند إمامنا ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — صلاها على هذا النحو(٣)

---

(١) المغنى (٢/٤٠١) والمنهاج (٢٣) وبداية المجتهد (١/٢١٠) .

(٢) الهداية (١/٨٩) .

(٣) المغنى (٢/٤٠٥) وهذه الصفة ثبتت من حديث ابن مسعود ، عند أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الخوف (٢/١٦) .

وقال الشافعي : لا تصح .[1]

قال الامام أحمد : صح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الخوف من خمسة أوجه ، أو ستة ، كل ذلك جائز لمن فعله .[1]

قوله : ((ولياخذوا)) يعني الذين صلوا أولا .

وقيل : الذين كانوا وجاه العدو .

وقيل : هو أمر للجميع بالتيقظ والتحرز ، وحمل السلاح .

قوله : ((ولا جناح)) أي لا اثم ((عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن (١٧٤/أ) تضعوا أسلحتكم)) في الصلاة وغيرها اذا لم تخافوا معرة العدو ((وخذوا حذركم ـ ١٠٢)) على كل حال في الصلاة وغيرها .

قوله :[3] ((فإذا قضيتم الصلوة)) أي فرغتم من صلاة الخوف ((فاذكروا الله)) بألسنتكم وقلوبكم في جميع أحوالكم .

وقيل : الأمر بالذكر كناية عن الصلاة أي صلوا أيها الأصحاء ((قياما و)) صلوا أيها المرضى ، والجرحى العاجزون عن القيام ((قعودا وعلى جنوبكم)) ان لم تستطيعوا القعود .

((فإذا اطمأننتم)) أي سكنتم بالرجوع الى الوطن ((فأقيموا الصلاة)) أتموها وصلوا صلاة الأمن ((إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ـ ١٠٣))

---

(١) وعنه تصح . الروضة (٢/٥٢) .

(٢) المغني (٢/٤١٢) .

(٣) كتب في الهامش : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس السابع والثلاثين مرة ثانية .

أى فرضا مؤقتا لا يسقطها خوف ولا مرض ، ولا حال من الأحوال ما دام الانسان أهلا للتكليف .

وفي هذه الآية حجة على أبى حنيفة في قوله : يجوز تأخير الصلاة حالة المسايفة الى زمان الطمأنينة .(١)

قوله : ((ولا تهنوا في ابتغاء القوم)) أى لا تضعفوا عن طلب أبي سفيان وأصحابه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد أمر أصحابه بالمسير في أثر القوم ، فشكوا اليه ألم الجراح فأنزل الله هذه الآية .(٢)

((ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون)) يقال : ألم الرجل يألم فهو آلم ، ثم نبههم على أنهم أولى بالصبر لما يأملون من الأجر ، فقال ((وترجون من الله)) من النصر وكون العاقبة لكم (١٧٤/ب) ومن نعيم الجنة وما أعد الله فيها للمجاهدين في سبيله ((مالا يرجون وكان الله عليما)) يعلم ما بكم وبهم من ألم الجراح وغيره ((حكيما - ١٠٤)) في تدبيره ، وقد أمركم على لسان رسوله مع علمه وحكمته باتباعهم ، فكان من شأنكم أن تبادروا الى امتثال أمره .

قوله : ((إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)) الآيات .

ذهب ابن عباس وقتادة ، وجمهور المفسرين - الى أنها نزلت في طعمة بن أبيرق

---

(١) الهداية (٨٩/١) ، والمغني (٤١٦/٢) .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١٥/ب) ، والبغوى (٤٧٦/١) ، وزاد المسير (١٨٨/٢) .

وكان من حديثه على ما أخرجه الترمذى باسناده عن قتادة بن النعمان[1] ، قال : كان أهل بيت منّا ، يقال لهم بنو أبيرق : بِشْر وبُشَيْر ومبشر[2] ، وكان بشير رجلا منافقا ، يقول الشعر ويهجو به أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم ينحله بعض العرب يقول : قال فلان كذا وكذا ، قال قتادة : فنقبت مشربة[3] عمى رفاعة بن زيد ليلا ، وذهب بطعامه وسلاحه ، وقيل لنا : ان بني أبيرق استوقدوا نارا في هذه الليلة ، ولا نُراه الا لبعض طعامكم ، قال : فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : ان أهل بيت منا أهل جفاء ، عمدوا الى عمى ، فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام ، فلا حاجة لنا فيه .

فذهب قوم من بنى أبيرق الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : ان قتادة وعمه ، عمدوا الى أهل بيت منا (١٧٥/أ) أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير ثبت .

---

(١) قتادة بن النعمان بن زيد الأنصارى الظفرى ، صحابي شهد بدرا ، وهو أخو أبى سعيد لأمه ، مات سنة ثلاث وعشرين على الصحيح . التقريب (٥٥٢١) .

(٢) بشير وبشر ومبشر أبناء أبيرق ، واسمه الحارث بن عمرو الأنصارى الظفرى الأوسي . أسد الغابة (٥/ ٥٧) وتجريد أسماء الصحابة (٢/ ٥٠) .

(٣) المشربة بالضم والفتح : الغرفة . النهاية (٢/ ٤٥٥) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتادة : عمدت الى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير ثبت ؟ !! .

قال : فرجعت ، ولود دت أني خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم رسول الله في ذلك . فلم يلبث أن نزل القرآن : ((إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)) الآيات .

فأتى رسول الله بالسلاح فرده الى عمي ، فلما أتيته به ، وكان شيخا قد عشى في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولا ، فلما أتيته بالسلاح قال لي : يا ابن أخي هو في سبيل الله ، فعرفت أن اسلامه كان صحيحا ، فلما نزل القرآن لحق بُشَيْر بالمشركين ، فنزل على سلافة بنت سعد[1] ، فرماها حسان بن ثابت بأبيات من الشعر ، فأخذت رحله ، فرمت به في الأبطح ، وقالت : اهديت الى شعر حسان ، ما كنت تأتيني بخير .[2]

---

(١) قال في الاصابة (٤ / ٣٤٠) سلامة - بميم بدل الفاء - أورده ابن الأثير عن ابن حبيب ، وانما هي سلافة بفاء بدل الميم . اهـ
قال الذهبي في التجريد (٢ / ٢٧٧) : سلامة بنت سعد بن الشهيد الأنصارية ، بايعت بعد الفتح قاله ابن حبيب . اهـ
انظر : أسد الغابة (٧ / ١٤٥) .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٥ / ٢٤٤) ، وقال : هذا حديث غريب ، لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني ، وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل ، لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده . اهـ المقصود منه .

قال ابن عبد البر[1] في كتاب الاستيعاب : شهد بشير مع أخويه بشر ومبشر أحدا ، وكانوا أهل حاجة ، فسرق بشير من رفاعة بن زيد درعه ، ثم ارتد في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .[2]

قلت : وجمهور المفسرين يقولون : طعمة بن أبيرق ، ولعله لقب لبشير ، أو اسم آخر كان يسمى به والله أعلم .

(=) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٨٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . اهـ وسكت عنه الذهبي .
وأخرجه أيضا ابن جرير (٩/ ١٧٧) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٧٩/) كلهم من طريق محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده .
وفي هذا الخبر ثلاث علل :
١) محمد بن اسحاق - صاحب السيرة - مشهور بالتدليس ، وقد عنعن هنا .
٢) الاختلاف في وصله وارساله . وقد اختلف العلماء في الخبر يأتي موصولا ومرسلا بأيهما يؤخذ على أربعة أقوال .
٣) عمر بن قتادة لم يوثقه أحد ، سوى ابن حبان .

(١) العلامة حافظ المغرب ، يوسف بن عبد الله النمري ، أبو عبد الله القرطبي المالكي توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة .
سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣) ، وشجرة النور الزكية (١١٩) .

(٢) الاستيعاب (١/ ١٧١) .

وروى ابو صالح عن ابن عباس . قال : كان الدرع في جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود فالتُمست الدرع عند طعمه ، فلم توجد ، وحلف مالى بها علم ، فتركوه ، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودى ، فأخذوها ، فقال : دفعها الى طعمة .

فقال قوم طعمة : انطلقوا بنا الى رسول الله لنجادل عن صاحبنا فأتوه ، فكلموه في ذلك ، وقالوا : ان لم تجادل (١٧٥/ب) عن صاحبنا هلك وافتضح ، وبرئ اليهودى ، فهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك وأن يعاقب اليهودى ، فنزلت الآيات .(١)

قوله : ((بما أراك الله)) أى علمك وأوحى اليك ((ولا تكن للخائنين)) طعمة وبنى أبيرق ((خصيما - ١٠٥)) مخاصما مدافعا عنهم .

قال القاضي ابو يعلى : هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره ، وهو غير عالم بحقيقة أمره ، لأن الله عاتب نبيه - صلى الله عليه وسلم - على مثل ذلك .

((واستغفر الله - ١٠٦)) من لومك لقتادة ، ومخاصمتك عن الخائنين .

---

(١) أسباب النزول للواحدى (١٧٢) وتفسير الثعلبي (٤/ق١١٦/أ) ، والبغوى (١/٤٧٧) ، وهذا كما هو معلوم بغير اسناد ، فلا يثبت بمثله حكم ، ومع ذلك فلا يجوز ان ينسب للنبي - صلى الله عليه وسلم -

وقال ابن عباس : من همّك بقطع اليهود ى .[1]

((ولا تجد ل عن الذ ين يختانون أنفسهم - ١٠٧)) أى يخونوها

قوله : ((يستخفون من الناس)) يعنى يكتمون الخيانةمنهم ،

((ولا يستخفون)) أى : لا يقد رون على كتمانها ((من الله ، وهو معهم))

قال ابن عباس : بالعلم .[2]

قال الثعلبي : استد لت الجهمية والمعتزلة بهذ ه الآية على أن الله في كل مكان . وهذا لا يوجب ذ لك ، لأنه قال : ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض))[3] ولم يرد بقوله أنه في السماء معنى غير الذات ، لأن القول : بأن زيدا في موضع كذا من غير أن يقيد بذ كر فعل شيء من الأشياء ، لا يكون الا بالذات ، وقال تعالى ((إليه يصعد الكلم الطيب))[4] وقال : ((يد بر الأمر من السماء الى الأرض))[5] (١٧٦/أ) فأخبر أنه يد بر الأشياء من السماء ولا يجوز أن يكون معهم بذ اته ، ثم يد بر الأمر من السماء الى الأرض ، واليه يصعد الكلم الطيب .[6]

---

(١) زاد المسير (٢/ ١٩٢) .

(٢) انظر على هذ ه المسألة كتاب السنة للا مام أحمد ، والفتوى الحموية لشيخ الا سلا م ابن تيمية (١٠٢) ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٦٢) .

(٣) الملك (١٦)

(٤) فاطر (١٠)

(٥) السجد ة (٥)

(٦) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١٧/ب - ١١٨/أ) .

وهذه الآية تتضمن الحث على الحياء من الله تعالى ،فانه أحق أن يستحى منه .

قال لقمان لابنه :يابني كل أمر حدثت به نفسك مما لو أخرجته من قلبك ، فان الله أحق أن يستحى منه .

ومعنى الآية : ((وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول)) مما زوروه ليلا ، وتحدثوا به فيما بينهم ليرجوا به باطلهم عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأيمان الفاجرة ، وغيرها ، ثم هددهم فقال : ((وكان الله بما يعملون محيطا - ١٠٨))

قوله : ((هأنتم هؤلاء)) سبق القول عليه في آل عمران .(١)

((جادلتم عنهم)) أى حاججتم عن بنى أبيرق ((في الحيوة الدنيا)) ودافعتم واشتقاقه من الجدل وهو شدة القتل ، كأن كل واحد من المتجادلين يقتل صاحبه بالحجة اليه ،وقيل : من الجدالة ،وهو وجه الأرض ، كأنه يروم عند المحاججة صرع خصمه بالجدالة ((فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة)) اذا ظهرت قبائحهم ،وشهدت عليهم جوارحهم ((أم من يكون عليهم)) أى : لهم ((وكيلا - ١٠٩)) قائما بأمرهم في الجدال ، ثم ان الله الحليم الكريم عرض التوبة على طعمة وبنى (١٧٦/ب) أبيرق فقال : ((ومن يعمل سوءا)) أى : قبيحا متعديا يسوء به غيره ،كما فعل طعمة باليهودى البرىء من تلك الخيانة ((أو يظلم نفسه)) ظلما لا يتعدى ضرره وقبحه الى غيره كاليمين الفاجرة التى حلفوها . وقيل من ((يعمل سوءا)) دون الشرك

---

(١) ص : (١٥٠)

((أو يظلم نفسه)) بالشرك ((ثم يستغفر الله)) يطلب منه المغفـــــرة ((يجد الله غفورا رحيما - ١١٠)) .

أخبرنا العالم الثقة النبيل أبو الحسن ،علي بن محمد بن عبد الكريـــــم الأثيري[١] وغيره ، قالوا : أخبرنا الخطيب أبو الفضل ، عبد الله بن أحمـد الطوسي[٢] ، أخبرنا الشيخ أبو محمد ، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج المقرئ[٣] ، حدثنا عبيد الله بن عمر[٤] ،أخبرنا عبد الله بن ابراهيم بـــن أيوب[٥] ، حدثنا أبو مسلم ،هو ابراهيم بن عبد الله[٦] ، حدثنا حجاج بـــن

---

(١) هو ابن الأثير ، تقدمت ترجمته ص (٣٢)

(٢) هو الشيخ الامام ،العالم ،الفقيه المحدث مسند العصر ،خطيب الموصل ،عبد الله بن أحمد الطوسي ،ثم البغدادي ،ثم الموصلي أبو الفضل الشافعي ، توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .
سير أعلام النبلاء (٨٧/٢١) .

(٣) الشيخ الامام ،المحدث ،المسند ،جعفر بن أحمد بن الحسيـــن البغدادي ،أبو محمد السراج القارئ ،الأديب .
قلت : وقع في سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩) اسم جده : الحسن وهو خطأ ، توفي سنة خمسمائة . وانظر المنتظم (١٥١/٩) ، معجم الأدباء (١٥٣/٧) ،ووفيات الأعيان (٣٥٧/١) .

(٤) الشيخ الصادق المعمر ،عبيد الله بن عمر بن شاهين ،أبو الفتـــح البغدادي ،الواعظ ،توفي سنة أربعين وأربعمائة .
تاريخ بغداد (٣٨٦/١٠) ،والمنتظم (١٣٨/٨) ،وسير أعلام النبلاء (٦٠١/١٧) .

(٥) الشيخ المحدث الثقة ،المتقن ،عبد الله بن ابراهيم بن أيوب بـن ماسي ،البغدادي ،أبو محمد البزاز ، توفي سنة تسع وستيـــن وثلاثمائة . تاريخ بغداد (٤٠٨/٩) ،والمنتظم (١٠٢/٧) وسير أعلام النبلاء (٢٥٢/١٦) .

(٦) الشيخ الامام الحافظ المعمر ،شيخ العصر ،ابراهيم بن عبد اللـه بن

= = = =

نصير[1] ، حدثنا شعبة عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، قال سمعت علي بن ربيعة الأسدي ، عن أبي أسماء ، أو أسماء عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال : كنت اذا سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا نفعني الله بما شاء أن ينفعني فحدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين ، ويستغفر الله من ذلك الذنب (١٧٧/أ) الا غفر الله له ثم تلا هذه الآية ((ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)) وهذه الآية ((والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم))[2] الآية .

(=) مسلم ، البصري ، أبو مسلم الكجي ، صاحب السنن ، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين .
تاريخ بغداد (٦/ ١٢٠) ، والمنتظم (٦/ ٥٠) ، والسير (١٣/ ٤٢٣) .

(١) حجاج بن نصير - بضم النون - الفساطيطي - بفتح الفاء بعدها مهملة - القيسي ، أبو محمد البصري ، ضعيف ، كان يقبل التلقين مات سنة ثلاث عشرة ، أو أربع عشرة ومائتين . التقريب : (١١٣٩)
تنبيه : جاء في الأصل : حجاج بن نصر . وهو خطأ .

(٢) آل عمران (١٣٥) .

وهذا الحديث رواه عن عثمان بن المغيرة جماعة منهم شريك ، وسفيان الثورى ، وزاد فيه : وكان اذا حدثني عنه غيري استحلفته ، فاذا حلف صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر ، قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ما من عبد مسلم . وساق الحديث (١) ، ولم يشك أنه أسماء بن الحكم الفزارى .

وأخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال : سمعت

---

(١) أخرجه الطيالسي رقم (١ ، ٢) والترمذى ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة (٢ / ٢٥٧) ، وفي تفسير سورة آل عمران (٥ / ٢٢٨) ، والامام أحمد في المسند (١ / ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٧٨) وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار (٢ / ٨٦) والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٣١٥) وابن ماجة ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في أن الصلاة كفاره (١ / ٤٤٦) ، وابن السنى في عمل اليوم والليلة رقم (٣٥٩) ، والحميدى في مسنده أول حديث فيه ، كلهم من طريق عثمان بن المغيرة الثقفي عن على بن ربيعة الوالبي عن أسماء بن الحكم الفزارى عن على ، ورجاله كلهم ثقات ، وأعل بالوقف . قال أبو عيسى الترمذى (٥ / ٢٢٩) : هذا حديث قد رواه شعبة وغير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ، ورواه سعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فلم يرفعاه ، وقد رواه بعضهم عن مسعر فأوقفه ، ورفعه بعضهم ، ورواه سفيان الثورى عن عثمان بن المغيرة فأوقفه ، ولا نعرف لأسماء بن الحكم حديثا الا هذا . اهـ.

وقال (٢ / ٢٥٨) : حديث على حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة . اهـ

قلت : الصواب مع من رفعه لأنهم أحفظ ممن وقفه ، ولو لم يكن فيهم الا شعبة لكان كافيا .

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١ / ٢٦٨) : هذا حديث جيد الاسناد . اهـ ، وصححه ابن عدى في الكامل (١ / ٤٢١) والشيخ / أحمد شاكر في تحقيق المسند (١ / ١٧٤) .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " إن إبليس قال لربه ـ عز وجل ـ بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له ربه " بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني " . (١)

وقال لقمان لابنه : يابني عوّد لسانك اللهم اغفر لي ، فان لله ساعات لا يرد فيهن سائلا .

قوله : ((فإنما يكسبه على نفسه ـ ١١١)) أى : انما يعود ضرر كسبه عليه .

والظاهر والذى عليه أكثر المفسرين أن قوله ((ومن (١٧٧/ب) يكسب خطيئة أو إثما)) متصل بقصة طعمة ، ومن تمام ما نزل فيه .

وروى الضحاك عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنها نزلت في عبد الله ابن أبىّ بن سلول حين رمى عائشة ـ رضى الله عنها ـ بالافك . (٢)

والخطيئة : الصغيرة ، والاثم : الكبيرة .

((ثم يرم به)) أى : بالكسب .

وقال ابن جرير : بالاثم . (٣)

---

(١) المسند (٣/ ٢٩ ، ٤١) ، ورجاله ثقات ، و (٣/ ٧٦) وفيه ابن لهيعة ، ودراج عن أبى الهيثم .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٧) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأحد اسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح ، وكذا أحد اسنادى أبى يعلى . اهـ

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١٨/ب) ، وزاد المسير (٢/ ١٩٥)

(٣) تفسير ابن جرير (٩/ ١٩٨) .

وقيل : أراد الخطيئة والاثم . فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما في قوله : ((والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله))[1]

والمعنى : يرم به بريئا من ذلك الكسب او الاثم ، كما فعل طعمة باليهودي ، أو المنافق ابن أبيّ بن سلول بأم المؤمنين بنت الصديق زوجة رسول الله .

((فقد احتمل بهتانا)) كذبا يبهت منه اى يتحير من عظمه .((واثما مبينا - ١١٢)) .

قال ابن السائب : ((فقد احتمل بهتانا)) برميه البريء ، ((واثما مبينا)) . بيمينه الكاذبة .[2]

قوله تعالى : ((ولولا فضل الله عليك ورحمته)) قال ابن عباس: بالنبوة والعصمة[3]

(١) التوبة (٣٤) وهذا أحسن الأقوال التي قيلت في مثل هذه المسألة وهو اسلوب عربي معروف جاء في القرآن كثيرا فمنه في القرآن قوله تعالى : ((واستعينوا بالصبر والصلاة وانها)) البقرة (٣٤) . ((واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها)) الجمعة (١١) . ونحوها . انظر : زاد المسير (٢ / ١٩٥) ومعاني القرآن للفراء (١ / ٢٨٦ - ٢٨٧) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ٣٥٦) .

(٢) زاد المسير (٢ / ١٩٦) .

(٣) تفسير الثعلبي (٤ / ق ١١٨ / ب) ، وزاد المسير (٢ / ١٩٦) ،

((لهمّت طائفة منهم أن يضلوك)) أي لظهر تأثير ماهموا به من استزلا لك عن الحق ، واستنزالك عن العمل به ، وهم قوم طعمة على الأظهر في التفسير.(١)

وروى الضحاك عن ابن عباس : ان وفد ثقيف قالوا يارسول الله نبايعك على أن تمتعنا بالعزى سنة .(٢) ((وما يضلون الا أنفسهم)) (١٧٨/أ)

فان كانوا قوم طعمة ، فالذى هموا به ،استنزاله عن طريق الصواب في القضاء وان كانوا وفد ثقيف ،فالذى هموا به ،استنزاله عن التشديد في النكير عليهم الى المساهلة والاغضاء .

((وما يضرونك من شيء)) لأنك مؤيد بالنبوة والعصمة . ومن نتائج هذا أن الواو في قوله : ((وأنزل الله)) واو الحال على معنى : وما يضرونك من شيء وقد أنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وكنت أعجب كيف لم اتنبه لمثل هذا الموضع حتى أخبرني بعض العلماء أن الواحدى ذكره في البسيط.

والمعنى ((وأنزل الله عليك الكتب)) وهو القرآن ((والحكمة)) وهى النهام الصواب وبيان معاني الكتاب .

((وعلمك ما لم تكن تعلم)) من شرائع الدين ، وسنن المرسلين ، ونبأ الأولين والآخرين ((وكان فضل الله عليك)) بالنبوة ، والعصمة ، والكتاب والحكمة ((عظيما - ١١٣)) .

---

(١) وهو اختيار ابن جرير وابن كثير .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١٩/أ) ، وزاد المسير (٢/ ١٩٦) .

قوله : ((لا خير في كثير من نجواهم)) [1] الضمير يرجع الى قوم طعمة في قول ابن عباس . وقال مجاهد بعمومه في جميع الناس [2] .

والمراد بنجواهم مايد برونه بينهم من الكلام خفية .

((الا من أمر بصدقة)) " من " في محل الجر تقديره : الا نجوى الآمر بصدقة ، ويجوز أن يكون في محل النصب على الاستثناء المنقطع كقول النابغة :

٩٧- وما بالربع من أحد الا أوَارِى [3] .

والتقدير : لكن من أمر بصدقة ففي نجواه خير .

وفي أفراد مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " [4] .

((أو معروف)) وهو أعمال البر كلها ،لأن العقول تعرف حسنها وصحتها .

قال ابن عباس : ((أو معروف)) صلة الرحم .

---

(١) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثامن والثلاثين مرة ثانية .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١١٩/ب) ، والبغوى (١/ ٤٧٩) ، وزاد المسير (٢/ ١٩٨) .

(٣) هذا من قصيدة النابغة الذبياني التى مطلعها :

يادار مية بالعلياء فالسند . أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها . عيت جوابا وما بالربع من أحد

الا الأوارى لأيا ما أبينها . والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد .

(٤) مسلم ، كتاب الامارة (٣/ ١٥٠٦) .

وقيل : القرض .

وقيل : اغاثة (١٧٨/ب) الملهوف .[1]

وفي صحيح البخارى من حديث جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في اناثه " .[2]

((أو إصلاح بين الناس)) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي أيوب الانصارى : " ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم !! فقال : نعم يارسول الله قال : تصلح بين الناس اذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم اذا تباعدوا " .[3]

---

(١) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ١٨١/أ) ، ومقاتل (١/ ٢٦٨) ، والكشاف (١/ ٢٩٨) .

(٢) ظاهر صنيع المؤلف أن الحديث كله في صحيح البخارى ، وليس كذلك بل الذى في الصحيح قوله " كل معروف صدقة " فقط أخرجه البخارى في كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة (٨/ ١٣) ، من حديث جابر ، وأخرجه مسلم من حديث حذيفة ، في كتاب الزكاة (٢/ ٦٩٧) وبقية الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٤ ، ٣٦٠) والترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في طلاقه الوجه (٤/ ٣٤٧) ، وقال هذا حديث حسن ، والبخارى في الأدب المفرد قاله في الفتح (١٠/ ٤٤٧) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٦٤) من حديث أبى أيوب ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٠) وفيه ابن عبيده متروك . اهـ
وأخرجه أيضا الطبراني (٨/ ٣٠٧) من حديث أبي أمامة .
قال الهيثمي (٨/ ٨٠) : وعبد الله بن حفص صاحب أبى أمامة لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . اهـ
والبزار من حديث أنس (كشف الاستار : ٢/ ٤٤١) .
قال الهيثمي (٨/ ٨٠) وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمرى ، وهو متروك . اهـ .

فصـــل

وقد أذن صاحب الشرع للساعي بين الناس بالاصلاح في قول ما يرفع به الأحقاد ، ويدفع به الفساد ، ولم يعده كذبا مؤثما . ففي الصحيحين من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف[1] أن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - رضى الله عنها[2] - أخبرته أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول " ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمي خيرا ، أو يقول خيرا ، وقالت : لم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث : في الحرب، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها "[3] وليس لأم كلثوم في الصحيح غيره .

---

(١) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني ، من أعيان التابعين توفى سنة خمس ومائة ، على الصحيح . التقريب (١٥٥٢) .

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية ، اسلمت قديما وهى أخت عثمان لأمه ، صحابية لها أحاديث ، ماتت في خلافة على . التقريب (٨٧٦٠) .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذى يصلح بين الناس (٣ / ٢٤٠) ، دون قوله : وقالت : لم أسمعه يرخص في شيء من الكذب . . . الخ وأخرجه مسلم بتمامه في كتاب البر والصلة (٤ / ٢٠١١) ، وبين أن آخره مدرج من قول الزهرى ولم يرفعه . وجزم موسى بن هارون وغيره بادراجها . اهـ الفتح (٥ / ٣٠٠) .

ثم ان الله تعالى شرط في استحقاق الأجر العظيم طلب مرضاته بالفعل فقال : ((ومن يفعل ذلك ابتغاء (١٧٩/أ) مرضات الله فسوف نؤتيه[1] أجرا عظيما - ١١٤)) .

قال مالك بن دينار[2] : قولوا لمن لم يكن صادقا لا يتعنى .

وقال الربيع بن صبيح[3] : كنا عند الحسن ، فوعظ فانتحب رجل ، فقال الحسن : أما والله ليسألنك الله يوم القيامة ماأردت بهذا .

وروى الامام أحمد في كتاب الزهد باسناده عن مالك بن دينار عن الحسن قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما من عبد يخطب خطبة الا والله عز وجل سائله عنها يوم القيامة ماأراد بها " ، فكان مالك اذا حدث بهذا الحديث بكى ، حتى ينقطع ، ثم يقول : تحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردتُ به ؟[4] .

قوله تعالى : ((ومن يشاقق الرسول)) الآية ، قال ابن عباس : لما نزل القرآن بتكذيب طعمة ، خاف من القطع ، والفضيحة ، فهرب الى مكة فلحق بأهل الشرك ، فنزلت هذه الآية[5] .

---

(١) في الأصل : " يؤتيه " .

(٢) مالك بن دينار البصري الزاهد ، أبو يحى ، مات سنة ثلاثين ومائة أو نحوها . التقريب (٦٤٣٥) .

(٣) الربيع بن صبيح السعدي البصري ، العابد ، مات سنة ستين ومائتين . التقريب (١٨٩٥) .

(٤) الزهد (٤٥١ - ٤٥٢) .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٨١/ب) ، والثعلبي (٤/ق ١٢٠/أ) والبغوى (١/ ٤٨٠) ، وزاد المسير (٢/ ٢٠٠) .

وفي كيفية هلاكه اختلاف :

قيل : انه خرج مع تجار ، فسرق منهم شيئا ، فرموه بالحجارة حتى مات .

وقيل : ركب سفينة فسرق منها مالا ، فعلم به ، فألقى في البحـــــر .

وقال مقاتل : لما قدم مكة نزل على الحجاج بن عِلاط السُلمي فأحسن نزلـــه ، فبلغه أن في بيته ذهبا ، فخرج (١٧٩/ب) بالليل ، فنقب حائط البيت ، فعلموا به فأحاطوا بالبيت ، فلما رأوه أرادوا أن يرجموه فاستحـــــى الحجاج لأنه ضيفه ، فتركوه ، فخرج فلحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك (١) .

والمعنى : ومن يخالف الرسول ويعاديه من بعد ما ظهر له الهدى وبان ((ويتبع غير سبيل المؤمنين)) غير دين الموحدين ، وذلك أن طعمـــة ترك دين الاسلام ، وخالف سبيلهم .

وقد يحتج بهذا على وجوب التمسك بالاجماع (٢) .

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٢٦٨) ، وانظر تفسير الثعلبي (٤/ق ١٢٠/أ - ب) وحرة بني سليم تقع جنوب المدينة في عالية نجد ، وأقرب مكان لهـــا مهد الذهب ، فانه معدن بني سليم المعروف . وانظر معجم البلدان (٢/ ٢٤٦) .

(٢) قال العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره (٢/ ١٦٦) : وقـــد استدل بهذه الآية الكريمة على أن اجماع هذه الأمة حجة ، وأنهـــا معصومة من الخطأ .
ووجه ذلك : أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار

= = = =

((نوله ما تولى)) ندعه وما اختار لنفسه ((ونصله جهنم)) ندخله اياها ((وساءت مصيرا - ١١٥)) موضعا يصار اليه .

قوله : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به - ١١٦)) ذكر سبب نزولها من قبل في هذه السورة .(١)

وقد روى عن ابن عباس أن شيخا من الأعراب أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اني منهمك في الذنوب الا أني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وانى لنادم مستغفر ، فماحالي ؟ . فنزلت هذه الآية .(٢)

وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول : الهى اطعتك في أحب الأشياء اليك - وهو التوحيد - ولم أعصك في أبغض الأشياء اليك - وهو الشرك - فاغفر لي ما بينهما .

(=) وسبيل المؤمنين مفرد مضاف ، يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال . فاذا اتفقوا على ايجاب شيء أو استحبابه ، أو تحريمه ، أو كراهته أو اباحته فهذا سبيلهم ، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد اجماعهم عليه فقد اتبع غير سبيلهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ((كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) اهـ . المقصود منه .

(١) تقدم ص (٥٢١) .

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٢٠/ب) ، والبغوى (١/ ٤٨٠ - ٤٨١) ، وزاد المسير (٢/ ٢٠٢) ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص (٤٩) : في شيخ من الأعراب ، وهو منقطع . اهـ

قوله : ((إن يدعون من دونه إلا إناثا)) أي مايعبدون من دون الله الا اناثا . جمع أنثى كما قرأ ابن عباس .(١)

قال الحسن : لم يكن حي من أحياء العرب الا لهم صنم يعبدونه (١٨٠/أ) ويسمونه أنثى بني فلان(٢) . قال : وكل شيء لا روح فيه كالحجر والخشب فهو اناث .(٣)

وقال جماعة ، منهم السدى : الاناث : اللات والعزى ومناة .(٤)

وقال الزجاج : المعنى : مايدعون الا مايسمونه باسم الاناث .(٥)

وقال الضحاك : المراد : الملائكة ، كانوا يزعمون أنها بنات الله(٦) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقرأ سعد بن أبي وقاص : " إلا وَثَنا " .

وقرأت عائشة : " أوثانا " .

---

(١) المحتسب (١/ ١٩٨) ، والبحر (٣/ ٣٥٢) .

(٢) تفسير ابن جرير (٩/ ٢٠٩) ، وابن المنذر وسعيد بن منصور قاله في الدر المنثور (٢/ ٦٨٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٩/ ٢٠٨) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٢/أ) ، والثعلبي (٤/ق ١٢١/ب) وعبد بن حميد وابن المنذر ، قاله في الدر (٢/ ٦٨٧) .

(٤) تفسير ابن جرير (٩/ ٢٠٧) ، وانظر الدر المنثور (٢/ ٦٨٧) ، وزاد المسير (٢/ ٢٠٣) .

(٥) لم أجده في معاني القرآن المطبوع .

(٦) تفسير ابن جرير (٩/ ٢٠٩) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٢/أ) .

وقرىء : أُثُنا ، بالتثقيل والتخفيف جمع وثن ، كأسد وأسد ، وقلب الواو ألفا مثل أجوه في وجوه . وكذلك أقتت أصلها وقتت .(١)

((وان يدعون الا شيطانا مريدا - ١١٧)) قال ابن عباس : في كل صنم شيطان يتراءا للسدنة فيكلمهم .

وقال أبيّ بن كعب : مع كل صنم جنّية .

وقال الزجاج : يعنى به إبليس ، وهم اذا أطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه .

والمريد : العاتي المتجرد عن الخير ، الظاهر الشر ، ومنه الأمرد ، وشجرة مرداء : اذا تناثر ورقها ، وتجردت ، وصخرة مرداء : ملساء .(٢)

((لعنه الله وقال لا تخذن)) صفتان للشيطان ، التقدير : الا شيطانا لعينا قائلا ذلك .

وقيل : هو دعاء عليه باللعن .(٣)

((نصيبا مفروضا - ١١٨)) حظا مقطوعا ، أقتطعتهم لنفسي ، ومنه فُرضة النهر ، وفُرْضة القوس (١٨٠/ب) وهو الحز الذى يشد فيه الوتر .

وفرض له في العطاء ، وفرض للجند كل ذلك أصله القطع .

---

(١) مختصر ابن خالويه (٢٨ - ٢٩) ، والمحتسب (١/ ١٩٨ - ١٩٩) ، واعراب القراءات الشواذ (ق ٥٦/ب) ، والكشاف (١/ ٢٩٩) .

(٢) معاني القرآن (٢/ ١١٧ - ١١٨) .

(٣) تقدم الكلام على اللعن ، وأن معناه : الطرد والابعاد عن رحمة الله .

قال الحسن : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النـــار.[1]

((ولأضلنهم)) يعني عن سبيل الهدى الى طريق الردى ((ولا منينهم)) الأماني الباطلة .

قال ابن عباس : أقول لهم : لا جنة ولا نار ، واسوّفهم بالتوبـــة.[2]

ولقد عجبت من كشف صاحب الكشاف قِنَاع الحياء ورفضه الأحاديـــث الصحيحة الصريحة لخيالات الآراء وتحريفه كلام الله عن مواضعه ، حتى إنـــه قال في قوله تعالى : ((ولا منيهم)) يعني الأماني الباطلة فعدّ منهـــا : الخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة[3] فرد أحاديث الشفاعة ، وقد رواهـــا أئمة الاسلام ، وحفاظ الحديث والأحكام وسمعها من النبي جماعة من سادات الصحابة ، ورويت عنهم ، وسمعت منهم كأبي بكر ، وعمر ، وابنه ، وعبد الله بـــن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وجابر بن عبد اللـــــه وأبي سعيد الخدري وغيرهم .

---

(١) تفسير مقاتل (١ / ٢٦٩) ، والكشاف (١ / ١٩٩) .
وقول الحسن هذا ثبت مرفوعا .
ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : ياآدم فيقول : لبيك وسعديك ، والخيـــر في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين . الحديث ، صحيح البخاري كتاب الأنبياء ، باب ذكر يأجوج ومأجوج (٤ / ١٦٨) ، ومسلم ، كتاب الايمان (١ / ٢٠١) .

(٢) تفسير الثعلبي (٤ / ق ١٢٢ / ب) ، وزاد المسير (٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٣) الكشاف : (١ / ٢٩٩) .

وخرّجها الأئمة في مسانيدهم كالامام أحمد والشيخين صاحبي الصحيحين ففيهما من حديث أنس بن مالك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فساق حديث الشفاعة الى أن قال - : ثم أعود الرابعة ، فاقول : يا رب ما بقي الا من حبسه (١٨١/أ) القرآن - الى أن قال - : ثم يخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة . (١)

وفي صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ، فيسمون الجهنميين " . (٢)

فمن أجهل جهلا ، وأسخف عقلا ، وأضل سبيلا ممن يقابل القرآن بالتعطيل ، والأحاديث النبوية بالتبطيل ، وهو يدعي الاستسلام لدين الاسلام ، ولكن هذه جناية الكلام عليهم ، وشؤم البدعة لديهم . اللهم اجعل نور إيماننا مؤنسا لنا في ظلم الألحاد ، وأنلنا شفاعة نبينا اذا حرمتها أهل الالحاد .

قوله تعالى : ((ولآمرنّهم فليبتكن آذان الأنعام)) البتك : القطع .

---

(١) هذا قطعة من حديث الشفاعة الطويل ، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ((لما خلقت بيدي)) (٩/ ١٤٩) ومسلم في كتاب الايمان (١/ ١٨٠) .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة (٨/ ١٤٥) .

قال المفسرون : هو شق أذن البحيرة : وهى الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا ، امتنعوا من الانتفاع بها تسويلا من ابليس بأن ذلك قربة لهم الى الله تعالى .

((ولآمرنهم فليغيرن خلق الله - ١١٩)) قال ابن مسعود : هو الوشم ، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله . فقالت له امرأة من بنى أسد : بلغني أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال : (١٨١/ب) ومالى لا العن من لعن رسول الله .[1]

وقال ابن عباس : هو تغيير دين الله[2] كقوله : ((لا تبديل لخلق الله))[3] أى لدين الله ، ومعنى تغيير الدين جعلهم الحلال حراما ، والحرام حلالا ، ويدخل فيه قول من قال : هو تحريم ماحرموا من الأنعام .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب اللباس ، باب المتنمصات (٢١٣/٧) ومسلم كتاب اللباس (١١٧٨/٣) .
والواشمة : التي تفعل الوشم ، والمستوشمه : التي تطلب الوشم وهو : أن يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أو يخضر .
النهاية (١٨٩/٥) .
والنمص : هو نتف شعر الوجه . النهاية (١١٩/٥) .
والمتفلجات : اللاتي يفرجن ما بين الثنايا والرباعيات .
النهاية (٤٦٨/٣) .

(٢) تفسير ابن جرير (٢١٨/٩) .

(٣) سورة الروم (٣٠) .

وقال في رواية عكرمة : هو الخصاء .(١)

وقيل : التخنث .

وصح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، ومن الرجال بالنساء .(٢)

فان قيل : من أين علم ابليس وقوع ما أخبر الله به عنه في قوله : ((لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ، ولأمنينهم)) الآية ، وفي قوله : ((لا حتنكن ذريته إلا قليلا))(٣) وفي قوله : ((ولا تجد أكثرهم شاكرين))(٤) ؟

قلت : رأى الخبيث أسبابا ، منها : خلق الجنة والنار ، وكون الأب آدم فعرف أنه خلق لا يتمالك ، واستزلا له إياه مع كماله ، وما كان من حال الذين سكنوا الأرض من قبلهم ، فأثارت هذه القضايا عنده غلبة الظن بتحقيق ماتوعدهم به .

قال الله تعالى : ((ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ، فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين))(٥) .

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/ ٢١٦) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٣/أ)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال (٧/ ٢٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الاسراء (٦٢) .

(٤) الأعراف (١٧) .

(٥) سبأ (٢٠) .

قوله : ((يعدهم ويمنّيهم)) أى : يعد أولياءه أنه لا بعث ولا نشور ، ويمنيهم الباطل والغرور ، ((وما يعدهم الشيطان الا غرورا - ١٢٠)) باطلا (١٨٢/أ) وتمويها ، فيخرج لهم ما يضرهم في صورة ما يسرهم ، ويغرهم بالعاجل عن الآجل ، فبيناهم يترددون في أودية الأماني ، اعترضتهم المنيّة دون بلوغ الأمنية فتمنوا أن يطلقوا ساعة من أسرها ، ولو بالدنيا بأسرها . ٩٨ - الآن حين تعلقته حبالنا . يرجو الخلاص ، ولات حين مناص[1]

((ولا يجدون عنها)) اذا راموا الخلاص منها ((محيصا - ١٢١)) أى : مذهبا ومهربا .

وقوله : ((وعد الله حقا - ١٢٢)) مصدران ، وقيل تمييز .

قوله عز وجل :[2] ((ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب)) قال ابن عباس وقتادة : اختصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب، ونبيّنا خير الأنبياء . وقال أهل الانجيل مثل ذلك . وقال المسلمون : كتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم الأنبياء ، فنزلت هذه الآية[3] ، ثم خيّر بين الأديان بقوله : ((ومن أحسن دينا)) .

---

(١) لم استطع العثور عليه .

(٢) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس العشرين .

(٣) تفسير ابن جرير (٩ / ٢٣٠) وأسباب النزول للواحدى (١٧٤) .

وقال عكرمة : قالت اليهود والنصارى : لا يدخل الجنة غيرنا . وقال كفار قريش : لا نبعث . فنزلت .(١)

قال الزجاج : اسم ((ليس)) مضمر ، والمعنى : ليس ثواب الله بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب .(٢)

قال الحسن - رحمه الله - : ليس الايمان بالتمنى ، ولا التحلى ، ولكنه ما وقر في الصدر ، وصدقه العمل .(٣)

نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون ثوابه (١٨٢/ب) وجنته بالأماني الكاذبة والدعاوى الباطلة كما زعمته اليهود في قولهم : ((لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى))(٤) . وقولهم : ((نحن أبناء الله وأحباؤه))(٥) ((لن تمسنا النار الا أياما معدودة))(٦) .

فلما أوضح لعباده خيبة الأماني الكاذبة أعلمهم أن الجزاء معقود بالأعمال لا بالأماني والآمال ، فقال عز وجل : ((من يعمل سوءا يجز به- ١٢٣)) قال ابن عباس : هو الشرك .(٧)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٣/ب) ، وزاد في الدر المنثور (٢/٦٩٥) ، نسبته الى عبد بن حميد ، وانظر زاد المسير (٢/٢٠٩)

(٢) معاني القرآن (٢/١٢١) .

(٣) أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل ص : (٤٢) .
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٨٣٩) عن أبي هريرة مرفوعا .

(٤) البقرة (١١١) .

(٥) المائدة (١٨) .

(٦) البقرة (٨٠) .

(٧) تفسير ابن جرير (٩/٢٣٩) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٤/أ)

والأظهر عمومه في جميع السيئات ، يدل عليه ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : ((من يعمل سوءا يجز به)) بلغت من المسلمين مبلغا شديدا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاربوا وسددوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة ، حتى النكبة ينكبها ، والشوكة يشاكها "[1].

وفي الحديث أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - قال لما نزلت : يارسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية : ((من يعمل سوءا يجز به)) فقال : غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ فذلك مما تجزون به " .[2]

وأخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من يعمل سوءا يجز به)) في الدنيا " .[3]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة (٤ / ١٩٩٣) .

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند (١ / ١٨١ - ١٨٢ رقم ٦٨) ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٧٤) ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . اهـ ووافقه الذهبي .
والبيهقي في السنن (٣ / ٣٧٣) ، وابن جرير في تفسيره (٩ / ٢٤١ - ٢٤٢) ، وتعقب أحمد شاكر تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن سند الحديث منقطع .

(٣) أخرجه الامام أحمد (١ / ٢٢) رقم (٢٣) ، وابن جرير (٩ / ٢٤١) ، والبزار وابن مردويه قاله ابن كثير (١ / ٥٥٧) ، وانظر : الدر المنثور (٢ / ٦٩٦) ، وفي سنده زياد بن أبي زياد الجصاص ، وهو ضعيف .

قال مسروق : لما نزلت : ((ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتب)) قال أهل الكتاب : نحن وأنتم سواء (١٨٣/أ) فنزلت : ((ومن يعمل من الصالحات)) [1] الآية .

هذه ((من)) للتبعيض .

والتي في قوله : ((من ذكر)) لتبيين الابهام في قوله : ((من يعمل)) .

وفي قوله : ((هو مؤمن)) اخراج لأهل الكتاب عن تناول الآية لهم لكفرهم بما لا يتم الإيمان الا به .

((ولا يظلمون نقيرا)) يعني أهل السوء ، وأهل العمل الصالح ، وقد سبق تفسير ما بعده الى قوله : ((واتخذ الله ابراهيم خليلا)) .

جاء في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ياجبرائيل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا ؟ . قال : لاطعامه الطعام [2] .

قال ابن عباس : كان ابراهيم - عليه السلام - أبا الضيفان ، يضيف من مرّ به من الناس وكان منزله على ظهر الطريق ، فأصابت الناس سنة ، فأقبلوا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام ، وكانت له مَيْرة من صديق له بمصر في كل سنة ، فبعث غلمانه بالابل الى صديقه ، فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : لو احتملنا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٨٤/ب) والثعلبي (٤/ق ١٢٥/أ) والبغوى (١/ ٤٨٤) .

(٢) أخرجه الواحدى في أسباب النزول (١٧٤) وفيه ابن لهيعة والبيهقي في شعب الايمان قاله في الدر المنثور (٢/ ٧٠٦) .

من هذه البطحاء ليرى الناس أنا جئنا بميرة ، فملأوا الغرائر رملا ، ثم أتوا الى ابراهيم ، فأعلموه فاهتم ابراهيم لأجل الخلق فنام وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان ، ففتحت الغرائر ، فاذا دقيق حُوارِيٌّ[1] ، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس ، فاستيقظ ابراهيم - عليه السلام - فقال : من أين هذا الطعام ، فقالت (١٨٣/ب) : من عند خليلك المصري ، فقال : بل من عند الله ، خليلي الله ، فيومئذ اتخذه الله خليلا .[2]

قال ابن عباس : الخليل: الصفي .[3]

والمعنى : اصطفى ابراهيم واختصه بأسنى المواهب ، وأقوم المذاهب وأنا له من الكرامة فوق ما رامه ، وجعله جرثومة الرسالة ، ودوحة الإمامة .

واشتقاق الخليل من الخَلَّة ، وهي : الحاجة ، فإبراهيم خليل الله أي فقيره الذي يُنزِل به فقره وفاقته لا بغيره ، أو من الخُلَّة بضم الخاء ، وهي : الصداقة والخليل المحب الذي ليس في محبته خلل ، فسمي إبراهيم خليل الله لأن الله أحبه محبة تامة ، وأحب الله محبة تامة لا خلل فيها .

---

(١) الحواري الأبيض .

(٢) أسباب النزول للواحدي (١٧٥) ، وتفسير الثعلبي (٤/ق ١٢٥/ب) والبغوي (١/ ٤٨٤) ، وانظر تفسير ابن جرير (٩/ ٢٥١) .
قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (١/ ٥٦٠) : وفي صحة هذا ووقوعه نظر ، وغايته أن يكون خبرا اسرائيليا لا يصدق ولا يكذب وانما سمي خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل لما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها . اهـ

(٣) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٢٥/ب) ، وزاد المسير (٢/ ٢١١) .

((وكان الله بكل شيء - ١٢٦)) أي بكل شيء من خلقه ((محيطا)) بعلمه . ومضمون ذلك ترغيب الصالح وترهيب الطالح .

قوله : ((ويستفتونك في النساء)) أي : يطلبون منك الفتوى في ميراثهن وكانوا لا يورثون النساء والأطفال - كما ذكرناه - [٢] فلما فرض الله المواريث شرقوا بتوريث النساء ، والأطفال ، فنزلت هذه الآية .

((وما يتلى عليكم)) معطوف على اسم الله أي : الله يفتيكم ، والمتلو في الكتاب يفتيكم أيضا ، وهو قوله : ((وءاتوا اليتامى أموالهم)) .

وقيل : ((ما يتلى)) مبتدأ ، و ((في الكتاب)) خبره على أنها جملة (١٨٤/أ) اعتراضية .

والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، ((في يتامى النساء)) أي في شأنهن .

والتقدير : وما يتلى عليكم في شأن النساء اليتامى ، فأضيفت الصفة الى الاسم كقولهم : يوم الجمعة ، هذا مذهب الكوفيين ، والبصريون يقولون في هذا وأمثاله : الاضافة هنا بمعنى : من .

وقيل : المراد بالنساء هنا أمهات اليتامى ، فأضيف أولادهن اليهن ، واعراب يتامى النساء ينبني على الوجهين في اعراب : " وما يتلى " فان قلنا : هو

---

(١) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس التاسع والثلاثين ، مرة ثانية .

(٢) تقدم ص (٤٠٧) .

مبتدأ فقوله : ((في يتمى النساء)) بدل من فيهن ، وان قلنا : هو عطف فجائز أن يكون قوله : ((في يتامى النساء)) بدلا أيضا ، وجائز أن يكون من صلة ((وما يتلى)) تقديره : وما يتلى عليكم في شأن يتامى النساء يفتيكم أيضا[1].

((التى لا تؤتونهن ما كتب لهن)) أى : ما فرض لهن من الميراث ، وقيل : من الصداق .

واختلف الحسن ومحمد بن سيرين في قوله : ((وترغبون أن تنكحوهن)) فقال أحدهما : المعنى : ((وترغبون)) في ((أن تنكحوهن)) .

وقال الآخر : المعنى : ((وترغبون)) عن ((أن تنكحوهن)) أى عن أن تنكحوهن لدمامتهن[2] ، وكان هذا من سنة الجاهلية اذا كانت اليتيمة دميمة ، ولها مال عضلها وليها عن التزويج حتى تموت فيرثها ، وان كانت ذات مال وجمال تزوجها واستأثر بمالها ، ولم يعدل في صداقها .

أخرج البخارى في صحيحه عن عائشة في قوله : ((ويستفتونك في النساء)) الى (١٨٤/ب) قوله : ((وترغبون أن تنكحوهن)) قالت : هو الرجل تكون عنده اليتيمة وهو وليها ووارثها ، فأشركته في ماله حتى في العذق

---

(١) انظر: الدر المصون (٤/ ١٠٠) .

(٢) زاد المسير (٢/ ٢١٦) .

فيرغب أن ينكحها ، ويكره أن يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الآية .(١)

قوله : ((والمستضعفين من الولدان)) عطف على ((يتامى النساء)) ((وأن تقوموا)) في محل الجر ، أى يفتيكم في يتامى النساء ، وفي المستضعفين وفي : ((أن تقوموا لليتامى بالقسط)) وهو العدل في ميراثهن ومهورهن ، وأمورهن .

((وماتفعلوا من خير)) فيما أمركم به ونهاكم عنه ((فإن الله كان به عليما - ١٢٧)) المعنى : وهو يجازى عليه .

قوله : ((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا ، أو إعراضا)) أى : خشيت من زوجها نشوزا ترفعا عليها ، أو اعراضا عنها لدمامة في خَلْقها ، أو لذمامة في خُلُقها ، أو لِكبَر ، أو لملال وضجر ، أو اشتغال بغيرها .

((فلا جناح عليهما)) أى لا اثم عليهما ((أن يَصَّالَحَا)) أصله يتصالحا ، فأدغمت التاء في الصاد .

وقرأ أهل الكوفة : " يُصْلحا " بضم الياء وسكون الصاد وتخفيفها وكسر اللام من غير ألف(٢) من أصلح يصلح .

والمعنى : لا بأس أن تطيب له نفسا ببعض صداقها ، أو باسقاط بعض حقوقها ، أو بتخفيف نفقتها .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٦/٦٢) .
والعذق بالفتح النخلة ، وبالكسر : العرجون بما فيه من الشماريخ قاله في النهاية (٣/١٩٩) .

(٢) الحجة للفارسي (٣/١٨٣) ، ولابن زنجلة ص (٢١٣ - ٢١٤) والكشف (١/٣٩٨ - ٣٩٩) والنشر (٢/٢٥٢) .

أخرج الترمذى من حديث ابن عباس قال : (١٨٥/أ) خشيت سودة أن يطلقها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : لا تطلقني وامسكني ، واجعل يومي لعائشة ففعل ، فنزلت : ((فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا ، والصلح خير)) . فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز .(١)

أخبرنا شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - رضى الله عنه - قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق والشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق النيسابورى بقراءتي عليه ببغداد قالا : أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، أخبرنا ابو الحسن مكى بن منصور بن علان الكرجى ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى ، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم ، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي ، أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب . أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج ، فكره منها أمرا ، اما كِبَرًا ، واما غيره فأراد طلاقها ، فقالت : لا تطلقني ، وأمسكني ، واقسم لي مابدا لك ، فأنزل الله ((وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا)) الآية .(٢)

---

(١) سنن الترمذى ، كتاب التفسير ، سورة النساء (٥/ ٢٤٩) .
وقال : هذا حديث حسن غريب . اهـ
وأخرجه الطيالسي في مسنده ص (٣٤٩) رقم (٢٦٨٣) ، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٨٤) ، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٧) وابن جرير في التفسير (٩/ ٢٧٨) ، كلهم من طريق سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس .
وسليمان بن معاذ : سيء الحفظ ، ورواية سماك عن عكرمة ضعيفة .

(٢) مسند الامام الشافعي ص(٢٦٠) وأخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٦) وهذا مرسل صحيح الاسناد ، وانظر الدر المنثور (٢/ ٧١١) .

((والصلح خير)) أى خير من الفرقة .

وقيل خير من النشوز والاعـــــراض .

قوله : ((وأحضرت الأنفس الشح)) أى : الزمته ، والشح : البخل مع الحرص. فالمرأة تشح بحقها من زوجها . والزوج يشح بنفسه عليها لعدم ميله اليهـــا .

((وان تحسنوا)) (١٨٥/ب) أيها الأزواج بالصبر عليهن ، والاحســـان في العشرة اليهن ((فإن الله كان بما تعملون خبيرا - ١٢٨)) .

قوله : ((ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء)) يعنى في المحبة التـــى هى ميل القلب ((ولو حرصتم)) لان ذلك لا يدخل تحت كسبكم .

أخرج الامام أحمد من حديث عائشة قالت : كان رسول الله يقسم بين نســائه فيعدل ثم يقول : اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملـــك[1] يريد بذلك صلى الله عليه وسلم ميله الى عائشة ، وافراطه[2] في محبتها مـــــن بين نسائه .

((فلا تميلوا)) بالنفقة والقسم الى التى تحبون ((كل الميل)) فتذروا المرغوب عنها كالمعلقة ، وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة .

---

(١) المسند (٦/ ١٤٤) ، وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء (٢/ ٢٤٢) ، والترمذى في كتاب النكاح أيضا ، بـــاب ما جاء في التسوية بين الضرائر (٣/ ٤٤٦) ، والنسائي في كتـــاب عشرة النساء ، ميل الرجل الى بعض نسائه دون بعض (٧/ ٦٤) وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء (١/ ٦٣٤) وروى موصولا ومرسلا ، قال الترمذى : المرسل أصح . اهـ

(٢) الافراط : هو مجاوزة الحد ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يتجاوز الحد . فالأولى العدول عن هذا التعبير .

وفي مسند الامام من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له امرأتان يميل الى احداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا أو مائلا .(١)

قوله : ((وان تصلحوا)) يعني تعدلوا في النفقة والقسم ((وتتقوا)) الجور ((فإن الله كان غفورا رحيما - ١٢٩)) رحمكم وغفر لكم ميل قلوبكم .

وقيل : المعنى : ((وان تصلحوا)) ما أفسدتموه وحملكم الميل عليه بالتوبة والاستغفار ((وتتقوا)) الجور فيما تستقبلون في صحبتهن ((فإن الله كان غفورا)) لما كان منكم ((رحيما)) بكم .

قوله تعالى : ((وان يتفرقا)) يعني الزوجين اذا لم يتفقا على الصلح ((يغن الله كلا (١٨٦/أ) من سعته)) أي : يرزق كل واحد منهما من رزقه الواسع مايغنيه ، ومن الأزواج . مايرضيه ((وكان الله واسعا)) يسع رزقه جميع خلقه ((حكيما - ١٣٠)) فيما أمر به ونهى عنه ، وخوّف منه .

---

(١) المسند (١٦/٢٣٥) رقم (٨٥٤٩) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء (٢/٢٤٢) ، والترمذي ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (٣/٤٤٧) وابن ماجة كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء (١/٦٣٣) ، وابن حبان الاحسان (٦/٢٠٤) ، والبيهقي في السنن (٧/٢٩٧) .

((ولله ما في السموات وما في الأرض)) فإليه فارغبوا ، واياه فاسألوا .

((ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم)) عطف على ((أن اتقوا)) أى : قلنا لهم ولكم : ((اتقوا)) وقلنا لهم ولكم : ((ان تكفروا)) ((واياكم أن اتقوا الله)) . قوله : ((من قبلكم)) متعلق بـ ((وصينا)) أو بـ ((أوتوا)) والمعنى : وصينا أهل الكتب من قبلكم واياكم يا أهل القرآن وصينا أيضا . أن تخافوا الله وتحذروه . ((وان تكفروا)) عطف على ((أن اتقوا)) أى قلنا لهم ولكم : اتقوا ، وقلنا لهم ولكم : ان تكفروا ((فإن لله ما في السموات وما في الأرض)) خلقا وملكا وعبيدا .

فإيمانكم لا يزيد في سلطانه ، وكفركم لا ينقص منه .

((وكان الله غنيا)) عنكم ((حميدا - ١٣١)) يستحق الحمد منكم .

ثم هدد المنافقين والمشركين فقال : ((إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا - ١٣٣)) .

قوله : ((من كان يريد ثواب الدنيا)) كالمقاتل مثلا يطلب المدح والغنيمة بقتاله ، ولا تخطر الآخرة بباله ، فماله يعدل عن الأخس الى الأخس ، والى الأرذل عن الأفضل ولكن هذا الحرمان أنتجه الخذلان ، والا فلو نوى بقتاله الجهاد في سبيل الله والطاعة لفاز بالمعلى من قدح الثواب في الدارين ، والمدح بالشجاعة (١٨٦/ب) .

وقال الزجاج : كان مشركوا العرب يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ، ويصرف عنهم شرها ، ولا يؤمنون بالبعث ، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة عنده . (١)

---

(١) معاني القرآن (١٢٧/٢) .

قوله : ((يأ يها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط)) .

قيل : انها متعلقة بقصة ابن أبيرق .

قال السدى وغيره : اختصم رجلان الى النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدهما فقير والآخر غني . فكان صفو النبي مع الفقير لكونه لا يظلم الغني في مستقر العادة . فنزلت هذه الآية . (١)

والمعنى : كونوا مجتهدين في اقامة العدل ((شهداء لله)) أى : لوجهه ورضاه ، لا تأخذكم فيه لومة لائم ((ولو على أنفسكم)) ولو كان الحق عليكم أو على الوالدين والأقربين والشهادة على الأنفس مجازعن الاقرار بما عليها من الحقوق .

((ان يكن)) يعنى المشهود عليه ، أوله ((غنيا أو فقيرا ، فالله أولى بهما)) أعلم بحالهما ، فلا تصرفنكم عن شهادة الحق ، والقيام بالعدل مسكنة الفقير ، ولا نباهة الغني .

((فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)) كراهة أن تعدلوا عن الحق ، أو لان تعدلوا . ولقد أحسن القائل :

٩٩ - واعلم بأنك لن تسود ولن . ترى سَبَل الرشاد إذا اتبعت هواك (٢)

---

(١) تفسير ابن جرير (٩ / ٣٠٣) ، وأسباب النزول للواحدى (١٧٨) ومعنى قوله : " فكان صفو النبي صلى الله عليه وسلم مع الفقير " أى ميله معه . وهذا كما ترى عن السدى ، ولا يثبت بمثله حكم شرعي .

(٢) لم أجده .

((وان تلوا)) ألسنتكم أيها الشهود عن الشهادة فتحرفوها .

((أو تعرضوا)) (١٨٧/أ) عنها ، فلا تؤدوها .

وقيل : ((وان تلووا)) وجوهكم أيها الحكام الى بعض الخصوم ((أو تعرضوا)) عن بعض .

وقرأ ابن عامر وحمزة : " وان تلوا " [1] من الولاية أى : تلوا اقامة الشهادة ، أو أمور الناس ، والحكم بينهم ((أو تعرضوا)) عن ذلك . ((فإن الله كان بما تعملون خبيرا - ١٣٥)) فهو يتولى جزاء القاسطين والمقسطين

قوله : ((يأيها الذين آمنوا)) خطاب للمسلمين في قول الحسن .

ولأهل الكتابين في قول الضحاك .

وللمنافقين في قول مجاهد [2] .

فالمعنى على القول الأول : ((يأيها الذين آمنوا بالله)) أى : دوموا على ايمانكم كما تقول للقائم : قم حتى آتيك .

---

(١) الحجة للفارسي (٣/١٨٥) ، ولابن زنجلة ص (٢١٥) ، والكشف (١/٣٩٩) ، والنشر (٢/٢٥٢) .

(٢) زاد المسير (٢/٢٢٤) ، والنكت والعيون (١/٤٢٩) والصواب القول الأول ، وليس هذا من تحصيل الحاصل ، بل من تكميل الكامل وتثبيته ، يعنى يا أيها الذين آمنوا دوموا على ايمانكم ، وحافظوا عليه ، وازدادوا فيه قاله ابن كثير (١/٥٦٦) .

وعلى القول الثاني : ((يأيها الذين ءامنوا)) بالتوراة وموسى والانجيل وعيسى ((ءآمنوا بالله ورسوله)) محمد وما جاء به من القرآن .

وعلى القول الثالث : ((يأيها الذين ءامنوا)) بألسنتهم ((ءامنوا)) بقلوبكم بوحدانية الله ورسالة محمد .

((والكتٰب الذى نزّل على رسوله ، والكتٰب الذى أنزل من قبل))

يريد جنس الكتب ، وانما قال : ((نزل على رسوله)) و ((أنزل من قبل)) لأن القرآن نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة[1] ، بخلاف سائر الكتب.

قوله : ((ان الذين ءامنوا ، ثم كفروا ، ثم ءامنوا ، ثم كفروا)) ذهب ابن عباس وجمهور المفسرين الى أنهم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ، ثم آمنوا بعزير ثم كفروا (١٨٧/ب) بعده بعيسى ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد[2] .

وقيل ((ان الذين ءآمنوا)) بالتوراة وموسى ((ثم كفروا)) بالانجيل وعيسى ((ثم ازدادوا كفرا)) بمحمد والقرآن .

وقال قتادة : آمنوا بموسى ، ثم كفروا بعبادة العجل ، ثم آمنوا به بعد عوده ثم كفروا بعيسى ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد .

---

(١) الذى عليه عامة أهل الأخبار والسير أن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة ، وهذا هو الصواب . لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لأربعين ، وتوفى لثلاث وستين سنة .

(٢) زاد المسير (٢/٢٢٥) .

وروى عنه : أنها في اليهود والنصارى آمن اليهود بالتوراة ثم كفروا بالانجيل ثم آمن النصارى بالانجيل ، ثم تركوه ، فكفروا به ، ثم ازداد وا كفرا بالقرآن ومحمد - صلى الله عليه وسلم - .(١)

وقال الحسن : هم قوم من أهل الكتاب قصد وا تشكيك المؤمنين ، فكانوا يظهرون الايمان ، ثم الكفر ، ثم ازداد وا كفرا بموتهم على كفرهم .(٢)

وقال مقاتل : آمنوا بالتوراة وموسى ، ثم كفروا ثم آمنوا بعيسى والانجيل ثم كفروا بعده ، ثم ازداد وا كفرا بمحمد والقرآن .(٣)

وقيل : هو نعت المنافقين ، آمنوا ثم كفروا ، ثم آمنوا ثم كفروا ، ثم ازداد وا كفرا بالثبات على النفاق حتى ماتوا عليه .(٤)

((لم يكن الله ليغفر لهم - ١٣٧)) ويمكن أن يستدل بهذه الآية على عدم قبول توبة من تكررت ردته ، وهو مذهب الامام أحمد في احدى الروايتين عنه . لأن الله أخبر عن الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان أنه لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلا ، ومن (١٨٨/أ) كان بهذه المثابة لا يقبل الله له توبة .(٥)

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/٣١٥) ، والنكت والعيون (١/٤٢٩) .

(٢) زاد المسير (٢/٢٢٥) ، والنكت والعيون (١/٤٢٩) .
ورجح ابن جرير هذا القول .

(٣) تفسير مقاتل (١/٢٧٥) .

(٤) ومال ابن كثير الى هذا القول .

(٥) مسائل عبد الله عن أبيه (٣/١٢٩٠) والمسائل الفقهية (٢/٣٠٥) والواضح شرح التنقيح للضرير (٢/٢١٣/خ) والمغني (٨/١٢٦) ونظم هذه المسألة السفاريني في عقيدته المشهورة بقوله : ص (٧)

وكل داع لابتداع يقتل ... كمن تكرر نكثه لا يقبل

قوله : ((بشر المنافقين - ١٣٨)) .

قال الزجاج : المعنى : اجعل موضع بشارتهم العذاب والعرب تقول : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف . قال الشاعر :

١٠٠- وخيلٍ قد دلفت لها بخيل تحيّةُ بينهم ضرب وجيع (١) .

ثم وصف المنافقين فقال : ((الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)) قال ابن عباس : كانوا يوالون اليهود (٢) .

((أيبتغون عندهم العزة)) أى : الغلبة والاستعلاء على محمد وأصحابه ، مأخوذ من قولهم : أرض عزاز : وهى التى لا تنبت ، كأن الشدة منعتها من ذلك . وعز الشيء : أى صعب واشتد وجوده ، ومنه مَنْ عزّبزّ : أى من اشتد وقوى ، غلب وسلب . قال الشاعر :

١٠١- كأن لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك مَنْ عزّ بزّا (٣)

((فإن العزّة لله جميعا - ١٣٩)) فعنده تبتغي ، فالتمسوها بالايمان والطاعة ،.

قال رجل - يريد سفرا - للامام أحمد : أوصنى ، فقال : اعزّ أمر الله حيث ماكنت يعزّك الله .

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٢٠) والبيت في الكتاب (٢/ ٣٢٣) ، ونسبه الى عمرو بن معد يكرب والخزانة (٩/ ٢٦٣) ، وشرح أبيات الكتاب للسيرافي (٢/ ٢٠٠) .

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٢٦) .

(٣) البيت للخنساء كما في ديوانها ص (٥٩) .

قوله : ((وقد نزل عليكم في الكتب))[1] قرأ عاصم ((نزّل)) بفتح النون والزاى[2] .

والذى نزل هو : النهى عن مجالسة الخائضين في آيات الله ، وذلك في سورة الأنعام في قوله : ((واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا (١٨٨/ب) فأعرض عنهم))[3] .

((أن اذا سمعتم آيات الله)) في موضع نصب على قراءة عاصم ، وفي موضع رفع على قراءة الباقين .

وقوله : ((يكفر بها ويستهزأ بها)) يستلزم وجود كافرين مستهزئين ، فيعود الضمير في قوله : ((معهم)) اليهم .

((انكم إذاً مثلهم)) المماثلة واقعة بين الخائضين والقاعدين معهم في الكفر اذا كانوا راضين بحالهم . أو في المعصية اذا لم يكونوا راضين . ويحتمل عندى أن الخطاب بهذه الآية للمنافقين ، فانهم كانوا يقعدون مع اليهود ، خائضين في آيات الله بالتكذيب والاستهزاء ، ألا تراه يقول عقيب ذلك ((ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا - ١٤٠)) أى كما اجتمعوا في الدنيا على التكذيب والاستهزاء يجمعهم في الآخرة في العذاب .

---

(١) كتب في الهامش : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الأربعين مرة ثانية .

(٢) الحجة للفارسي (٣/١٨٧) ، ولابن زنجلة ص (٢١٧) ، والكشف (١/٤٠٠ - ٤٠١) ، والنشر (٢/٢٥٣) .

(٣) الأنعام (٦٨) .

ثم وصف الله المنافقين فقال : ((الذين يتربصون بكم)) أي ينتظرون .

((فان كان لكم فتح من الله)) وكانت الدولة لكم ((قالوا : ألم نكن معكم)) فأعطونا من الغنيمة ((وان كان للكافرين نصيب)) حظ من الظفر والنصر ((قالوا : ألم نستحوذ عليكم)) .

الاستحواذ في اللغة : الاستيلاء يقال : حاذ الحمار أتنه : اذا استولى عليها وجمعها .

فالمعنى : ألم نغلب عليكم بالموالاة لكم ، ونستولي عليكم بالمعونة ، والذب عنكم .

((ونمنعكم من المؤمنين)) بالتثبيط تارة ، وبنقل الأخبار اليكم (١٨٩/أ) أخرى ، امتنوا بذلك عليهم ليدفعوا نصيبهم من الغنيمة اليهم .

((فالله يحكم بينكم)) أيها المؤمنون والمنافقون ، وفي قوله : ((يوم القيامة)) إشعار بأن الحكم يقع على ما أضمروه لا على ما أظهروه ، بخلاف أحكام الدنيا .

((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا - ١٤١)) .

قال رجل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أرأيت قول الله : ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)) وهم يقتلوننا ؟ !!!

فقال : ((ولن يجعل الله للكافرين)) يوم القيامة ((على المؤمنين سبيلا)) .(١)

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/٣٢٧) ، وابن أبي حاتم (٢/ق ١٩٣/ب) والحاكم في المستدرك (٢/٣٠٩) وصححه ووافقه الذهبي .
وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر ، قاله في الدر المنثور (٢/٧١٨)
= = = = =

وقال ابن عباس في رواية عكرمة والضحاك : حجة .

وقال في رواية أبي صالح : ((على المؤمنين)) أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - (١) . كأنه نفى ظهور كفار العرب على الصحابة ، وأثبت أن الظفر للمسلمين والعاقبة لهم ، فكان كذلك .

وقيل : هذا نفى لاستيلاء الكفار على المسلمين بحيث يستأصلونهم فان العاقبة للمسلمين ، وان كانت الحرب سجالا بين المسلمين والكافرين (٢) .

قوله : ((ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)) سبق تفسيره في البقرة .

((واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى)) متثاقلين لعدم الداعي الطبيعية والشرعية وهو جمع كسلان مثل سكران وسكارى .

((يراؤون الناس)) معنى المفاعلة (١٨٩/ب) هنا أن المرائي يريهم أعماله ويُرُوْنَه استحسانها ، أو يكون من باب عاقبت اللص . وطارقت النعل ،

((ولا يذكرون الله الا قليلا)) أى ذكرا قليلا .

قال علي - رضى الله عنه - : إنما قل لأنه غير مقبول (٣) .

(=) قال ابن جرير : فلا خلاف بينهم في أن معناه : ولن يجعل للكافرين يومئذ على المؤمنين سبيلا . اهـ ومراده يوم القيامة .

(١) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٣٤/ب) ، والبغوى (١/ ٤٩٢) .

(٢) ذكر هذا المعنى ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٦٧) احتمالا .

(٣) زاد المسير (٢/ ٢٣٢) .

قال ابن عباس : لو كان لله لكان كثيرا [1].

قوله : ((مذبذبين)) نصب على الحال من ((يذكرون)) أو على الـــذم.

والتذبذب : التحرك والاضطراب ، فالمنافقون مترددون بين الايمان والشرك والايقان والشك ((لا إلى هـٰؤلاء ولا إلى هـٰؤلاء)) أي : لا الى المؤمنيـــن بالاعتقاد الصحيح ، ولا مع المشركين بالمجاهرة والتصريح .

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَثَل المنافق مَثَل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير الى هذه مـــرة والى هذه مرة ، لا تدري أيها تتبع [2].

((ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا - ١٤٣)) أي : طريقا الى الهدى .

قوله : ((لا تتخذوا الكفرين أولياء من دون المؤمنين)) أي : لا تجعلـــوا اليهود ، والمنافقين بطانتكم وخاصتكم ((أتريدون أن تجعلوا لله عليكـــم سلطانا مبينا - ١٤٤)) أي حجة ظاهرة .

واشتقاقه من السليط : وهو ما يستضاء به ، والزيت : سليط ، والسَّلَاطة من التسلط : وهو القهر والظهور ، والسليطة : المرأة الصخابة .

والسليط : الفصيح اللسان (١٩٠/أ) ومنه السلطان . كل ذلك يرجع الى أصل واحد .

قوله : ((إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - ١٤٥)) .

قرأ أهل الكوفة : " الدرك " بسكون الراء .

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٣٢) ، والثعلبي (٤/ق ١٣٥/ب) ، والبغـــوي (١/ ٤٩٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صفة المنافقين (٤/ ٢١٤٦) .

وقرأ الباقون : بفتحها .[1]

قال ابن فارس : الجنة درجات ، والنار دركـــــــــات .[2]

وانما كانوا أشد عذابا من الكفار لأنهم ساووهم في الكفـــر ، وزادوا عليهم بالاستهزاء .[3]

قوله : ((إلا الذين تابوا)) يعني رجعوا عن نفاقهم ((وأصلحوا)) أعمالهم بعد التوبة ((واعتصموا بالله)) استمسكوا بدينه ((وأخلصوا دينهم للـه)) فلم يكدروه بشوائب الرياء ((فأولئك مع المؤمنين - ١٤٦)) في الولاية والدين

قوله : ((ما يفعل الله بعذابكم)) استفهام في معنى التقرير ، أي لا يعذبكم ((ان شكرتم وءامنتم)) أي إن شكرتم نعمه ، فوحدتموه وأطعتموه .

((وكان الله شاكرا)) للقليل من أعمالكم ((عليما - ١٤٧)) بمقاصدكم ونياتكم .

قوله : ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم)) أي إلا جهر من ظلم ، وهو أن يدعو على الظالم ، ويذكره بما فيه من السوء ، أو يبدأه إنسان بالشتيمة فيرد عليه .

---

(١) الحجة للفارسي (٣ / ١٨٨) ، ولابن زنجلة ص (٢١٨) ، والكشف (١ / ٤٠١) ، والنشر (٢ / ٢٥٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢٦٩) .

(٣) بل لأنهم أظهروا خلاف ما أضمروا فغروا المؤمنين وخدعوهم ، وأوهموهم أنهم على دينهم ، بخلاف الكافر فان كفره بين ، فيسهل التحرز منه .

قال ابن عباس : نزلت في الضيافة ينزل الرجل بالرجل عنده سعة فلا يضيفه ، فان تناوله بلسانه فقد عذره الله .(١)

وقال مقاتل : نال رجل من أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - والنبي حاضر ، فسكت عنه أبو بكر (١٩٠/ب) مرارا ، ثم رد عليه ، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله شتمني فلم تقل له شيئا ، حتى اذا رددت عليه قمت ، فقال : إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك ، وجاء الشيطان ، فنزلت هذه الآية .(٢)

وقرأ جماعة منهم عبد الله بن عمرو ، والحسن والسعيدان وأبور جاء ، وقتادة والضحاك ، وزيد بن أسلم بفتح الظاء واللام(٣) ، فيكون الاستثناء منقطعا على معنى : لكن الظالم قد يَجْهرُ بالسوء فاجهروا له بالسوء .

---

(١) تفسير ابن جرير (٩ / ٣٤٤) ، وأسباب النزول للواحدى (١٧٩) والثعلبي (٤/ق ١٣٧/ب) والبغوى (١ / ٤٩٤) ، والآية أعم مما قال ابن عباس ، وما ذكره فرد من عمومها .

(٢) تفسير مقاتل (١ / ٢٧٨) وقد جاء معناه مرفوعا في سنن أبي داود كتاب الأدب ، بابٌ في الانتصار (٤ / ٢٧٤) موصولا ومرسلا ، من غير ذكر سبب النزول . قال المنذرى : وذكر البخارى في تاريخه المرسل والمسند بعده ، وقال : والأول أصح .

(٣) مختصر ابن خالويه ص (٣٠) والمحتسب (١ / ٢٠٣) ، والكشاف (١ / ٣٠٨) .

وقال الزمخشري : يجوز أن يكون " من ظلم " مرفوعا . كأنه قيل : لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول : ما جاءني زيد الا عمرو ، بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه : ((لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)) (١) (٢) .

وقال ثعلب : هي مردودة على قوله : ((ما يفعل الله بعذابكم)) " إلا من ظلم " (٣) ((وكان الله سميعا)) لقول المظلوم ودعائه ((عليما -١٤٨)) بفعل الظالم ، وقدر جزائه ، فليحذر المظلوم من الحيف فطال ما صار بسببه ظالما .

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة : بلغني أن من قِبَلَك يسبون الحجاج فانههم عن ذلك ، فانه بلغني أنه لا يزال المظلوم يدعو على الظالم حتى يصير المظلوم ظالما ، والظالم مظلوما .

ثم ان الله تعالى نبه المظلوم على فضيلة العفو (١٩١/أ) ورغبه فيه وأعلمه أنه من أوصافه فقال : ((وان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء)) المعنى : ان تبدوا خيرا بدلا من السوء الذي أُطْلِق لكم الجهر به تفضلا وكرما وتقربا الى الله ، واكتسابا للحمد والثناء ، أو تخفوا الخير في أنفسكم ، فلا تجهروا به اكتفاء بعلم الله بما في قلوبكم ، ورغبة في ثوابه ((أو تعفوا عن سوء)) فتتجاوزوا عنه ، اغضاء وتسامحا ، وتركا للانتصار مع الاقتدار .

((فإن الله كان عفوا قديرا - ١٤٩)) .

---

(١) الكشاف (١/ ٣٠٨) ورد هذا أبو حيان في البحر (٣/ ٣٨٤) فقال : وهذا الذي جوزه الزمخشري لا يجوز . اهـ وانظر الدر المصون ٤/ ١٣٦

(٢) النمل (٦٥) .

(٣) زاد المسير (٢/ ٢٣٨) .

قوله : ((إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله)) .[1]

قال المفسرون : هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل ، ومحمد والقرآن ، ((ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله)) في الايمان ((ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض)) فأخبر الله أن الايمان بالبعض كفر بالكل لما فيه من التكذيب فقال : ((أولئك هم الكٰفرون حقا)) .

((ويريدون أن يتخذوا بين ذلك)) أى بين الكفر والايمان (سبيلا - ١٥٠) مذهبا يدعون اليه ، ويحضون عليه ((أولئك هم الكٰفرون)) ثم أكده فقال : ((حقا)) فشهد عليهم بالكفر في أول الآية وأكده ثانيا بقوله :

((أولئك هم الكٰفرون حقا - ١٥١)) سلبا لوصف الايمان عنهم ، ونفيا لما توهموه من الانتفاع بالايمان بالبعض .

قوله عز وجل : ((والذين (١٩١/ب) آمنوا بالله ورسله)) وهم المسلمون ((ولم يفرقوا بين أحد منهم)) أى من الرسل ، كما فعلت اليهود والنصارى ((أولئك سوف يؤتيهم أجورهم - ١٥٢)) سبق الكلام على " سوف " وفائدة دخولها في مثل هذه المواضع فيما مضى .

قال الزمخشري : فان قلت : كيف جاز دخول " بين " على " أحد " وهو يقتضي شيئين فصاعدا ؟ .

قلت : ان أحدا عام في الواحد المذكر ، والمؤنث ، وتثنيتهما وجمعهما تقول : ما رأيت أحدا فتقصد العموم ، ألا تراك تقول إلا بنى فلان ، وإلا بنات فلان .

فالمعنى : ولم يفرقوا بين اثنين منهم ، أو بين جماعة ، ومنه قوله ((لستن كأحد من النساء)) .[2]

قوله عز وجل ((يسألك أهل الكتٰب أن تنزل عليهم كتٰبا من السماء)) قال

---

(١) كتب في هامش الأصل : وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الحادى والاربعين ، مرة ثانية .

(٢) الاحزاب (٣٢) انتهى كلام الزمخشري من الكشاف (١/ ٣٠٩) .

أهل التفسير : قالت اليهود للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بن عمران .

وقال بعضهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من السماء من الله الى فلان ، والى فلان ، أن محمدا رسولي أرسلته اليكم .(١)

((فقد سألوا موسى أكبر من ذلك)) أى أعظم ، وهو جواب شرط مقدر تقديره : ان أكبرت ذلك وأعظمته ((فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)) .

فان قيل : ثم للترتيب (١٩٢/أ) فكيف قال : ((ثم اتخذوا العجل)) واتخاذهم العجل إلها متقدم على سؤال الرؤية ؟

قلت : هو خبر مستأنف ، كما تقول : زرتك اليوم ، ثم إني زرتك أمس أى ثم أخبرك أني زرتك أمس .

((فعفونا عن ذلك)) فلم نستأصلهم بالهلاك ((وآتينا موسى سلطانا مبينا - ١٥٣)) وهي الآيات التسع .(٢)

ومعنى قوله : ((ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم - ١٥٣)) بسبب نقض ميثاقهم .

قوله : ((فبما نقضهم)) " ما " زائدة وقد ذكرناه في آل عمران .(٣)

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/٣٥٧) ، وانظر زاد المسير (٢/٢٤١) والدر المنثور (٢/٧٢٦) .

(٢) وهي المذكورة في قوله تعالى : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) الاسراء (١٠١) .

(٣) ص : (٣١٣) .

والجالب للباء ((حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)) فيكون حينئذ

قوله : ((فبظلم)) بدلا من قوله : ((فبما نقضهم)) .

قوله : ((وبكفرهم)) يعني : بمحمد . وقيل : بعيسى .

وهو عطف على ((فبما نقضهم)) أو على ((بل طبع))[1] ، وجميع ما أغفلناه هٰهنا مفسر في البقرة .

((وقولهم على مريم بهتانا عظيما - ١٥٦)) وهو قذفها بالزنا .

((وقولهم : إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم)) قال الزجاج : يعذبون عذاب من قتل لأنهم قتلوا الذي قتلوه على أنه نبي[2] .

وقوله : ((رسول الله)) من كلام الله تعالى .

وقيل : من كلام اليهود على معنى تهكم به ، كقول فرعون : ((إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون))[3] ، أو رسول الله على زعمه .

قوله : ((ولكن شبه لهم)) (١٩٢/ب) قال صاحب الكشاف ان قلت : ((شبّه)) مسند الى ماذا ؟ ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه ، وان أسندته الى المقتول ، فالمقتول لم يجر له ذكر .

قلت : هو مسند الى الجار والمجرور وهو ((لهم)) كقولك : خيل اليه كأنه قيل : ولكن وقع لهم التشبيه .

---

(١) والأول أظهر ، وانظر الدر المصون (٤/ ١٤٤) .

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٤٠) .

(٣) الشعراء (٢٧) .

ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول ،لأن قوله : ((انا قتلنا)) يدل عليه (١) .

اختلفت الرواية عن ابن عباس فيمن ألقى عليه شبهه ،فروى أبو صالح عنه : أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى ،أدخله جبريل خوخة لها روزنة (٢) فدخل ،ورآه رجل منهم ،فألقى الله شبه عيسى عليه ،فلما خرج الرجل الى أصحابه قتلوه ظنا منهم أنه عيسى ، ثم صلبوه .

وروى عنه سعيد بن جبير : أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لأصحابه أيكم يلقى عليه شبهي ، فيقتل مكاني ،ويكون معي في درجتي ،فقام شاب فقال : أنا ،فقال : اجلس ثم أعاد القول ،فقال الشاب : أنا ،فقال :اجلس ثم أعاد القول ،فقال الشاب : أنا فقال عيسى : نعم أنت ذلك ،فألقى عليه شبه عيسى ،ورفع عيسى ، وجاء اليهود ،فأخذوا الشاب فقتلوه ،ثم صلبوه (٣) .

((وإن الذين اختلفوا فيه)) قيل : انهم النصارى اختلفوا في عيسى هل هو اله أولا ؟ وهل قتل أولا .

والصحيح أن المختلفين اليهود (٤) ، اختلفوا في عيسى ،هل قتل أم لا ؟والسبب

---

(١) الكشاف : (١/ ٣١٢) .

(٢) الخوخة مخترق ما بين كل دارين ،لم ينصب عليها باب ،بلغة أهل الحجاز . اهـ من اللسان (٣/ ١٤) ،مادة " خوخ " .
والروزنة : الكوة . اللسان (١٣/ ١٧٩) مادة " رزن " .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ق ١٩٩/أ) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٧٥) : وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس . اهـ وانظر زاد المسير (٢/ ٢٤٤) .

(٤) وهو اختيار ابن جرير . قال ابن كثير (١/ ٥٧٤) : يعني بذلك
= = = =

في ذلك (١٩٣/أ) أنهم قالوا : ان كان المقتول عيسى فأين صاحبنا ؟ وان كان صاحبنا فأين عيسى ؟

وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى ، والبدن بدن صاحبنا .

قوله : ((إلا اتباع الظن)) استثناء منقطع ، ((وما قتلوه)) يعني الظن ، وقيل العلم . فالمعنى : أنهم ما بالغوا في العلم به ، حتى تحققوه ، وعرفوه . ((يقينا)) كما يقال : قتلت الشيء علما .(١)

وقيل : الضمير يرجع الى عيسى .

قال الحسن : المعنى : وما قتلوا عيسى حقا .(٢)

وقال ابن الأنباري : فيه تقديم وتأخير ، التقدير : فما قتلوا عيسى بل رفعه الله يقيناً(٣) . وقد ذكرنا رفعه في آل عمران .(٤)

قوله : ((وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به)) قال الزجاج(٥) : المعنى : وما منهم

(=) من ادعى أنه قتله من اليهود ، ومن سلمه اليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة ، وضلال وسعر . اهـ

(١) ذكره ابن جرير (٩/ ٣٣٧) ونسبه الى ابن عباس .

(٢) وهذا هو الأظهر ، قال ابن كثير (١/ ٥٧٤) : أي : وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين ، متوهمين . اهـ

(٣) زاد المسير (٢/ ٢٤٦) ، قال في الدر المصون (٤/ ١٤٨) : وهذا قد نص الخليل فمن دونه على منعه . اهـ .

(٤) ص : (١٣٨) .

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٢٩) .

(٦٦٦)

أحد الا ليؤمنن به ، ومثله ((وان منكم إلا واردها [1])) أي بعيسى ، ((قبل موته)) فيؤمن أنه عبد الله ورسوله .

قال ابن عباس : يؤمن اليهودي قبل أن يموت ، ولا تخرج نفس النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد الله ، قيل له : فان خرّ من فوق بيت ، قال : يتكلم به في الهواء [2] .

وقال شهر بن حوشب [3] : قال لي الحجاج : آية من كتاب الله ما قرأتها قط إلا تخالج في نفسي منها ، قلت : أصلح الله الأمير ، ما هي ؟ فقرأ هذه الآية : ((وان من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته)) وانبي (١٩٣/ب) لأوتى بالاسير من اليهود والنصارى ، فآمر بضرب عنقه . فما أسمعه يتكلم شيئا . فقلت : إن اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره ، وقالوا له : ياعدو الله : أتاك عيسى عبدا نبيا فكذبت به ؟

فيقول : اني آمنت أنه عبد نبي ، فيؤمن به حيث لا ينفعه ايمانه ويؤتى النصراني فيقال : ياعدو الله : أتاك عيسى عبدا نبيا فقلت انه الله أو ابن الله ؟

---

(١) مريم (٧١) .

(٢) تفسير ابن جرير (٩ / ٣٨٣ - ٣٨٤) وابن أبي حاتم (٢/ق ٢٠٠/أ) وانظر الدر المنثور (٢ / ٧٣٣) .

(٣) شهر بن حوشب الأشعري ، الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . مات سنة اثنتي عشرة ومائة . التقريب (٢٨٣٠) .

فيؤمن به أنه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه ايمانه .

قال شهر : فنظر الى الحجاج وقال : من حدثك بهذا الحديث فقلت حدثني محمد بن الحنفية . قال : وكان متكئا فجلس ، ثم نكت بقضيبه الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه الىّ فقال : أخذتها من عين صافية من معدنها[1] .

قال عكرمة : لا تخرج نفس اليهودى والنصراني حتى يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم -[2] فعلى هذا يكون الضمير في قوله : ((ليؤمنن به)) يرجع اليه - صلى الله عليه وسلم - وقيل : ((ليومنن به)) أى بالله .

وقال جماعة منهم قتادة وابن قتيبة : الضمير في ((موته)) يعود الى عيسى[3] .

قال ابن عباس : اذا نزل الى الأرض لا يبقى يهودى ، ولا نصراني ، ولا أحد يعبد غير الله الا اتبعه ، وصدّقه (١٩٤/أ) وشهد أنه روح الله وكلمته وعبده ونبيه .[4]

(١) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٤١/ب) وقال في الدر المنثور (٢/ ٢٣٤) : أخرجه ابن المنذر .
قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٥٠ - ٥١) : لم أجده ، ثم قال : قلت : هو في تفسير الكلبي رواه عن شهر ، ورأيته قديما في كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء أسنده من هذا الوجه . اهـ

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ق ١٤٢/أ) والبغوى (١/ ٤٩٧) .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم (٢/ق ٢٠٠/ب) وغريب القرآن لابن قتيبة ص (١٣٧) .

(٤) والصواب أن الضمير في " ليؤمنن به " يعود الى عيسى .
أى : ومن أهل الكتاب من يؤمن بعيسى قبل موت عيسى . وهو اختيار ابن جرير وابن كثير .

= = = =

((ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا - ١٥٩)) بالبلاغ ، وعلى نفسه بالعبودية لله تعالى .

قوله تعالى : ((فبظلم من الذين هادوا))

أى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه من أكل الربا ، والرشا وغير ذلك من العظائم .

والطيبات المحرمة عليهم الألبان ، وما اشتمل عليه قوله : ((وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر))[1] الآية .

((ويصدهم عن سبيل الله كثيرا - ١٦٠)) أى صدا كثيرا أو أناسا كثيرا[2] .

((وأكلهم أموال الناس بالباطل)) وهو ما كانوا يأخذونه من الرشا في القضاء وعلى تبديل أحكام الله تعالى .

قوله : ((لكن الراسخون في العلم منهم)) وهم الثابتون فيه ، المتقنون له ، كعبد الله بن سلام ، والراسخون مبتدأ ، خبره يؤمنون .

والمؤمنون من دخل معه في الاسلام من اليهود ، وقيل : المهاجرون والأنصار .

قوله : ((والمقيمين الصلوة))[3] نصب على المدح ، والاختصاص ، وهو باب واسع

(=) قال ابن جرير (٩ / ٣٨٦) ، : وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك ((وانْ منْ أهل الكتاب الا ليؤمنن)) بعيسى قبل موت عيسى . اهـ وانظر (٩ / ٣٨٠) .

(١) الأنعام (١٤٦) .

(٢) أو هما معا .

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ١٥٣) : فأما قراءة الياء فقد اضطربت فيها أقوال النحاة ، وفيها ستة أقوال ، أظهرها عندى - وعزاه مكى لسيبويه ، وأبو البقاء للبصريين - أنه منصوب على القطع . اهـ المقصود منه .

وأنشدوا :

١٠٢ــ لا يبعدن قومي الذين هم سم العُدَاة وآفة الجزر

١٠٣ـ النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأُزر[1] (١٩٤/ ب)

وهذا قول الخليل سيبويه والزجاج وحذاق البصريين .

وقيل : هو نسق على " ما " المعنى : يؤمنون بما أنزل اليك وبالمقيمين الصلاة وهم الملائكة ، والأنبياء .

وقيل : هو نسق على الهاء والميم في ((منهم)) المعنى : منهم ومن المقيمين الصلاة .

قال الزجاج : وهذا ردى عند النحويين ،لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمر المجرور الا في الشعر[2].

وقد روى عن عائشة : أن ذلك خطأ من الكاتب[3].

---

(١) البيتان للخرنق بنت هفان القيسية وهو في ديوانها (١٠ - ١٢) وسيبويه (١/ ٢٠٢) وتأويل مشكل القرآن (٥٣) ،واشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي (٢٧٦) .

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٤٣) وقد تقدم رد هذا في أول السورة .

(٣) تفسير ابن جرير (٩/ ٣٩٥) ،وفيه محمد بن حميد الرازى ، ضعيف. لكن تابعه عمرو بن عبد الله الأودى عند ابن أبى داود ،في كتاب المصاحف (٤٣) ،الا أن ابن أبى داود وهو عبد الله بن سليمان ابن الأشعث السجستاني ضعيف .
وانظر : الدر المنثور (٢/ ٧٤٤ - ٧٤٥) .

وروى عن عثمان أنه قال : ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها (١) .

وهذا مستبعد جدا ، لأن عائشة كانت من الفصاحة وحفظ أشعار العرب والاطلاع على افتنان أساليبها في خطابها بالمكانة التي لا تدافع عنها ولا تمانع منها . فكيف تحكم بخطأ الكاتب مع ظهور الصواب فيما ذكرناه من الاعراب (٢) .

وما نقل عن عثمان - رضي الله عنه - فقال ابن الأنباري : لا يصح لأنه غير متصل . قال : ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحة من بعده (٣) .

---

(١) كتاب المصاحف (٤١) .

(٢) قال ابن جرير (٩/٣٩٨) : وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ . مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلّمون من علّموا ذلك من المسلمين ، على وجه اللحن ، ولأصلحوه بألسنتهم ، ولقنوه الأمة تعليما على وجه الصواب ، وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءة ، على ماهو به في الخط مرسوما ، أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه وأنه لا صنع في ذلك لكاتب . اهـ

(٣) زاد المسير (٢/٢٥٢) .

قال الزجاج : الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم ،لا ينبغي أن ينسب هذا اليهم[١] .

وفي مصحف عبد الله : " والمقيمون "[٢] وهي قراءة جماعة منهم مالك ابن دينار والجحدري ، (١٩٥/أ) قوله تعالى : ((إنا أوحينا إليك))[٣] نزلت مكذبة لليهود في قولهم : ما أوحى الله اليك يا محمد ، ولا الى أحد بعد موسى .

((كما أوحينا الى نوح)) وقد ذكرنا اسمه في آل عمران[٤] ، وسبب تسميته نوحا . وقدم في الذكر على سائر الأنبياء - عليهم السلام - لاختصاصه بشرف الأبوة ، وامتيازه بامتداد زمن النبوة .[٥]

((والنبيين من بعده)) كصالح وهود .

((ويونس - ١٦٣))[٦] يقرأ بالحركات الثلاث على النون ، وبالهمز وعدمه إلا أن القراء العشرة أطبقوا على القراءة المشتهرة .

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٤٣) .

(٢) مختصر ابن خالويه (٣٠) .
واعراب القراءات الشواذ (ق ٥٨/أ) ، والكشاف (١/ ٣١٣) ، واعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧١) ، والبحر (٣/ ٣٩٥) .

(٣) وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثاني والأربعين مرة ثانية .

(٤) ص : (١٠٨)

(٥) وأيضا لأنه أول رسول أرسل الى أهل الأرض فناسب أن يقدم في الذكر ، كما تقدم في الزمن .

(٦) اعراب القراءات الشواذ (ق ٥٨/أ) .

والزَبُور : الكتاب ، فعول بمعنى مفعول كحلوب وركوب .

وقرأ حمزة : " زُبُورا " بضم الزاى .(١)

جمع زبـــر .

قال أبو علي : كأن حمزة جعل كتاب داوود أنحاء ، وجعل كل نحـو زبرا ثم جمع فقال : زبورا .(٢)

قوله : ((ورسلا)) منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده . التقدير : قصصنـا رسلا عليك قد قصصناهم .

وجائز أن يحمل على معنى : أوحينا اليك ، كأنه قال : أرسلنـاك والنبيين ورسلا .

قوله : ((وكلم الله موسى تكليما - ١٦٤)) قال ثعلب : لولا أن الله أكد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول : أحدنا للآخر : قد كلمت لك فلانا بمعنى كتبت اليه رُقْعة ، وبعثت اليه رسولا ، فلما (١٩٥/ب) قال : ((تكليما)) لم يكن الا كلاما مسموعا من الله عز وجل .(٣)

قوله : ((رسلا)) نصب على المدح أو التكرير ((مبشرين ومنذرين)) نعت لـ ((رسلا)) .

---

(١) حجة القراءات (٢١٩) ، والكشف (١/٤٠٢) ، والنشر (٢/٢٥٣)

(٢) انظر الحجة للقراء السبعة (٣/١٩٣) .

(٣) زاد المسير (٢/٢٥٦) .
والبحر (٣/٣٩٨) .

وفي قوله : ((لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) دليل على توقف وجوب الايمان والطاعة على بعثة الرسل كما قال تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) (١) .

((وكان الله عزيزا)) في سلطانه ((حكيما - ١٦٥)) في بعثة رسله الى خلقه .

ولما نزلت ((إنّا أوحينا اليك)) قالت اليهود والنصارى : لا نشهد لك بهذا فنزل : ((لكن الله يشهد)) أى يبين صدقك ورسالتك ((بما أنزل اليك)) من القرآن المعجز . ((أنزله بعلمه)) أى ملتبسا بعلمه الذى لا يعلمه غيره ، وهو ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان ، والإخبار عما كان ، ويكون والسّلامة من المناقضة والمعارضة الى غير ذلك من العلوم التى يُقَوَّم إعجاز القرآن بها والأسرار المودعة فيه .

قال سفيان بن عيينة : إنما آيات القرآن خزائن ، فاذا دخلت خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها .

وقيل : ((أنزله)) مشتملا بما علم من مصالح العباد .

وقيل : ((بعلمه)) أنك أهل لانزاله عليك .

وقيل : ((أنزله)) وفيه علمه . (٢)

((والملئكة يشهدون)) بصدقك ورسالتك .

((وكفى بالله شهيدا - ١٦٦)) (١٩٦/أ) وان لم يشهد غيره .

قوله : ((إن الذين كفروا)) وهم اليهود ((وصدوا عن سبيل الله))

---

(١) الاسراء (١٥) .

(٢) وهو اختيار ابن كثير في تفسيره (١/٥٨٩) قال : أى فيه علمه الذى

= = =

أى : منعوا الناس من الدخول في دين الاسلام بما كتموا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم وصفهم بالظلم منضما الى الكفر فقال : ((ان الذين كفروا وظلموا)) أى ظلموا محمدا بتكذيبه[1] ، وتبديل صفته ((لم يكن الله ليغفر لهم)) كفرهم وظلمهم .

وقيل : ((لم يكن الله)) ليستر عيوبهم بل فضحهم في الدنيا بابداء معايبهم ، وعذبهم بالقتل والسبى . والنفى ، وألزمهم الذلة ، والمسكنة والجزية .

((ولا ليهديهم طريقا - ١٦٨)) الى الاسلام .

((إلا طريق جهنم - ١٦٩)) وهو دين اليهودية وغيره من الطرق التى تفضى بهم الى جهنم .

قوله تعالى : ((فآمنوا خيرا لكم)) منصوب بفعل مضمر دلت عليه الحال ، لأنه لما حضهم على الايمان ، علم أنه يحملهم على أمر فقال ((خيرا لكم)) أى ائتوا ، واقصدوا أمرا خيرا لكم[2] من الكفر والتثليث .

(=) أراد أن يطلع العباد عليه ، من البينات والهدى ، والفرقان ، ومايحبه الله ويرضاه ، ويكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته - تعالى - المقدسة التى لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب الا أن يعلمه الله به . اهـ

(١) الأظهر أن معنى " ظلموا " أى أشركوا مع الله تعالى غيره ، فانهم كفروا أى جحدوا ما يجب لله تعالى من التوحيد ، وأشركوا معه غيره أو ظلموا أنفسهم حيث لم يسلكوا بها أسباب النجاة . وهو اختيار ابن كثير .

(٢) وهو مذهب الخليل وسيبويه . قاله في الدر المصون (٤ / ١٦٤) .

ثم أظهر لهم عظمته وغناه عن ايمانهم فقال : ((وان تكفروا فان لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما)) بما يكون منهم من كفر وايمان ((حكيما - ١٧٠)) في تكليفه اياهم مع علمه بما يكون منهم .

قوله تعالى ((يا أهل الكتاب لا (١٩٦/ب) تغلوا في دينكم)) هذا نهى لليهود والنصارى عن الافراط وتجاوز الحد في الدين ، فان اليهود غلت في عيسى حتى دفعته عن حقه ومرتبته ، وغلت فيه النصارى حتى رفعته عن منزلته وادعته إلها ، فقالت اليعقوبية : هو الله . وقالت النسطورية : هو ابن الله وقالت المرقوسية : (١) هو ثالث ثلاثة .

((ولا تقولوا على الله إلا الحق)) أى الصدق فتنزهوه عن الشريك والولد . ثم نزه عيسى عما رمته به اليهود ، وادعته له النصارى فقال : ((إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقها الى مريم وروح منه)) وقد سبق معنى كونه كلمة في آل عمران (٢) .

ومعنى كونه " روحا منه " : أنه خلقه ، وأوجده ، واخترعه اختراعا غير

---

(١) اليعقوبية : هم أصحاب يعقوب البراذعي ، قالوا بالأقانيم الثلاثة الا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح .
والنسطورية : أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه .
والمرقوسية أتباع مرقس صاحب الأنجيل المعروف .
الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٤ - ٢٢٥) ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة (١٩١ - ١٩٤) .

(٢) ص : (١٢٧) .

منوط بسبب ، كسائر ولد آدم ، وأضافه اليه اضافة تكريم وتشريف ، كما قال عن آدم : ((ونفخت فيه من روحي)) (١) .

ويروى أن الله لما أخرج الأرواح من ظهر آدم لأخذ الميثاق ، ثم ردها الى صلبه أمسك عنده روح عيسى الى أن أراد ايجاده ، فأرسل ذلك الروح الى مريم فدخل فيها فكان عيسى - عليه السلام - قرأت على الشيخ الزاهد ، أبي عبد الله محمد بن داود (١٩٧/أ) ابن عثمان الدربندي الصوفي (٢) ، بمسجد الخليل - عليه السلام - سنة سبع وستمائة ، أخبركم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِلَفي ، الأَصْبَهَاني بالاسكندرية ، فأقر به ، قال : أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي (٣) بأصبهان سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، أخبرنا أبو زكريا ، يحيى بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، المُزَكِّي (٤) بنيسابور ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، حدثنا أبو العباس محمد

---

(١) الحجر : (٢٩) .

(٢) تقدمت ترجمته ص (٣٥) .

(٣) الشيخ العالم المعمر ، مسند الوقت رئيس أصبهان ، القاسم بن الفضل ابن أحمد الثقفي ، أبو عبد الله ، الأصبهاني ، صاحب الأربعين ، توفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء (١٩/٨) وشذرات الذهب (٣/٣٩٣) .

(٤) الشيخ الامام ، الصدوق ، القدوة الصالح ، يحيى بن ابراهيم ، أبو زكريا النيسابوري ، شيخ التزكية ببلده ، توفي سنة أربع عشرة وأربعمائة .
سير أعلام النبلاء (١٧/٢٩٥) ، وشذرات الذهب (٣/٢٠٢) .

ابن يعقوب الأموي[1] ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[2] ، حدثنا بشر ابن بكر[3] عن (ابن جابر)[4] عن عمير بن هانيء ، حدثني جُنادة بن أبي أمية حدثني عبادة بن الصامت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " من قال : أشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته ، وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله تعالى في أى أبواب الجنة الثمانية شآء ." رواه مسلم[5] عن داود بن رُشَيْد ، ورواه البخارى[6] عن صدقة بن الفضل ، كلاهما عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن (١٩٧/ب) بن يزيد بن جابر ، فكأنني

(١) هو محمد بن يعقوب الأموى مولاهم ، أبو العباس الأصم . تقدمت ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصرى ، الفقيه ، ثقة من الحادية عشرة مات سنة ثمان وستين ومائتين . التقريب رقم (٦٠٢٨)

(٣) بشر بن بكر التنيسى ، أبو عبد الله البجلي ، دمشقي الأصل ، ثقة يغرب من التاسعة ، توفى سنة خمس ومائتين . التقريب رقم (٦٧٧)

(٤) في الأصل : عن جابر . والتصويب من الصحيحين ، وهو عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر الأزدى ، أبو عتبة الشامي ، الداراني ، ثقة ، من السابعة ، مات سنة بضع وخمسين ومائة . التقريب رقم (٤٠٤٠) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الايمان (٥٧/١) .

(٦) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله : ((يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم)) (٢٠١/٤) .

سمعته من طريق البخارى على أبى الوقت ، ومن طريق مسلم على الفَـــرَاوى .

قوله تعالى : ((ولا تقولوا ثلثة)) خبر مبتدأ محذوف تقديره : لا تقولـــوا آلهتنا ثلاثة ، أب ، وابن ، وروح القدس ، ((إنما الله إله واحد)) ثم نزه نفسه فقال : ((سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات و(ما في)[1] الأرض)) خلقا وملكا ، فكيف يكون خلقه جزء منه ((وكفى بالله وكيلا - ١٧١)) يكـــل الخلقُ أمرهم اليه[2] .

قوله تعالى : ((لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله)) وقرأ على رضى الله عنه : أن يكون عُبيدا لله[3] على التصغير .

والمعنى : لن يأنف ، ولن يتنحى عن مقام العبودية لله . من قولك : نكفت الدمع : اذا نحيته بأصبعك عن خدك .

((ولا الملئكة المقربون - ١٧٢)) قال ابن عباس : هم حملة العرش[4] .

وقيل : هم الكَرُّوبيُّون كجبريل وميكال واسرافيل[5] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٢) قال ابن كثير (١ / ٥٩١) : أى الجميع ملكه وخلقه ، وجميع مافيهما عبيده ، وهم تحت تدبيره ، وتصرفه ، وهو وكيل على كل شيء ، فكيف يكون له منهم صاحبة وولد . اهـ

(٣) الكشاف (١ / ٣١٧) ، والبحر (٣ / ٤٠٢) .

(٤) زاد المسير (٢ / ٢٦٣)

(٥) وتخصيصهم بحملة العرش ، أو غيرهم لا يستقيم ، والآية عامة تشمل جميع الملائكة .

ولهذا قال ابن جرير (٩ / ٤٢٥) : ولن يستنكف أيضا من الاقرار لله بالعبودية ، والاذعان له بذلك رسله المقربون ، الذين قربهم اللـــه ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه . اهـ

والحكمة في تخصيص الملائكة بالذكر كون بعض الناس اتخذ وهم آلهة من دون الله وباقي الآية تهديد شديد .

قوله : ((فيوفيهم أجورهم)) يعني جزاء اعمالهم ((ويزيدهم من فضله)) مالا يعلم كنهه (١٩٨/أ) الا الله .

وروى ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله : ((فيوفيهم أجورهم - ١٧٣)) قال : يدخلون الجنة ((ويزيدهم من فضله)) الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا .(١)

قوله تعالى : ((يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم)) قال ابن عباس : هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من البيان .(٢)

((وأنزلنا إليكم نورا مبينا - ١٧٤)) وهو القرآن الكريم ، سمي بذلك لانارته للحق واستنارة الخلق به .

قوله : ((واعتصموا به)) أي استمسكوا بالنور المبين .

وقيل : بالله .

((فسيدخلهم في رحمة منه)) وهي الجنة(٣) ، ((ويهديهم إليه صراطا مستقيما - ١٧٥)) قال محمد بن الحنفية : هو دين الاسلام .(٤)

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٦٣) ، والدر المنثور (٢/ ٧٥٢) ، وقال السيوطي سنده ضعيف . اهـ

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٦٤) ، والدر المنثور (٢/ ٧٥٣) ، وانظر : تفسير سفيان الثوري (٩٨) .

(٣) الصواب أن الرحمة أعم من الجنة .
قال العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره (٢/ ٢٣٠) : فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة ، فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوبات ويدفع عنهم البليات . اهـ

(٤) زاد المسير (٢/ ٢٦٤) .

قوله : ((يستفتونك)) أخبرنا الشيخان أبو القاسم ،عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ،القاضي ،الأنصاري[1] ، قال : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الفضل ابن أحمد بن محمد بن أحمد الصاعدي ،الفراوي[2] ، وأخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي[3] في كتابه ،قال : أخبرنا الفراوي ،أخبرنا عبد الغفار بن محمد الفارسي[4] ، أخبرنا محمد بن عيسى[5] ، أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان[6] أخبرنا مسلم بن الحجاج ،حدثنا عمرو الناقد ،حدثنا سفيان ،عن محمد بن المنكدر ،سمع جابر بن عبد الله يقول : مرضت ،فأتاني رسول الله وأبو بكر يعودانني ماشيين ،فأغمي علي (١٩٨/ب) فتوضأ ثم صب علي من وضوئه فأفقت

---

(١) هو ابن الحرستاني ، تقدم .

(٢)-(٣) تقدم

(٤) عبد الغافر بن محمد الفارسي ،أبو الحسن النيسابوري ،الشيخ الامام الثقة المعمر الصالح ،حدث عن الجلودي بصحيح مسلم، توفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩) وشذرات الذهب (٣/ ٢٧٧) .

(٥) الامام الزاهد القدوة الصادق ،أبو أحمد النيسابوري الجلودي ،راوي صحيح مسلم عن ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه ،توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

المنتظم (٧/ ٩٧) ،وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠١) .

(٦) الامام القدوة الفقيه ،العلامة المحدث ،الثقة ،أبو اسحاق ، ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري ،سمع الصحيح من مسلم بفوت ،وتوفي سنة ثمان وثلاثمائة .

سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١١) ،وشذرات الذهب : (٢/ ٢٥٢) .

فقلت : يارسول الله كيف اقضى في مالي ؟ فلم يرد عليّ شيئا حتى نزلت آية الميراث : ((يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)) .[1]

هذا حديث صحيح . وقد سبق تفسير الكلالة ، واستقصينا الكلام في شرحها في موضعها[2] .

قوله : ((إن امرؤ)) مرفوع بمضمر يفسره الظاهر وقوله ((ليس له ولد)) في محل نصب على الحال . أو في محل الرفع على الصفة ، تقديره : إن هلك امرؤ غير ذي ولد .

وقال صاحب الكشاف : المراد بالولد : الابن ، لأن الأخت تسقط به ، ولا تسقط بالبنت[3] ، وتابعه على ذلك صاحب التقشير في التفسير[4] ، وأبو السعادات ابن الأثير[5] في تفسيره الذي سماه الانصاف ، وضمن فيه الجمع بين الكشف

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفرائض (٤ / ١٢٣٤) .

(٢) تقدم ص (٤٢٢) .

(٣) الكشاف (١ / ٣١٩) .

(٤) لم أعرف هذا التفسير ولا مؤلفه .

(٥) المبارك بن محمد الجزري ، الموصلي ، مجد الدين الشيباني المعروف بابن الأثير ، عالم فاضل له معرفة تامة بالأدب ، توفي سنة ست وستمائة . ألف كتاب جامع الأصول ، والنهاية في غريب الحديث .
سير أعلام النبلاء (٢١ / ٤٨٨) ، وانباه الرواة (٣ / ٢٥٧) ، وبغية الوعاة (٢ / ٢٧٤) .
وكتابه الذي ذكره المؤلف هو " الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف " جمع فيه بين تفسير الثعلبي : الكشف والبيان . وبين كشاف الزمخشري . قال ياقوت في معجم الأدباء (١٧ / ٧٦) : في أربع مجلدات . اهـ
قلت : منه نسخة في مكتبة داماد إبراهيم باشا باسطنبول برقم (١٦٠) .

والكشاف ، ولم يُنَبها على فساد هذا الكلام ، ولم يقفا على موضع الخطأ فيه ووجه فساده : أن الآية اقتضت فرض النصف للأخت من الأبوين ، أو الأب ، وهذا انما يكون عند عدم الولد مطلقا كما ذكر الله ، لأنها تسقط بالابن ، وترث مع البنت بالتعصيب ، لا بالفرض .

والمراد : ليس له ولد ولا والد ، لأن هذا تبيين للكلالة ، وقد ذكرنا فيما مضى أن الكلالة : من لا والد له ، ولا ولد .

((وهو يرثها)) أى (١٩٩/أ) يستغرق ميراثها ((ان لم يكن لها ولد)) يريد : ان لم يكن لها ولد ذكر أو والد ، فإن كان لها بنت أو بنت ابن فله ما تبقى بعد الفرض بالتعصيب .

((فإن كانتا اثنتين)) أنث وثنى لتأنيث الخبر وتثنيته ، والقول في جمع ((وان كانوا)) كالقول في تثنية ((وان كانتا)) .

قوله : ((يبين الله لكم أن تضلوا)) أى كراهة أن تضلوا ، أو أن لا تضلوا ، فأضمرت " لا " أو لئلا تضلوا .

((والله بكل شيء عليم - ١٧٦)) فهو يعلم مقادير الانصباء . وما فرض للأقرباء .

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق ، سنة ست وستمائة ، وأبو الحسن الصوفي بقراءتي عليه برأس عين[1] ، قالا : أخبرنا أبو الوقت ، أخبرنا أبو الحسن الداودى ، أخبرنا ابن حمويه ، أخبرنا محمد ابن يوسف ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا

---

(١) تقدم التعريف بها ص (٢٠) .

شعبة ، عن أبي إسحاق ،قال : سمعت البراء يقول : آخر سورة نزلت بـــراءة وآخر آية نزلت ((يستفتونك [1])) وأخرجه أيضا مسلم [2] عن بُنْدَار عن غُنْـدَر عـــن شعبه ،وقد سبق لهذا الحديث إسناد آخر في مقدمة الكتاب .

آخر المجلد الثاني بخط الفقير الى رحمة ربه أبى نصر بن عثمـــان الموصلى غفر الله له ،ولوالديه ولجميع المسلمين آمين [3] .

وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة . ويتلوه في السفر الثالث سورة المائدة .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـــــــه الأكرمين وسلم .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦ / ٦٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفرائض (٣ / ١٢٣٦) .

(٣) كتب في هامش الأصل : بلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقـــي المجلس الحادى والعشرين وبلغ محمد بن أحمد قراءة بمسجد الرقي المجلس الثالث والأربعين مرة ثانية ثم كتب : أنهاه مصنفه نظـــرا وتصحيحا ثم قوبل بالأصل .
نقله وما قبله محمد بن اسماعيل بن الدنيسرى حامدا الله ومصليـــا على نبيه .

الفهارس

فهرس الآيات

" فهرس الآيات المستشهد بهـــا مرتبـــا على سور القـــرآن "

الآيـــة	رقمهـــا	الصفحـــــة
((سورة البقـــرة))		
(وعلم آدم الأسماء كلها)	٣٢	١٠٧
(ضربت عليهم الذلة والمسكنة)	٦١	٢٢٤
(فويل لهم مما كتبت أيديهم)	٧٩	٤١٢
(لن تمسنا النار الا أياما معدودة)	٨٠	٩٩
(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)	١٠٢	١٤٣
(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى)	١١١	٦٣٨
(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت)	١٢٧	١٩٥
(فمن خاف من موصى جنفا)	١٨٢	١٣٦
(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام)	١٨٤	٥٦٤
(فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية)	١٩٦	٥٦٤
(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا)	٢٤٥	٣٥٧
(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)	٢٦٧	٢١٠
(الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء)	٢٦٨	٢٧١
((سورة آل عمران))		
(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم)	٨١	٣٦٥
(والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله)	١٣٥	٦٢٠
(لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)	١٥٦	٥٦١
((سورة النســـاء))		
(وان خفتم أن لا يقسطوا فى اليتامى فانكحوا)	٣	٣٩٤

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـة
(الا أن يأتين بفاحشة مبينة)	١٩	٢٧١
(ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات)	٢٥	٣٩٨
(ان الله لا يغفر أن يشرك به)	٤٨	٥٩٣
(أفلا يتدبرون القرآن)	٨٣	٤
(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات)	١٦١	١٩١
(ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم . . .)	١٦٩	٢٦٠
((سورة المائدة))		
(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)	٣	٤٥٠
(يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم)	٦	١٣٤ ، ٥١٤
(نحن ابناء الله واحباؤه)	١٨	٩٩
(فهل أنتم منتهون)	٩١	٩٦
(فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى)	١١٠	١٣٠
((سورة الأنعام))		
(أو من كان ميتا)	٢٢	١٠١
(ولا طائر يطير بجناحية الا أمم أمثالكم)	٣٨	٤١٢
(وهو الذى يتوفاكم بالليل)	٦٠	١٣٨
(واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا)	٦٨	٦٥٤
(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين)	٧٥	١٨٤
(وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر)	١٤٦	١٩٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
((سورة الأعـــراف))		
(ولا تجد أكثرهم شاكرين)	١٧	٦٣٦
(الحمد لله الذى هدانا لهذا)	٤٣	٣٧٤
(فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه)	١٣١	٥٦٢
(وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا)	١٤٦	٢٠٣
((سورة الأنفال))		
(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم)	٩	٢٤٥
(فاضربوا فوق الأعناق)	١٢	٤١٦
(ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة)	٥٠	٦٠٣
(وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل)	٧١	١٣٨
(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)	٧٥	٤٨٣
((سورة التوبة))		
(اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)	٣١	١٤٨
(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها)	٣٤	٦٢٣
(قل أنفقوا طوعا أو كرها)	٥٣	٤٤٢
(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم)	١٠٣	٦٠٩
((سورة يونس))		
(على خوف من فرعون وملائه أن يفتنهم)	٨٣	٦٠٩
((سورة هود))		
(إنى أعظك أن تكون من الجاهلين)	٤٦	١٠٨
(وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل)	١١٤	٢٦٩

الآيــة	رقمهــا	الصفحــة
((سورة الحجر))		
(فاذا سويته ونفخت فيه من روحى)	٢٩	٦٧٦
(أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبما تبشرون)	٥٤	١١٩
((سورة النحل))		
(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)	٧٨	٤٢٠
(زدناهم عذابا فوق العذاب)	٨٨	١٤٧
(وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء)	٨٩	٦٥
((سورة الاسراء))		
(وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا)	١٥	٦٧٣
(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة)	٣٢	٢٧١
(لأحتنكن ذريته الا قليلا)	٦٢	٦٣٦
(وقل رب أدخلنى مدخل صدق)	٨٠	٤٧٩
((سورة مريم))		
(فهب لى من لدنك)	٥	١١٨
(آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا)	١١	١٢٣
(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)	٦٢	٥٣١
(وان منكم الا واردها)	٧١	٦٦٦
((سورة طه))		
(قالوا ان هذان لساحران)	٦٣	٤٣١
(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا)	١٢٣	٦٥

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـــة
((سورة الأنبياء))		
(فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون))	٧	٤٨١
(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهـــم الخالدون)	٣٤	٥٦٣
(ونصرناه من القوم الذين كذبوا)	٧٧	٥١٨
(فظن أن لن نقدر عليه)	٨٧	٥٦٣
(لا يحزنهم الفزع الأكبر)	١٠٣	٣٤٩
((سورة الحج))		
(هذان خصمان اختصموا فى ربهم)	١٩	٤٣١
(ليد خلنهم مد خلا يرضونه)	٥٩	٤٧٩
((سورة النور))		
(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد)	٢	٤٣٦
(ولولا فضل الله عليكم ورحمته)	١٠	٥٦٤
(ان الذين يرمون المحصنات)	٢٣	٤٦٠
(فمنهم من يمشى على بطنه)	٤٥	٣٩٣
(واذا بلغ الأطفال منكم الحلم)	٥٩	٤٠١
((سورة الفرقان))		
(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون)	٤٤	٣٥١
((سورة الشعراء))		
(وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين علـــى قلبك لتكون من المنذرين)	١٩٣، ١٩٤	٤
(كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم)	٧	٤٨٠

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـة
(وتلك نعمة تمنها على)	٢٢	٥٦٣
(ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون)	٢٧	٦٦٣
(وتتخذ ون مصانع لعلكم تخلد ون)	٢٢٩	٢٦٠
((سورة القصص))		
(انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين)	٢٧	٤٣١
(آنس من جانب الطور نارا)	٢٩	٤٠٠
(فذانك برهانان من ربك)	٣٢	٤٣١
(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا)	٥٩	٤٢٠
(فخسفنا به وبداره الأرض)	٨١	٣٨٦
((سورة العنكبوت))		
(انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد)	٢٨	٢٧١
((سورة الروم))		
(لا تبديل لخلق الله)	٣٠	٦٣٥
((سورة السجدة))		
(يدبر الأمر من السماء الى الأرض)	٥	٦١٧
(قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم)	١١	٣٦٠
((سورة الأحزاب))		
(ان المسلمين والمسلمات)	٣٥	٤٨٠
(يا أيها الذين آمنوا اذا نحكتم المؤمنات ثم طلقتموهن)	٤٩	٤٤٧
(ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا)	٦٥	٢٦٠

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـــة
((سورة سبأ))		
(يعملون له ما يشاء من محاريب)	١٣	١١٦
(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه)	٢٠	٦٣٦
(بل مكر الليل والنهار)	٣٣	٤٨٨
((سورة فاطر))		
(جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع)	١	٣٩٤
(اليه يصعد الكلم الطيب)	١٠	٦١٧
((سورة يس))		
(والأرض الميتة أحييناها)	٣٣	١٠١
((سورة الصافات))		
(فلولا أنه كان من المسبحين)	١٤٣	٢٣٤
((سورة ص))		
(كتاب أنزلناه اليك مبارك)	٢٩	٤
((سورة الزمر))		
(انك ميت وأنهم ميتون)	٣٠	١٠١
(ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا ومثله معه)	٤٧	١٨٤
(قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا)	٥٣	٥٢١
((سورة غافر))		
(فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده)	٨٤	١٧٩
((سورة فصلت))		
(ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس)	٢٩	٤٣١

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـــة
((سورة الشورى))		
(ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها)	٢٠	١٦٦
((سورة الزخرف))		
(فأنشرنا به بلدة ميتا)	١١	١٠١
(وانه لذكر لك ولقومك)	٤٤	٣٢٦
(واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا)	٤٥	٤٨١
((سورة الأحقاف))		
(وقال الذين كفروا لو كان خيرا ماسبقونا اليه)	١١	٣١١
(حملته أمه كرها ووضعته كرها)	١٥	٤٤٢
((سورة محمد))		
(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها)	٢٤	٤
((سورة الحجرات))		
(وان طائفتان من المؤمنين .... وأقسطوا ان الله يحب المقسطين)	٩	٢٣٩
(ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)	١٢	١٠١، ١٠٢، ٢١٠
((سورة الذاريات))		
(وفى السماء رزقكم وما توعدون)	٢٢	٢٦٤
((سورة النجم))		
(ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى)	١٥	٢٦٤
((سورة القمر))		
(ولقد يسرنا القرآن للذكر)	١٧	٤

الآيـــة	رقمهـا	الصفحـة
((سورة الحديد))		
(سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة)	٢١	٢٦٣
(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)	٢٤	٤٩٥
(لئلا يعلم أهل الكتاب)	٢٩	٣٠٦
((سورة الممتحنة))		
(لا هن حل لهم)	١٠	١٨٨
((سورة الصف))		
(فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)	٦	٤٠٤
((سورة التغابن))		
(فاتقوا الله ما استطعتم)	١٦	٢٠٨
((سورة الملك))		
(أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض)	١٦	٦١٧
((سورة الجن))		
(وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)	١٥	٣٩٢
(ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم)	٢٣	٢٦٠
(فلا يظهر على غيبه أحدا الا)	٢٧	٣٥٣
((سورة المطففين))		
(كلا ان كتاب الفجار لفى سجين)	٧	٢٦٤
((سورة الشمس))		
(والسماء وما بناها)	٥	٣٩٣
((سورة الزلزلة))		
(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)	٧	٢٦٥

فهرس الأحاديث

" فهرس الأحاديث النبوية "
مرتبا على حروف المعجم

الحديث	الصفحة
اثنا عشر ألف أوقية ، يعنى القنطار	٨٩
اجتنبوا السبع الموبقات	٤٧٥
احفظ الله يحفظك	٢٣٤
اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى	٤٩٦
اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس	٢٦٢
اذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل	٣٤٦
اذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه	٣٢٣
ارواحهم فى جوف طير خضر	٣٣٣
استوصوا بالنساء خيرا	٣٨٤
اسق يازبير ثم أرسل الماء	٥٤٩
أشفعوا تؤجروا	٥٧٢
اطلقت نساءك قال : لا	٥٦٨
اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر	٥٣٦
اقرأ على من سورة النساء	٥٠٣
ألا اخبركم بخير من ذلكم	٢٧١
ألا أدلك على صدقة هى خير لك	٦٢٦
ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا	٣٨١
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	٤٧٦
ألا لا توطأ حامل حتى تضع	٤٥٩
ألا من ولى عليه وال	٥٣٤

الحديث	الصفحة
ألك بنت ؟ قلت لا	١٦٩
اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام	٢٥٦
اللهم العن فلانا وفلانا	٢٥٦
اللهم هذا فعلى فيما أملك	٦٤٦
ألف ومائتا أوقية ، يعنى القنطار	٨٩
الى أقربهما منك بابا	٤٩٢
أما ان الله قد قبلها منك	١٨٧
أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى	٣٨٩
الأنصار شعر ولناس دثار	٢٢٩
الأنصار كرشى وعيبتى	٢٢٩
ان ابليس قال لربه عز وجل	٦٢٢
ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا	٢٨٦
أن رجلا اذنب ذنبا	٢٧٤
ان الله كره لكم ثلاثا	٢١١
ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة	٥٠٢
ان المقسطين عند الله على منابر من نور	٥٣٣
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه	١٠٢
ان فى الجنة مائة درجة	٦٠٢
انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	٢٢٠
انه طيبة تنفى الخبث	٥٧٥
أيما رجل أصدق امرأة صداقا	٤٤٧
بخ ذلك مال رابح	١٨٦

الحديث	الصفحة
بعثت الى الأحمر والأسود	٥٦٥
بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة	٤٧٨
تعلموا القرآن وعلموه للناس	٥
تقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه	٤٤٠
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	١٧٠
ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله	٦٣٤
جاء راهبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٢
جنبوا مساجدكم الصبيان	٥٠٦
خذوا عنى خذوا عنى	٤٣٥
خذ من كل حالم دينارا	٤٠١
الخوارج كلاب أهل النار	٢١٨
خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٥
خير نسائها مريم بنت عمران	١٢٥
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك	٤٨٥
دعا رسول الله عليا وفاطمة	١٤٥
دعا رسول الله وفد نجران الى المباهلة	١٤٥
رأيت قصورا مشرفة على الجنة	٢٦٨
رأيت ليلة أسرى بى	٤١٢
الزاد والراحلة	٢٠٠
الزبير بن عمتى وحوارى من أمتى	١٣٥
سوموا فان الملائكة قد سومت	٢٤٧
صدقة تصدق الله بها عليكم	٦٠٧

الحـــديث	الصفحـة
الصلاة وما ملكت ايمانكم	٤٩٣
صلوا على صاحبكم	٣٢٤
ضرس الكفار مثل أحد	٥٣٠
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٢١٨
طلق احداهما	١٧٢
عجب الله من قوم يد خلون الجنة فى السلاسل	٢٢٣
العز ازارى والكبر ردائى	٤٩٣
فليمت ان شاء يهوديا	٢٠٢، ٤٧٨
فوالذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب	٥٥٢
فيقال : انطلق فأخرج من النار من كان فى قلبه مثقال شعيرة من ايمـــان	٣٤٤
فيها مالا عين رأت	٥٣١
قاربوا وسددوا	٦٣٩
قال : المسجد الحرام	١٩٤
قال : فى الجنة	٢٨٠
قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا	٩٦
كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب	١٢١
كل معروف صدقة	٦٢٦
كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم	١٧٩
كلكم بنوآدم طف الصاع	٤٦٧
كمل من الرجال كثير	١٢٥
كيف أصبحت ياحارث	٣٣٧

الحـــديث	الصفحـة
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	٢٥٥
لعن المتشبهات بالرجال	٦٣٦
لعن الله الواشمات	٦٣٥
لكل نبى ولاة من النبيين	١٥٨
للشهيد عند الله ست خصال	٣٣٥
لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله	٣٣٤
لما كانت الليلة التى أسرى بى	١٢٨
لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة	٣٢٨،
لموضع سوط أحدكم فى الجنة	٣٦١
لو آمن بى عشرة من اليهود	٢٢٣
ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس	٦٢٧
ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ	٢٦٧
ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا	٢٦٧
مازال جبريل يوصينى بالجار	٤٩٢
ما من عبد قال لا اله الا الله	٥٢٢
ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ	٦٢٠
ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان	١١١
مثل المنافق مثل الشاة العائرة	٦٥٧
مثل الواقع فى حدود الله والمداهن فيها	٢١٤
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته	٣٥٤
من أطاع الأمير فقد أطاعنى	١٠٧، ٥٣٤
من أطاعنى فقد أطاع الله	١٠٧

الحـــديث	الصفحـة
من اقتطع حق امرئ مسلم	١٦٩
من حالت شفاعته دون حد من حدود الله	٥٧٣
من دل على خير فله مثل أجر فاعله	٦٢٥
من طاف بالبيت لم يرفع قدما	١٩٦
من فارق الروح الجسد وهو برئ من ثلاث	٣٢٢
من قال أشهد أن لا اله الا الله	٦٧٧
من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار	٧
من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	٧
من كان له امرأتان يميل الى أحدهما	٦٤٧
من كظم غيظا وهو قادر على أينفذه	٢٦٦
من محمد رسول الله الى عظيم الروم	١٤٨
هو أن يطاع فلا يعصى	٢٠٦
هى تسع ، يعنى الكبائر	٤٧٦
لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير	٣٢١
لا تحرم المصة ولا المصتان	٤٥٣
لا تحلفوا بآبائهم	٣٨٦
لا تفرقا من مال أوس شيئا	٤٠٨
لا يجمع بين المرأة وخالتها	٤٦٢
لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى	٢١٢
لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء	٤٩٤
يا أبا ذر اذا طبخت قدرا اكثر المرقة	٤٩٢
يا جابر مالى أراك منكسرا	٣٣٣

الحـــديث	الصفحـة
يارب علمنى شيئا أدعوك به	٩٤
ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب	٤٧٣
يامعاذ هل تدرى ما حق الله على عباده	٤٩٠
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٤٥٢
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد	٦٣٤
يعظم أهل النار	٥٣٠
يقال للكفار يوم القيامة أرأيت لوكان لك	١٨٥
يكفيك الوجه والكفان	٥١٥

فهرس الأعلام

" فهرس الأعـــــلام "
مرتبا على حـروف المعجـــم

العـــلم	الصفحـة
ابراهيم بن خالد الكلبى أبو ثور	٤٠٤
ابراهيم بن خريم الشاشى	٦٠١
ابراهيم بن عبد الرزاق الرسعنى	٢٣
ابراهيم بن عبد الواحد المقدسى " العماد "	٣٦
أبو المجد بن الحسين بن بهرام القزوينى	٣٣
أحمد بن اسحاق الأبرقوهى	٤٠
أحمد بن جعفر القطيعى	١٥٧
أحمد بن الحسن الحيرى	٢١٣
أحمد بن عبد الله السلمى أبو القاسم العطار	٣٣
أحمد بن عبيد الله السلمى بن كادش	٣١٦
أحمد بن فارس بن زكريا	١٨٤
أحمد بن محمد البزى	٢١٠
أحمد بن محمد البرقانى	٥٩٧
أحمد بن محمد الصائغ	٤٥٣
أحمد بن محمد بن عمارة الليثى	٢٥٤
أحمد بن محمد بن النقور	٣٣٦
أحمد بن محمد النيسابورى أبو اسحاق الثعلبى	٥٣٥
اسحاق بن ابراهيم الحنظلى	٤٠٤
اسحاق بن يوسف الأزرق	٢١٨
اسماعيل بن أحمد السمرقندى	٣٣٦

العـــلم	الصفحـة
أمرؤ القيس بن حجر الكندى الشاعر	١٦٣
أمة الرحمن بنت عبد الرزاق الرسعنى	٢٤
أوس بن عبد الله الربعى أبو الجوزاء	٣٠٤
بشر بن أبيرق	٦١٣
بشر بن بكر التنيسى	٦٧٧
بشير بن أبيرق	٦١٣
تمام بن محمد الرازى	٢٥٤
ثابت بن موسى الضبى العابد	٥٣٩
جابر بن محمد بن قاسم الوادى آشى	٤٠
جعفر بن أحمد السراج	٦١٩
جعفر بن يحيى البرمكى	٤٩٦
الجنيد بن محمد الخزاز	١١٧
الحارث بن سويد الأنصارى	١٨٠
الحارث بن هشام المخزومى	٥٨٢
الحارث بن يزيد بن أبى أنيسه	٥٨٢
حجاج بن نصير الفساطيطى	٦٢٠
الحسن بن أحمد الفارسى	٣٩٩
الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمى ـ سجاده	٢١٧
حطان بن عبد الله الرقاشى	٤٣٥
حمد بن محمد أبو سليمان الخطابى البستى	٣٤٦
حمزه بن حبيب الزيات	١٦٦
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى	٦٢٧

العلم	الصفحة
حنبل بن اسحاق الشيبانى	٤٥٣
حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافى	٣٤
خالد بن صفوان المنقرى	٥٤٥
الخضر بن كامل الدمشقى	٣٣
خلف بن هشام الأسدى	١٩٨
خيثمة بن سليمان القرشى	٥٣٩
داود بن على الظاهرى	١٢١
الربيع بن خثيم الثورى	١٨٧
الربيع بن سليمان المرادى	٤٣٤
الربيع بن صبيح السعدى	٦٢٨
رفيع بن مهران الرياحى	٤٤١
زبان بن العلاء التميمى	١٥٠
زفر بن الهذيل العنبرى	٤٠٥
زهير بن أبى سلمة المزنى	١٤٧
زياد بن معاذ الذبيانى ـ النابغة	٥٢٥
زيد بن الحسن الكندى	٣١
زينب بنت الكمال المقدسية	٤٠
سعيد بن مسعدة المجاشعى ـ الأخفش الأوسط	٣٩٨
السموأل بن عاديا الأزدى	٥٧٣
سلاقة بنت سعد	٦١٤
سهيل بن هارون	٢٧٧
سيار الأموى الدمشقى	٢١٩

العـــلم	الصفحـة
شمر بن أبى عبلة العقيلى	٣٩٣
شهدة بنت أحمد الدينورى الكاتبه	٥٩٧
شهر بن حوشب الأشعرى	٦٦٦
طاهر بن محمد المقدسى	٤٣٣
الطرماح بن حكيم الطائى	١٠٦
طعمة بن أبيرق الأنصارى	٦٧
ظالم بن عمرو الدؤلى ابو الأسود	٥٣٤
عاصم بن بهدلة الأسدى	١٧٥
العباس بن محمد الطوسى العصارى	٥٣٥
عبد الأول بن عيسى السجزى	٢٢١
عبد الرحمن بن اسماعيل بن كلال — وضاح اليمن	١١٦
عبد الرحمن بن عبد الله المكى بن أبى عمارة	٦٠٧
عبد الرحمن بن عثمان التيمى	٥٣٩
عبد الرحمن بن غنم الأشعرى	١٥١
عبد الرحمن بن محمد الداودى	٢٢٢
عبد الرحمن بن محمد القزاز	٢١٧
عبد الصمد بن ابراهيم بن خليل الحصرى	٧٠
عبد الصمد بن أحمد بن أبى الجيش	٧٥
عبد الصمد بن محمد الأنصارى الحرستانى	٣١
عبد العزيز بن أحمد التميمى الكتانى	٢٥٤
عبد العزيز بن معالى بن هنينا البغدادى	٣٢
عبد الكريم بن حمزة السلمى الحداد	٢٥٤

العـــلم	الصفحـة
عبد الله بن ابراهيم بن ماسى	٦١٩
عبد الله بن أحمد بن حمويه	٢٢٢
عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى	٢٩
عبد الله بن أحمد الداهرى	٣٢
عبد الله بن الحسين العكبرى	٣٠
عبد الله بن عامر اليحصبى	١٧٤
عبد الله بن قيس القرشى ابن الرقيات	١٨١
عبد الله بن محمد الأنصارى أبو اسماعيل الهروى	٤٠٥،
عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الأصبهانى	٣١٥
عبد الله بن محمد القرشى — ابن أبى الدنيا	٣٣٦
عبد الله بن مسلم بن قتيبة	٣٨٩
عبد المؤمن بن خلف الدمياطى	٣٨
عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد	٦٠٧
عبد المطلب بن الفضل الهاشمى	٣٣
عبد الملك بن قريب الأصمعى	٤٩٦
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التنورى	٢٨٣
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى	٤٣٤
عبد الله بن عمر بن شاهين	٦١٩
عبيدة بن عمرو السلمانى	٤٠٩
عتاب بن أسيد الأموى	٥٥٨
عثمان بن مقبل الياسرى	٣٦، ٣٧٨
على بن أبى بكر بن روزبه البغدادى	٣٤

العلم	الصفحة
على بن أحمد الواحدى	٨٩
على بن عيسى الاربلى	٣٦
على بن محمد الماوردى	٢٤٦
على بن محمد البندنجى	٤١
على بن وهب بن مطيع القشيرى	٣٩
عماره بن عقبة القرشى	١٥٢
عمر بن الحسين الخرقى	٤١٩
عمر بن كرم بن على الدينورى	٣٣
عمر بن محمد الزيات	٢١٧
عمران بن ملحان العطاردى ـ أبو رجاء	٤٢٨
عمرو بن مرزوق الباهلى	٥٩٨
عمرو بن ميمون الأودى	٥٢٨
عمير بن شييم التغلبى القطامى	١١٣
عياش بن أربى ربيعة القرشى	٥٨١
الفضيل بن عياض	٤٧٤
القاسم بن الفضل الثقفى	٦٧٦
القاسم بن محمد الأنبارى	٣١٧
قتادة بن دعامة السدوسى	٣٩٠
قتادة بن النعمان الأنصارى	٦١٣
قيس بن عبد الله العامرى ـ النابغة الجعدى	٤٦٥
كعب الأحبار	٣٨٤
ليلى بنت الأخيل الأخيلية	١٢٢

العـــلم	الصفحـة
مالك بن دينار البصرى	٦٢٨
المبارك بن أبى بكر بن حمدان الموصلى ـ ابن الشعار	٣٦، ٣٩
مبارك بن اسماعيل الحرانى	٣٦
المبارك بن محمد الجزرى	٦٨١
مبشر بن ابيرق	٦١٣
المؤيد بن محمد الطوسى	٣٥
محمد بن ابراهيم الصالحانى أبو ذر	٣١٥
محمد بن أحمد الأزهرى	٢٤، ٥
محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى	٥٩٧
محمد بن اسحاق بن يسار	٣٨٤
محمد بن أسعد الطوسى	٢١٣
محمد بن اسماعيل الوراق أبو بكر	٥٤١
محمد بن أيوب بن الضريس	٥٩٨
محمد بن الحسن بن دريد الازدى	٨٩
محمد بن الحسين القزوينى	٢١٣
محمد بن الحسين الفراء	١٨٥
محمد بن داود الدربندى	٣٥
محمد بن زياد بن الأعرابى	١٧٢
محمد بن سعيد بن الخازن	٣٥
محمد بن عبد الرزاق الرسعنى	٣٨
محمد بن عبد الله بن الحسن بن أخى ميمى	٣٣٦
محمد بن عبد الله السعدى أبو سليمان الدمشقى	١٢٦

العـــلم	الصفحـة
محمد بن على القشير ــ ابن د قيق العيد	٣٩
محمد بن على بن المبارك بن الجلاجلى	٣٢
محمد بن على بن محمود الصابونى	٣٨
محمد بن القاسم الأنبارى أبو بكر النحوى	١٠٦
محمد بن محمود البغدادى المقرى	٧٦
محمد بن المستنير قطرب	١٩٦
محمد بن يزيد المبرد	١٧٣
محمد بن يعقوب الأصم	٤٣٤
محمد بن يوسف القربرى	٢٢٢
محمود بن على الد قوقى	٧٥
مرد اس بن عمرو الفدكى	٥٩٤
مروان بن الحكم الأموى	٣٦٧
مسلم بن خالد المخزومى	٦٠٧
المعافى بن زكريا بن يحيى النهروانى الجريرى	٣١٧
معمر بن المثنى التيمى	٢٠٤
المفضل بن سلمة الضبى	١١٤
مقاتل بن سليمان الا زدى	٣٩٠
مقسم بن بجرة	٥٩٩
مقيس بن صبابة الكنانى	٥٨٧
مكى بن منصور الكرجى	٤٣٣
موسى بن على بن وهب القشيرى	٣٩
ميمون بن قيس البكرى الأعشى	١١٩

العـــلم	الصفحـة
نافع بن عبد الرحمن القارى	١٥٠
نصر بن عبد الرزاق الجيلى	٣٤
النمر بن تولب العكلى	٥٦٤
هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى	١٥٧
هشام بن عمار السلمى أبو الوليد الدمشقى	٣٦٠
همام بن غالب التميمى ـ الفرزدق	٤٢٥
وهب بن منبه اليمانى	٣٨٤
يحيى بن أسعد بن بوش البغدادى	٤١٦
يحيى بن معاذ الرازى	٥٠٧
يحيى بن وثاب الأسدى	١٦٨
يزيد بن مغرغ الحميرى	٥٥٦
يعقوب بن اسحاق بن السكيت	٥٢٤
يعلى بن عبيد الكوفى	٢١٤
يوسف بن عبد الله النمرى	٦١٥
يوسف بن محمد بن مسعد العبادى	٧٦
يونس بن بكير الشيبانى	١٥١
يونس بن حبيب البصرى	٥٨٢
يونس بن عبيد العبدى	٤٣٤

" الكنى والألقاب والأنســاب "

العـــــلم

ابن أبى الدنيا = عبد الله بن محمد

ابن أبى عبلة = شمر بن يقظان

بن أبى نجيح = عبد الله

ابن الأثير = المبارك بن محمد

ابن الجوزى = عبد الرحمن بن على

بن راهوية = اسحاق بن ابراهيم الحنظلى

ابن السكيت = يعقوب بن اسحاق

ابن السميفع = محمد بن عبد الرحمن

ابن الشعار = المبارك بن أبى بكر

ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله

ابن فارس = أحمد بن فارس

ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم

ابن كادش = أحمد بن عبيد الله

ابن المبارك = عبد الله

أبو الأسود = ظالم بن عمرو

أبو ثور = ابراهيم بن خالد

أبو الجوزاء = أوس بن عبد الله

أبو حاتم السجستانى = سهل بن محمد

أبو رجاء العطاردى = عمران بن ملحان

أبو الشعثاء = جابر بن زيد

أبو صالح = ذكوان

العـــلم	الصفحـة
أبو العاليه = رفيع بن مهران	
أبو عبيدة = معمر بن المثنى	
أبو على الفارسى = الحسن بن أحمد	
أبو عمرو بن العلاء = زبان	
أبو عياش الزرقى	٦٠٦
أبو قتادة = الحارث بن ربعى	
أبو وائل = شقيق بن سلمة	
أبو واقد = الحارث بن مالك	
أبو يعلى = محمد بن الحسين	
أبو يوسف = يعقوب بن ابراهيم	
الأبرقوهى = أحمد بن اسحاق	
الأخفش = سعيد بن مسعدة	
الأصم = محمد بن يعقوب	
الأصمعى = عبد الملك بن قريب	
الأعشى = ميمون بن قيس	
أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط	٦٢٧
الأوزاعى = عبد الرحمن بن عمرو	
البرقانى = أحمد بن محمد	
البزى = أحمد بن محمد	
ثعلب = أحمد بن يحيى	
الثعلبى = أحمد بن محمد	
الثورى = سفيان بن سعيد	

العـــلم

الجحدرى = عاصم بن أبى الصباح

الحطيئة = جرول بن أوس

الحرستانى = عبد الصمد بن محمد

الخرقى = عمرو بن الحسين

الخطابى = حمد بن محمد

الداهرى = عبد الله بن أحمد

الرسعنى = ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن عبد الرزاق

الزجاج = ابراهيم بن السرى

الزهرى = محمد بن مسلم

سجاده = الحسن بن حماد

السدى = اسماعيل بن عبد الرحمن

الشاشى = ابراهيم بن خريم

الشعبى = عامر بن شراحيل

الصادق = جعفر بن محمد

الطبرى = محمد بن جرير

العطار = أحمد بن عبد الله

العكبرى = عبد الله بن الحسين

العماد = ابراهيم بن عبد الواحد المقدسى

الفرزدق = همام بن غالب

قطرب = محمد بن المستنير

القطيعى = أحمد بن جعفر

الماوردى = على بن محمد

العـــلم

المبرد = محمد بن يزيد

النابغة الجعدى = قيس بن عبد الله

النابغة الذبيانى = زياد بن معاد

النخعى = ابراهيم بن يزيد

الواحدى = على بن أحمد

الوادى آشى = جابر بن محمد

فهرس الأبيات

" فهرس الأبيـــــــات "
مرتبة على القوافـــــى

البيت	الرقم/ الصفحة
١ــ ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الأحياء	١ ١٠٢
٢ــ كيف نومى على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء	٢٦ ١٨١
٣ــ تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن حذام المليحة الحسناء	٢٧ ١٨١
٤ــ وقد أغدو على ثبة كـــــرام * نشاوى واجدين لما نشاء	٨٧ ٥٥٤
٥ــ أرونى خطة لاضيم فيهـــا * يسوى بيننا فيها السواء	١٨ ١٤٨
٦ــ فان نزل السواء فليس بينى * وبينكم بنى حصن بقـاء	١٩ ١٤٨
٧ــ جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب فى المحراب	٩ ١١٦
٨ــ ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب	٦٧ ٤٤٤
٩ــ ومن يتبع جاهد كل عثرة يجدها * ولا يسلم له الدهر صاحب	٦٨ ٤٤٤
١٠ــ وكأن ترى يسعى من الناس جاهدا * على ابن غدا منه شجاع وعقرب	٤٦ ٢٩٧
١١ــ فصاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب	٧٧ ٤٩٧
١٢ــ بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب	٨٦ ٤٥٤
١٣ــ نسب تتابع كابر عن كابـــر * كالرمح أنبوبا على أنبـوب	٦٣ ٤٢٤
١٤ــ فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والأيام من عجب	٦١ ٣٨٥
١٥ــ وذى ضغن كففت النفس عنـــه * وكنت على اساءته مقيتا	٩١ ٥٧٣
١٦ــ وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش اكدح	٨١ ٥١٧
١٧ــ وكائن رأينا من غنى مذ مسم * وصعلوك قوم مات وهو حميد	٤٤ ٢٩٧
١٨ــ وأنى وان أوعدته أو وعدتـه * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى	٩٧ ٥٩٤
١٩ــ أنا ابن الذى سألت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد	٤١ ٢٩١

البيت			الرقم/الصفحة
٢٠ــ فعادت كما كانت لأحسن حالها	*	فيأحسن ماعين وياحسن ماید	٤٢ ٢٩١
٢١ــ وشق له من اسمه ليجلـــه	*	فذوا العرش محمود وهذا محمد	٤٣ ١٩٢
٢٢ــ اردت لكيما يعلم الناس أنها	*	سراويل قريس والوفود شهود	٧٥ ٤٧٠
٢٣ــ نسب كان عليه من شمس الضحى	*	نورا ومن فلق الصبح عمودا	٥٥ ٣٢٦
٢٤ــ على كل حال كن منفقـــا	*	أخا عسرة كنت أو موســرا	٣٦ ٢٦٦
٢٥ــ فلا المال تملكه مقبـــلا	*	ولا المال تملكه مدبـــرا	٣٧ ٢٦٦
٢٦ــ كأن القرنفل والزنجبيـــل	*	باتا بغيبها واريا مشـــارا	٥٣ ٣١٤
٢٧ــ فقلت له لا تبك عينك انمـــا	*	نحاول ملكا أو نموت فنعذرا	٢٢ ١٦٣
٢٨ــ أكل مرء تحسبين امـــرأ	*	ونار توقد بالليل نـــارا	٧٦ ٤٨٥
٢٩ــ من كان مسرورا بمقتل مالك	*	فليات مسوتنا بوجه نهـــار	٢٠ ١٦٠
٣٠ــ يجد النساء حواسرا يندبنـه	*	قد قمن قبل تبلج الاسحار	٢١ ١٦٠
٣١ــ لا يبعدن قومي الذين هم	*	سم العداة وآفة الجـــزر	١٠٢ ٦٦٩
٣٢ــ النازلين بكل معـــترك	*	الطيبون معاقد الأزر	١٠٣ ٦٦٩
٣٣ــ اتتني لسان بني عامـــر	*	احاديثها بعد قول نكـــر	٢٥ ١٦٢
٣٤ــ تعودت مس الصرحتى الفته	*	فأسلمني حسن الغزاء الى الصبر	٤٩ ٣٠٦
٣٥ــ كأن لم يكونوا حمى يتقـــى	*	اذ الناس اذ ذاك من عزبـــز	١٠١ ٦٥٣
٣٦ــ فالآن حين تعلقته حبالنـــا	*	يرجو الخلاص ولات حين مناص	٩٨ ٦٣٧
٣٧ــ وخير الأمر ماستقبلت منـــه	*	وليس بأن تتبعه اتباعـــا	٦ ١١٣
٣٨ــ فاقسم لو شيء أتانا رسولـــه	*	سواك ولكن لم نجد لك مدفعا	٩٠ ٥٦٥
٣٩ــ وخيل قد دلفت لها بخيـــل	*	تحية بينهم ضرب وجيـــع	١٠٠ ٦٥٣
٤٠ــ تعص الاله وأنت تظهر حبه	*	هذا محال في المقال بديـــع	٣ ١٠٧
٤١ــ لو كان حبك صادقا لأطعته	*	ان المحب لمن يحب مطيـــع	٤ ١٠٧

البيـــت		الرقم/	الصفحة
٤٢ــ قتلت به فهرا وحملت عقله	* سراة بنى النجار أرباب فارع	٩٤	٥٨٨
٤٣ــ وأدركت ثارى واضطجعت موسدا	* وكنت الى الأوثان أول راجع	٩٥	٥٨٨
٤٤ــ ونحن أناس يملأ البيض هامنا	* ونحن حواريون حين نزاحف	١٤	١٣٦
٤٥ــ اذا نهى السفينة جرى اليه	* وخالف والسفينه الى خـلاف	٥٨	٣٥٥
٤٦ــ أمحمد أولست ضوء نجيبـة	* فى قومها والفحل فحل معرق	٧٩	٥٠٠
٤٧ــ ماكان ضرك لو مننت فربمـا	* من الفتى وهو المغيظ المحنق	٨٠	٥٠٠
٤٨ــ وذات حليل أنكحتها رماحنا	* حلال لمن يبنى بها لم تطلـق	٧٢	٤٦١
٤٩ــ فديتك قد بجبلت على هواكـا	* فنفسى لا تنازعنى سواكـــا	١٥	١٣٧
٥٠ــ أحبك لا ببعضى بل بكلـى	* وان لم يبق حبك بى حراكا	١٦	١٣٧
٥١ــ ويقبح من سواك الفعل عندى	* وتفعله فيحسن منك ذاكـا	١٧	١٣٧
٥٢ــ واعلم بأنك لن تسود ولـــن	* ترى سبل الرشاد اذا اتبعت هواكا	٩٩	٦٤٩
٥٣ــ لسانك معسول ونفسك شحة	* وعند الثريا من صديقك مالكا	٢٣	١٧٢
٥٤ــ وان الموت يأخذ كل حـــى	* بلا شك وان أمشى وعـــالا	٢	٣٩٦
٥٥ــ من اللاتى لم يحججن يبغين حسبته	* ولكن ليقتلن البرىء المغفلا	٦٦	٤٣٠
٥٦ــ يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو	* ثم لا يرزأ العدو فتيـــلا	٨٢	٥٢٥
٥٧ــ أنا الذى عاهدنى خليلـى	* ونحن بالسفح لدى النخيل	٣٩	٢٨٩
٥٨ــ أن لا أقوم الدهر فى الكيول	* أضرب بسيف الله والرسول	٤٠	٢٨٩
٥٩ــ نازعته قضب الريحان متكئـا	* وقهوة مزة راووقها خضـل	٨٣	٥٤١
٦٠ــ وان امرأ ضنت يداه على امرئ	* بنيل يد من غيره لبخيـــل	٧٨	٤٩٩
٦١ــ نبئت أن رسول الله أوعـدنى	* والعفو عند رسول الله مأمول	٩٦	٥٩٣
٦٢ــ كأن بلاد الله وهى عريضـــة	* على الخائف المطلوب كفة حابل	٣٤	٢٦٣
٦٣ــ وقد صالحوا قوما علينا أشحـة	* يعفون غيظا خلقنا بالأنامل	٣٣	٢٣٢

البيت	الرقم	الصفحة
٦٤ ــ واذا رأيت الباهشين الى الندى * غبرا أكفهم بقاع ممحل	١٠	١١٩
٦٥ ــ ربة محراب اذا جئتها * لم ألقها أو أرتقى سلما	٨	١١٦
٦٦ ــ فان المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما	٨٩	٥٦٤
٦٧ ــ ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم	٨٤	٥٤٦
٦٨ ــ نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم	٨٥	٥٤٧
٦٩ ــ اذا رأوني ـ أطال الله غيظهم ـ عضوا * من الغيظ أطراف الأباهم	٣٢	٢٣٢
٧٠ ــ على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم	٥٦	٣٣٢
٧١ ــ وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم	٤٥	٢٩٧
٧٢ ــ ان بني رملوني بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم	٣٥	٢٦٥
٧٣ ــ ورثتم قناة المجد لاعن كلالة * عن ابني مناف عبد شمس وهاشم	٦٤	٤٢٥
٧٤ ــ كأن الشمس في البرج المنيف به * على البرية لا نار على علم	٢٨	٢٠٦
٧٥ ــ ندمت على لسان كان مني * فليت بأنه في جوف عكم	٢٤	١٧٢
٧٦ ــ لمن طلل أبصرته فشجاني * كخط زبور في عسيب يماني	٥٩	٣٥٩
٧٧ ــ وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان	٧٠	٤٤٩
٧٨ ــ خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان	٥٤	٣١٧
٧٩ ــ من أذن الله في فضيحته * أعرى يديه بكشف عورته	٥	١١٢
٨٠ ــ وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه	٨٨	٥٥٦
٨١ ــ كل حي مستكمل عدة العمـ ـر ومود اذا انقضى أمده	٢	١٠٦
٨٢ ــ فان الله ذاق حلوم قيس * فلما رأى خفتها قلاها	٢٩	٢١٦
٨٣ ــ وكائن أصابت مؤمنا من مصيبة * على الله عقباها ومنه ثوابها	٤٧	٢٩٨
٨٤ ــ من اللواتي والتي واللاتي * زعمن أني كبرت لداتي	٦٥	٤٣٠
٨٥ ــ وما أدري اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني	٣٠	٢٢٦

البيـــــت			الرقم	الصفحة
٨٦ــ الخير الذى أنا ابتغيـــه	*	أم الشر الذى هو يبتغينى	٣١	٢٢٦
٨٧ــ رأيت فضيلا كأن شيئا ملفقا	*	فكشفه التمحيص حتى بدا ليا	٣٨	٢٨٢
٨٨ــ فتى تم فيه مايسر صديـــق	*	على أن فيه مايسوء الأعاديـــا	٧٣	٤٦٥
٨٩ــ فتى كملت أخلاقه غير أنـــه	*	جواد فمايبقى من المال باقيا	٧٤	٤٦٥

" أنصاف الأبيات "

	الرقم	الصفحة
١ــ فلم يستجبه عند ذلك مجيب	٦٠	٣٧٦
٢ــ وان شئتم تعاودنا عوادا	٧	١١٣
٣ــ ان المسيح يقتل المسيحا	١٣	١٢٧
٤ــ امهتى خندف واليـاس أبـى	٧١	٤٥
٥ــ وما بالربع من أحد الا الأوارى	٩٧	٦٢٥
٦ــ اذا تجدد حزن هون الماضى	٤٨	٣٠٦
٧ــ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	٦٩	٤٤٨
٨ــ غلام اذا هز القناة سقاها	١٢	١٢٢
٩ــ ألذ من السلوى اذا ما نشورها	٥٢	٣١٤

فهرس الأماكن والبلدان

" فهرس الأماكن والبلدان "
على حروف المعجم

أذرعات	٥٢١
اضـــم	٤٥٩
بـــدر	٢٣٩
حرة بنى سليم	٦٢٩
حمراء الأسد	٣٣٩
ذات السلاسل	٤٧٣
رأس عين	٢٠
الروحاء	٣٤٠
سنجـار	٥٣
الســنح	٢٩٥
الصفــراء	٣٤٧
فــدك	٣٦٢

فهرس الموضوعات

" فهرس الموضوعات "

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	١
المقدمة	٤
أهمية علم التفسير	٤
التفسير عند الحنابلة	٩
التفسير المنسوب لشيخ الاسلام ابن تيمية	١٤
الباب الأول :	
ترجمة المؤلف الشخصية	١٧ — ٥٤
اسمه ونسبه	١٧
كنيته ولقبه ونسبته	٢٠
مولده ونشأته	٢٢
أسرته	٢٣
حياته العلمية	٢٥ — ٥٤
بداية طلبه العلم	٢٥
رحلاته في طلب العلم	٢٥
شيوخه	٢٩
مكانته العلمية	٣٧
تلاميذه	٣٨
مؤلفاته	٤٢
عقيدته	٤٧
مذهبه في الفروع	٥١
وفاته	٥٢
ثناء العلماء عليه	٥٤

فهرس الموضوعات	الموضوع	الصفحة
٧٢٦ فصل في الحكم اذا وقع الشقاق بين الزوجين	الباب الثاني	٤٨٩
٧٨٢ النهي عن الكلام عن البيان في الشاهد		٥٠٥
٧٨٦ فصل في عدد ضربات التيمم		٥١٥
٧٠٠ وجوب أداء الأمانات		٥٣٢
٧٠١ فصل في معنى البلاغة		٥٤٥
٧٠٢ فصل في دية الحر المسلم		٥٨٥
٧٠٣ فصل في حكم قتل المؤمن عمدا		٥٨٩
٧٠٤ فصل في حكم من اكتسب مالا من الكبائر		٥٩٢
فضل الجهاد في سبيل الله		٥٩٧
٧٢٢ فصل في الاصلاح بين الناس		٦٢٧
٧٢٥ بيان معنى النخلة		٦٤٧
٧٢٦ بيان صفات المنافقين		٦٥٦
٧٢٧ رفع عيسى عليه السلام		٦٦٣
٨٢٢ فهرس الآيات		٦٨٤ — ٨٨
٦٦٦ فهرس الأحاديث		٦٩٣٨
٨٦٦ فهرس الأعلام		٧٠٠١
٦٦٦ فهرس الأبيات		٧١٣٩
٦٥٦ فهرس الأماكن والبلدان		٧١٩٢
٦٢٦ فهرس الموضوعات		٧٢٠٦
٦٢٦ فصل		٢٩٣
٧٢٦ فصل		
٥٢٦ الغلاف		٢٢

فهرس المراجع

" فهرس المراجع المطبوعـــة "
مرتبا على حروف المعجـم

١ ـ إتحاف فضلاء البشر :
لابن البنا (ت ١١١٧ هـ) .
مطبعة عبدالحميد حنفى ـ القاهرة ١٣٥٩ هـ .

٢ ـ الإتقان فى علوم القرآن :
للسيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق أبو الفضل ابراهيم .
طبعة دار التراث ـ القاهرة ١٤٠٥ هـ ـ الطبعة الثالثة .

٣ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان :
لابن بلبان الفارسى (ت ٧٣٩ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت .
مطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .

٤ ـ الإحكام فى أصول الأحكام :
لابن حزم (ت ٤٥٧ هـ) تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز .
مطبعة الامتياز ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ .

٥ ـ الإحكام فى أصول الأحكام :
للآمدى (ت ٦٣١ هـ) .
طبعة بدون تاريخ .

٦ ـ أحكام القرآن :
لابن العربى (ت ٥٤٣ هـ) تحقيق على محمد البجاوى .
طبعة الحلبى ـ القاهرة .

٧ ـ أحوال الرجال :
للجوزجانى (ت ٢٥٩ هـ) تحقيق صبحى السمرائى .
طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٨ ــ الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
للبعلى (ت ٨٠٣ هـ) تحقيق محمد حامد الفقى .
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٩ ــ أسباب النزول :
للواحدى (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر .
طبعة دار القبلة ــ جدة ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .

١٠ــ الاستيعاب :
لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق على البجاوى .
مطبعة نهضة مصر ــ القاهرة .

١١ــ أسد الغابة :
لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)
طبعة الشعب .

١٢ــ الأسماء والصفات :
لأبى بكر البيهقى (ت ٤٥٨ هـ)
مطبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ سنة ١٤٠٥ هـ الطبعة الأولى

١٣ــ إشارة التعيين :
لليمانى (ت ٧٤٣هـ) تحقيق د . عبد المجيد دياب .
طبعة شركة الطباعة العربية السعودية ــ الرياض ــ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

١٤ــ الاشتقاق :
لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق عبد السلام هارون .
طبعة الخانجى ــ القاهرة .

١٥ــ إشتقاق اسماء الله الحسنى :
للزجاجى (ت ٣٤٠ هـ) تحقيق د . عبد الحسين المبارك .
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

١٦ــ الإصابـــــة :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .
مطبعة السعادة ــ مصر ــ الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .

١٧ــ الأصمعيـات :
للأصمعى (ت ٢١٦ هـ) تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون .
بيروت ــ الطبعة الخامسة .

١٨ــ الأضـــداد :
لابن السكّيت (ت ٢٤٤ هـ)
ط . المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ــ ١٩١٢ م .

١٩ــ أضواء البيان :
لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى (ت ١٣٩٢ هـ)
مطبعة المدنى ــ مصر ــ سنة ١٣٧٨ هـ .

٢٠ــ الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار :
لأبى بكر الحازمى (ت ٥٨٤ هـ) تعليق راتب حكمى .
مطبعة الأندلس ــ حمص ــ سنة ١٣٨٦ هـ .

٢١ــ إعراب القرآن :
للنحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق د . زهير غازى زاهد .
مطبعة العانى ــ بغداد ــ الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

٢٢ــ إعلام الموقعين :
لابن القيم (ت ٧٥١ هـ) .
مطابع الإسلام ــ القاهرة ــ سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٣ــ الأعـــــلام :
للزركلـــــى
طبعة دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م .

٢٤ــ الأغـــــانى :
للأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) .
طبعة دار الكتب .

٢٥ــ الإفصـــــاح :
لابن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ)
مطابع الرجوى ــ القاهرة .

٢٦ــ إقتضاء العلم والعمل :
للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق ناصر الدين الألبانى .
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ .

٢٧ــ الإقنـــــاع :
للحجاوى (ت ٩٦٨ هـ) .
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢٨ــ الإقناع فى القراءات السبع :
لابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ) تحقيق د . عبد المجيد قطامش .
طبعة دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٩ـ الإكمـــال :
لابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) تحقيق المعلمى .
الناشر محمد أمين دمج ـ بيروت .

٣٠ـ الآمـــالى :
لأبى على القالى (ت ٣٥٦ هـ) .
طبعة دار الحديث ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .

٣١ـ إنبـاه الـرواة :
للقفطى (ت ٦٢٤ هـ) تحقيق أبو الفضل إبراهيم .
طبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٣٢ـ الأنســـاب :
للسمعانى (ت ٥٦٢ هـ) تحقيق عبد الرحمن المعلمى .
طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ـ الهند ـ الطبعـــة
الأولى سنة ١٣٨٢ هـ .

٣٣ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين :
لابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) .
طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر ـ القاهرة .

٣٤ـ الإنصاف فى بيان الراجح من الخلاف :
للمرداوى (ت ٨٨٥ هـ) تحقيق محمد حامد الفقى .
مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ.

٣٥ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه :
لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق د . أحمد فرحات .
طبعة دار المنارة ـ جدة ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٣٦ ـ البحر المحيط :
لأبي حيان التوحيدي (ت ٧٥٤ هـ) .
طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .

٣٧ ـ بداية المجتهد :
لابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) .
طبعة دار التوفيق النموذجية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .

٣٨ ـ البداية والنهاية :
لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)
طبعة دار نهر النيل ـ القاهرة .

٣٩ ـ بدائع الصنائع :
للكاساني (ت ٥٨٧ هـ) .
طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ

٤٠ ـ برنامج ابن جابر :
لمحمد بن جابر الوادي آشي التونسي (ت ٧٤٩ هـ) تحقيق د . محمد الهيلة .
طبعة جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ سنة ١٤٠١ هـ .

٤١ ـ البعث والنشور :
للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر .
طبعة مركز الخدمات والأبحاث ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ

٤٢ ـ بغية الوعاة :
للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق أبو الفضل إبراهيم .
طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

٤٣ــ تأويل مشكل القرآن :
لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد صقر
الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

٤٤ــ تاج العروس :
للزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ)
طبعة وزارة الاعلام بدولة الكويت ــ الطبعة الأولى من سنة ١٣٨٥ ــ ١٤٠٨ هـ .

٤٥ــ تاج العروس :
للزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) .
المطبعة الخيرية ــ مصر ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ .

٤٦ــ تاريخ الأمم والملوك :
للطبرى (ت ٣١٠ هـ) .
طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٩ هـ .

٤٧ ــ تاريخ بغداد :
للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) .
طبعة دار الكتاب العربى ــ بيروت .

٤٨ــ تاريخ العلماء النحويين :
للتنوخى (ت ٤٤٢ هـ) تحقيق د . عبدالفتاح الحلو .
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ .

٤٩ــ التاريخ الكبير :
للبخارى (ت ٢٥٦ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٥٠ــ التبيان فى إعراب القرآن :
للعكبرى (ت ٦١٦ هـ) تحقيق على محمد البجاوى .
طبعة الحلبى ــ القاهرة .

٥١ــ تجريد أسماء الصحابة :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) .
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٥٢ــ تحفة الأشراف :
للمزى (ت ٧٤٢ هـ) تحقيق عبد الصمد شرف الدين .
طبعة الدار القيمة ــ بمباى الهند ــ الطبعة الأولى من سنة ١٣٨٤ ــ ١٤٠٣ هـ .

٥٣ ــ تحفة المودود :
لابن القيم (ت ٧٥١ هـ)
مطابع مقهوى ــ الكويت ــ الطبعة الثانية .

٥٤ــ تخريج أحاديث الكشاف :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .
طبع بذيل الكشاف بمطبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٥٥ــ تدريب الراوى :
للسيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
طبعة دار إحياء السنة ، الطبعة الثانية ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٩ هـ

٥٦ــ تذكرة الحفاظ :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) .
طبعة دار إحياء التراث ــ بيروت .

٥٧ــ تفسير ابن أبى حاتم :
لابن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) تحقيق د . حكمت بشير .
مطبعة هجر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .

٥٨ــ تفسير ابن جرير :
لابن حجر (ت ٣١٠ هـ) تحقيق أحمد محمود شاكر .
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية .

٥٩ــ تفسير ابن جرير :
لابن جرير (ت ٣١٠ هـ)
طبعة الحلبى ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ

٦٠ــ تفسير ابن عيينة :
لابن عيينة (ت ١٩٨ هـ) جمع وتحقيق أحمد صالح محايرى .
طبعة المكتب الاسلامى ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٦١ــ تفسير ابن كثير :
لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) .
طبعة الحلبى ــ القاهرة .

٦٢ــ تفسير البغوى :
للبغوى (ت ٥١٦هـ) تحقيق خالد العك ومروان سوار
طبعة دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٦٣ــ تفسير الثورى :
لسفيان الثورى (ت ١٦١ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٦٤ــ تفسير عبد الرزاق :
لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ) تحقيق د . مصطفى مسلم
نشر مكتبة الرشد ــ الرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

٦٥ــ تفسير غريب القرآن = أنظر غريب القرآن .

٦٦ــ تفسير القرطبي :
للقرطبي (ت ٦٧١ هـ)
طبعة دار القلم ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦ هـ .

٦٧ــ التفسير القيم من كلام ابن القيم :
جمعه : محمد أويس الندوي ــ تحقيق محمد حامد الفقي .
طبعة لجنة التراث العربي ــ بيروت .

٦٨ــ تفسير مقاتل :
لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) تحقيق د . عبد الله شحاته .
طبعة دار الشروق ــ القاهرة .

٦٩ــ تفسير النسفي :
للنسفي (ت ٧١٠ هـ)
طبعة الحلبي ــ القاهرة .

٧٠ــ تقريب التهذيب :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق محمد عوامة
طبعة دار البشائر الاسلامية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ

٧١ــ التقييـــــد :
لابن نقطة (ت ٦٢٩ هـ)
طبعة دائرة المعارف الهندية ــ حيدر أباد ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ

٧٢ــ تكملة إكمال الإكمال :
لابن الصابوني (ت ٦٨٠ هـ) تحقيق مصطفى جواد
طبعة عالم الكتب ــ الطبعة الأولى ــ بيروت ــ سنة ١٤٠٦ هـ

٧٣ــ تقويم البلدان :
لأبي الفداة عماد الدين (ت ٧٣٢ هـ)
طبعة دار الطباعة السلطانية ، الطبعة الأولى ــ باريس ــ سنة ١٨٤٠م

٧٤ــ تلخيص الحبير :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق د . شعبان إسماعيل .
مطبعة الفجالة ــ القاهرة .

٧٥ــ تلخيص مستدرك الحاكم :
للذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ بحاشية المستدرك .

٧٦ــ تلخيص معجم الآداب :
لابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ) تحقيق مصطفى جواد
طبعة وزارة الثقافة ــ بغداد .

٧٧ــ التمهيـــــد :
لأبي الخطاب (ت ٥١٠ هـ) تحقيق د . مفيد أبو عمشة ود . محمـــــد ابن علي بن ابراهيم .
طبعة جامعة أم القرى ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٧٨ــ التمييز والفصل :
لابن باطيش (ت ٦٥٥ هـ) تحقيق عبد الحفيظ منصور .
طبعة الدار العربية للكتاب ــ الطبعة الأولى ــ تونس .

٧٩ــ تهذيب تاريخ دمشق :
لابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ)
طبعة دار المسيرة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

٨٠ــ تهذيب التهذيب :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .
طبعة دائرة المعارف النظامية ــ حيدر آباد ــ الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ .

٨١ــ تهذيب اللغة :
للأزهري (ت ٣٧٠ هـ)
طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٣٨٤ هـ .

٨٢ــ تيسير الكريم الرحمن :
للعلامة عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)
مطابع الدجوى ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى .

٨٣ــ جامع بيان العلم وفضله :
لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تقديم عبد الكريم الخطيب .
المطبعة الفنية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ .

٨٤ــ الجامع الصغير :
للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محي الدين عبد الحميد .
طبعة مكتبة الحلبوني ــ دمشق .

٨٥ــ جامع العلوم والحكم :
لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) توزيع الرئاسة العامة للبحوث بالرياض .

٨٦ــ الجرح والتعديل :
لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) .
طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد ــ الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١ هـ .

٨٧ــ جلاء الأفهـــام :
لابن القيم (ت ٧٥١ هـ) تحقيق طه شاهين
طبعة دار الطباعة المحمدية ــ القاهرة ــ سنة ١٣٩٢ هـ

٨٨ــ جمهرة أشعار العرب :
للقرشي من علماء القرن الرابع ، تحقيق د . محمد على الهاشمي .
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود . الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ.

٨٩ــ جمهرة أنساب العرب :
لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق عبد السلام هارون .
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الخامسة .

٩٠ــ جمهرة اللغة :
لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد سنة ١٣٤٥ هـ .

٩١ــ حجة القراءات :
لابن زنجلة من علماء القرن الرابع . تحقيق سعيد الأفغاني .
طبع مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

٩٢ــ الحجة للقراء السبعة :
لأبي على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) تحقيق بدر الدين قهوجي وبشيرجويجاتي
طبعة دار المأمون للتراث ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٩٣ــ حلية الأولياء :
لأبى نعيم (ت ٤٣٠ هـ) .
طبعة دار الكتاب العربى ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ

٩٤ــ الحماسة :
لابى تمام (ت ٢٣١ هـ) تحقيق د . عبد الله عسيلان .
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ

٩٥ــ حياة الحيوان :
للدميرى (ت ٨٠٨ هـ) .
طبعة المكتبة الاسلامية ــ بيروت .

٩٦ــ الحيوان :
للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) .
طبعة الحلبى ــ القاهرة ــ من سنة ١٣٥٨ ــ ١٣٦٦ هـ .

٩٧ــ خزانة الأدب :
للبغدادى (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق عبد السلام هارون
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ سنة ١٩٧٩م .

٩٨ــ الخصائص :
لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد على النجار .
طبعة دار الكتاب العربى ــ بيروت .

٩٩ــ الخلاصة مع شرحها :
لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) تحقيق د . عبد المنعم أحمد هريدى .
طبعة جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

١٠٠ــ درء تعارض العقل والنقل :
لشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق د . محمد رشاد سالم .
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

١٠١ــ الدرر الكامنة :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق محمد سيد جاد الحق
مطبعة المدني ــ القاهرة .

١٠٢ــ الدر المصون :
للحلبي (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق د . أحمد الخراط
طبعة دار القلم ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ .

١٠٣ــ الدر المنثور :
للسيوطي (ت ٩١١ هـ)
طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٠٤ــ دقائق التفسير :
جمع د . محمد السيد الجليند
مطبعة التقدم ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ .

١٠٥ــ ديوان الأعشى :
شرح مهدي محمد ناصر الدين
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ

١٠٦ــ ديوان امرئ القيس :
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ، الطبعة الرابعة .

١٠٧ــ ديوان حسان بن ثابت :
تحقيق عيداً مهنا
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٠٨ــ ديوان الحطيئة :
طبعة دار صادر ــ بيروت ــ سنة ١٤٠١ هـ .

١٠٩ــ ديوان الخرنق بنت هفان :
طبعة بيروت ــ سنة ١٨٩٩م

١١٠ــ ديوان الخنساء :
شرح وتحقيق عبد السلام الحوفى
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

١١١ــ ديوان زهير بن أبى سلمى :
طبعة دار صادر ــ بيروت .

١١٢ــ ديوان السموأل :
طبعة دار صادر ــ بيروت .

١١٣ــ ديوان طرفة بن العبد :
تحقيق فوزى عطوى
طبعة دار صعب ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٠م

١١٤ــ ديوان عامر بن الطفيل :
طبعة دار صادر ــ بيروت ــ سنة ١٣٨٣ هـ .

١١٥ــ ديوان علقمة الفحل :
ضمن مجموعة خمسة دواوين .
طبعة الوهبية سنة ١٢٩٣ هـ .

١١٦ــ ديوان الفرزدق :
شرح الاستاذ على فاعور
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ.

١١٧ــ ديوان النابغة الجعدى :
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هـ .

١١٨ــ ديوان النابغة الذبيانى :
تحقيق فوزى عطوة
طبعة دار صعب ــ بيروت ــ سنة ١٩٨٠ م .

١١٩ــ ديوان يزيد بن مفرغ الحميرى :
تحقيق د . عبد القدوس أبو صالح
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٥ هـ .

١٢٠ــ ذيل طبقات الحنابلة :
لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

١٢١ــ ذيل مرآة الزمان :
لليونينى (٧٢٦ هـ)
طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ الهند ــ سنة ١٣٧٤ هـ

١٢٢ــ الرسالة التدميرية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ).
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ

١٢٣ــ الرســـــالة :
للامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) تحقيق أحمد شاكر
مطابع المختار الاسلامي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ

١٢٤ــ الروض الأنف :
للسهيلي (ت ٥٨١ هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد
طبعة شركة الطباعة الفنية ــ القاهرة ــ سنة ١٣٩١ هـ .

١٢٥ــ روضة الطالبين :
للنووي (ت ٦٧٦ هـ)
طبعة المكتب الاسلامي ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ .

١٢٦ــ زاد المسير :
لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)
طبعة المكتب الاسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ .

١٢٧ــ زاد المعاد :
لابن القيم (ت ٧٥١ هـ) تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

١٢٨ــ الزهـــــد :
للامام أحمد (ت ٢٤١ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

١٢٩ــ زوائد ابن ماجه = مصباح الزجاجة

١٣٠ــ السبعة في القراءات :
لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق شوقي ضيف
طبعة دار المعارف ــ القاهره ــ الطبعة الثانية .

١٣١ــ السحب الوابلة :
لابن حميد (ت ١٢٩٥ هـ)
الناشر مكتبة الامام أحمد بالرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ .

١٣٢ــ سنن أبى داود :
لأبى داود السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محى الدين عبد الحميد
طبعة دار احياء التراث العربى ــ بيروت .

١٣٣ــ سنن ابن ماجه :
لابن ماجه القزوينى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق فؤاد عبد الباقى
طبعة دار احياء التراث العربى ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٥ هـ .

١٣٤ــ سنن الترمذى :
لأبى عيسى الترمذى (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق أحمد شاكر
طبعة دار احياء التراث العربى ــ بيروت .

١٣٥ــ سنن الدارقطنى :
للدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق عبد الله هاشم يمانى
طبعة دار المحاسن ــ القاهرة .

١٣٦ــ سنن الدارمى :
لأبى محمد الدارمى (ت ٢٥٥ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٣٧ــ سنن سعيد بن منصور :
لسعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .
طبعة الدار السلفية .

١٣٨ــ السنن الكبرى :
للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ)
طبعة دار المعارف النظامية ــ حيدر آباد ــ الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤ هـ .

١٣٩ــ سنن النسائي :
للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) .
طبعة دار التراث العربي ــ بيروت .

١٤٠ــ السنة :
لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ) تحقيق ناصر الدين الألباني
طبعة المكتب الاسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ.

١٤١ــ السنة :
لعبد الله بن الامام أحمد (ت ٢٩٠ هـ) تحقيق د . محمد القحطاني
طبعة دار ابن القيم ــ الدمام ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ

١٤٢ــ سير أعلام النبلاء :
للذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ .

١٤٣ــ السيرة النبوية :
لابن هشام (ت ٢١٣ هـ)
طبعة دار الفكر ــ القاهرة .

١٤٤ــ شأن الدعاء :
لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق أحمد يوسف الدقاق
طبعة دار المأمون للتراث ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

١٤٥ــ شجرة النور الزكية :
لابن فرحون المالكى
طبعة دار الفكر ــ بيروت .

١٤٦ــ شذرات الذهب :
لابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)
طبعة دار المسيرة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

١٤٧ــ شرح ابن عقيـــل :
لابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

١٤٨ــ شرح أبيات سيبويه :
للسيرافى (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق د . محمد على سلطانى .
طبعة دار المأمون للتراث سنة ١٩٧٩م .

١٤٩ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :
للالكائى (ت ٤١٨ هـ) تحقيق د . أحمد سعد حمدان
طبعة دار طيبه ــ الرياض .

١٥٠ــ شرح التسهيل :
لابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) تحقيق د . محمد كامل بركات
طبعة دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

١٥١ــ شرح السنة :
للبغوى (ت ٥١٠ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط والشاويش
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت .

١٥٢ــ شرح العقيدة السفارينية = لوامع الأنوار البهية .

١٥٣ــ شرح القصائد :
للنحاس (ت ٣٣٨ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

١٥٤ــ شرح قصيدة كعب بن زهير :
للحموى (ت ٨٣٧ هـ)
طبعة مكتبة المعارف ــ الرياض ــ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٥٥ــ شعب الايمان :
للبيهقى (ت ٤٥٨ هـ)
طبعة الدار السلفية .

١٥٦ــ الشعر والشعراء :
لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق د . مفيد قميحه
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ .

١٥٧ــ شواهد الكشاف :
للمرزوقى ــ وهو بذيل الكشاف .

١٥٨ــ الصاهل والشاحج ــ رسالة ضمن رسائل المعرى :
لأبى العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) تحقيق د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء
طبعة دار المنار ــ القاهره .

١٥٩ــ الصارم المنكى :
لابن عبد الهادى (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق اسماعيل الأنصارى
طبعة رئاسة البحوث بالرياض .

١٦٠ــ الصحـــــاح :
للجوهرى (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبدالغفور عطار
طبعة دارالعلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

١٦١ــ صحيح البخارى :
لأبى عبدالله البخارى (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق أحمد شاكر
طبعة دار احياء التراث العربى ــ بيروت .

١٦٢ــ صحيح الجامع الصغير :
لناصر الدين الألبانى
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ .

١٦٣ــ صحيح مسلم :
لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ) تحقيق فؤاد عبدالباقى
طبعة رئاسة البحوث بالرياض ــ سنة ١٤٠٠ هـ .

١٦٤ــ صفة الجنة :
لأبى نعيم (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق على رضا عبدالله
طبعة دار المأمون للتراث ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٦٥ــ صيانه الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان :
للسهوانى (ت ١٣٢٦ هـ)
مطابع نجد التجارية ــ الرياض ــ الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٥ هـ .

١٦٦ــ الضعفاء والمتروكين :
لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق عبدالله القاضى
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٦٧ــ الضعفاء الكبير :
للعقيلي (ت ٣٢٢ هـ) تحقيق د . عبدالمعطى قلعجى .
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ .

١٦٨ــ الطالع السعيد :
للأدفوى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق سعد محمد حسن
طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ القاهرة ــ سنة ١٩٦٦ م .

١٦٩ــ طبقات بن سعد :
لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)
طبعة دار التحرير ــ القاهرة ــ سنة ١٣٨٨ هـ .

١٧٠ــ طبقات الأدباء :
لابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق د . ابراهيم السامرائى
طبعة مكتبة المنار ــ الأردن ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ .

١٧١ــ طبقات الحفاظ :
للسيوطى (ت ٩١١ هـ) .
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٧٢ــ طبقات الحنابلة :
لابن أبى يعلى (ت ٥٢٦ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

١٧٣ــ الطبقات السنية :
للغزى (ت ١٠١٠ هـ) تحقيق د . عبدالفتاح الحلو
طبعة دار الرفاعى ــ الرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٧٤ــ طبقات الشافعية :
للأسنوى (ت ٧٧٢ هـ) تحقيق عبد الله الجبورى
طبعة دار العلوم ــ الرياض ــ سنة ١٤٠٠ هـ .

١٧٥ــ طبقات الشعراء :
لابن سلام (ت ٢٣١ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ

١٧٦ــ طبقات القراء :
لابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) .
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ

١٧٧ــ طبقات المفسرين :
للداودى (ت ٩٤٥ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .

١٧٨ــ طبقات المفسرين :
للسيوطى (ت ٩١١ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٧٩ــ العـــــبر :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد زغلول
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

١٨٠ــ عرائس المجالس :
للثعلبى (ت ٤٢٧ هـ)
طبعة دار القلم ــ بيروت ــ الطبعة الرابعة

١٨١ــ العقود الدرية :
لابن عبد الهادى (ت ٧٤٤ هـ) طبعة المدنى ــ القاهرة .

١٨٢ــ علل الحديث :
لابن أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ) .
طبعة دار السلام ــ حلب .

١٨٣ــ علل الدارقطنى :
للدارقطنى (ت ٣٨٥هـ) تحقيق محفوظ السلفى
طبعة دار طيبه ــ الرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

١٨٤ــ العلل الكبرى بترتيب أبى طالب :
للترمذى (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق حمزة ديب مصطفى
طبعة مكتبة الأقصى ــ عمان ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ

١٨٥ــ العلل المتناهية :
لابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) تحقيق ارشاد الحق الأثرى .
مطبعة الكتب العلمية ــ باكستان .

١٨٦ــ عمل اليوم والليلة :
لابن السنى (ت ٣٦٤ هـ)
طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد الهند ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٨ هـ .

١٨٧ــ عمل اليوم والليلة :
للنسائى (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق د . فاروق حماد
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ

١٨٨ــ غريب الحديث :
للخطابى (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق عبد الكريم الغرباوى
طبعة دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٨٩ــ غريب القرآن :
لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد صقر
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٨ هـ .

١٩٠ــ فتح البارى :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)
طبعة رئاسة البحوث بالرياض .

١٩١ــ فتح القدير :
للشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ)
طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ سنة ١٤٠١هـ .

١٩٢ــ الفردوس :
للديلمى (ت ٥٠٩ هـ) تحقيق محمد زغلول
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٩٣ــ الفروع :
لابن مفلح (ت ٧٦٣ هـ)
طبعة عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

١٩٤ــ القاموس المحيط :
للفيروز ابادى (ت ٨٢٦ هـ)
طبعة الحلبى ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٧١ هـ .

١٩٥ــ القراءات الشاذة :
للقاضي (ت ١٤٠٢ هـ)
طبعة الحلبي ــ القاهرة .

١٩٦ــ الكاشف :
للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق عزت عطيه وموسى الموشى
طبعة دار النصر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

١٩٧ــ الكامل في الضعفاء :
لابن عدى (ت ٣٦٥ هـ)
طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

١٩٨ــ الكامل في اللغة :
للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد أحمد الدالى
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٩٩ــ الكتـــاب :
لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) تحقيق عبد السلام هارون
طبعة مكتبة الخانجى ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ م .

٢٠٠ــ كتاب الايمان :
لابن أبى شيبة (ت ٢٣٥ هـ) وأبى عبيد (ت ٢٢٤ هـ) تحقيـــق
محمد ناصر الدين الألبانى
طبعة دار مصر للطباعة ــ القاهرة .

٢٠١ــ الكشاف عن حقائق التنزيل :
للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢٠٢ــ كشف الأستار :
للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٠٣ــ كشف الخفاء :
للعجلوني (ت ١١٦٢ هـ)
طبعة دار احياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٥١هـ .

٢٠٤ــ كشف الظنون :
لحاجي خليفة
طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٠٥ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع :
لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق محي الدين رمضان
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٠٦ــ لباب النقـــول :
للسيوطي (ت ٩١١ هـ)
طبعة دار احياء العلوم ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٠٧ــ لسان العرب :
لابن منظور (ت ٧١١ هـ)
طبعة دار صادر ــ بيروت .

٢٠٨ــ لسان الميزان :
لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)
طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد ــ الهند ، الطبعة الثانية
سنة ١٣٩٠ هـ .

٢٠٩ــ لوامع الأنوار :
للسفاريني (ت ١١٨٨ هـ)
نشر مؤسسة الخافقين ــ دمشق ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ .

٢١٠ــ مجاز القرآن :
لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) تحقيق فؤاد سزكين
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

٢١١ــ المجروحـــين :
لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق محمود ابراهيم زايد
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢١٢ــ مجمع الزوائد :
للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)
طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

٢١٣ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
جمع عبد الرحمن بن قاسم وأبنه محمد
تصوير الدار العربية ــ بيروت ــ عن الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ .

٢١٤ــ المحتســـب :
لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق علي ناصف والنجار وعبد الفتاح شلبي
طبعة لجنة احياء التراث الاسلامي ــ القاهرة ــ سنة ١٣٨٦ هـ .

٢١٥ــ المحصـــول :
للرازي (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق د . طه العلواني
طبعة جامعة الامام محمد بن سعود ــ بالرياض ــ الطبعة الأولـــى
سنة ١٣٩٩ هـ .

٢١٦ــ المحـــلى :
لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)
طبعة مكتبة الجمهورية العربية ــ القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ .

٢١٧ــ محنة الامام أحمد :
لعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) تحقيق د . عبدالله التركي
طبعة دار هجر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .

٢١٨ــ مختصر الخرقي :
لأبي القاسم الخرقي (ت ٣٣٤ هـ)
طبعة مؤسسة الخافقين ـ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

٢١٩ــ مختصر شواذ القرآن :
لابن خالوية (ت ٣٧٠ هـ)
طبعة مكتبة المتنبي ــ القاهرة .

٢٢٠ــ مختصر ذيل تاريخ السمعاني :
لابن الدبيثي (ت ٦٣٧ هـ)
طبعة ادار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٢٢١ــ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :
للموصلي ــ من توزيع رئاسة البحوث بالرياض .

٢٢٢ــ مختصر طبقات المحدثين :
لابن عبدالهادي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق ابراهيم الزيبق
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ .

٢٢٣ــ المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل :
لابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ) تحقيق د. عبدالله التركي
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

٢٢٤ــ مرآة الجنان :
لليافعي (ت ٧٦٨ هـ) تحقيق عبدالله الجبوري
طبعة مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٢٥ــ المراسيل :
لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٢٦ــ مسائل الامام أحمد :
رواية ابنه عبدالله (ت ٢٩٠ هـ) تحقيق د . علي المهنا
مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٢٧ــ المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين :
لأبي يعلى الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)
طبعة مكتبة المعارف ــ الرياض ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٢٢٨ــ المسائل الماردينية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق زهير الشاويش
طبعة المكتب الاسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٢٩ــ المستدرك على الصحيحين :
للحاكم (ت ٤٠٥ هـ)
طبعة دار الكتاب العربي ــ بيروت .

٢٣٠ــ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد :
لابن الدمياطي (ت ٧٤٩ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٢٣١ــ المســـــند :
للامام أحمد (ت ٢٤١ هـ) تحقيق أحمد شاكر
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣ هـ .

٢٣٢ــ المســـــند :
للامام أحمد (ت ٢٤١ هـ)
طبعة دار صادر ــ بيروت .

٢٣٣ــ مسند أبي يعلى :
لأبي يعلى (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق حسين أسد
طبعة دار المأمون للتراث ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ

٢٣٤ــ مسند الشافعي :
للامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٣٥ــ مسند الحميدي :
لأبي بكر الحميدي (ت ٢١٩ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
طبعة المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة .

٢٣٦ــ مسند الطيالسي :
لأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢٣٧ــ مشكل اعراب القرآن :
لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق ياسين السواس
طبعة دار المأمون للتراث ــ دمشق .

٢٣٨ــ مشيخة النعــال :
لابن الأنجب (ت ٦٥٩ هـ) تحقيق د . ناجى معروف وبشار عواد
طبعة المجمع العلمى العراقى ــ بغداد ــ الطبعة الأولى سنــــة
١٣٩٥ هـ .

٢٣٩ــ المصاحـــــف :
لابن أبى داود السجستانى (ت ٣١٦ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٢٤٠ــ مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه :
للبوصيرى (ت ٨٤٠ هـ) تحقيق محمد الكشناوى
طبعة دار العربية ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٤١ــ المصباح المنير :
للفيومى (ت ٧٧٠ هـ).
طبعة المكتبة العلمية ــ بيروت .

٢٤٢ــ المصنـــــف :
لابن أبى شيبة (ت ٢٣٥ هـ)
طبعة الدار السلفية ــ بمباى .

٢٤٣ــ المصنـــــف :
لعبد الرزاق الصنعانى (ت ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هـ

٢٤٤ــ معانى القرآن :
للأخفش (ت ٢١٥ هـ) تحقيق د . فائز فارس
الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ

٢٤٥ــ معانى القرآن :
للزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق د . عبدالجليل شلبى
طبعة المكتبة العصرية ــ بيروت .

٢٤٦ــ معانى القرآن :
للفراء (ت ٢٠٧ هـ)
طبعة عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٤٧ــ المعانى الكبير :
لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٤٨ــ معجم الأدباء :
لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)
طبعة دار احياء التراث ــ بيروت .

٢٤٩ــ معجم البلدان :
لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)
طبعة دار احياء التراث ــ بيروت ــ سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٥٠ــ معجم الشعراء :
للمرزبانى (ت ٣٨٤ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ

٢٥١ــ معجم الطبرانى الصغير :
لأبى القاسم الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) مراجعة عبدالرحمن عثمان
مطبعة المعرفة ــ القاهرة ــ سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٥٢ــ معجم الطبرانى الكبير :
لأبى القاسم الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ
تحقيق حمدى عبد المجيد السـلفى
طبعة الدار العربية ــ بغداد ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ .

٢٥٣ــ معجم ما استعجم :
للبكرى (ت ٤٨٧ هـ) تحقيق مصطفى السقا
طبعة عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٥٤ــ معجم مقاييس اللغة :
لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون
طبعة الحلبى ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ .

٢٥٥ــ معجم المؤلفين :
لعمر كحالة
طبعة دار احياء التراث ــ بيروت .

٢٥٦ــ المعـــرب :
لأبى منصور الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) تحقيق أحمد شاكر
طبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .

٢٥٧ــ معرفة القراء :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد جاد الحق
طبعة دار التأليف ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى .

٢٥٨ــ المغـــازى :
للواقدى (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق د . مارسدن جونس
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م .

٢٥٩ــ المغـــــنى :
لابن قدامة المقدسى (ت ٦٢٠ هـ)
طبعة مكتبة الجمهورية العربية ــ القاهرة .

٢٦٠ــ المغـــــنى :
للخبازى (ت ٦٩١ هـ) تحقيق د . محمد مظهر بقا
طبعة جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ

٢٦١ــ مغنى اللبيب :
لابن هشام (ت ٧٦١ هـ)
طبعة الحلبى ــ القاهرة .

٢٦٢ــ المفـــردات :
للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢٦٣ــ المفضليـــات :
للمفضل الضبى (ت ١٧٨ هـ) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون
طبعة بيروت ــ الطبعة السادسة .

٢٦٤ــ المقاصد الحسنة :
للسخاوى (ت ٩٠٢ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ

٢٦٥ــ المقتضب :
للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عضيمه
طبعة لجنة احياء التراث الاسلامى ــ القاهرة ــ الطبعة الثانيـــة
سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٦٦ــ مقدمة التفسير :
لشيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق د . عدنان زرزور .
طبعة دار القرآن ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٦٧ــ المقصد الأرشد :
لابن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) تحقيق عبد الرحمن العثيمين
مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

٢٦٨ــ الملل والنحل :
للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) وتحقيق محمد سيد كيلاني
طبعة دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ .

٢٦٩ــ منتهى الارادات :
للفتوحي (ت ٩٧٢ هـ) تحقيق عبد الغني عبد الخالق
طبعة عالم الكتب ــ بيروت .

٢٧٠ــ المنتظم :
لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)
طبعة دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد ــ الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ .

٢٧١ــ المنتقى :
لابن الجارود (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق عبد الله هاشم يماني
مطبعة الفجالة ــ القاهرة .

٢٧٢ــ منهاج الطالبين :
للنووي (ت ٦٧٦ هـ)
طبعة الحلبي ــ القاهرة .

٢٧٣ــ موارد الظمآن :
للهيثمى (ت ٨٠٧ هـ) تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٢٧٤ــ المؤتلف والمختلف :
للآمدى (ت ٣٧٠ هـ)
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ

٢٧٥ــ ميزان الاعتدال :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد على البجاوى
طبعة دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢ هـ

٢٧٦ــ الناسخ والمنسوخ :
لابن حزم ــ تحقيق د . عبد الغفار البندارى .
طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ

٢٧٧ــ الناسخ والمنسوخ :
لهبة الله بن سلامة (ت ٤١٠ هـ) تحقيق زهير الشاويش ومحمد كنعان
طبعة المكتب الاسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٧٨ــ الناسخ والمنسوخ :
للنحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق د . شعبان محمد اسماعيل
طبعة مكتبة عالم الفكر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ

٢٧٩ــ النجوم الزاهـــرة :
لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ)
مصورة عن طبعة دار الكتب ــ القاهرة .

٢٨٠ــ نسب قريش :
لأبي مصعب الزبيرى (ت ٢٣٦ هـ)
طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة .

٢٨١ــ النشر في القراءات العشر :
لابن الجوزى (ت ٨٣٣ هـ) تحقيق على محمد الضباع
طبعة المكتبة التجارية ــ القاهرة .

٢٨٢ــ النكت الظراف :
للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) بحاشية تحفة الأشراف

٢٨٣ــ النكت والعيون :
للماوردى (ت ٤٥٠ هـ) تحقيق خضر محمد خضر
طبعة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٨٤ــ نكت الهميان :
للصفدى (ت ٧٦٤ هـ)
طبعة المطبعة الجمالية ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩هـ

٢٨٥ــ النهاية في غريب الحديث :
لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق محمود الطناحى وطاهر الزاوى .
طبعة دار احياء التراث ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ

٢٨٦ــ نواسخ القرآن :
لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق محمد الملبارى
طبعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٨٧ــ نونية ابن القيم :
لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)
طبعة دار المعرفة ــ بيروت .

٢٨٨ــ الهدايـــــة :
للمرغيناني (ت ٥٩٣ هـ)
طبعة المكتبة الاسلامية .

٢٨٩ــ وفيات الأعيان :
لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)
طبعة دار صادر ــ بيروت .

" فهرس المراجع المخطوطة "

١ ــ أسباب النزول :
محمد بن أسعد العراقى (ت ٥٦٧ هـ)
مخطوطة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة برقم (١٣٥٥) ميكروفلم .

٢ ــ اعراب القراءات الشواذ :
للعكبرى (ت ٦١٦ هـ)
مخطوطة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة برقم (٤٩ ــ تفسير) .

٣ ــ تاريخ الاسلام :
للذهبى (ت ٧٤٨ هـ)
نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ــ رقم (١٢٢٠)

٤ ــ التبيان لبديعة البيان :
ابن ناصر الدين (ت ٨٤٢ هـ)
نسخة محفوظة فى مكتبة الشيخ حماد الأنصارى .

٥ ــ تفسير ابن أبى حاتم :
لابن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ)
مخطوطة فى الجامعة الاسلامية برقم (١٠٨) .

٦ ــ تفسير الثعلبى = الكشف والبيان .

٧ ــ التقريب والبيان :
للصفراوى (ت ٦٣٦ هـ)
مخطوطة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة برقم (٥٣٤٣) ميكروفلم .

٨ — الحرز والمنعه فى شأن أمر المهدى والمتعة :
لأبى منصور البغدادى (ت)
نسخة فى الظاهرية ضمن مجموع رقم (٢٠٩٤٦) .

٩ — درء اللوم والضيم فى صوم يوم الغيم :
لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)
نسخة فى الظاهرية ضمن مجموع رقم (٢٠٩٤٦) .

١٠ — سنن سعيد بن منصور :
لسعيد بن منصور (ت ٢٢٧ ٥)
مخطوطة فى مكتبة الريـــن بالقويعية .

١١ — عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان :
لابن الشعار (ت ٦٥٤ هـ)
نسخة أسعد أفندى باستنبول — برقم (٢٣٢٥) .

١٢ — القراءات الخمسين :
للهذلى (ت ٤٦٥ هـ) .
نسخة مكتبة الأزهر رقم (٣٦٩) .

١٣ — الكشف والبيان :
للثعلبى (ت ٤٢٧ هـ)
مخطوطة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة برقم (٦٤٥) ميكروفلم .

١٤ — مختصر الفرق بين الفرق :
للرسعنى (ت ٦٦١ هـ)
نسخة محفوظة فى المكتبة الظاهرية ضمن مجموع رقم (٢٠٩٤٦) .

١٥ـ معجم الأبرقوهى :
للأبرقوهى (ت ٧٠١ هـ)
نسخة مصورة عن الأزهر فى الجامعة الاسلامية بالمدينة برقم (٤٥١)

١٦ـ معجم الدمياطى :
للدمياطى (ت ٧٠٥ هـ)
نسخة مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس .

١٧ـ الواضح شرح التنقيح :
لعبد الرحمن بن عمر العبدليانى (ت ٦٨٤ هـ)
نسخة محفوظة فى المكتبة الشرفية بحلب ـ برقم (١٩٥٠٠) .

١٨ـ الوجـــيز :
للواحدى (ت ٤٦٨ هـ)
نسخة محفوظة فى مكتب عارف حكمت بالمدينة .